
بلاد ما بين النهرين
بين ولائين
تأليف
ولسن
ترجمة
فؤاد جميل



Aliwayzi

خواطر شخصية وتاريخية

تأليف : سر أرنُلد تى . ويلسُون

وكيل الحاكم الملكى البريطانى العام

نقله الى العربيّة ، قدم له ، وعلّق عليه :

فؤاد جميل

الجزء الثاني

الطبعة الاولى
١٩٧١

طبع (الكتاب) على مطابع (دار الجمهورية) ببغداد

و

بانفاق (المترجم) الخاص

و

الحقوق كافة محفوظة عليه

١٤٠٠/١٣٩١هـ = ١٩٧١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى :

طلبتي الحــاليين في (جامعـــة بغـــداد)

و الســـابقين في (الجامعة المستنصرية)

مــن :

الذين تسـلحو بالايمـــان الوطني ـ القـومي

فأستعدوا لتحقيق الآمال العظام المعقودة عليهم

ف٠ ج

مقدمة (المترجم) التصـــديرية

لـ (الجزء الثاني) من (الكتاب)

هذا الذي تحمله بيمينك ـ أيها القارىء الكريم ـ هو (الجزء الثاني) من (الكتاب) الذي يعتدّه كثير من البحّاث الاثبات والدرّاس الثقات من أخطـر المصادر المؤلفة في تأريخ (عراقنا الغالي الحبيب) ، في مطلع القرن العشرين • لقد تناول (الجزء الاول) منه ، سردا وتحليلا ـ الحركات العسكرية ـ السياسية منذ بدء (الحملة البريطانية) عليه حتى (احتلال بغداد) • ويتناول هـــذا (الجزء) ما أعقب ذلك من حركات عسكرية ومناورات سياسية حتى اعـــلان (الهدنة) • سعى (المؤلف) ، باعتداده (الحاكم الملكي البريطاني على العراق) ، أوانئذ ، الى اقامة (ادارة) يشارك فيها من تسوّل له نفسه ذلك من (أهـــل البلاد) ، لتقوم بتصريف شؤونها ، فتحقّق للمحتلّ البريطاني (أهدافه) • لقد قال الاحتلال البريطاني على لسان (قائده ـ فاتح بغداد : الجنرال مود) انه جاء العراق (محررا لا فاتحا !) ، لكن (واقع الحال) وفلتات لسان رجـاله السياسيين والعسكريين اثبتت خلاف ذلك تماما ، اذ تبيّن « أن الشرك قد نصب والامر قد دُبّر » ، وان الجند البريطاني ـ وبضمنه عدد كبير من الهنود الذين اضطرتهم سياسة التفقير الانكليزية في الهند ، عهدذاك ، على الانخراط في جيش الاحتلال ـ جاء يقاتل في سوح العراق ليقتل ، وإن المال الـــذي صَرف على المعدات الحربية ، وهو جمّ ، كل اولئك كان لاستغلال خيراته والافادة منه ، باعتداده طريقا الى (درة التاج البريطاني ـ الهند) ، عـــلى ما كانت تدعي في هاتيك الايام ، وفتح اسواقه للمنتجات البريطانية : (فالحرب مشتقة دوما من الحـرَب)(*) أما الوعود التي ناجوا بها شعبنا ، في تلكم السنين ، بأقوال مسّت نياط قلبه ، فلقد اثبتت معاهدة (سايكس ـ بيـــكو) ـ التي يتطرق اليها ـ (المؤلف) في هذا (الجزء من كتابه) انها (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) • لقد اخلف الساسة البريطانيون ، بالنسبة الى (العراق) ، بخاصة ، وساسة (الحلفاء) ، بالنسبة الى (العرب) بعامة ، وعودهم التي جاءت على لســـان (مكمهون) وامثال (مكمهون) ـ (وخلف الوعد من خلق الوغد) ـ ، فأفضى (الخبر) الى (العيان) • وهكذا غدا (الاحتلال) ثم ، من بعده، (الانتداب) مصيبة (العراق) العظمى ، لما ألمّ به آلمت ، فتلظّت بها قلوب المخلصين الغيـُر من أبنائه (كتلظّي النار في الجزل اليبس) لذلك تململوا وأسرّوا النجوى ، ثم بدأت سلسلة من الثورات الرائدة بأزاء (المحتل البريطاني) فكانت منهـــا (ثورة النجف ســـنة ١٩١٨) وثورة الشيخ محـــود الحفيد ـ رحمه الله ـ ،

(*) الحرب : سلب المال •

و (المؤلف) يقص حديثها في (الجزء الثاني) من كتابه هذا •

⊙ ⊙ ⊙

وثمة (ملحظ) ينبثق من عبارة وردت في هذا (الجزء) من (الكتاب) تتصل بقضية العروبة والاسلام الكبرى ، في يوم الناس هـــذا ، واعني بها : (تحرير فلسطين) ، فلسطين المغتصبة من ايدى ابنائها ظلما وعدوانا • يقـول (المؤلف) في الصفحة ١٤١ : « ان تطوّر الحرب وانغمار أمم أخرى فيها ، وتأثر مصالح أخرى بها ، وحاجات الحلفاء الملحة والوضع الدولي للشعب اليهودي ، كل أولئك رغّب الحلفاء بالاعتراف بآمال اليهود في اقامة (وطن قومي) لهم في فلسطين ، لذلك صدر (وعد بلفور) ••• » وهذا هو منطلق (المؤامرة الكبرى) التي أسفر عنها تشريد شعب ، عريق في وطنه ، ليحل محله شذاذ الآفـــاق ومشرّدو الارض ، ومن بابة ذكر البديهيات أن يقال : ان (الصهاينة) ما كانوا قادرين ، وحدهم ، على تحقيق اقامــة (دولة) لهم من دون (الحلفاء) ، وان (ساسة الحلفاء) ، وقتذاك ، كذبوا على العرب ، بخاصة وعلى العالم بعامة ، في جميع تصريحاتهم التي كانت تدور حول (حرية الشعوب) و (تحريرها) وبناء مجتمع حضاري على أساس من (تقرير المصير) • كذب مسيو بريان ، رئيس وزراء فرنسة ، يومذاك ، حين صوّر فرنسة واقفة ، والسيف في يدهـــا تقاتل في سبيل الحضارة وتحرير الشعوب ، ذلك ان فرنسة استحوذت عـــلى سورية ولبنان والجزائر وتونس والمغرب وشرعت « تفرنسها » ، ان صـــحّ التعبير ، وتستغلها باعتدادها جزءا مستداما منها • وفي ســـنة ١٩١٦ أعلن (الحلفاء) انهم يعترفون للامم الصغيرة بكيان حر وعهد زاهر زاخر ، وفي سنة ١٩١٨ أخذوا ينادون بمبدأ الحرية والعدل للامم كافة ، وفي ذلكم الوقت عينه ، كانت تتصاعد (رغبات خبيثة) تدور حـــول (تهنيد العراق) ، كما برزت (الصهيونية) على حقيقتها ، لا مستترة ولا مواربة ، اذ قدّم قادة هذه (العصابة) مذكرّة ، لاشك انها كانت بموافقة (الحلفاء) ، ان لم يكن ذلك بايعاز منهم ، الى الذي دُعي ب (مؤتمر السلام) ، المعقود بعد انتهاء (الحرب العالمية الاولى) لتقسيم (الاسلاب) ، وقد جاء فيها عن (شرقي الاردن) ما نصه : « ان هـــذا البلد ، القليل السكان حاليا ، كان على عهد الرومان آهلا مزدهرا ، وهو قادر ، اليوم ، على استقبال (المستعمرين) على نطاق واسع •• » وقد ايّدت (ماجريات الامور) في يوم الناس هذا مدى تحقيق آمال اليهود الصهاينة ، سنتذاك •

وفي ٢٢ تشـــرين الاول ١٩٢٠ زار (هرتزل) ـ زعيم الصـــهيونية ـ (مستر چرچل) : نصيرها الاول ، ووزير المستعمرات البريطاني ، ليبحث معه مخططا لئيما بشأن (قطاع غزة) و (شبه جزيرة سيناء) ، بعد ان حصـــلت الصهيونية على (وعد بلفور) بشأن فلسطين نفسها • هذا بعض ركام تأريـــخ المؤامرات التي دبّرها الحلفاء على الامة العربية اهتبلنا الفرصة لنزيحه وللتنبيه على عقباه ، ونفي الغث عنه ، لانه يلقي ضوءا كاشفا على ما صارت اليه ، اليوم ، (حالها) ، وانها لـ (تذكرة وذكرى) للاجيال (النابتة) و (القابلة) •

يقـــول (جورج انطونيوس) في كتابه الموســـوم ب (يقظة العرب : Arab Awakening) ما ترجمتـــه « ان اتفاقية سايكس بيكو لونيفـــة مذهلة ... انها ليست نتاج الجشع والطمع ، على أبشع وجه ، حسب ، بل هي حصيلة تحالف الجشع مع الريب المؤدي ، في النهاية ، الى تبدد العقل . انهـــا تمثل صورة لاحبة للمحادثات الثنائية ذوات الوجهين .. » ولفائدة الناشيء المستفيد ، والمطلع المستزيد ، نقول ان (سايكس) هو (سر مارك سايكس) ـ الذي أورد (المؤلف) اسمه وذكر (مواقفه) غير مرّة في (كتابه) ـ وقد كان الخبير البريطاني في شؤون الشرق الاوسط ، عهدذاك . أما (بيكو) فهـــو : (مسيو جورج بيكو) ، قنصل فرنسة العام في بيروت في يوم الناس ذاك . وكانت الاوامر قد صدرت اليهما من حكومتيهما المتحالفتين بالشخوص الى (بيتروغراد) في روسية القيصرية ، المتحالفة معهما أيضا وعرض (الاتفاقية) عليها لاقرارها ، ولقد كان من مناورات الحكومة البريطانية اقالة (مكمهون) الذي تعهـــدت بريطانية ، بواسطته ، الى (الشريف حسين) باستقلال العرب ، فثار عـــلى الاتراك . لان ذلك (التعهد) كان يناقض نص (الاتفاقية) وروحها . وكان ان نشرت الحكومة البلشفية ـ التي اعقبت الحكومة القيصرية في روسية ـ نصوص (اتفاقية سايكس بيكو) فافتضحت النوايا الاستعبادية والاهداف الحقيقية . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان (الاتفاقية) ابقت قطعة من (ارض فلسطين) لتوضع تحت ظل نظام « دولي » ، فاذا بالنية الحقيقية تسليمها للصهاينة .

وفي هذا الصدد خليق بنا ايضا ان نذكر ان بعض رجال الحلفاء أنفسهم ، ومنهم أعضاء (لجنة كنك ـ كرين) ، اعربوا عن مخاوفهم من قيام دولة صهيونية في فلسطين تضطلع بتبعة (الاماكن المقدسة) فيها اذ ورد في تقرير هاته (اللجنة) ما هذا ترجمته : « من المشكوك فيه استطاعة اليهود على المثول ، أمام النصارى أو المسلمين ، باعتدادهم الحرس الصالح للامكنة المقدسة في (الارض المقدسة) ، ومردّ ذلك الى ان أقدس الامكنة عند (النصارى) ، المتصلة بالسيد المسيح ، يقدّسها المسلمون ايضا ، على حين لا يقدسها اليهود بل يجتوونها . ولما كانت الامكنة المقدسة لدى الاديان الثلاثة مقدسة عند المسلمين جميعا فمن الطبيعي جدا ان يتولوا هم حراستها ، وعلى وجه هو أبعث على الطمأنينة ، من اليهود ، والرضى .. »

⊙ ⊙ ⊙

ان (التاريخ الحق) لا يفهم الفهم الصحيح الا اذا نظر اليه باعتـــداده (حركات انسانية) تبدأ (بالماضي) فتدرك (الحاضر) وتجاوزه الى (المستقبل) . كان العرب ، يومذاك عزلا الا من سلاح الحق ، والتاريخ أثبت ان الحقوق العزلاء لا تنال من المستعبد القوي الا الاغفال ، مهما كيلت لاصحابها الوعود واعطي لهم من عهود .

قلنا ، ونقولها مرة اخرى ، ان (المؤلف) صب جهدا عظيما فأرّخ (الفترة التأريخية) التي يتناولها (الكتاب الاصل) بجزئيـــه من النواحي العسكرية والسياسية والادارية والاقتصادية،وحبك بعضها بعضا،لكنه في مواضع غير قليلة لا يرسم صورا تشبه الواقع أو تقربه ، كما انه يشتط في مواضع أخر لانه يندفع

مع هواه (الاستعبادي) لذلك جعلت وكدي في (كتابي المترجم) هذا ، في (اجزائه الاربعة) ، ان اودي (أمانة الترجمة) غير مواربة ، وان أشير الى (أخطاء المؤلف) و (ركوبه مركب الهوى الاستعبادي) ـ وسبحان الذي تنزّه عن الهوى وبرأ من (الخطأ) وتفرّد بالكمال ـ فانبّه عليها • ذلك ان تبعة السكوت عليها لغليظة • لذلك حفلت حواشي (كتابنا المترجم) بذلك ، وانا آمل انه ، بذلك ، يستحكم ويستكمل الجودة ، لاننا نرى ان (الترجمة الحقيقية) ـ وهي مثلنا الاعلى ـ ليست سردا لا تعقيب معه ، وانما قوامها البحث الدقيق والتحليل العميق ، كي يقرأ (الكتاب المترجم) بكل مكان ، وفي كل زمان ، على تفاوت الاعصار وبعد ما بين الاعمار ، فتتم الفائدة المرتجاة •

كان شغل (المؤلف) الشاغل باعتداده (رأس الادارة المدنية البريطانية في العراق) أيام الاحتلال ، وأساس تفكيره ، وعمود خططه : اقامة (ادارة) تحقق لبريطانية العظمى غاياتها واهدافها فيـــه ، ان نيط بها (الانتـــداب) • لكن (السياسة البريطانية) شاءت ان تصرفه من منصبه الخطير قبل ذلك ، وولت من يصلح لتنفيذ سياستها بأكثر منه واعني به رئيسه السابق (سر برسى كوكس) الثعلب السياسى الماكر •

ووصل (سر برسى كوكس) بغداد في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ يحمل في (حقيبته) مشروع حكومة في العراق (ظاهرها عربي وباطنها بريطاني) ـ على حد تعبير (چرچل) ـ واعلن أن حكومته انتدبته لتشكيل (حكومة وطنية) في العراق بنظارة حكومة بريطانية •• كانت المرة الاولى التي بحث فيها هـــذا (المشروع) أمام (المؤلف) نفسه • وفي الخطاب الذي القاه في ١٤ حزيران ١٩٢١ وزير المستعمرات البريطاني ، انذاك ، مستر چرچـــل ما ينير بعض جوانب (المشروع) : اذ ورد فيه : « ••• ان حكومة جلالته واقفة على حركة تنصّب على الرغبة في استمرار الحكم البريطاني المباشر ، وان جلّ ما أصاب الموقف من تغيير لهو بنية قائمة على الثقة ب (سر برسى كوكس) ، ولكن ليس ثمة أمـــل يتصل بقدرتنا على حمل تبعة مباشرة فيه • وقد تقدم بعضهم برجاء فصـــل البصرة عن العراق وجعلها تحت ادارة بريطانية تامة لكننا لا نرى في مثل هـــذا الامر شيئا مستطاعا ، ذلك انـــه يناهض مصلحة الحكم الوطني اجمـــالا • ان سياستنا تنصب على انشاء حكومة عربية ومحضها النصح والارشاد وتأييـــدها حتى تستطيع الاضطلاع بشؤونها حصرا » •

لكن (الحقيقة) سرعان ما تجلت لمن القى السمع وهو شهيد ، على ما قلنا آنفا وصدق الشاعر حين قال :

فان سُتّرت اخلاقهـــم بتخلّق ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ فكل خضيب لا محـــالة ناصل

واخيرا آمل ان يكون في جهدي المتواضـــع الذي صببتـــه في اعداد هـــذا (الجزء) كشأن (سابقة) ، وشأن (لاحقيه) ما ينفع الناس وينشر الوعي الوطني ـ القومي في (وطننا الاصغر) و (وطننا الاكبر) ، ويحفّز على تحقيق (اهدافنا) السامية ، والله من وراء القصـــد ، و (انما الاعمال بالنيات) و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) •

بغـــداد ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ فؤاد جميل

الفصل الرابع عشر

الاستيلاء على بغداد

... وما أعقبه من حركات[1]

« قد يقال ان ال (جنرال مود) استطاع ، بضربة فذة أو بسلسلة ضربات ، ان يغير تاريخ العالم . ومن الثابت الحق ان أهل هاتيك الارجاء الطيبة لن يلقوا في أحضان العبودية التي استطاع ال (جنرال) تحريرهم منها ، كرة أخرى » .

من خطاب ال (لورد كرزن) في (مجلس اللوردين)
تشرين الثاني ١٩١٧

وغبّ توقّف استطال أمده خمسة أيام ، وهي أيام ما كانت ولن تكون ، بالنسبة الى قوات ال (جنرال مود) المتعبة ، المقاتلة ، والسعيدة أيضا ، بعيدة . لكنها كانت ، بالنسبة الى بقية جيش (خليل باشا) وقد مُنيت بالرهق الناصب ، جدّ قصيرة . لذلك بدأ الزحف ، كرّة اخرى . وبلغ رتل ال (جنرال مارشل) «الزور» ، يوم ال ٥ من آذار من غير أن يلقى مقاومة ، وكان ذلك اثر مسيرة طويلة : ١٨ ميلا . وانهمرت القذائف على الخيّالة ، وهي التي تقدمت الى مسافة ٧ أميال تلقاء (لاج) ، ونقع عاصفه يتعالى . وبُعيد ذلك شهد (العقيد ريجاردسن) آمر وحدة (هسّار/١٣) ما خُيّل اليه انها قافلة عدو تسير على

---

(١) مراجع الفصل :
Official History, Critical Study, Callwell, Corbet, Durand, Egan Lawley, Marshall.

(المؤلف)

بعد ميل شمالا ، لذلك عمد الى مد رعائله الاربعة ومضى بها الى أمام قُدُما • وما أن غدت الرعائل ضمن مسافة مئة ياردة من موضـع الاتراك الا أخـذ آحادها يميّزون ، خلل الغبار ، خطا من خنادق تنطلق منها عليهم نار حامية • وأرسل (العقيد ريجاردسن) اشارة بتوسيع الهجوم فانقضّ جنوده على المشاة الاتراك وأعملوا فيهم السيوف وأســروا منهم ٥٠ تقريبا • لـكنهم تعرّضوا الى نار حاميـة انهالت عليهـم من خط خنـادق ثان وكان مصدرها بندقيـات ورشاشات فيها ، والخنادق على بعد بضع مئين من الياردات • ووصلت فلة من قوة (العقيد ريجاردسن) هذا (الخط) ، لكن آحادها اما أن يكونوا لقوا حتوفهم أو وقعوا بيد الاتراك أسارى • أما البقية الباقية فسلمت من الفناء وترجلت ثم عاودت المسير ، ولكن تعدادها كان تضـاءل الى ٦٠ ، لـذا لم تستطع احـراز تقدم ما •

ودأبت (وحدة لانسرز/٣١) ــ وهي على ميسرة (وحدة هسّار) ــ على تقدمها الراجل الى أن صدّه الاتراك بسبيل عقد من خنادق حصين جدا • وهنـا جاءت بقية الخيّالة ، وشاركت في الحركات البحريتان : (إس : S و (في : V) فتعرّضت الاخيرة الى نار شديدة • وعطّل أحد مدافعها بضربة مسددة ومُنيت بضحايا كبيرة • وما كان في الامكان السير ، بعد هذا ، الى قدّام لذلك انسحبت الفرقة الى النهر ، والشمس الى الغروب • لقد اسّرت ٣٥ تركيا وبلغت ضحاياها : ١٣٠ ، منهم ٨٦ ينتسبون الى (وحدة هسّار/١٣) ، وبضمنهم ٩ من الضباط • لقد قتل ثلاثة من الضباط و ٢٥ من المراتب وكان من بين القتلى النقيب ايف (نجل القاضي ايف) وهو من هوى بين صفوف مشاة الاتراك شاهرا سيفه ! ان لهذا الهجوم صفحة من صفحات البطولة والفخار ، وهو يستأهل التخليد على كرور الدهور ومرور الايام • وانه ليس بأقل شأنا من ذلك الهجوم ، النابه الذكر ، الذي شنّه (اللواء الخفيف) والذي شاركت فيه (وحدة هسّار/١٣) أيضا • حقا كان خسارها في (لاج) أشدّ من خسرانها في (بالاكلافا) ، ومردّ ذلك ، في الدرجة الاولى ، الى أن الاتراك ذبحوا من الجرحى عـددا ، وما كان هؤلاء البـائسون التاعسون ، وهم مضطجعون ،

يستطيعون من مثل ذلك خلاصا[٢] • وانتمى الى (الادارة المدنية) ، غب ذلك ، اثنان من اولئك الجرحى هما : (الملازم كي بيدر) و (النقيب فتزكبن)[٣] كما حذا حذوهما (النقيب كوان) المنسوب الى (الوحدة) نفسها • لقد أحسن الجميع صنعا وأجادوا في القتال ، ما وسعتهم الحال ، على وجوه شتّى • وبقي (كوان) ـ حتى سنة ١٩٢٠ ، على خدمة العراق دائبا ، وسبقت له خدمة باسلة ممتازة في فرنسة ، وسرّح في سنة ١٩١٥ من الجيش الكندي باعتداده غير صالح للخدمة • وانسحب الاتراك ، وما أن انفجر صبح اليوم السادس من آذار الا كانوا يحلّون في الخنادق ، فيما وراء ديالى على ضفة دجلة اليسرى ، وعلى الجهة اليمنى في موضع اقيم اسعجالا ، وامتد من ضفتها ، عند الكرّادة ، حتى حدود منخفض (عقرقوف) ، وبازاء الخط الذي اعدّ قُبالة ال (جنرال طاونسند) في قدمته سنة ١٩١٥ •

وحُمل ال (جنرال مود) على الاعتقاد ، استنادا الى ما جاءت به الطائرات من أنباء وما ورد في تقارير أخرى ، ان الاتراك لا ينوون الثبات الجاد على نهر ديالى ، لذا وعز الى (الفيلق الثالث) ركوب متن هذا (النهر) في اليوم التاي • واثْر استطلاع شخصي قام به ال (جنرال مارشل) أفاد ، خلال ما بعد الظهر ، بأن الاتراك يتراؤون على شيء من قوة عند أسفل النهر وان لديهم ، في الاقل ، سبع مدافع ، سمع تبادل النار بينها وبين مدفعيتنا وفرقتي الخيالة الموجودة شمالا • وأيا كان الأمر ، ان استطلاع النهر من كثب ليس بالأمر المستطاع قبل أن يرخي الليل سجوفه على الدنيا • لذلك دُبّر أمر ارسال لواء مشاة ، بامرة ال (جنرال طومسن) ، بعبور دجلة عند نقطة تبعد ثلاثة أميال ، عند مصب ديالى نزلا ، وأرسلت مع (اللواء) المذكور (بطرية ميدان) و (سرية هندسة) ـ وهما من الفرقة/١٤ ـ وكان الهدف هو الالتفاف حول (خط ديالى) • وعبرت (القوة) النهر على ظهر باخرة واستغرق عبورها نحو تسع ساعات ،

(٢) راجع : Durand, p. 188 (المؤلف)

(٣) قتل في كردستان يوم ال ١٣ من كانون الثاني ١٩٢٢ ابان قيامه بواجبه • (المؤلف)

وما أن تنفّس الصبح الآ بلغت نقطة على دجلة تبعد نحو أربعة أميال الى الجنوب الغربي من مصب ديالى ، وقطعاتنا ، الموجودة على ضفة هذا (النهر) الجنوبية ، قيد البصر منها • وساعدتهم نار المدفعية الى بُعد مدى ، لكنها كانت في جهل من خطط (الفرقة/١٣) • ودأبت محاولة العبور بسرعة لا تقارن ، ويا للغرابة ، بتلك الطرائق المستأنية التي اصطنعت في عبور (دورة شمران) • ونيطت الحركة بال (جنرال اودودا) ، وتحقيقا للغاية منها جُعل في إمرته • (لواء المشاة/٣٨) و (وحدة ويلچ پاينيرز/٨) و (السريتان ٧١/٧٢) المنسوبتان الى صنف (الهندسة الملكية) ، ومفرزة من (القطار الجسّار/٢) ومدفعية كافية وافية• • وقام آمر (المفرزة الجسّارة) باستطلاع شخصي فوجد ان الموضع الوحيد الذي يمكن أن تنزل عنده «العوامات» هو مهبط أحد الجسور الكائنة عند قرية دانية من مصب نهر ، عرضه نحو ١٢٠ ياردة وتياره بطيء الجرية وضفتاه ، في كل مكان ، منحدرتان تعلوان ٢٠ قدما • وكانت الخطوةالاولى هي احتلال قسم القرية الراكب على الضفة اليسرى ، وتم ذلك ، وعقربا الساعة يشيران الى الحادية عشرة مساء ، على يد (وحدة كنكزاون/٦) ، وكان العدو يرقب ذلك بعين الصقر ، ويُصلي نارا • وكانت الليلة ساجية الجو ، والسماء صافية ، والقمر يتألق بنوره اللألأ • وكان لزاما ان نميّز العوّامات بسواعد الجند حتى مدى بعيد • وما أن جرت المحاولة الاولى في انزال أول عوّامه الا انهالت على الجنود الاطلاقات فاصابت منهم كثيرا مما اضطرهم الى التوقف عن المضي في انزال بقيتها • وفي المحاولة الثانية استطعنا أن نمضي باربع من العوّامات تدريجيا ، وبذلك أعددناها لعبور النهر دراكا • واصطنعنا لهذا العبور ستار نار مدفعية ، وما كان هذا فعّالا ، ذلك ان ما كنا نعدمه هو الاستطلاع الكافي اللازم لحركتنا • وما أن غادرت العوّامات ضفة النهر الا اصيب كل واحد فيها ، وجرفها ماء دجلة الوئيد الجرية • ولم تنزّل العوّامة الباقية ، وهكذا حبطت المحاولة الاولى بعد أن بلغ خسارنا : ٦٠ • من الضروري اجراء استطلاعات أخر (فملاك النجعة الارتياد) واتخاذ استعدادات أكثر ان أريد لعبورنا النجح المرتجى •

وجرت المحاولة الثانية ، في الليلة التالية : (٨/٩ من آذار) ، على يد (اللواء) المذكور آنفا ، ونيط بجنود من (كتائب لانكشر) العبور الرائد • وشاركت فيه وحدة (ويلج پاينيرز/٨) و (السرية/٧٢) المنسوبة الى صنف (المهندسين الملكيين) • وما أن انتصف الليل الا شُنّ الهجوم من قبل أرتال أربعة ، ومن أربع نِقاط ، رُمز اليها بالأحرف : (أ) و (ب) و (ج) و (د) ، وحمل كل رتل منها على ظهر عوامة • وسبق الهجوم قصف شديد مدمدم فكان ذلك عونا للارتال الى حد ما • ذلك ان النقع المستثار كان كستار من دخان • ولو استمرّ ذلك لاصابت (المحاولة) نجحا ، وبأكثر مما أصابته حقا • وما أن توقّف القصف الا تجلّى ما كان جنودنا يقومون به جميعا ، وقد زاده وضوحا ضوء القمر الآلق الكشّاف في تلكم الليلة الصافية • وقامت عوامة (رتل/أ) بعبور النهر مرة واحدة ، على حين عبرته عوامة (رتل/ب) أربع مرات ، وعوّامة (رتل/ج) ست مرات وذلك قبل أن يبتلعها النهر فتكون من المغرقات • وما كان في الامكان انزال عوّامة (رتل/ج) وذلك بسبب من حدور الضفف • ولم تكن لديـــنا عوّامات معدّة أخر ، وما أن وردت ست منها ، بعد ساعة ونصف ساعة ، الا أجهزت نار الترك المنهمرة على عوامتين منها • وانتشر الجنود الـ(١٠٠) الذين عبرو النهر على ضفته المقابلة ، على مسافة نحو (٣٠٠) ياردة فتعرضوا الى نار موصدة وسلسلة من «الهجمات المضادة» الأيدة • وجمع (النقيب ريد) المنسوب الى وحـدة (كتيبة الملك) ــ وهو من نال وسـام «الصليب الحديد» بأخرة[٤] ــ الأرتال الثلاثة الباقية ، وعدتها لا تزيد على ٤٠ ، وانسحب بهم الى دورة صغيرة في النهر نزلا • وعندها صدّوا سلسلة من الهجمـــات التي دامت حتى

---

(٤) « بعون من شجاعته وقيادته الباسلة استطاع ان يرصّن موقعا صغيرا مع قطعات متقدمة على ضفة النهر المقابلة ، قبالة القوات الرئيسة ، وذلك بعد أن قطع خط مواصلاته بغرق العوامات •

« واحتفظ بهذا الموقع مدة ٣٠ ساعة بازاء هجمات مستدامة استخدمت خلالها القنابر والرشاشات والقذائف ، وهو يعلم ان المحاولات المتكررة في سبيل الانقاذ قد باءت بالخيبة وان عتاده قد نفد أو كاد • والى جزالة تفكيره وبعد مرمى بصره مرد تحقيق عبور النهر في الليلة التالية ، مني بجرح خلال الحركات » •

لندن غازيت : ٨ حزيران ١٩١٧

مطلع الفجر • وكان خسار الاتراك في الضباط أكثر ، كما فقدوا مئات من جنودهم ، على حين بلغت ضحايانا خلال الليلة : ١٤٠ •

وعلى ذلك حبط الهجوم الثاني لو نظر الى القصد « العملي » منه ، وليس وكدي من هذا القول ايهان شأن الحميّة التي أبدتها قطعاتنا ، كما ان هذا ليس بمدعاة عجب ، اذ ، على ما يقول (الرائد ديونك) نصا : «لم يكن ثمة استعداد ، وما كان مثله مستطاعا • ولم تكن هناك فضلة وقت تزيد على المطلوب لايجاد بقعة يستطاع عندها انزال العوّامات الى النهر ، ذلك ان ضفتيه العاليتين صيرنا مثل هذه الحركة مستحيلة ، في أغلب الأمكنة • وما جرت مباغتة ، وما كانت هذه بمستطاعة • لقد جاءت قوة مطاردة مع عدو يتراجع • ووقف النهر في الطريق حائلا يعوّق • وليس من الضروري أن يكون المرء «مولتكه»[٥] ليدرك احتمال القيام بمحاولة عبور النهر • لقد دلّ أثرُ سير القوة المطاردة رأسا على الموضع الذي رفع منه جسر الاتراك عينا • وعند هذا الموضع ، ذاته ، غـــدت الضفة الشاهقة ذات حدور هيّن يسير • ولا معـــدى عن أن يكون الاتراك متربّصين عند ذلك الموقع نفسه ان ارادوا فرض رقابة على النهر ، وعنـد هذه النقطة عينها جرت المحاولة المذكورة نفسها •

وعند (الحسيني) جرت محاولة ارتكنت الى (المباغتة) حصرا ، وما كان القوم قد أعدوا لها العُدّة أبدا • أما في (شمران) فكانت ثمة (عدّة) وكانت هناك (مباغتة) معا • وفي (ديالى) ما كانت هناك (عدة) ولا كانت ثمة (مباغتة)

---

(٥) هيلمث فون مولتكه ، قائد بروسي نابه الذكر ، يعتد مبدع (السوق العسكري : ستراتيجي) بازاء النمساويين في معركة سادوا الشهيرة (خريف ١٨٦٦) وبازاء الفرنسيين (حرب ١٨٧٠) وفي معركة سيدان فيها • هو الذي استخدم السكك الحديد والطرق للتحشد العاجل في ميدان القتال • شـــارك بسمارك في معـــاودة تنظيـم الجيش البروسي وتجديد ســلاحه • ومما ضمن للبروسيين الفوق على اعدائهم الفرنسيين في حرب سنة ١٨٧٠ تسليحهم ببندقية جديدة (يومذاك) ترمي بابرة ويستوعب مخزنها خمس طلاقات • وكان مولتكه يرتكز في سوقه الى الهجوم المباشر وقوة الاصطدام وتعتبر معركتا (سادوا) و (سيدان) نموذجين لذلك •

(المترجم)

أبدا . ومهما بلغت شجاعة الجند من مبلغ ، فان فرص النجح ، عندما تنعدم (العدّة) وعندما لا يُصار الى (المباغتة) ، تكون جدّ قليلة حقا » .

والرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المكان الثاني

وأيا كان الأمر مضت (قواتنا) قُدُما . وفقدت (الكتيبة التركية) ضباطها جميعا ، ومن جنودها كان خسارها ألفا ، فغدت «معنوياتها» في مهوى سحيق . ولم يُترك لحراسة العبور الا فوج واحد من (الكتيبة الثالثة) ، أما البقية الباقية من (الفرقة/١٤) فقد شغلت باعداد موقع في المؤخّرة .

وجرت (محاولة ثالثة) بشأن عبور نهر ديالى ، ليلة ٩/١٠ من آذار ، فأصابت النجح رأسا . ولم تلق مقاومة ما الا قليلا ، أو لعل المقاومة كانت معدومة تماما . كما كانت ضحايانا أفرادا أقلاء (كجمعهم : المترجم) . ونفد كل ما لدى مفرزة (النقيب ريد) من عتاد تقريبا ، فانجدت وأسّر من العدو (٢٠٠) . وعند الظهيرة نصب جسر من عوّامات على ديالى . وما أن أرخى الليل سجوفه على الدنيا الا كانت (الفرقة/١٣) قد عبرت ذلكم الجسر جميعا وأصبحت على حال تماس مع الاتراك المخندقين في خط من خنادق ماد من دجلة عند (كرارة) حتى (تل محمد) — وهو نشز صغير كائن على بعد ثلاثة أميال ، الى الشمال الشرقي من (كَرارة) . وكانت عدّة الاتراك ، على ضفة النهر اليمنى : ٣٠٠ من حملة السيوف ، ومعهم ١٨ مدفعا ، و ٣٧٠٠ من حملة البندقيات .

كان جناحهم مفتوحا وتجلّى لهم ان بغداد قد فتحت أبوابها . ومع ذلك كله كان ثمة احتمال ، على ما بلغ الـ (جنرال مود) — بورود نجدات الى الاتراك من (همدان) ، عبر (بعقوبا) . ولعلّ هذا هو السبب الذي حمله على القيام بحملته الرئيسة على ضفة النهر اليمنى . ووعز الى (الفرقة السابعة) ، ومعها (فرقة الخيّالة) بالزحف على الجهة الغربية من دجلة حتى محطة السكة الحديد ، وبالسعي الى تطويق (المدينة) من الجهة الشمالية الغربية . ولم تُصب هذه الحركات نجحا ، على أية حال ، على ما كان الـ (جنرال مود) آملا .

وخابت (فرقة الخيالة) كرة أخرى وضلت سبيلها وهي تسري في أرض من طين لازب تتخللها قنوات تجري في حقول كائنة على تلكم الضفة عينها • وما كان لها من تأثير في حركات ذلك اليوم الا قليلا • وعند انفجار صبح اليوم التالي ، العاشر من آذار ، هبّت ريح صرصر عاتيه ، وكان هبوبها في التاسعة التاسعة ، فأطبقت على العدو والصديق معا :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن الا تلاقيا

وتعالت سحب من غبار تذروه العاصف المجفال[6] فغدت « الحركات » مستكّنة كرها •

وكانت بعض (الألوية) تشكو من ظمأ ، وتاهت بعض النواقل العائدة لها ، والعاصفة مطبقة عليها • وانقطعت وسائل المواصلات ، كما انعدم الاتصال حتى بين (الوحدات) المتجاورة • وكان (المقر العام) لـ (الجنرال مود) على ظهر سفينة في النهر ، قرب (باوي) فشقّ عليه اكتناه حقيقة الوضع ، ولم لم يحصل تقدّم ما ؟!

وكان العدو أسوأ من ذلك حالا ، اذ لم يستطع (خليل باشا) سحب (قواته) من فارس ، ذلك ان (الفيلق/١٣) المرابط هنا كان بالثلج محصورا ، كما خاب في اعداد خنادق ، تمتد من الكوت الى بغداد ، ليحتمي بها • كما أهمل حتى ما حفره (نورالدين بك) منها • ويؤخذ من المصادر التركية الميسورة ان الدهش أخذه كل مأخذ وفقد عقله فأخذ يرسل الى مرؤوسيه أوامر يناقض بعضها بعضا • وغبّ ثلاثة أيام من يوم عبورنا دجلة ، عند (شمران) ، نقل (مقرّه العام) الى بغداد وأعلن انه ينوي الانسحاب الى سامرا • وبعد أربع وعشرين ساعة أصدر أوامره الى (قره بكر بك) بأن يقف بوجهنا في (العزيزيه)• واستدبر التفكير في الدفاع عن بغداد الا بعد لأي من زمان ، وبعد أن توقّفنا عند (العزيزية) مدة خمسة أيام • كما انه لم يفترص فرصة طغيان الماء في دجلة وديالى فيغمر به الارضين الكائنة على ضفتيهما عند اتخاذه قرارا بالدفاع عن بغداد ، على ما ذكرناه آنفا • وكان غمر الأرضين بالماء يحتاج الى اسبوع من

---

(٦) الريح السريعة التي تجفل السحب •

زمان ولو بدأ به ، اثر الهزيمة التي شهدتها (دورة دهره) ، لاستطاع أن يفعل شيئا كبيرا • ومهما تكن الحال ، ماكانتالقوات التركية بقادرة على الثبات بازاء القوات البريطانية ، على ما كانت عليه من كبر في العدد وكثرة في العـــدة ، زمنا مديدا • وبلغت عدة هذه (القوات) في اليوم العاشر من آذار – استنادا الى ما جاء في المصادر التركية نفسها – ٥٠٠ من حملة السيوف و٩٠٠٠ من حملة البندقيات ، ومعها ٤٨ مدفعا ، (وكل ذلك على الرغم من ان التخمينات البريطانية تحدد هذه الاعداد بما هو أزيد بنسبة ٥٠ بالمئة تقريبا) • وكانت قوة الـ (جنرال مود) مؤلفة من نحو ٤٠٠٠ من حملة السيوف و٤٢٠٠٠ من حملة البندقيات ، ومعهم ١٧٤ مدفعا ، والقوة مسندة بقطعات ممتدة على خطوط المواصلات، وقفلات باعداد الذر من الاتباع ، بحيث تصبح (قوةالجراية) هذه، عهد ذاك، ٢٧٥٠٠٠، وهي تعادل نحو خمسة أضعاف « قوتها القتالية » الحقة • وعلى الرغم من ذلك حاول (قره بكر بك) ، ومعنويات جنوده تتهاوى ، الانسحاب ليلة الـ ١٠/١١ من آذار فتم ذلك من غير خسران كبير • وكانت الريح العاصف قد حطمت الجسور التي كان يعتمد عليها ، القائمة على نهر دجلة ، لذا لم يعد قادرا على تقوية جناحه الايسر • وكنا نحيط به من كل جهة ونناوشه ، وكان الانسحاب رأسا هو سبيل الخلاص الوحيد من تلكم الورطة • وفي الساعة الثامنة صباحا وافق عليه (خليل باشا) كرها • واستمر اتلاف الذخائر الحربية طوال الليل وجرى ذلك تحت ستار من ريح عرم دائبة الهبوب • وانجز العمل على الوجه القويم ، وحطمت كل قاطرة من قاطرات (سكة حديد بغداد – باهن) ، تحطيما علميا ، وأعني بها القاطرات الموجودات على جزء السكة الممتدة بين بغـــداد وسامرا •

وتم احراق سبع طائرات جاءت أخيرا ومعها « الذخائر القابلة للاستهلاك » كلها • وحاول الاتراك صد هجومنا ، خلال أربعة أيام ، وهم على حال فوضى تنضيما •• لكنهم اندحروا ، يعدمون وسائل المواصلات ويفتقدون وسائط النقل ، وقد أحدق بهم الأعراب من كل الجهات وليس لديهم شيء يستأهل الذكر من

المدافع أو عتاد البندقيات • وأخيرا ••• أطلقوا لسيقانهم الريح ولاذوا بالفرار وجرى ذلك على الرغم من حلوكة الظلام واشتداد الريح ومن قوة تفوق قوتهم بخمسة أضـــعاف • لم يخلّفوا ، وراءهم ، شيئا الا ما بخس ثمنه ووكست قيمته عسكريا •

لقد انسحبوا من غير أن يمسّهم ضر الا على أيدي الاعراب وهم الذين ألقوا القبوض على ١٨ تركيا وأصلوهم نارا • « ان قوة صغيرة من الخيالة » – على ما أورده (محمد أمين) – « أو مفرزة باسلة ثابتة الاقدام تستطيع القيام بالمعجبات المرعبات في مثل وضعنا اليائس التاعس ، ومردّه الى الترتيبات الخاطئة • ومن حسن الحظ كان المهاجمون يجهلون ما حدث ••• ويحاولون الاستجمام مما منوا به من اعياء خلال الـ ٤٨ ساعة الاخيرة » •

لم تتوان قطعاتنا المشاة عن الكشف عن كون الخنادق التركية في (الجبهة) قد اخليت • وما أن ازفت الساعة الثانية صباحا الا أصبحت مواضع عدونا ، الكائنة على ضفتي النهر ، في أيدينا • وعند الفجر تمّ احتلال (محطة بغداد)[٧] كما ان الزواريق الحربية – التي لم يُسمح لها بأن تقوم ، لسبب مجهول ، بدورها المعتاد – غادرت (باوي) في الساعة الثامنة والنصف فوصلت (بغداد) في الساعة الثالثـــة والنصف ، وكانت ترافق الـ (جنرال مود) وهو على ظهـر سفينة اسمها : (بي ٥٣) • وكانت الخيالة ، أفراسا وفرسانا ، متعبة ومرد ذلك الى الحركات التي لم تصب من النجح الا قليلا • وتقدمت تلقاء الكاظمين ، وئيدة الخطو هونا ومعها ١٠٠ من الاسارى كانوا يحلّون في (المدينة) جميعا • وأرسلت (الخيالة) دوريات فلم تعثر على أي أثر للعدو ، وهكذا تأخّرت كرة أخرى • وشرعت (الفرقة/١٣) بالتقدم تلقاء بغداد ، من الضفة اليسرى ؛ وكان ذلك في الساعة السادسة والنصف ، لكن (أمرا) صدر اليها يقضي بألاّ تدخل

---

(١٢) راجع : The Cavalry Journal, April 1927
ففيه سرد سمح لتقدم هذا الرتل رخاء •

(المؤلف)

(المدينــة)[٨][٩][١٠][١١][١٢] • لقـد منح الـ (جنرال مود) هذا الفـوق الى (اللواء/٣٥) الموجود على الضفة اليمنى • رعب في توكيده (ايعازاته) الصادرة الى (الفيلق الاول) و (فرقة الخياله) بالسير من وراء بغداد ، لكن الجسر فُتح ، على ما كان يؤمل حقا ، ونجم تأخـــير في الحصول على أرباب القوارب أو السفن للاستعانة بهم على عبور النهر ، كما نشط العرب والاكــراد ، فيالوقت نفسه ، وأســفر نشاطهــم عن عيث رعبث ونهب في المدينــة • وعلى ذلك اضـطرت

---

(٨) في الساعة ٧/٣٠ من يوم ٨ آذار ١٩٦٩ شرع البريطانيون بنصب جسر على دجلة عند (باوى) وأتموه في الساعة ١٤ر٠٠٠ وقد تناهى خبر ذلك الى الاتراك اثر استطلاع جوي قاموا به في اليوم نفسه • (المترجم)

(٩) « لم يسفر القتال بين الاتراك والبريطانيين الذي حمى وطيسه يوم العاشر من آذار عن نتيجة قاطعة لكن الموقف العام كان على حظ كبير من خطر لذلك عقد (خليل باشا) قائد الجيش التركي (السادس) مؤتمرا عسكريا حضره قائـــد الفيلق/١٨ التركي وسائر قوّاد الفرق فأقرّ (المؤتمر) اخلاء بغـــداد والانسحاب منها ، وتمّ ذلك ليلة ١٠/١١ آذار ١٩١٧ ، وانسحب الجيش التركيَ تلقاء الشمال على ضفتي دجلة ، ودخلهـــا البريطاني في اليوم التالي لهـــا ، ونسف الاتراك (باب الطلسم) في بغداد الشرقية الذي اتخذوه مخزنا للبارود فسمع أهلها لذلك دويا مدوّيا • (المترجم)

(١٠) مما يلحظ انه حوالي الظهر من اليوم العاشر من آذار هبت ريح عاصف مجفال أعقبتها زوبعة رملية جعلت مدى الرؤية الى أبعد من ١٥٠ ياردة في حكم المستحيل • ولحسن حظ البريطانيين ونكد طالع الاتراك كانت الزوبعة تهب في وجوه الاخيرين ودأبت على هذا المنوال طوال الجانب الاكبر ليلة ١٠/١١ آذار ، وقد قلنا ان البريطانيين دخلوا بغداد عند الصبح من يومها •

(المترجم)

(١١) يقول (نائب أمير البحر ونفرد نن) في كتابه الموسوم بـ : معـارك السفن الحربية على ضفاف دجلة : ترجمة فخري عمر ، واصفاً دخول البريطانيين بغــداد :

« وعندما وصلنا الى منتصف المدينة هتفت لنا الجماهير الواقفة على ضفتي النهر وفوق سطوح البيوت المطلّة عليه • »

وقلنا : لا شك ان قد كان في مقدمة الهاتفين اليهود ، ومن كان ضالعاً في ركاب البريطانيين ، وصدق القائل : ويل لكل امة تستقبل كل فاتح بالتهليل بالتصفيق وتودّع كل مندحر بالصفير والزعيق • (المترجم)

(١٢) يلحظ ان الثورة البلشفية اندلعت في روسية في اليوم الثاني عشر من آذار ، أي بعد يوم واحد من دخول البريطانيين بغداد ، لذلك غدا التعاون بين البريطانيين والجيش الروسي أمرا تطيف به الشكوك • (المترجم)

(الفرقة/١٣) الى ارســـال الجنود ، على الرغـم من أوامر ال (جنرال مود) ، وبضمنهم جماعة من (وحدة هرتفورد شر يو منري) ، بغية اعادة الأمن الى نصابه فيها . وحلّ محلهم (لواء الجنرال طومسن/٣٥) وكان ذلك فيما بعد الظهر[١٣]. ورفع (العلم البريطاني) من قبل ضابط ينتسب الى (وحدة بفس/١)ورفرف على (القلعة) أول مرة ، ثم أُنزل ليرفع « برج الساعة » الكائن في (القشلة) التركية . ان هذا (العلم) يستقرّ اليوم في (كاتدرائية كنتربري) .

يتبيّن من هذا السرد ، الذي لم نفصل القول فيه تفصيلا ، والمتصـــل بالاحتلال : ان محاولة القيام بما يناسبه من الاحتفال به ، والرغبة في ضمان الفوق الخاص لوحدات معينة دخلت المدينة ، أول مرة ، لم يصب نجحا تاما . ويلحظ

---

(١٣) يقول فوربس (Forbes iii, 281) ان اول ضابط دخل بغداد هو النقيب كمب ، المنسوب الى صنف الميرة ، كانت (الفرقة ال ١٣) تسـير في اعقابه وما ان بلغ المدينة الا تقدم ، وهو يحسب ان الفرقة المذكورة تسير أمامه ، وشهد الشوارع بالناس مزدحمه ترحب به ترحيبا حارا . وعلى العموم كانت (وحدة هر تفوردزدشر يومنرى) الاولى على جهة المدينة اليسرى ، على حين كانت (وحدة فلاتشر ووج) على اليمنى . (المؤلف)

(١٤) قلنا : اغارت الطائرات البريطانية على بغداد قبل دخول القطعـــات البريطانية اليها وقصفت احدى الطائرات (القلعة : ثكنة المدفعية العثمانية) كما وقعت قنبرة على محطة السكة الحديد في غربي بغداد . وحدثنا من لانتهم حديثه ، وهو من ادرك هاتيك الايام ، ان السلطات البريطانية شددت على نزع سلاح الاهلين فأخذ الناس يرمون ما لديهم منه في مواضع النفايات كما أخذت سلطات الاحتلال تلهى الناس ففتحت الملاهى على اختلافها ، وانشأت جسرا دعته ب (جسر مود) ــ محل جسر الوثبة اليوم ــ وكان يقطع لمدة ساعة يوميا لمرور السفن والبواخر ويستهدفون من ذلك أيضا تمكين أصحاب الزوارق والقفف من الارتزاق . كما ان جميع قضبان السكة الحديد قد اختفت وحطمت كل مؤسسات الانارة بالكهرباء واختفى جسر القوارب واحرقت طاحونة حديثة البناء كانت فوق (القلعة) ومدرسة حكومية . وكان في القلعة معمل للاسلحة الخفيفة لم يمس بسوء وكانت السيارات المحترقة تشاهد صفوفا . وغادر بغداد كل من استطاع الى مغادرتها سبيلا ، وقيل ان عدتهم بلغت ١٥ الف شخصا . وبقى عدد يتراوح بين ٣٠٠ــ٤٠٠ ممن كانت جروحهم تحول دون مغادرتهم وخلفوا لرعاية طبيب يوناني و ٤ ممرضات فرنسيات . ونهب خدم المستشفى كل ما استطاعوا الى نهبه سبيلا .

راجع : A Message from Mesopotamia Sir Arthur Lawley pp. 80-83.

(المترجم)

أيضا ان الاسطول النهري الذي كان يؤمل وصوله (المدينة) ليلا ، بعد جريه في النهر صعُداً ، لم يقم بأي شيء يذكر ، وذلك بقدر تعلّق الأمر بتعويق انسحاب الاتراك من بغداد (وكان النهر ، يومذاك ، صالحا للملاحة حتى سامرا ، وفيما وراءها أيضا) ، لكن الحقيقة هي انه لم يسمح له بالمضي قدما . وكان في الامكان تفادي كثير من أعمال السلب والنهب التي قام بها السكان ، وفقدان الارواح لو كان دخولنا بغداد أقلّ شكلا . ومضى الاسطول النهري الى مسافة ١٤ ميلا واستولى على بعض الجنائب وشاغل مؤخّرة الاتراك ، لكن وصوله كان متأخّرا فلم يلحق بهم من شدة الفزع وعظم الوقع شيئا إدّا .

وخاب أمل العسكر ببغداد كثيرا . كان منظر قباب الكاظمين الذهب ، والمدينة المكسوة بالزلاج ال (قاشاني : كاشي) ومنارة « الست زبيدة » وباسقات النخل والبساتين السندس الخضر الغن التي يكثر فيها فينان الدوح ومشتبك شجر البرتقال وقد أثقلته الاثمار ... كل اولئك كان يتراءى مونقا يأخذ ، من بعيد ، بالالباب حقا . لكن المدينة ، من كثب ، لم تكن أخّاذة جذّابة . ما اشتهرت بغداد ببناياتها في يوم ما ، ذلك انها ، على النقيض من ذلك ، عرفت من بين المدن التركية بأنها تعدم جميع وسائل الرفه . انها مشيّدة بالطابوق (وغالبه غير مفخور) وهي ذات دروب ضيقّة . نالت كثيرا من نازلات الحرب ومن حماس (خليل باشا) المخرّب ، اذ قام هذا ، أيام ولايته بنقض عدد كبير من البيوت ، الكائنة على ضفة دجلة اليسرى ، كي يشق جادة تحمل اسمه(١٥) .

لم يشقّ من (الجادة) الا القليل وكانت العربات ، التي تجرّها البغال وتمر من بين الانقاض ، تلقى مشقة وعسرا . وما كان (المشروع) جديدا . لقد بدأ به ناظم باشا (سنة ١٩١١م) وهو من حاول أن يقتطع أرضا من دار (القنصلية

---

(١٥) « جادة خليل باشا » ببغداد واسمها اليوم (شارع الرشيد) وقد جرى افتتاحها في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ (٢٣ تموز ١٩١٦) وكانت ثمة لوحة من (القاشاني : الكاشي) على جدار (جامع السيد سلطان علي) كتب عليها (خليل باشا جاده‌سى) لكنها رفعت ، وسمي الشارع أولا بالشارع الكبير ثم (شارع الرشيد) .وهو يخترق بغداد من (باب المعظم) الى (الباب الشرقي) .
(المترجم)

البريطانية العامة) ومن أملاك الشركة البريطانية الكبيرة أعني (شركة ستيفن لنج) رغبة في أن يصيب (الأسد البريطاني) رهق وذلة ، من جهة ، ولأنه كان يرى ان اطاعة الاجانب (أوامره) ييسّر اطاعتها من قبل الاهلين ، مالكي البيوت أيضا[١٦] .

وسرعان ما اعيد الأمن في المدينة الى نصابه . وبالنظر الى تأخّرنا في ولوجها قامت الغوّارة من الاعراب النهّابة بايقاع ضرر كبير بهـا . وما كان الاتراك بمحجمين عن ذلك أبدا . لقد دأبوا ، خلال الاسابيع الاخيرة من عهدهم فيها ، على مصادرة الاموال الخاصة ونقلها الى سامراء ، كما دمّروا كثيرا من المواد والبنى ذوات الفائدة العسكرية تدميرا . لكنهم أخفقوا في تنفيذ خطتهم المنصبّة على نقض (القلعة) ، فالنار التي أشعلوها فيها كان ضرامها واهنا فلم تجهز الا على قلّة من بناياتها .

ولو قدّر لنا أن ندخل (المدينة) قبل سويعات لحلنا دون تدمير (محطـة اللاسلكي الالمانية) وهي التي لم يتـم تدميرها الا مع خيوط الفجر الاولى . وعثرنا في (المستشفى التركي) على نحو ٦٠٠ من الجرحى ، لكن الاتراك كانوا نقلوا منه عددا كبيرا جدا . ان من بقي فيه لم يكن ، بسبب من ثقـل المرض عليه ، على السير قادرا ، وكان كثير منهم بالتيفوس مصابا . لقد جعلوهم في أربع بنـى شتّى ، وكانت في بغداد أكبرها ، ومن هذه البنايات بناية (القنصلية البريطانية العامة) نفسها . وبقي الجرحى من غير طعام طوال يومين اثنين الا في حالات[١٧] . ونغرت جروح هؤلاء التاعسين البائسين وتقيّحت فمضّ عليهم العيش ، وكان عذابهم من جرّاء ذلك غليظا . ولم يخلف الاتراك ، وراءهم ، الا طبيبا يونانيا

---

(١٦) مر الشارع الذي فتحه والي بغداد ، نابه الذكر ، ناظم پاشا من دار القنصلية البريطانية العامة ببغداد فشطرها شطرين ، وعهد القنصلية يرجع الى سنة ١٧٩٧م وكان فيها حرس من الهنود وباخرة حربية (كميت) وقواصون ومستخدمون . وقيل ان من أسباب عزل ناظم باشا سنة ١٩١٢ هو ارضاء البريطانيين الذين ساءهم شطر قنصليتهم الى شطرين ، وثمة أسباب سياسية حزبية في عزلة ايضا . (المترجم) .

(١٧) راجع : Macpherson, p. 321; Egan p. 248, Lawley, p. 77.
(المؤلف)

واحدا ، ولم يكن ثمة أحد من الاتباع • وبقيت أربع ممرضات فرنسيات وفنيات أمريكيات ، وهن لهيفات القلب زائغات البصر لا يستطعن القيـــام بشيء ما الا تقديم الماء للمرضى • ان من رأى هذه المناظر الراعبة المرعبـــة أدرك ما قاساه جرحانا ، على أيدي الاتراك ، ادراكا تاما • كما انهم اكتنهوا ، أيضا ، الأوضاع التي لا تقل عن ذلك هولا ، التي اكتنفت خطوط البريطانيين الخلفية ، قبل ١٥ شهرا وما جرى على ظهور السفن والجنائب وفي محطات التمريض سواء بسواء • انها أوضاع شهدها كبار ذوي التبعة من البريطانيين المولجين بالشؤون الطبية ، على ما ذكر في (تقرير لجنة ما بين النهرين) فأنكروها بشدة •

طبيعي أن يرحب أهل بغداد بمقدمنا(*) • لقد علموا من بني جلدتهم ، أهل البصرة والعمارة والناصرية ، بما اتسمت به (ادارتنا) من يسر واسماح وحرية مالية • ومهما يجيء به المستقبل ، فانه ، بالنسبة اليهم ، لا ينطوي الا على خير عميم • وكان من بين السكان : ٥٠٠٠٠ من اليهود ، و ١٥٠٠٠ من النصارى و ٤٥٠٠٠ من العرب ــ الشيعة و ١٣٠٠٠٠ من السنية ، فالمجموع الكلي للسكان ٢٥٠٠٠٠ • كان تعاملنا ، حتى هذا الاوان ، مع الشيعة العرب حصرا ، ومن الان فصاعدا ، أصبح لزاما علينا أن نعنى بالعنصر السني أيضا • انه كان ايام العثمانيين ، العنصر الغالب المسيطر المهيمن على بلاد ما بين النهرين كلها(١٨) ،

(*) عندما سقطت بغداد بيد الانكليز الغزاة المستعبدين نظم الرصافي قصيدة مطلعها :

هي عين ودمعها نضاح كل حزن لمائها يمتاح !

ثم قال عن الاتراك الراحلين :

أو ما يعلمون ان حريمي للمعادين بعدهم مستباح !

والظاهر انه كان متأثرا بالنزعة الدينية والحفاظ على رباط الاسلام الذي كان يصل بين غالبية أهل البلاد والاتراك (وليس لأمر حمه الله دافع) • (المترجم)

(١٨) ان المسلمين ، على اختلاف مذاهبهم التي تتفق جميعها في أركان دينهم، (أمة واحدة) وأولوا الالباب منهم يدركون ، على القطع ، ان التفرقة العنصرية والدينية والمذهبية هي مقراض الامم ومهواة ، وان رجال الاستعباد (الانبريالية) هم الذين عمقوها لتبقى البلاد في تناحر وتنافر فتكون لهم الكلمة العليا فيها • لكـن خاب فالهم وفشل مسعاهم فالوعي الوطني ــ القومي اجهز على كيدهم ، وبه تصبح الامة سامية المنزع عالية الهدف (المترجم) •

وهـو الغالب المسيطر المهيمن ، اليـوم ، أيضا ، وان كان يؤلّف الاقليـة (كذا المترجم !)[١٩] .

---

(١٩) سـكان ما بين النهـرين (عـلى التخمين) (وباستثناء السليمانية) سنة ١٩١٩ :

ولاية بغداد ١٣٦٠٣٠٤

اللـواء	سـنة	شيعة	يهـود	نصارى	اديان اخر	المجمـوع
بغـداد	١٣٠٠٠٠	٥٤٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٥٠٠٠	١٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
سـامراء	٦٦٤٥٥	١٤٢١٥	٣٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٨٠٩٧٠
ديـالى	٥٤٩٥٣	٤٦٠٩٧	١٦٨٩	٣٩٧	٩٠٠	١٠٤٠٣٦
كوت ـ العمارة	٨٥٧٨	٩٨٧١٢	٣٨١	١٢٧	٠٠٠	١٠٧٧٩٨
ديوانيـة	١٠٠٠	١٩٢٣٠٠	٦٠٠٠	٥٠٠٠	٢٠٠	٢٠٤٥٠٠
شاميـة	٤٤٥	١٨٩٠٠٠	٣٥٠	٢٠	٥	١٩٠٠٠٠
حلـة	١٥٩٨٣	١٥٥٨٩٧	١٠٦٥	٢٧	٢٨	١٧٣٠٠٠
الدليـم	٢٤٧٠٠٠	٢٠٠	٢٦٠٠	٢٠٠	٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
	٥٢٤٤١٤	٧٥٠٤٢١	٦٢٥٦٥	٢٠٧٧١	٢١٣٣	١٣٦٠٣٠٤

ولاية البصرة

اللـواء	سـنة	شيعة	يهـود	نصارى	اديان اخر	المجمـوع
البصـرة	٢٤٤٠٨	١٣٠٤٩٤	٦٩٢٨	٢٢٢١	١٠٤٩	١٦٥٦٠٠
العمـارة	٧٠٠٠	٢٨٤٧٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
المنتفـق	١١١٥٠	٣٠٦٢٢٠	١٦٠	٣٠	٢٤٤٠	٣٢٠٠٠٠
	٤٢٥٥٨	٧٢١٤١٤	١٠٠٨٨	٢٥٥١	٨٩٨٩	٧٨٥٦٠٠

ولاية الموصل

اللـواء	سـنة	شيعة	يهـود	نصارى	اديان اخر	المجمـوع
الموصـل	٢٤٤٧١٣	١٧١٨٠	٧٦٣٥	٥٠٦٧٠	٣٠١٨٠	٣٥٠٣٧٨
أربيـل	٩٦١٠٠	٠٠٠	٤٨٠٠	٤١٠٠	١٠٠٠	١٠٦٠٠٠
كركـوك	٨٥٠٠٠	٥٠٠٠	١٤٠٠	٦٠٠	٠٠٠	٩٢٠٠٠
	٤٢٥٨١٣	٢٢١٨٠	١٣٨٣٥	٥٣٣٧٠	٣١١٨٠	٥٤٨٣٧٨
المجموع الكلي	٩٩٢٧٨٥	٤٩٤٠١٥	٨٦٤٨٨	٣٨٦٩٢	٤٢٣٠٢	٢٦٩٤٢٨٢

(المؤلف)

قلنا : بلـغ عـدد سـكان العراق ، بموجب احصاء سنة ١٩٤٧ : ٤٫٨٢٦٫١٨٥ نسمة ، وفي سنة ١٩٥٧ : ٦٫٢٢٩٫٩٦٠ نسمة وفي سنة ١٩٦٥ : ٨٫٢٦١٫٥٢٧ وبموجب التقديرات الفنية بلغ سكان العراق في أواخر سنة ١٩٦٩ تسعة ملايين ونصف مليون نسمة .

(المترجم)

(المترجم)

ان من يطلق عليهم اسم (الشيعة) في هذا (الكتاب) هم أتباع (علي) و (الحسن) و (الحسين) ـ (رضوان الله عليهم أجمعين ـ المترجم) • انه الاسم الذي يطلقه عليهم (أهل السنة) ، أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم (الجعفرية) و (الاثني عشرية) • يجب ان تنال الشيعة من لدن الحكومة البريطانية عدلا في المعاملة ، بالنسبة للسنة ، وذلك بالنظر الى الاساس التأريخي ، لا أن يعاملوا باعتدادهم (طائفة)[٢٠] حسب ، اذ لا تنفصل الشعائر والمعتقدات عن الناس حقاً• انها ليست ، على ما بشّر به (المعلم الاصلي) ، شريطة أن تغدو موائمة للطابع القومي والمحيط البلدي (المحلي) • من المستحيل أن نتناول هذه الوجهة ، من وجهات السياسة في (بلاد ما بين النهرين) في مثل هذا (الكتاب) ، وليُعلم ان الهوة السحيقة بين ذينك (المذهبين) الكبيرين في الدين الاسلامي (كذا : المترجم) هي عامل مهم في الجدل السياسي • لقد تطلّب هذا (العامل) اتخاذ جانب الحذر والحيطة لدى الاخذ بـ (التجربة الدستورية) التي جاء تحبيذها من سوريّة ، حيث للسنة فيها التفوّق الذي لا ريب فيه ولا شبهة •

وعانى سكان البلاد من أشياء جمّة ، منذ اندلاع لهيب الحرب • فمنهم من دُعي الى (خدمة العلم) ، ومنهم من اضطر الى دفع مبالغ جسيمة للخلاص منها[٢١] •

---

(٢٠) راجع : Levy, J.R.A.S., Gan 1930, p. 147.
(المؤلف)

(٢١) شرع قانون خدمة العلم في الانبراطورية العثمانية سنة ١٨٨٨ ، واستثنى البدو (العشائر غير المحررة) منه ، وكانت هذه فرصة اهتبلها ضباط التجنيد والاطباء في تلكم الانبراطورية المتهاوية ، فكانوا يبيعون قرارات الاعفاء من الخدمة العسكرية الالزامية لقاء مبالغ كبيرة • واسفر عن تطبيق هذا (القانون) شيء مروع اذ ان المكلفين من حشوية بغداد وغيرها بعد تدريبهم في الثكنات العسكرية كانوا يهربون منها مع سلاحهم ثم يعمدون الى مهاجمة السابلة وسلبهم وقتلهم ، ومن جهة أخرى أخذ الشباب بالزواج المبكر ليصبحوا معيلين وفي ذلك خلاص من الخدمة العسكرية •
(المترجم)

لقـــد صـــودر الذهب لقاء ورق تركي[٢٢] لا نفـع من ورائـه ولا قيمــه له ، وكانت الاموال تصادر من غير قيد ، أو بازاء دفع عملة من ورق ، وفي الغالب لقاء « وصولات عسكرية » ، حسب • وقام (خليل باشا) بتخريب بضع مئين من الدور ، كثير منها محكم البناء رصينه ، يدفعه الى ذلك تَوَّقه الشديد الى الاصلاحات البلدية ، وان جاءت في غير ابانها • وتفشى المرض في الناس ، وعلى الرغم من وفرة الطعام ورخصه كانت الطبقات الفقيرة على حال تعســة • وكان ال (جنرال مود) ، وهو يمضي في النهر صُعُدا ، يشـــاور سر برسي كوكس ويسوّد نص (بيان) يريد أن يذيعه في الناس ، اثر وصوله • على انه حُذّر من قبل (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) بأن لايصدر أي بيان مهما كان نصه ، وطلب اليه التريّث لحين اصدار تعليمات اخرى له • وبعد يوم من الاحتلال ، أو يومين ، وصله برقيا نص بيان وعز اليه باذاعتــه حاملا اسمه • وكان أن احتج وكانت حجته ان « البيان » المقترح غير ملائم من الوجوه كافة ، باعتداده بيانا يذيعه قائد في الميدان ، فرفض احتجاجه • وفي ال ١٩ من آذار اذيع (البيان) باللغتين العربيـــة والانكليزية وبتوقيعه ، كما قامت (حكومة صاحب الجلالــة البريطانية) ، في الوقت نفسه ، بنشره في البلــدان المحايدة والشرقية • لقـــد أكّد ، على وجه وسيع ، طبيعة الحادث التأريخية التي حملت على اصداره[٢٣] •

ان الوزارة تحمّلت تبعة هذه الوثيقة كليا ، وقد وضع مسودّتها سر برسي سايكس ، وهي تصطبغ بصبغة شرقية متمايزة • واليك نص البيان :

---

(٢٢) أعلمني من لا أتهم حديثه وأدرك هاتيك الايام ان الحكومة التركية في العراق أخذت تستبدل الليرات الذهب الموجودة عند الاهلين بعملات ورق (نوط) كتب عليه ما مفاده (بعد مرور سنة من انهاء الحرب يستبدل بليرة ذهب) ، وطبقت اغلظ العقوبات بحق الممتنعين عن ذلك • وكان ال (نوط) التركي على حال تاعسة من التدهور اذ كانت قيمته لا تزيد على ربع دينار ، وكان لهذا الحادث رجع في أنفس أهل بغداد تردد صداه في أغنية شعبية ذاعت في حينها ولا تزال شائعة بينهم حتى يوم الناس هذا ، هي :

انـــا المســـيجينة انـــا ازـــا المطيليمـــة انـــا
انا الباعـــــوني هلـــي بال (نوط) و (الوعده سنه)

(المترجم)

(٢٣) Debates H.C., 7.5.17

(المؤلف)

« يا أهالي ولاية بغداد !

انني باسم جلالة مليكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم عليها اوجه اليكم الخطاب الآتي :

الغرض من معاركنا الحربيــة دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع ، فاتماما لهذه المهمة وجهت الي السلطة العليا المطلقة على جميع الاطراف التي تحارب فيها جنودنا ، الا ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل بمنزلة محررين (كذا : المترجم) • لقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاكو الظالم للغرباء فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم وأنّت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق ، لقد سيق أبناؤكم الى حروب لم تنشدوها ، وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة ، تكلّم الاتراك منذ أيام مدحت باشا عن الاصلاح ومع ذلك أفليس دثور اليوم وقفوره برهانا على بطلان هـذه المواعيد ؟ انها ليست أمنية جلالة مليكي المعظم فقط وأمنية شعوبه ، بل انها أيضا أمنية الامم العظمى المتحالف معها جلالته ، أن تفلحوا كما في السابق ، وقــد كانت أراضيكم محصنة ، وكان العلم يتغذى بألبــان آداب جدودكم وعلومهم وحرفهم وقت ما كانت بغداد احدى غرائب الدنيـــا ، لقد ارتبط قومكم بايالات جلالة مليكي المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تعاطى تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى بعضهم مع بعض مدة مائة سنة متبادلين المنفعة والصداقة ، أما الالمانيون والاتراك الذين نهبوكم أنتم وذويكم فانهم اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركز قوة يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في بلاد ايران والامصار العربية ، فعلى ذلك لم تتمالك الحكومة البريطانية من البقاء ضاربة الصفح عما يحدث في وطنكم حاضرا أو مستقبلا ، اذ انه قيـــاما بواجب مصلحة الشعوب البريطانية وشعوب حلفائها لا تستطيع الحكومة البريطانية المجازفة في وقوع ما عمله الاتراك والجرمان ببغداد أثناء الحرب مرة ثانية ، ولكنكم يا أهالي بغداد يا من حرفكم التجارية وتأمينكم من الظلم والغزو أمر يستوجب أدق أهتمام الحكومة البريطانية به أبد الدهر ، ولا يجب عليكم أن تظنوا بأن رغبة الحكومة البريطانية هي تكليفكم بنظامات أجنبية ، فأمنية الحكومة البريطانية هي أن تحقق ما تطمح اليه نفوس

فلاسفتكم وكتابكم مرة اخرى ولسوف يسعد أهالي بغداد حالة ويتمتعون بالغنى المادي والمالي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة وأطماحهم القومية الفكرية •

لقد طرد العرب من الحجاز الاتراك والجرمان الذين بغوا عليهم وقد نادوا بعظمة الشريف حسين ملـــكا عليهم ، وعظمته يحكم بالاستقلال والحرية وهو متحالف مع الامم التي تحارب دولتي تركيا وجرمانيا وهذه هي حقيقة حـــال أشراف العرب وامراء نجد والكويت وعسير ، كثيرون هم أشراف العرب الـذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على أيدي اولئك الحكام الغرباء الاتراك الـــذين ظلموهم •

ان التصميم لهو تصميم بريطانيا وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على أن لا يذهب ما قاساه هؤلاء الاعراب الشرفاء هباء منثورا ، ان المأمول لهو مأمول بريطانيا العظمى والامنية أمنيتها بل هما مأمول وأمنية الامم المتحالفة معهـــا ان تسمو الامة العربية مرة أخرى عظمة وصيتا وأن تسعى كتلة واحدة وراء هـذه الغاية بالاتحاد والوئام •

يا أهالي بغداد : تذكروا بأنكم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلا أذاقكم الظلمة الغرباء الذين سطوا دائما وأبدا وسعوا الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من انشقاقكم ، فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها اذ انه حيث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح • بناء عليه انني مأمور بدعوتكم بواسطة اشرافكم والمتقدمين فيكم سنا وممثليكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية لمعـــاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش ، كي تنظموا مع ذوي قرباكم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا في تحقيق أطماحكم القومية • »

ان قلة من المستندات البارزة ، فيما سواه ، لقادرة على أن تحظى بالتأييد من قبل (الوزارة البريطانية) ولن أشق على القارىء بايراد سبب ينتقد عليه (اذ الاشارات التأريخية تجلو الحقائق) ، لكن ثمة نقاطا فيه تستأهل انعام النظر • اريد له أن يصدر باسم من يسره ذكره ، وللافصاح عما هذا محصله:

(١) مليكي ومن يحكمهم من الناس ،

(٢) مليكي وشعوبه والامم العظمى التي يتحالف معها

(٣) الشعب البريطاني وحلفاؤه

(٤) حكومة بريطانية العظمى والدول العظمى المتحالفة معها

(٥) الشعب البريطاني والامم المتحالفة معه ٠

انه يخاطب :

(١) أهالي ولاية بغداد

(٢) أهل مدينة بغداد

ولا يعد أحدا بشيء ما ، لكنه يذهب الى ان الشعب البريطاني والامم المتحالفة معه تأمل وترغب في أن يهبّ الشعب العربي من رقدته ، كرة اخرى ، ليتبوأ مقام الصدارة وينال الشهرة بين شعوب الدنيا وأن يتّحد في سبيل ادراك هذه (الغاية) ويتضامن ٠

انه يدعو من يخاطبهم الى المشاركة ، بوساطة أشرافهم وأرباب الصدارة فيهم ، في ادارة شؤونهم المدنية ٠٠٠ والاتحاد مع أبناء عمومتهم في الشمال والشرق والجنوب والغرب عساهم يحقّقوا آمال شعبهم ٠

ان كان لهذا كله مغزى وجب أن يكون : ان الحلفاء كانوا ينظرون نظرة اسماح الى فكرة قيام بلاد عربية متّحدة ، أو ذات نظام اتحادي ، وهي فكرة تناهض ما ورد في (اتفاقية سايكس - بيكو) تماما ٠ ذلك انها تنطوي على أن يتّحد ، أو يتحالف (وهابية نجد) و (سادة الكويت وعسير) ، و(العرب السنة في سورية) و (العرب الشيعة في العراق) ، بكلّه الاقليات المتنادة ، لتحقيق آمالهم المزعومة (كذا : المترجم) وان يحكموا بعضهم بعضا (ولِمْ لا !؟ مادامت تربطهم جميع مقومات الوحدة : المترجم) ٠

ما كان ل (المنشور) ، في (بغداد) وفي (بلاد ما بين النهرين) صدى بعيد المدى ٠ لقد درس دراسة ناقدة فكان محصلها : الاجماع على انه من ألاعيب السياسة على الطريقة الامريكية ٠ ورفضته جهات رفضا صراحا ولم يتحمّس له أحد ، على ما يمكن أن يحظى به (منشور) ، مثله ، يسير العبارة هيّنها ٠ لقد حرّره في لندن رحّالة عاطفي (رومانطيقي) ولم يُبحث في فحواه ومحتواه ، أو في التعابير الواردة فيه ، مع (سر برسي كوكس) ، أو مع أية شخصية ذات تبعة في (بلاد ما بين

النهرين) بواسطته • وعلى ما قال الـ (لورد كرومر)[٢٤] : « لم يكن لزاما على الحكومة البريطانية الرجوع الى « انبياء بني اسرائيل » بشأنه ، بل كان من سداد الرأي أن تطلب ، قبل اصدار دلكم (المنشور) ، النصح الخالص المثيل من مسلمين، ذوي صلة بالرأي العام الاسلامي • »

وتلقّى (البرلمان البريطاني) هذا (المنشور) بشعور مريح • ذلك ان (رئيس مجنس العموم) أشار اليه قائلا : انه ينطوي على كثير من زخرف القول وكلم شرقي الصبغة مما لا يلائم روحنا الغربية • وذهب (مستر ديفلن) الى ان مثل هذا (المنشور) يليق بايرلنـــدة • وبيّن (مستر ماكنيل) : ان سر ستانلي مود ، عندما حرر (المنشور) كان يفكر – وهو الايرلندي – بالوضع القائم في ايرلندة • وكان جواب (مستر بونارلو) عن ذلك كله : ان (المنشور لم يكن صنيع فرد فذ بل كان شيئا أقرّته الحكومة[٢٥]) •

وعـــاد (مستر ماك فيك فشن) ، في اليوم التالي ، الى الحملة اذ سأل : أكانت وزارة الحرب تعلم ان سر ستانلي ينوي – بالنيابة عن الحكومة البريطانية وحلفائها – فرض « الحكم الذاتي » على العرب من غير استشعار مكنون قلوب الراغبين منهم في البقاء تحت الحكم التركي ؟ أاتفق العرب ، فيما بينهم ، على شكل الحكومة التي يصبون اليها ؟ أحصل على موافقة (وزارة الحرب) بشـــأن الزام العرب ، القاطنين منهم في الشمال والجنوب والشرق و لغرب، على تأليف أمة متّحدة ، أو قد وقرت في نفسه ايرلندة أيضا ؟!

ولعلّ أفضل (تعليق) أدلي به هو تعليق (رئيس المجلس) ، – وقد ضمّنه جوابا عن سؤال (مستر بيتو) الذي كان يحتج به على المقارنـــة بين العراق وايرلندة – اذ كان « أرجو من النائب المحترم أن لا ينظر الى الامور نظره متزمّتة متطرفة ! »

---

(٢٤) راجع : H.L. 20.4.15

(المؤلف)

(٢٥) راجع : H.L. 20.4.17

(المؤلف)

ما كانت السياسة التي انتهجها الـ (جنرال مود) في بغداد رأسا لتجنح الى ما ورد في الفقرة الختامية من (المنشور) • ذلك انه رتّب العميد هوكر – وهو من (الحرس) وذو خبرة مستمدة من الخدمة في الجيش السوداني والدرك التركي في (طرابزون) اثر اندلاع الحرب – (حاكما عسكريا) على المدينة (يريد بغداد : المترجم) • وعلى الرغم من انه كان يتكلم بالتركية الا انه كان بالعربية جاهلا • كما كان (نوّاب الحاكم) – الذين جرى ، في الوقت نفسه ، ترتيبهم من غير مراجعة سربرسي كوكس – يجبهون صعوبات مماثلة ، وما كانت لهم خبرة بمثل هذا النوع من العمل أبدا • وكان الـ (جنرال مود) – وهو من علمت صليب الرأي – يفخر بأنه يقوم « بالجانب الاكبر من أعمال الضباط الاركان شخصيا[٢٦] ، ولا يرغب في اناطة أمر تنظيم (الادارة المدنية) بـ « الضابط السياسي الرئيس » ، وهو في امرته ، شأنه في ذلك كشأنه في وضع التبعات على عاتق ضباطه الاركان الأُوَل • وكانت الشؤون العسكرية تتطلّب الكثير من عنايته ، على ما سيتّضح مما سيرد لاحقا ، لكن ذلك كان يعوّق سيطرته على دقائق أعمال (حاكم بغداد العسكري) وعلى (واجبات الادارة المدنية) • لذا غدا وضع (الضابط السياسي الرئيس) محرجا وارداد ، يوما بعد يوم ، حرجا !

واصدرت الحكومة البريطانية (تعليمات) تقضي بالابقاء على الجهاز الاداري القائم الى ابعد مدى مستطاع ، شريطة ان يستبدل « الروح التركي » بـ « الروح العربي » ، شأنه كشأن موظفيه ، وان تصبّ جميع الجهود في سبيل حمل الممثلين البلديين (المحليين) على المشاركة في (الادارة المدنية) وان يقتصر العون البريطاني على اسداء النصح والمشورة الى ابعد حد مستطاع • وفي أيار انساب نور كشف عن نوايا الحكومة البريطانية على الوجه القاطع وذلك حين علمنا سرّا بانها تفكر في اقامة نظام ، تغلب عليه الصفة البريطانية ، في ولاية البصرة ، طبقا لنصوص (اتفاقية سايكس – بيكو) وان يتبوّأ مقام الصدارة فيه : (مندوب سام) • أما في بغداد فيكون الحكم عربيا ، تحت

---

(٢٦) راجع : Callwell, p. 292; Forbes p. 278.
(المؤلف)

الحماية البريطانية ، على وجه ما ، وفي الموصل يقوم حكم ذاتي عربي تحت الحماية الفرنسية[٢٧] • ما كان الامر كله بحاجة الى موهبة النظر البعيد ليدرك بها ان مثل هذا كله ليس بحق « واقعي » ، ولا يرضى به قادة الرأي العام بمجرد أن تتجلّى الحال من عمار الحرب فتبرز لديهم (الجبهة) التي ينحازون اليها • واعلمت الحكومة البريطانية بهذا فدارت محادثات أخرى في اروقة الدوائر ، على ما سألمع اليه قريبا •

لم يكن في هذا (البيان) ولا في (منشور الجنرال مود) ما يناهض المعتقد القائل بان بريطانية ستعمد الى اعلان حمايتها على بلاد ما بين النهرين ، على غرار ما فعلت في (مصر)[٢٨] و (قبرص)[٢٩] • وكانت (تعليمات) الحكومة البريطانية ، القاضية باستبدال الموظفين الاتراك بموظفين عرب ، تأخذ بظواهر الامور ، من غير النفوذ الى بواطنها ، لذا لا يمكن اعتدادها ذات اثر في مستقبل البلاد سياسيا • كما كانت ، في هذا الاوان ، عينه ، غير « عملية » اطلاقا • ذلك ان ما سُمّي (الجهاز الاداري الراهن) لم يكن ، على التقريب ، بقائم : فالموظفون الاتراك غادروا البلاد ، الى غير رجعة ، جميعا • كما انهم اتلفوا من السجلات كل ما لم يستطيعوا ، على الغالب ، الى اتلافه سبيلا • فلم يبق ، وراءهم ، من شيء الا « العرف الحكومي » وتقاليده ، وهذه قوية ، لكنها

---

(٢٧) اين ، اذن ، ما اعلنه ال (جنرال مود) في (خطابه) أثر دخوله بغداد: «جئنا محررين لا فاتحين مستعبدين ؟!» انه كلام فيه تمحل ، بادي العوار•
(المترجم)

(٢٨) اصدرت وزارة الخارجية البريطانية ، يوم ال ١٨ كانون الاول البيان التالي :

« بالنظر الى حالة الحرب الناجمة عن فعال الاتراك وضعت مصر تحت حماية (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) ، واعتبرت ، من الان فصاعدا ، محمية بريطانية • بذلك انتهت سيادة تركية عليها وستتخذ (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) جميع الوسائل اللازمة للدفاع عن مصر وحماية اهلها ومصالحهم • »
(المؤلف)

(٢٩) الحقت قبرص رسميا ب (التاج البريطاني) يوم الخامس من تشرين الاول ١٩١٤ ، وهي الان جمهورية مستقلة •

(المترجم)

كانت فاسدة • وكان من العسير المعسر جدا اغراء الممثلين البلديين على المشاركة في (الادارة المدنية) ، وذلك ، بالنظر الى انعدام (بيان) صريح أمين مخلص يحدد شكل الحكومة المزمع اقامتها ، بعد الحرب • كان كل عربي ببغــداد يعلم ان من قَبِل (الخدمة) في ظل البريطانيين في الكوت ، ثم وقع في يد (خليل باشا) لقي عذابا غليظا ، ومات ميتة منكرة [٣٠] وما كان ارباب الاسر الاثيلات المنبت الكريمات المحتد في بغداد ، أو في ولايه بغداد ، على عداء مع الاتراك ، بل ، على النقيض من ذلك ، كان الملاكون وصغار الكتبة ممن بقوا في بغداد يعادون (الحكم العربي) بعـــامة ، على الآساس الواردة في منشور ال (الجنرال مود) نفسه • كانوا يؤثرون الاتراك قلبيا ، وعلى الناس طرّا ، وكانت الاسر الكريمة تتكلم التركية ، لا العربية ، وتفخر بصلاتها التركيـــة ، لا انحدارها من ارومة عربية • لقد درس كثير من أبنائها في اصطنبول، باعتدادها مركزا ثقافيا ، وحباها (القرن الذهبي) فيما مضى بعطف ســـابغ جم ، غمر قلوب كثيرين • وما زال (الباب العالي) خالد الذكر ، عالي القدر ، ملء سمع الناس وابصارهم •

وكانت سياسة (المقرّ العام) من سنة **١٩١٧** حتى سنة **١٩٢٠** ، وما بعدها ، مُنْصَبّة على ان يستقرّ في بغداد اكبرُ عدد من القطعات والضباط والجنود ، ما استطاع الى ذلك سبيلا • ومردّ هذا الى الاحوال الجوية ، من جهة ، والى اليُسر الاداري في الدرجة الاولى [٣١] ، وذلك على الرغـــم من ايثـار (قائد الجيش) السكن في خيمة ، صيفا • وسرعان ما وجد الاهلون ان ال (جنرال مود) ، في اوجه ، اقوى من سلفه شخصيا • وما كان بدل الايجار الذي دفع عنها — (وكان بنسبة ايجارات ما قبل الحرب ، مضاف اليها ما نسبته ١٠ بالمئة) — غير متسمّ بالاسماح ، على ان امثال هذه الدور قد يدفع عنها بدل ايجار يعلو

---

(٣٠) Curzon, H.L., 25.6.20 Mousley, p. 157.

(المؤلف)

(٣١) كأن في رأي كثير من كبار ضباط (مقرّي) الفيلين الاول والثالث ألا يكون ذلك في بغداد ابدا •

(المؤلف)

عن ذلك بعشرة اضعاف مما كان يدفع ، قبل الحرب ، عنها • واثار المقياس الذي اصطنع في ايجار البيوت تذمّروا وتمرمرا ، وشعر به أبناء الطبقة العالية من المسلمين شعورا شديدا ، ولم يشعر به اليهود ولا النصارى ، اذ كان هؤلاء يسكنون ، في بغداد ، أحياء أقل من بيوت الاوّلين شأنا ، لذلك وقرت في النفوس لوعة واعتلج فيها صبر كان مريرا ، وجرت عمليات التحرّي عن السلاح من بيت الى بيت ، وتنفيذ الشروط الصحية الصارمة المتزمّته ، وان جانبت هـذه السداد دوما ، وناهضت (البيانات) التي كان (الحاكم العسكري) يصدرهـا يوميا ، وهي بالنسبة الى المدينة جديدة ، وان كانت اعتبطية ، ظاهرا • ولم يستفد من خبرة (العميد براونلو) التي اكتسبها في البصرة الا ّ قليلا • وكانت بعض المشكلات ناجمة عن طبيعة الاشياء ، وبقيتها ، وهي ليست بقليلـة ، من صنيع الانسان • وكان الـ (جنرال مود) قد خبر شنآن الاعراب على دجلة ، وشاركه في خبرته هذه قوّاد الفرقة وامراء الالوية الـذين كانوا في امـرته ، لقد خبروا ، على ما خبر الـ (جنرال ولسلي) — ابان حملة السودان سنة ١٨٨٤ — انذارات الليل المزعجات لدى التماس بعدو شأنه المكر والخداع وله شراسة الحيوان الضاري(٣٢) • وما كان هناك من كره أبدا ، كما لم يكن ثمة تمرمر الا لماما ، لـكن الثقة كانت وئيدة النماء ، كمثل وناء الحكام السياسـيين في الاقاليم • انهم من كانوا ملحقين بقيادات الفرق العاملة في الميدان ويقومون بواجب عسير • انه واجب ينطوي على زرع بذور الثقة ، وغرس حسنة النية ، ورعاية شجرة ، هذه وتلك ، وهي متنامية • وعلى الرغم من المصاعب التي المعت اليها ، وكانت خارجة عن طوق سيطرة الـ (جنرال هوكر) ، وفّق توفيقا باهرا في اشاعة حكم القانون ، وبسط رواق الامن والنظام في كل فرع من فروع الادارة البلدية (المحلية) ببغداد • ومما ساعده على ذلك انه كان بطرائق الترك واساليبها خبيرا عليما • وكان ، الى ذلك كله ، ذا شخصية نفّاذة وكان القوم يجلّونه ، وان لم يستطيعوا الى استكناه دخيلته سبيلا • وكان يتمتع بثقـة

---

(٣٢) راجع : History of the Sudan Campaign, Vol. I, p. 323.
(المؤلف)

ال (جنرال مود) ، ويبذل ما في وسعه لان تكون اراؤه طبق اراء (الضابط السياسي الرئيس) • لقد كان يعرف مواضعات Etiquette الترك ، ومـا استثيرت اعصابـــه في يوم من الايـــام • واستمرت ولايته باعتداده (الحاكم العسكري) حتى ايلول سنة ١٩١٨ ، حـــين دمج منصبه بمناصب (الادارة المدنية) ، وحل محله (مستر هويلر) المنسوب الى الخدمة المدنية الهندية (وهو من اصبح سكرتير خارجية حكومة الهند اخيرا) •

وعلينا الآن أن نصرف عنايتنا الى غمرات الحوادث التي وقعت في الميـدان خارج مدينة بغداد • تألقت مزايا ال (جنرال مود) اروع تألق ابان الحركات التي جاءت في اعقاب الاستيلاء على هذه (المدينة) ، كما ان قادة فرقه ، وامراء الويته ، وقد ارخي زمام السيطرة لهم ، على خلاف ما كانت الحال عليه في اثناء الحركات التي جرت على ضفتي دجلة ، فكان ان اظهروا ان في مقدورهم الافادة من السلاح العسكري الذي اعده ال (جنرال مود) على افضل وجه ، خـلال جميع الحركات التالية • ان عبقرية ال (جنرال مود) هي التي صنعت ذلك الجهاز ، وهو الذي جاءت مواده الاولية من الهند وبريطانية العظمى ، ونفث ضباطه الاركان الرئيسون الروح فيه والحماس ، واخص بالذكر منهم سـر جورج ماكمن • وكان على ال (جنرال مود) ان يفكر في امر التعاون مع الروس ، وهم على ميمنته ، وان تتوافق حركاته ، الى حد ما ، مع حركات ال (جنرال الليثبي) ، وهو على ميسرته • وكان عقـــد النيـــة على أن يدفـع بارتاله ، اثر نجاحه في الاستيلاء على بغداد ، شمالا ، والى الشمال الشرقي ، والغرب من بغداد •

وكان أن تأخر الرتل الغربي ، وكان بامرة العميد ديفيدسن ، حتى ال ١٨ من اذار • وتم احتلال الفلوجة[٣٣] ، وهي على بعد ٣٥ ميلا من بغداد ، من

(٣٣) تقع بليدة الفلوجة ، اليوم ، على ضفة الفرات الشرقية قرب خرائب الانبار، وهي على مسافة خمسة كيلومترات منها، وتبعد عن بغداد بنحو ٥٨ كم• وجاء اسمها في اللغة الاكدية بصورة (بلوكاتو) وفي الآرامية (بلوكتا) عـلى معنى انفلاج النهر عندها • (المترجم) •

دون مقاومة تقريبا ، ومدت اسباب الاتصال السياسي بعلماء الدين في كربلاء . وسارع هؤلاء الى دعم مراكزهم ، باعتدادهم رؤساء روحانيين ، فتبادلوا البرقيات مع الملك جورج ، وقد جاء في جواب له ، مؤرخ بتأريخ ٢٤ نيسان ، ما نصه : (تسلمت مسروراً التهانيء التي بعثتم بها بمناسبة الاعمال الباهرة التي قام بها جنودي ، الذين سيضمن سلاحهم الماضي سلامة العتبات النابهة الشأن عندكم . ان رغبتي الصادقة لتنصب على خير العراق وشعبه ، وحماية عتباته المقدسة (كذا : المترجم) واستعادة مجده الغابر ، وازدهاره) . لقد مكّن احتلال الفلوجة الاتراك من احداث بثق[٣٤] في سداد النهر ، مرة اخرى ، واغراق الاراضي المحيطة ببغداد ، لكن البثق الذي احدثه الاتراك في الصقلاوية فيما مضى ، يوم الـ ٢٠ من آذار ، كان بدرجة من السعة بحيث تعذر اصلاحه . لقد كانت المصاعب التي يثيرها في السنين التوالي جمة ، ولا يزال على ازدهار الارضين الكائنة بين بغداد والفلوجة خطرا .

وسلم الطريق الممتد الى الفلوجة ، كما سلم خط السكة الحديد الخفيفة التي مدت بعد ذلك الى الـ (ذبان)[٣٥] ، وكانت كلفة السلامة هذه باهظة ، اذ تطلب أمرها تشييد سداد وسيعة . وكان من اليسير ان تحدث بثقة على ضفة الفرات اليمنى لينساب منهـا ماؤه ، فوق الصقلاوية ، وبذلك تحتوي (بحيرة الحبانية) الفيض ، وعلى غرار ما اقترحه سر وليم ويلكوكس . ولم يقم احد بذلك ، فالظاهر ان ذلك ، على ما ارتؤي يزيد من شنأن عشائر الدليم ، الذين ستغمر مياه الفيضان اراضيهم . واتخذ القرار من دون مشورة الحكام السياسيين المعنيين ، اذ قد كانت لهم آراء مختلفة في الموضوع حقا . هذا وان الاراضي

---

(٣٤) هو (الكسرة) بلغة العامة الدارجة .

(المترجم)

(٣٥) لا أثر اليوم لهذه السكة الحديد ، والظاهر انها رفعت بعد مدها . وثمة تلول تعرف بـ (سن الذبان) قرب الحبانية ، ويستمد منخفض الحبانية ماءه من الفرات للخزن بواسطة جدول الورار قرب الرمادي ، وللاستفادة من الماء المخزون في موسم الصيهود شق جدول اطلق عليه اسم (جدول الذبان) لاخذ الماء من منخفض الحبانية وارجاعه الى الفرات .

(المترجم)

التي ستغمرها مياه الفيضان تصبح حاجزا مفيدا بيننا وبين الاتراك ، حتى شهر تموز ، ولن يكون لها الا الاثر القليل في الوضع الاقتصادي ونفسية قبيلة الدليم •

وكان ليجمن ، وهو الان برتبة عقيد شرف ، هو المسؤول السياسي عن هذا الجناح ، وقام بفعال ممتازة ، على غرار ما عرف به[٣٦] • وما كانت الاوهام تساوره بصدد العرب[٣٧] (كذا : المترجم) ، اذ كان ممن عمل مع القطعات العسكرية على دجلة ، منذ احتلال العمارة ، لكنه لم يكن منطويا على سوء نية (كذا : المترجم) • وكان ضباط الفرق والالوية يقيمون له وزنا ، وكان عند الجنود حفيا ، كما كان الشيوخ يحترمونه ، ويخشونه أيضا • لقد كان صليب

---

(٣٦) في الحق ان هذا الضابط البريطاني كان غرا شرسا نفورا لا يدري ما يصنع ذا نفس طامعة الى اللذذ بازدراء أهل البلاد واستعبادهم ، وما حديثه مع الشيخ ضاري المحمود رئيس عشائر زوبع في لواء الدليم وقصة قتله الا الدليل على ذلك •

راجع (ثورة العراق ١٩٢٠ تأليف هولدين ــ ترجمة فؤاد جميل ص ٢٢٥)

واليك دليلا آخر ، من ادلة ، على ما نذهب اليه :

شثاثة ــ على ما هو معروف ــ قرية واقعة على الطريق الصحراوي بين الشام وكربلاء وكانت القوافل الضاربة في الصحراء تبيت فيها • وكان ، في وسطها ، ثمة ساحة لهذه الغاية تطيف بها دور السفر والتجار • وفي هذا الوقت الذى يقص (المؤلف) قصته كانت (شثاثة : شفاثة) تقع على جناح الاتراك الايمن ، وكان ارسال مفرزة بريطانية امرا على شيء كبير من خطر اذ المفرزة شوكة في حلقهم لذلك اتخذ لجمن سبيله اليها في سيارة ومعه تابع واحد فقط ، وما ان تقرب من القرية الا انهالت عليه اطلاقات نارية من سقوف بعض بيوتها • وعندها غادر لجمن السيارة وامر تابعه (جين) بان يبقى فيها ثم تقدم الى القرية ماشيا وما أن بلغ مدخلها الا اطلق عليه شاب من اهلها رصاصة فكان جواب لجمن على ذلك اخراج قنبرة يدوية من جيبه رماها على الشاب فتطايرت اشلاؤه شلوا شلوا ، ثم انه دخل القرية وطرد مجلسها البلدي (حنانيك يا فاطر السموات والارض !) وعين ، قبل منصرفه عنها ، من يقوم محله ، واهل القرية يعتقدون ان القطعات البريطانية لا معدى عن ان تكون آتية الى قريتهم في اعقابه ، لذلك اخلدوا ، استكفاء للشر المرتقب ، الى الهدوء والسكينة ، وعلى الرغم مما اقترفه لجمن وهو شيء نكر كان الالم منه يزداد في نفوسهم شدة وحربهم يزداد اذكاء •

(المترجم)

(٣٧) مهما كان رأي لجمن ، وأضراب لجمن ، في العرب ، هل يسوغ في العقل السليم أن يكون رأي الخصم الشائن في خصمه حجة ؟!

(المترجم)

الشخصية ، مرنا جدا وذا فطنة خارقة ادركها كل من عرفه ، فيما خلا رؤسائه الضَجِرين احيانا . وخلال الايام الاول من ايام احتلالنا (البلاد) كان الرجل ممن لا يستغنى عنهم ابدا . وبغت اعماله قصصا صوالا ، وكان اسمه في بلاد الرافدين مدّويا ، شأنه كشأن سر برسي كوكس ، سواء بسواء .

والتجأ الى خطوط البريطانيين عدد من نسوة لارمن واطفالهم ، هربا من المذبحة التي مُني بها بنو جلدتهم والتي قام بها الاتراك ، خلال الـ ١٢ شهرا الاخيرة ، واكتنفتها ضروب من القسوة النادرة الوقوع . انها مذبحة شملت تركية كلها . وجاء العرب بغير اولئك من الارمن ، فافتـداهم (ليجمن) ، وكانت الفدية بسعر السوق الدارج ، وكان شأن ليجمن ، في هذا ، كشأن الحكام السياسيين الآخرين ، وسـواء أكان الافتـداء عن سبل وسطاء أم كان رأسا ، وارسل المفتدون الى بغداد جميعا . وكانت النسوة يعشن باعتدادهن (محظيات) والاطفال يعيشون باعتدادهم ارقاء . وبقي عدد كبير من تلكم النسوة على ولاء لساداتهن العرب ، وما عوملن من قبلهم معاملة سيئة ابدا . وما كان لاوامر الحكومة التركية القاضية بمنع البدو من أن ينكحوا نسوة غريبات اثر ما ، شأنها في هذا كشأن ما كان يقول به (انبياء بني اسرائيل) في ظروف مماثلة . وكانت لـ (منشور) اصدره الـ (سر برسي كوكس) - وهو من كان توّاقا الى معاملة الارمن معاملة انسانية - آثار طيبة[٣٨] ، وقامت الطائفة الارمنية البلدية بدعم هاته المحاولات الرسمية دعما يدعو الى الاعجـاب ، وكان يرأس هذه (الطائفة) : مستر قيومجيان ، من أهل بغداد ، ومستر درفيچيان ،

---

(٣٨) وقد علم في الوقت نفسه ان كثيرا من الارمن ، رغبة في النجاة من اضطهاد الاتراك ، وهو شيء قد طبّق الارض في باب القسوة والظلم والايقـاع بالطائفة الارمنية ، عمدوا الى الالتجاء الى العشائر الضاربة في سورية الشرقية وشمالي شبه جزيرة العرب . لقد أعلم الشيوخ واعلمت القبائل ان من يلتجأ اليهم من الارمن المشردين يجب أن يعامل معاملة انسانية كريمة . وان مثل هذه المعاملة سوف لا تنسى وتذكر بخير من قبل موظفي الحكومة البريطانية . وكل من يدلي بمعلومات عن مكان هؤلاء اللاجئين يكافأ على ذلك ، ومن يبقى أمثـــال هؤلاء الارمن في مكان خفي ينال العقاب الصارم » .

(المؤلف)

قنصل بلجيكة الفخري في البصرة • وممن تمّ الاتصال بهم ، وهم من بين كثيرين : مطران الارمن موسيك سيروبيان ، ومستر هاكوب غازكيان ، ومستر سيبوه بابازيان • وقام مستر روبين هاريسان بعمل جاد حق وكان ميدانه اقتفاء آثار اليتامى حتى مضارب الاعراب واخذهم منها ، وابدى ، ابّان ذلك ، حصافة واقداما • وقامت الطائفة الارمنية ، عموما ، بمدّ يد العون الى ابناء جلدتها التاعسين البائسين ، بشكل لم يسبقها اليه سابق ولم يلحق بها نظير ، والى جهودها مردّ وجود ناقلة (جالية) أرمنية ببغداد في يوم الناس هذا •

ومكنّنا احتلال الفلوجة من الاتصال ببدو الصحراء ، وقبائلها من امثال (عنزة) و (شمّر) ، و (شمر جربه) الضاربة في جنوب (الموصل) وغربها ، على حين كنا على اتصال وثيق بقبيلة (الدليم) ، منذ البداية • ان اتصالنا المطّرد بهاته القبائل مسرود في محل آخر من هذا (الكتاب) ، ونجتزىء اذ نقول : ان احتلال الفلوجةفورا كانت له نتائج سياسية قيّمة ، وقد تصبح موسّعة لو قدرّ لنا ان ننفذ الى النجف والديوانية جنوبا ، وحيث لا تزال حامية تركية صغيرة مرابطة فيهما •

ونيطت مطاردة العدو ، بانجاه سامراء ، بقوة ايدة من (الفيلق الاول) ، وكان بامرة الـ (جنرال كوب) • وحصل ، بينها وبين (القوة التركية) ، تماس ، وكانت عدّة الاخيرة : ٥٠٠٠ من المقاتلة ، ومعها ٢٤ مدفعا ، وكان آحادها مخندقين ، عبر سكة الحديد ، جنوبي (المشاهدة) ، وعلى مسافة ٢٠ ميلا من بغداد • وكان لدى (القوة التركية) قطار مسلّح يسير على خط السكة الحديد كما كانت ميسرتها ترتكن الى دجلة • ولو تسنّى وجود قوة ايدة من الخيالة عند الـ (جنرال كوب) لاستطاع أن يأسر القسم الاعظم من القوة الواقفة بوجهه ، ذلك ان جناحها الأيمن لم يكن ممتدًا ، الى أكثر من بضع مئين ياردة ، وراء السكة الحديد • لكن الخيول كانت متعبة ، وما كان الـ (جنرال مود) بقادر على تلبية طلبات الـ (جنرال كوب) ، بقدر تعلّق الامر بانفاذ نجدة من صنوف راكبه• وكان السبيل الفذ لزحزحة الاتراك من مواقعهم هو القيام بهجوم جبهوي تضطلع به المشاة • وقامت به ، على وجه باهر رائع (الفرقة

السابعة) بامرة الـ (جنرال فين) فتكبّدت ، من جرّائه ٥٠٠ من الضحايا ، من بينهم ٤٠٠ ينتسبون الى (اللواء/٢٩) المؤلّف من : (وحدة بلاك ووج/٢) و (ووحدة المشاة : بهوبال/٩) و (وحدة البنجابين/٢٠) و (وحدة الكركة ٨/١) . ومُنيت (وحدة رايفلز/٥٦) المنتّسبة الى (اللواء/٢٨) بخسار كبير أيضا . وأعظم خسارة تكبّدتها (وحدة بلاك ووج/٢) ، وكانت بامرة المقدم ووكوب ، اذ بلغت عدّة ضحاياها ٢٣٠ ، منهم ١٠ ضباط ، وهو رقم يمثّل نصف مجموعها تقريبا .. وقاست كثير من الوحدات من ظمأ قاتل ، ذلك انها سارت لتقاتل ، طوال ٢٤ ساعة ، دأبا . وعندما احتلت (المحطّه) ، وقد تنصّف الليل ، كانت جدَ مرهقة . وفي هـــذا الوقت ، عينه ، كان آخـر قطار سار مولِيّا . وطاردت الاتراك (خيالةُ الفيلق) ، وهم ، من علمتَ ، ثبات في الدفاع ، وبراعة في الانسحاب . لهذا استطاعوا الانسلال منها انسلال الشعرة من العجين (لا يحسّ منهم من احد او تسمع لهـــم ركزا) . وما كان الـ (جنرال مود) — على ما ذكرنا آنفا ، بقـادر على أن يستغني عن أية قوة من (صنف الخيالة) ، لذلك نبذت المطاردة وعاد القسم الاعظم من (القوة) الى بغداد . ولعل ما حرّره الـ (جنرال ووكوب) في (مجلة بلاك وود : Black Wood's Magazine) — والظاهر انه يتصل بهذه (المعركة) — يصوّر ادق تصوير ما قاساه بعض الجرحى ، واليك ذلك نصا : ليس من مشهد في هذه الدنيا ، باعث على الاسى ، مثل مشهد ميدان الوغى ، اثر اقتتال ، ما الى الشك في هذا من سبيل أبدا . واني لاعلم ، عن خبرة (ولا يُنَبِّئك مثلُ خبير) ، ما ينجم من شقاء عن بقاء المرء مطروحا على الارض ، ليلا ونهارا ، أن تكسّرت اطرافه ، ومن اعياء تسبّبه الجروح ، او هذا الذي يجيء في اعقاب صدام — انها مأساة شاملة كل ما يحيط بالمرء وأزمات تعتري من يستغيث فلا يُغاث ، وتَوْق شديد الى الموت ينتابه مختلطا باشفاق من الاعداء المداهمة والغوّارة المجوّلة ، وفوق ذلك كله ارعاب النسور الحائمة والعقبان المنقضّه على شكل دوائر ، مطبقة ما لها من فَوَاق ، دائبة ..

تناهت الى مسمعي صرخات كهذه عند (مجنينة) ، على شاطئ الفرات :

« لا تتركني ، سيدي ! لا تتركني » وما زالت هـذه تتردد في اذني ، بكلماتها الانكليزية ــ البنجابية •

بقي ان نشير الى الحركات التي جرت على ضفة دجلة اليسرى ، الشرقية ، وعلى ديالى • ففي الـ١٣ من آذار احتلّ رتل من أرتال (اللواء/٤٠) الداودية ، الكائنة على ضفة دجلة اليسرى ، من غير أن يلقى مقاومة • وبعد أيام قليلة تم احتلال (بهرز) ، فاحتلال بعقوبا[٣٩] بعد ساعات من احتلال الاولى ، وكان ذلك على يد قوة كانت بامرة الـ (جنرال ادوردز) ، ثم تم نصبُ جسر على ديالى • وفي الـ٢٣ من الشهر احتلّت قوات من (الفرقة الثالثة) شهربان[٤٠]، وكانت بامرة الـ (جنرال كيري) • وتعسّرت الحركات الى أبعد مدى بسبب من فقدان الخوارط والمعلومات الصحيحة المتعلقة بحال الارضين ، وهي كثيرة القنوات وتتخللها في جميع الجهات ، ولا سبيل الى عبورها الا بنصب قناطر او جسور • والظاهر انه لم يُحسن استخدام « الفيلق الملكي الطائر » ــ (الاسم الذي كان يطلق ، اوانئذ ، على سلاح الطائرات : المترجم) ، ولم يُستَفد من المسّاحين المدرّبين باعتدادهم مراقبين خططيين (طوبوغرافيين) الا في مرحلة جد متأخِّرة من زمان المعركة • ومما جعل واجب الـ (جنرال كيري) اشد تعقيدا : ان الـ (جنرال مود) كان يشك في قوة قطعاته ، وعدتها ، على ما كان يحسب : ٨٠٠٠ ، على حين لم تزد حقا على ٤٦٠٠ من حملة البندقيات ، ومعها ست مدافع • شأن ذلك كشأن الاوامر الصادرة الى الـ (جنرال كيري) المرتكنة الى الزعم القائل بان الروس سيصبحون في وضع يمكّنهم من التعاون الحق معنا ، يوم الـ ٢٤ من اذار ، يوم الوعد المضروب الذي يؤمّل فيه وصولهم خانقين • وكان مَنْ في (لندن) يأخذ بهذا الزعم أيضا • وفي اليوم الـ ٢٢ من الشهر ابرق (سر ويلم روبرتسن) الى الـ (جنرال مود) بأن يدبر مع الـ (جنرال باراتوف) أمر مناطق الحركات لكل من القوتين ، شريطة أن تكون على وَفْق الضرورات العسكرية ، حسب ، اي من غير النظر الى مناطق

---

(٣٩) على الراجح انها من الارامية (بيت عقوبا) اي بيت المفتش [المترجم]

(٤٠) على الراجح انها من الفارسية [شهر] اي : مدينة و [بان] اي : المحافظ وهي (المقدادية) اليوم •

[المترجم]

النفوذ السياسية التي تم الاتفاق عليها من قبل حكومات : بريطانية العظمى وفرنسة وروسيا ، (اعنى بموجب اتفاق سايكس ــ بيكو) • حقا لقد بدأت الثورة في روسيا في اليوم الذي سبق يوم دخول الـ (جنرال مود) بغداد ، ولكن ما كان ثمة شك في النتائج التي ستسفر عنها • كانت هناك ثقة كبيرة بالتعاون مع الروس في هذه المنطقة على الرغم منها ، وقد افهم الـ (جنرال مود) ان خططه يجب أن تُبنى على هذا الاساس •

وطبقا للاوامر الصادرة له ، سار الـ (جنرال كيري) قُدُما حتى بلغ اقدام (جبل حمرين) ، وهو طبقة فوق طبقة من صخر أحمر يعلـــو ٨٠٠ قدم على مستوى السهل • انه احد المواقع الطبيعية العظيمة ، وهو جدّ حصين ، تحتلّه ، حقا ، قوة تركية ، عدّتها ٥٦٠٠ من حملة البُندقيات و ٢٤٠ من حملة السيوف ، ومعها ٢٤ مدفعا ، وهي بامرة (علي احسان باشا) • وعلى ذلك فان قوة الـ (جنرال كيري) كانت تقف بازاء قوة معادية ذات فَوّق عليها عددا • ومهما يكن من أمر ، لقد طُلب اليه أن يقوم بهجوم شديد ، وهو على اعتقاد مستدام ، بالاعتماد على العون الروسى ، وهكذا شُنّ الهجوم يوم الـ ٢٥ من الشهر • وكانت (خطته) ترتكز الى القاء العدو قدّامه ، وان يعبر ، في الوقت نفسه ، الجانب الاكبر من الرتل (قناةَ الروز)[٤١] ، وهي الى الجنوب تماما ، فيهاجم ميسرة العدو ، والصبح يتنفّس ! لقد جوّد وضع (الخطة) ابتداءا ، لكنها لم تصب نجحا ، اذ كشف عنها القيام بنصب الجسور ، وكان مُبْتسرا • وما ان تمّ عبور النهر الا تاهت (القوة المهاجمة) المؤلّفه من (اللواء التاسع) وضلّت طريقها ، فبلغت سفح الجبل موغلة غربيا • ولقيت من جرّاء ذلك شيئا امْرا ، ولم تنقذْ من ورطتها الا على يد (اللواء الثامن) وكان ذلك بشق الانفس حقا • وبلغت خسائرنا : ١٢٠٠ ، بضمنهم ٣٠٠ من الاسرى • ومُنيت (وحدة مهراتا/١٠٥) بخسارة عدته ٢٨٦ مقاتلا • وبلغ خسائر (وحدة دورسيت/٢) : ٢٠ ، اما (وحدة المشاة/٣٩) فقد بلغ خسارها : ١٦١ • وبلغ خســار (وحده تركه ١/١) : ١٤٦ و (وحدة البلوش) : ١٦ ، و (وحدة كركه ١/١) : ١٤٦ و (وحدة البلوش) ١٦١ •

وانسحب الاتراك في اليوم التالي ، وعبروا (نهر ديالى) في اليوم الاول

---

(٤١) على الراجح انها من الفارسية ، من (براز الروز) اي [مدينة الحنزير] [المترجم]

من نيسان • وجاء على اعقابهم (اللواء الثامن) الذي احتل (قزل رباط)[٤٢] في اليوم نفسه ، وعقد الخناصر مع قطعات (القوزاق) التي كانت بامرة ال (جنرال باراتوف) • وكانت لدى علي احسان پاشا بعض الاسباب التعبوية التي اختطها • لقد اوقف الروس خارج (ممر بايطاق) عن سبيل فوجين اثنين ، على حين استطاع الانسحاب من فارس والمرور من (قزل رباط) • وتمكن من الحفاظ على (جبل حمرين) ، الى حين انسحابه ببقية قوته وتكبيده (عدوه) نكبة ، ومن ثم سحب (مؤخرته) أيضا • بذلك امكن التخلص من (الفيلق التركي/١٣) واصبح في منأى ، ولم يبق الا (الفيلق/١٨) ، فعلى ال (جنرال مود) أن يعنى بامره • لقد نقل خليل پاشا هذا (الفيلق) الى ضفة دجلة اليسرى ، قرب (مصب العظيم) وكانت عدته نحو ٥٠٠٠ من حملة البندقيات ، ولديه ٢٤ مدفعا ، وكان يسير قدما • وهجمت عليه (الفرقة /١٣) بامرة ال (جنرال كايلي) وطاردته عبر نهر العظيم فكانت ضحايانا ٤٥٠ ، على حين ترك العدو ، في ايدينا ، ٢٠٠ من القتلى و١٨٠ من الاسارى •

اعاد ال (جنرال مود) رتل ال (جنرال كيري) الى بغداد ، وأعد قوة أيدة ، بامرة ال (جنرال مارشل) تتألف من : (الفرقة/١٣) ، و (لواء خيالة) بامرة (العقيد كاسلس) ، للقيام بحركات اخرى بازاء (الفيلق التركي/١٨) •

وكان رتل ال (جنرال فيين) ـ المؤلف من ٦٠٠٠ من المقاتلة ومعهم ٤٤ مدفعا ، على استعداد للسير قدما ، وكان موضعه على ضفة دجلة اليمنى • واحتل (سميكه : سميچه) يوم ال ٧ من نيسان ، ثم (بلد) و (حربه) ـ منطقة قنطرة حربه : المترجم ـ في هجمات متتاليات فالحق بالعدو خسارا من ضحايا وأسر من آحاده عددا ، وذلك من غير أن يتكبد خسرانا • وما أن أتم ذلك كله الا عاود الدفاع ولبث يرقب تطور الامور ، عبر النهر ، حيث كان ال (جنرال مارشل) ، شرقي بلد ، موجودا •

---

(٤٢) هي (رباط جلولا) وقزل رباط أي الرباط الاحمر فلقد كان فيها رباط بناه ملكشاه السلجوقي •

(المترجم)

وترك الـ (جنرال مارشل) اللواء/٣٨ ليرقب نهر العظيم وانتبذ هو مكانا شرقيا ، فلقي ، عند الفجر من يوم الـ ١١ من الشهر ، قوة تركية تسير تلقاء نهر الخالص • ووقفت (القوتان) بازاء بعضهما بعضا ، وكل من (القوتين) دهشة من لقاء الاخرى • وانسحب الاتراك ، عبر الخالص ، الى (عرب بوعين) وقدرت ضحاياهم بـ ١٠٠٠ يقـابلها ٢٥٠ من ضحايانا • وحاول الـ (جنرال مارشل) اختراق (الموقع) لكنه كان منيعا محصنّا بالخنادق ، فجفا الهجومَ التوفيق • وفي اليوم الـ ١٥ من الشهر انسحب العدو الى موقع ذي خنادق كائن عند أقدام جبل حمرين[٤٣] ، وراء (دلـّي عباس) حيث غدا تحت نقمة رتل الـ (جنرال كيري) • وعاد الـ (جنرال مارشل) باللواء الخامس والثلاثين المشاة ، وكتيبتين من الخيالة كانتا بامرة العقيد كاسلس الى نهر العظيم ، بعد أن أعدّ اعدة لعبوره • وتمّ ذلك ليلة ١٨/١٧ من الشهر حقا • وتكللّت الحركات التي ساق خبَرها (الرائـد ديونك) ، بشيء من التفصيل ، بغار الظفر • والانجاز الباهر تماما • وكان (النهر) ضحـّلا ليس بذى غور ، يتعرّج في جريه ، ولا يزيد عرضه على ٢٠٠٠ ياردة ، وقعره أوطأ من مستوى السهل بنحو ٤٠ قدما • وكانت جدر عقيقته شاهقة ، وقعره مخادعا ، ويحتـّل الضفة الاخرى منه ٢٠٠٠ من مقاتلة الاتراك ويحلّون في خنادق حسنة البنـاء • وكان (اللواء/٤٠) قد وفـّق الى استطلاع النهر يوم الـ ٨ من الشـهر ، حين حاول الـ (جنرال مارشل) عبورَه • وقُبيل انصداع عمود الصبح قامت الخيّالة بخدعة (انما الحرب خدعة : المترجم) وكان ميدانها مكانا يقع عند اعالي النهر • لقد اصابوا كبد الحقيقة عندما ذهبوا الى انها كانت تخادعهم وتمكر بهم ، لكنهم جانبوا الصواب في أمر وحدة (لانكشر) اذ حسبوها تقوم بالهجوم الرئيس • وقامت وحدتا (لانكشر) الاخريان ، في الوقت نفسه ، بعبور نهر العظيم من غير أن يلحظهما أحد ، وجرى عبورهما على ظهر عوّامات ، عند موقع يبعد مسافة نصف ميل من (مخلطه) بدجلة • وتمّ الاستيلاء

---

(٤٣) يعرف امتداد جبل حمرين على ضـفة دجلة الغربية بجبل مكحول ويشتهر بما فيه من مقالع الحجر ، وبكثرة ما فيه من معادن ومياه معدنية • وعرف جبل حمرين ، في موضع الفتحة ، باسم (پارما) في المراجع الغربية • [المترجم]

على موقع الاتراك كله واستمرّ تعقيبهم حتى سامرا • ولعبت الخيّالة دورا بارعا في ذلك ودأبت على التعقيب حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالي فأسّرت نحو ١٢٠٠ من الاتراك ، على حين كانت عدّة خسارنا ٧٢ جميعا •

وسار الـ (جنرال فين) على ضفة النهر اليمنى حتى بلغ (السور المادي)[٤٤]، يوم السادس عشر من الشهر • انه سور عتيق جدا :(أخنى عليه الذي أخنى على لبد) ، علوه نحو ٣٠ قدما ، وهو على بعد ثلاثة أميال ونصف ميل الى الجنوب ـ الشرقي من (محطة اصطبلات)[٤٥] • وفي اليوم الثامن عشر من الشهر وصل الـ (جنرال كوب) فتولّى القيادة ولحقت به ، بعد يومين ، (خيّالة كاسل) ، ثم جاء ، بعد ذلك ، يوم الـ ٢١ من الشهر ، على التحديد (اللواء الثامن) وهو الذي عبر دجلة على جسر محمول على قوارب عند (بعرورة) ، شمالي بلد • وكان للاتراك خط ، عبر قناة الدجيل ، ويحلّون في خنادق منيعة • وما (قناة الدجيل) الا مجرى ماء عمقه ٣٠ قدما ، وهي ذات ضفتين شاهقتين منحدرتين وعليها ثلاثة أجسر تقـــع فيما وراء خط الاتراك جميعا • وكانت عدّة الاتراك ٧٠٠٠ من حملة البندقيات ومعها ٣١ مدفعا ، كما كانت عدّة قوتهم الاحتياط : ٤٠٠٠ من حملة البندقيات ومعها ١٦ مدفعا • واستعرّ لظى المعركة ، يوم الـ٢١ من الشهر ، وكان الجوّ حارا جدا • وهبّت غَبْـرة ، وسرعان ما تبيّن ان الاتراك استعادوا روحهم المعنوي فغدوا مطمئني القلوب ثابتي الجأش ، فاستضرى

---

(٤٤) ان أردت وصفه على وجه كميل فراجع :
Lane: Babylonian Problems, 1923. (المؤلف)
قلنا : انه ليبدأ من دجلة ، شمالي بلد ، ويقطع أرض مابين النهرين حتى الصقلاوية على الفرات وهو يشق الطريق من بغداد الى سـامراء، على مسافة ٩٠ كيلومترا من الكاظمية• انه مبني من اللبن ثخنه ٥٠ر١م والباقي من ارتفاعه ٤ـ٥ من الامتار ، تدعمه أبراج نصف دائرية وثمة خندق بمحاذاة وجهه الشمالي • ولا يعلم على التحقيق تأريخـــه والغاية من بنائه ، والشائع الذائع ان نبوخذنصر البابلي (٦٠٥ـ٥٦٢ق م) هو مُشيّدة ، للدفاع عن مملكة بابل بازاء الماديين ،ومن هنا جاء اسمه • (المترجم)

(٤٥) الشائع انها البقية الباقية من المعسكر الكبير الذي بنـاه الخليفـــة المعتصم ، ومن جاء بعده من الخلفاء • (المترجم)

القتال وفاق ، في شدة وقعه ، كل اقتتال شهدته (الحملة) • وبلغ هذا أوجَه فنزلت نازلته بوحدة (كركة/٣٢١) ووحدة (بلاك ووچ/٢) لكن وحدات كبيرة أُخَر شاركت فيه أيضا ، فنالت كثرة منها من وقعه الشديد ، كثيرا ، وعانى الجميع من ظمأ كان مهلكا • ولم يحرز من التقدّم خلال النهار ، الا القليل ، لكن الاتراك ، خلال الليل ، استطاعوا اجراء انسحاب بارع الى موقع ذي خنادق منيعة واقع على بعد أربعة أميال ونصف الميل ، كائن الى وراء •• ولم تستطع قواتنا الاتصال ، بعضها ببعض ، قبل أن يميل ميزان نهار يوم الـ٢٢ من الشهر • وبلغت الوديقة أشدّها فأصبح «الاستطلاع الجوي» بسبب من الهبوة والرياح السواهك[٤٦] أمرا عسيرا ، كما غدت «المراقبة الارضية» عسيرة جدا • واتّجهت (الخيالة) وسيارات (البطرية الآلية المصفّحة) تلقاء (ميمنة) العدو ، على حين انصبّ الهجوم الرئيس على (ميسرته) • كل ذلك كان باسناد من مدفعية الـ(جنرال طومسون) الموجودة على ضفة دجلة اليسرى • ونجح الهجوم على وجـــه يفوق ما كان متصوّرا ، وجاوزت (وحدة ليسترز) (غايتها) فاستولت على سبعة مدافع ، لكنها فقدتها ، بعد قليل ، حين قام الاتراك «بهجوم مضـــاد» قوي تطلّب منا أن نلقي في اتون الاقتتال معهم احتياط (اللواء/٢٨) جميعا • وعلى ميمنة الاتراك استطاع (العقيد كاسل) الافادة من جميع الفرص التي سنحت له • ذلك ان سيارات (البطرية الخفيفة المدرّعة) قامت باستطلاع (محطة سامرا) ثم قصفت مدافعها مؤخرة العدو اليمنى فأصابت في قصفها نجاحا • وركبت جماعة ، عدّتها نحو ٤٠ من مقاتلة (وحدة لانسرز/٣٢) ، بامرة العقيد كريفيث ، وتساندها أربع سيارات مسلحة ، (والشمس ذوب تبر قد انثنت للغروب) فبلغت موقع الاتراك تحت ستار من نار مدفعية موصدة ، وكل ذلك للتخفيف عن الضغط النازل بوحدة (رايلفز/٥٦)[٤٧]

(٤٦) الرياح العاصفة الشديدة •

(٤٧) ودعما لهم ، وقبل هجوم الخيالة مباشرة ، أبدى الملازم كريهم المنسوب الى وحدة (اركل وسذرلند هايلندرز) والملتحق بسرية الرشاشات/١٣ ، بسالة يكلّ عن شرحها اللسان ومعاونة حقة يكل دون تحبيرها البنان استحق عليهمـــا وسام (صليب فكتورية) • لقد جرح المومأ اليه ثلاث مرات •

[المؤلف]

المشتبكة مع الاتراك في قتال مرير • وتحت نقمة نار حامية وصلت (وحدة لانسرز) الخنادق التركية ، من غير أن تتكبّد ، على التقريب ، خسارا ، فأخذ الاتراك بتسليم أنفسهم اليها ، ومنهم من ولّى فرارا • وما كانت الارض صالحة لسير سيارات (وحدة الرشاشات الخفيفة) لذلك لم تستطع أن تهرع للانجاد ، فوجب رفع (ستار) نار المدفعية • وعنـــدها سار الاتراك وأجهزوا على المفرزة الصغيرة برمتها ، فمنيت بـ (٢٥) من الضحايا ، من بينهم (العقيد كريفيث) نفسه ، كما هلك ضابطان آخران أيضا • كانت (المعركة) آية من آيات البطولة ، وقد أدركت (غايتها) حين رفعت العبء النازل على المشاة ، في ساعة العسرة • كما انها جادت ببيّنة جديدة دالة على ان روح (الخيالة) ليس بأقل من روح أي صنف آخر من صنوف القوات المحاربة أبدا • اذ ما أن تُطلق من عقالها الآ تصبح قادرة على أن تلعب دورها البطولي في المعركة دأبا •

واستعرّ القتال واستحرّ طوال الليل مددا ، وقبيل الفجر انسحب الاتراك ، تلقاء الشمال ، فدخلنـــا ، صباح الـ٢٣ من نيسان (سامرا) ، من غير أن نلقى مقاومة ما • وتكبّدنا ، خلال يومي الاحتراب ما عدته : ٢٠٠٠ من الضحايا • وما كانت ضحايا الاتراك ، على التحقيق ، بأقل من ذلك عددا ، ذلك انهم تركوا ٥٠٠ من القتلى مجندلين أرضا ، كما غنمنا مواد حربية كبيرة وأخذنا منهم٢٥٠ من الاسرى[٤٨] •

بقيت هناك معركة واحدة علينا أن نخوضها مع (علي احسان باشا) وهو من لايعرف للكلل أو للملل معنى • كان هذا (الباشا) نقل قواته من (جبل‌حمرين)، فوق ديالى ، على بعد ٤٠ ميلا الى الغرب تقريبا ، الى (نهر العظيم) فأصبح ، الان ، يمضي ، كلمح البصر أو هو أقرب ، تلقـــاء جناحنا الشرقي ، قُدُما • وكان

---

(٤٨) هي من أظهـــر المعـارك العنيفة التي دارت رحاهـا بين الاتـــراك والانكليز منذ الاستيلاء على بغداد ، وكان قائد الاتراك فيها (شوكت) • انها (معركة مدفعية) في الدرجة الاولى ، وقد استخدم فيها القائد الانكليزي (كاسلس) الخيالة ببراعة أكسبته شهرة عريضة ، كما تكبد فيهـــا الانكليز كثـيرا من الضحايا و (ان لكل انتصار ثمنا) • (المترجم)

ال (جنرال مارشل) للقياه مستعداً[٤٩] وما كان هذا ممن تنطلي عليه خديعــة دبّرت في (دلّي عباس) على يد (قوة) بلغت عدتها ١٣٠٠ من المقاتلة ، ومعهــا مدافع أربعة • وكان اللقاء مع علي احسان في (داهوبة) ، يوم ال ٢٤ من الشهر ، حين وقفت في وجهه قوة ايدة مولّفة من (الالوية/٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠) و (الفرقة الخيالة/٧) فاضطرته على التراجع لمسافة ٢٥ ميلا ، الى «بندي عظيم» : (بند نهر العظيم [٥٠] في غرفة ـ انجانه : المترجم) ، حيث يخترق النهر جبل حمرين • وطارده ال (جنرال مارشل) ، وفي اليوم ال ٣٠ من نيسان دارت وقعة (بندي عظيم) واتّسمت بالعنف الشديد والخسار الكبير وبالاحوال الجوية المعاكسة ، الى أبعد مدى • وكان الاتراك مخندّقين ، عبر النهر ، وما هو ، في الحق ، الاّ ماء نزّ ، في مثل هذا الوقت ، سنويا • كان مجراه ذا تمعجّ وتعرّج ، وعرضه نحو ٢٠٠٠ باردة ، أو زدْ عليها قليلا • كما كانت ضفتاه شاقوليتين ، علو كل منهما : ٣٠ قدما • ومكر ال (جنرال مارشل) بالاتراك عنــد جناحهم الايسر حين دفــع ب (اللواء/٢٠) ـ الذي يقوده ال (جنرال لوين) ـ فجرا ، الى قرية واقعة خلف (القلب) منهم تماما • كانت هذه ضربة مسدّدة أصابت نجحا ، وجاوزت (القوة) هدفها ، ثم سار فوجان هما (ساوث ويلز بوردررز/٤) و (جيشايرز/٨) يطاردان بقوة الاتراك المنسحبين ، بعد أن سلّم منهم : ٣٠٠ ، واندفعا الى مسافة ميلين فيما وراء خط الاتراك وأسرا آخرين منهم وغنما ٦ مدافع و ٤ رشاشات أيضا • لقد خالف (الفوجان) الاوامر الصادرة اليهما ، كما جرح كل من (آمريهما) ، لكن العدو تراءى خائر القوى لذلك شعر من كان في خضمّ (المعركة) معه ان

(٤٩) كانت (شعبة الاستخبارات) ، لحين من الدهر ، فيما مضى ، قد أعدت الوسيلة لحل الشفرة التي كان الاتراك يصطنعونها في المراسلات اللاسلكية •
[المترجم]

(٥٠) ورد اسم (العظيم) في المصادر البابلية ـ الآشورية باسم (ردانو) وفي المصادر اليونانية ـ الرومانية باسم (فيسكس) • و (بند العظيم) سد يقع الى يسار قرية انجانه ، بنحو كيلو مترين داخل جبل حمرين • وعندما كــان (السد) عــامرا كانت تخرج من العظيم فروع تسقي أراضي المنطقــة المسماة (غرفة) • (المترجم)

من السداد ركوب متن الخطر ، من غير الالتزام بالاوامر الخطية حرفيا[٥١]. أكان المحاربون القدامى الذين وقفوا قبالة (حصن الدجيلة) ، قبل سنة ، قادرين على أن يبدوا من (الروح القتالي) ما يشبه هذا ، ياترى ؟! لم تخالف وحدة (ساوث ويلز بوردررز) الاوامر الصادرة اليها ، عندما مرّت من فرجة في (الخط) ، قصدا . لقد اندفعت بشجاعة عظمى ، على حين وقفت (وحدة ولتشرز/٥) ، تجاه خط الاتراك الاول ، سندا . لقد جاوزت كل من وحدتي (جيشماير) و (ساوث ويلز بوردررز) خط الهاتف الـ (تلفون) لكل منهما ، حتى مسافة ثلاثة أرباع ميل ، وعندها تعرّضتا الى نار الاتراك التي انهالت عليهما . وقبل أن يرسل الـ (جنرال ليوين) وحدة (ويلتشرز) الى أمام قدما ، ووحـــدة (رويال ويلچ فيو زيليرز) سرا ، هبّت،على حين غرّة ، ريح مُثْقَلة بالرَهَج شديدة؛فاطبقت على المنطقة التي كانت وحدتا : (جيشمايرز) و (بوردررز) تشاغلان فيها فغـــدا اسناد المدفعيّة لهما أمرا مستحيلا . وقام (علي احسان) بمناورة بارعة حين نقل جنده الاحتياط ، عبر النهر ، لينزلوا الضربة الماحقة الساحقة بالافواج التي كانت في (المقدمة) ، المنسوبة الى (اللواء/٤٠) ، ثم انه انسلّ بهم ، من غير أن يراه أحد ، عبر جبهة (اللواء/٣٨) . ودار ، في أعقاب ذلك ، اقتتال مصممّ مريج ، استطاع ، خلاله ، الاتراك أن يستعيدوا المدافع التي فقدوها ، باستثناء مدفع واحد ، و٤٠٠ من اسراهم ، كما أسّروا منا نحو ١٥٠ مقاتلا . وكان مامُني به الاتراك ، أنفسهم ، شديدا ، فاضطُرّوا على الانسحاب ، خلل التلال ، ليلا .

وبلغ خسارنا ، خلال النهار : ٦٩٣ مقاتلا ، أزيد من نصفهم من وحدتي (جشمايرز) و (بوردررز) اذ فقدت كل منهما ما يزيد على ٥٠ بالمئة من عدتيهما . وكانت خسارة الاتراك ، على التحقيق ، كبيرة ، ذلك اننا وارينا اتراب منهم ٢٠٠ وزيادة ، كما أسّرنا ٣٦٥ ، ولولا ريح الغبرة لكانت خسارتهم أشــد ،

---

(٥١) قال أمير البحار ، نابه الذكر ، نيلسون لمن كان في امرته قبـل (معركة الطرف الاغر) : «عندما تكون في شك من أمر ، تقدّم !» ويريد بذلك : « اذا وجد أحد نفسه في موضع لا يتبيّن فيه مصيره فلن يجانب الصواب ان وضع سفينته جنب سفينة عدوه ، ولعل ما قامت به (الوحـــدتان) في هـذه (المعركة) هو صدى هاته (القولة الخالدة) . (المترجم)

لا تضبط كثرة • وسار (لواء خيالة الفرقة/٧) ـ بامرة الـ (جنرال جونز) ـ في أعقابهم قصصا ، لكن الـ (جنرال مود) أعاده الى حيث كان ، اذ لم يكن راغبا في أن يخاطر بالقيام بتعقيب ما ، خلال التلال ، في مثل هذا الوقت أبدا • وقصفت طائراتنا عدونا المتراجع ، كما ألقت ست طائرات منها صف طن من القذائف على معسكرات أرتالــه ولوازمه وتجهيزاته ، فقتلت ٥٠ من رجالــه وصيرت حيواناته جزوعة هلوعة(٥٢) •

وأصبح (العدو) ، في هذا الاوان ، بعيدا ، وبغــداد آمنة منه مطمئنة • وكان بيننا وبين الاتراك ، على الجبهات كافة ، نحو ٦٠ ميلا من أرضين هي مهامه قفر ، لا ماء فيها ، فيما عدا مجاري : دجلة والفرات وديالى • ان درجة الحرارة فيها لترتفع ، بسبب من أوار الشمس ، خلال النهار الى حد لا سبيل الى تصديقه أبدا ، وأعني به : ١٢٠ درجة في الظل و١٦٠ في الشمس ، على وفق القراءات المعتادة الجارية بين الساعة العاشرة صباحا والساعة الرابعة ، بعد الظهر • وأبدت القطعات ، والصنوف كافة ، روحا عاليا متمايزا ، وتجلت فيها قوة على المصابرة ذات فوق • ومنيت أرتال النواقل والميرة والتموين وصنفي المخابرة والطبابة وسائر الخدمات المساعدة برهق ما بعده من رهق • ذلك ان الحركة كانت ، منذ احتلال بغداد ، دائبة ، وتجرى ابن الليل غالبا • وما لم يكن الاقتتال دائرا فان تشكيلاته كانت تعدم الراحة عموما ، خلال النهار ، الا لماما • على ان النوم ، وأوار الشمس على أشده ، كان أمرا مستحيلا • وما كانت عند (الخدمات المساعدة) راحة كهذه أبدا ، ذلك ان جهدها الجهيد ، ولا محيص له ، ولا مناص ، لم يكن له من حد أو نهاية • ودهم المرض المقاتلة بعنف فألقى على عاتق من بقي منهم عاملا عبئا ثقيلا ، ذلك بنسبة تفوق نسبة العبء الملقى على عاتق المشاة كثيرا • لا يدفع للبغالة ، وهم رجال صبر ، الا أقل مما هم مستحقوه ، ولا ينالون من تقدير زملائهم الا قليلا • وكان الواحد منهم يعنى

(٥٢) راجع : Tennant, p. 156.

(المؤلف)

بستة بغال ، بدلا من ثلاثة ، غالبا ، كما كان (الاتباع) يعملون دأبا الى أن يقع الواحد منهم من نَهك العمل صريعا • ذلك ان مرضى المستشفيات كانوا بحاجة الى عناية مستدامة ، ان اريد لهم البقاء في الاحياء يرزقون • كان سقيهم الماء ، بحد ذاته عبئا ثقيلا • وتحت سهام الشمس المحرقة غدا العمل الجسماني ، أعني رفع الاثقال والتحميل والتفريغ أمرا اداً ، كما أصبحت الاثقال التي يستطيع الرجال حملها ، خلال فصل الشتاء ، أمرا لا سبيل الى النهوض به أبدا • وأخذت البندقيات والنطاقات تحزّ في الجلود ، وغدت هذه مُلْس رخوة بسبب من العرق المتسبّب ، وكثرت القرحات في خيم الجنود ، بأكثر مما عرفه رجال النقليات • كانت العين لا تقع على جلد سليم الا على الندرى ، سواء أكان ذلك جلد انسان أم جلد حيوان • وأصابت جلود الاناسي والبهائم لفحات الشمس فتهرّت بسبب من تعرضها لأوارها • وبلغت ضراوة الشمس حدا غدت ، عنده ، جثث البشر والحيوان لا تتعفّن بل تجف وتيبس دراكا ، بحيث يصبح في الامكان رفعها ، بعد أيام ، أو حرقها من غير أن يصطنع الحارق وقيدا[٥٣] • وعلى ذلك أخذ المرء يؤمن بما كان يعتقد به الفلاسفة القدامى ومحصله : ان العالم مؤلّف من أربعة عناصر هي : (التراب) و (الهواء) و (النار) و (الماء) • لم نشر ، في الصفحات الماضيات ، الى فاعليات « الفيلق الملكي الطائر » – (يريد القوة الجوية البريطانية ، على ما كانت تسمّى يومذاك : المترجم) – الا نادرا • كان يعمل ، منذ بدأت الحركات في تشرين الثاني المنصرم جاهدا ، وكانت له السيطرة الجوية ، حتى مطلع نيسان ، تماما ، وما كانت تحدّ من نشاطه الا ما اختصّت به (بلاد ما بين النهرين) في مثل هذا الوقت ، وأعني بذلك : ندرة المهابط والريح العاتية ، ووهن القدرة على الرؤية بسبب تصاعد الغبرات ، والطائرات العاطلات • وجاء العدو ، في أوائل شهر نيسان ، بطائرات حديثة الصنع ، أسرع اندفاعا ، وأعني بها الطائرات من طرازي : (فوكرز) و (هالبرستادز) • ولقيتها طائراتنا من طراز (برستل) و (كليركيت) ، بعد أيام معدودات ، فالطائرات من طراز

---

(٥٣) راجع : Fortescue, Loc. cit. ان أردت الوقوف على أوضاع مماثلة قامت في الهند سنة ١٨٥٩ • (المؤلف)

(سبادز) بعد قليل ، والاخيرة اعتُدّت من الطرز الحديثة المتقدمة بالنسبة الى الطائرات البريطانية من طراز (بي• أي• ونسايد) التي كانت ، حتى ذلك الاوان، عاملة • وبدأ التصوير الجوي واتسع مجاله بمقياس كبير ، وكانت له نتائج ثمينة جدا • وكانت الخوارط التي تعــدها (فصائل المساحة) ـ بالتعاون مع خبراء «ايجاد المدى» توزّع ،في الاحيان ، بين الوحدات جوا ، قبل الاشتباك في القتال بساعات • ومُني رجال القوة الجوية بخسار عظيم ، لكنهم كانوا على فوق ، من حيث الشجاعـة ، بالنسـبة الى القطعـات الارضـية ، وبالنسـبة الى المـدفعية بخاصـة • ولا يرد ذكـر رجـال القـوة الجويـة في هذا (الكتاب) الاّ قليلا ، لكن «أولاد الرعيد» ـ على ما سمّاهم الاعراب ـ كانوا حاضرين متهيّئين دوما ، ولولاهم ما استطاع المُشاة المضي قدما • وكانت العواصف المثقلة بالنقع ، كشأن السراب ، تصيّر عملهم ، على وجه شاذ ، عسيرا • كما كانت الحرارة ، في الاحيان ، ذات اثر في حشوات الـ (كوردايت) • وغـدا بالمعدن المعرّض لصَلْي الشمس معسرا ، كما كان ذلك شاقا بالنسبة للاثقـال المخلّفه في العراء ، وبالنسبة الى المدفعين خصوصا • وما أن حلّت نهاية نيسان الا غدا رجال القوة الجوية ذوي قدود هيف ضـامرة ، شأنهم كشأن أعراب السهول التي كانوا فيها يقاتلون • وتعاون (الاسطول النهري) مع سائر (الصنوف المحاربة) طوال أمد الحركات التي جرت على دجلـة حتى مصبّ (العظيم) ، وأسدت الباخرة الحربية البريطانية : (تارنتولا) ، خلال المعركة التي جرت ليلة ١٧/١٨ من نيسان ، خدمة كبرى •

وكانت لدى الـ (جنرال مود) أسباب وجيهة تحمله على الاطمئنان الى النتائج المتحققة ، وهي التي أوجزها في رسالة مؤرخة بتأريخ الـ ١٥ من تشرين الاول ، واليك نصها :

« هزم العدوّ (الفيلقان : الـ ١٣ والـ ١٨) ، وذلك بنتيجة الاحتراب الذي دار خلال شهر نيسان ، وعلى خطوط مصروفة الى جهات شتى • لقد سار الفيلق الاول تلقاء (جبـل حمرين) والفيلق الثاني نحو (دجلة) وشنّ الفيلق الـ١٣

هجوما مرتين ، فكانت النتيجة ، في المرتين ، وبالا عليه • وقهر (الفيلق الـ ١٨) وطُرد من مواقعه المختارة ، أربع مرات • وبلغت عدة من أسّرناهم ، خـــلال الشهر : ٣٠٠٠ تقريبا كما استحوذنا على ١٧ مدفعا ، ينضاف الى ذلك قدر عظيم من قضبان السكة الحديد وغنائم شتى • لقد أدركنا الاهـــداف التي سعينا من أجلها ، وذهبت ريح العدو وفشل • وناء القتال الذي جرى خلال الشهر بكلكله على قطعاتنا ، اذ ارهقتها كثـيرا الحرارة الشديدة والاعاصير المثقلة بالرَهَج ، وانعدام الماء في الاحيان • وكلما اشتدّت نازلات الظروف على قطعاتنا اشتد عزمها وتعالت معنوياتها (وحلاوة الايمان حشو قلوبها) ، وفي نهاية هذه الحقبـة الزمنية التزمت بالضبط والربط والشجاعة ابان (الحركات الفعلية) التي عُرف بها الجيش ، وامتاز بهـــا ، خلل الحركات التي ختمت بفتح بغداد ، وما جاء في أعقابه • • »

ان شهرة الـ (جنرال مود) كعسكري ، وأنا مما أقول على يقين ، لترتكن الى منجزاته التي جاءت في أعقاب الاستيلاء على بغداد ، وليس الى الوقائع التي أسفر عنها الحادث التأريخي العظيم • لقـد كان تصريف القتـــال الاول ، في الاحيان ، باهرا ، لكن الفوز المدرك كان ، بنظر بعض النقدة العسكريين ذوي الكفاية ، لا يرجع الى الخطط السوقية ، أو التعبوية ، قدر رجوعه الى الفَوَق بالقطعات والمدافع ، التي كانت لديه • أما في الحركات التي جـــرت فيما وراء بغداد ، فإن الفوق في الرجال والمدافع لم يكن ملحوظا الاّ بأقل مما كان عليـــه سابقا • وكان القائد التركي : علي احسان باشا يقف بازائه ، وما كان هذا بأقل منه توفيقا الا بفارق هينّ ، كما كانت القطعات التي بامرته ، على ما رأينا ، على حظ كبير من نظام • لذا فان التقدّم ، خلال شهرين اثنين ، لمسافة ٢٠٠ ميل من (قاعدته المتقدّمة) ، والابقـاء على ثلاث قوى محاربة في جهات شتى وتنظيمها ، ومن دون المساعدة التي قيل له ان الروس سيجودون بها ، كل اولئك كان عملا

ماهرا وانه لأمر عُجاب • لقد كان يأخذ بطرفي حبل العقال[٥٤] دوما • وكان التعاون بين (الاسطول) و (الجيش) و (القوة الجوية) تاما ، شأنه كشأن التعاون بين صنوف الخدمة العسكرية الصرفة • لقد برهن الـ (جنرال مارشل) على انه قائد ميدان كفء آلق ، شأنه كشأن مرؤوسه : (العميد فريزر) • ومن بين آمري الفيالق برز كل من : (كاسلز) ، و (ليوين) ، و (طومسون) باعتدادهم خلقوا للجند قادة •

وبلغ خسارنا في المعارك التي دارت على دجلة ، فيما وراء الكوت ، نحو : ١٨٠٠٠ وهو من مجموع قواتنا المحاربة البالغة ٤٥٠٠٠ يكوّن ١ : ٤٠ بالمئة • انه لثمن باهظ دفعناه كي ندرك الفوز المبين ، وان لم يكن ذلك تاما غير منقوص ، لكن هذا الذي دفعناه يقلّ بكثير عن نظيره : الخسار على دجلة في السنة الماضية حين كنا نحاول فك الحصار عن الكوت ، من غير نفع ولا جدوى •

وانسحبت القطعات الآن الى مستقرّاتها الصيفية ، لتستعد بعُدَدها ومددها الى بذل جهود اخرى تضطر اليها في الخريف القادم ، ان اريد لها أن تلعب الدور المناط بها في هذه (الحروب العظمى) • ان قلّة من الجند الذي شارك في الحركات التي جرت شمالي بغداد وقعت أنظارها على هذه المدينة ، نابهة الشأن ، ومردُّ ذلك الى ان غالبهم دخل المدينة في سيارات الاسعاف ، أول مرة • وبقوا في الغالب يرقبون ويتربّصون ، وأنظارهم تتجه الى الشمال الغربي ، وهم على استعداد الى المضي قدما ، مجدّدا •

---

(٥٤) أخذ الحبل بطرفيه على معنى التمسك بالعمل واتقانه • اذ الامر كان بنظره لا يستتتم الا بوصل أوله بآخره ، وهذا ما عرف به الـ (جنرال مود) وشكا منه بعض النقدة العسكريين من أبناء جلدته • (المترجم)

الفصل الخامس عشر

نشر الناموس(*) البريطاني في ولاية بغداد : من احتلال (بغداد) حتى وفاة ال (جنرال مود)

ليكن هدفكم الاعظم : ازدهار البلاد : اسبغوا الرعاية على الزرّاع وأرباب الصناعة والتجارة ، ولا تسمحوا لاي انسان ، سواء أكان من أولي الامر أم لم يكن ، بأن ينوء بكلكله عليهم ، من غير ان ينال القصاص اللازم • واذا حكمتم الناس فاعدلوا !

من خطاب ال (دوق ويلنكتن) في الهند :
٢ آذار ١٨٠٥ م

أشرنا ، فيما مضى ، الى (تعليمات) الحكومة البريطانية القاضية بالمحافظة على (الادارة) العتيدة الى أبعد حدّ مستطاع ، وابدال (الروح التركي) بالروح العربي ، شأنه كشأن (هيأة الموظفين) فيها ، سواء بسواء • كما نصّت (التعليمات) على بذل الجهود لتشجيع ممثلي الاهلين على أن يتقدّموا لمثل هذا ، وان يقصر (التعاون البريطاني) على : اسداء النصح والمشورة •

انه لصوت تناهى من (وزارة الهند) ، لكن اليد المحرّكة هي يد (سر مارك سايكس) ، وهو ذو مواهب شتى ومزايا ، والذي غدا ، اليوم ، الخبيرالخرّيتبشؤون (بلاد مابين النهرين)، غيرَ مدافَعوغير منازَع ، في وزارة الخارجية • وارتكنت (التعليمات) الملمع اليها الى أساس واهن ، ما بعده من وهن • ذلك ان (النظام التركي) ـ على ما ورد في كتاب الآنسة بيل الخالد الموسوم ب (مراجعه : Review) ص ٢٠ ـ كان معرّضا الى رفوض ، سياسية وادارية ، على حظ من خطر • فبدلا من أن يعمد الاتراك الى

(*) النفوذ على ، هو شائع اليوم •

الافادة من سطوة الشيوخ ، ولو الى حين ، التزموا بسياستهم التقليدية يكدّون بها في اصلاح كيانهم المرتجّ ويصطنعون لذلك ، على ما كان يلحظ ، تحطيم أمثال هذه العناصر البلدية (المحلية) • لذا كان (النظام التركي) يرمي الى اقلاق المواطنين العرب ويستهدفه ، لا الى ضمان الاستقرار لهم - وكانت (ولاية البصرة) ـطوال سنوات خَلَتـ ترسم صورة شاملة لحال فوضى سائدة وأمرها مريج • وبقدر تعلّق الامر بدجلة ، مردّ الشكران الى هذا (النهر) الصالح للملاحة ، الذي قامت عليه سلطة مهيمنة ، بين حين وحين ، وسخّرت الشنآن التقليدي بين القبائل الكبيرة واذكت الروح الفردي في آحاد بيوت الرآسة فيها ، وغايتها : حفظ ذلك (الكيان) عينه • أما في (وادي الفرات) فلقد زال سلطان الاتراك منه ، باعتداده اداة حقّه فعّاله ، فيما خلا كونه واسطة اثارة وتأليب •

ان « النظام الزراعي التركي » هو السبب الرئيس في اقلاق حال القبائل ، وقد وضع ، أصلا ، من غير أن ترعى الحقوق الناجمة قبل الفتح التركي • ان « القلق الزراعي » هو السبب الاول في بقاء لواء (المنتفق : المنتفك) موارا ثائرا ، على وجه دائب ، وأن يبقى (لواء العمارة) فائرا مضطربا ، ما لذلك كله من فَوَاق • وكانت هنات (النظام) المذكور تنادي طالبة الاصلاح بصوت جهير ، لذلك قام (مستر دوبس) بدراسته ، دراسة عميقة شاملة مستأنية ، خلال الـ ١٨ شهرا الاولى من احتلالنا • انه ، باعتداده (مفوّض الواردات) ، أول من بحث في الاوضاع الزراعية ، واستطاع ، بنظره النافذ ومعرفته العميقة بالعرف العشائري ، تكييف (النظام) هذا جوهريا ليغدو عمليا ناجحا • لقد برهنت النتيجة على ان خطوط سياسته العامة ، المعمول بها ، كانت حصيفة سديدة (والامور بخواتيمها) • لذلك لم تنجم على (دجلة) مشكلات ذوات خطر ، كما ان السلام أخذ يمدّ رواقه على (الفرات) تدريجيا • وجاءتنا (تعليمات) من (وايت هول) ـ من غير أن تراجع (سر برسي كوكس) أو (مستر دوبس) أو تشاورهما ـ تقضي بأن يُسار على سياسة تختلف عن السياسة التي أُنبعت في (ولاية البصرة) ، فأصابت نُجحا • ولم يرد لـ (الولاية) الاخيرة في

(المنشور) ذكر أبدا . « ان مصير البصرة » على حدّ قول جريدة تصدر في كلكته بالفارسية وتسمّى الـ (حبل المتين) ـ « هو أن تغدو صحنا على مائدة المنتصرين فذّا ! » .

ومهما يكن من أمر ، لم يبدّد زمن ما في مناقشة تلكم (النقطة) عينها . وجعلنا (تعليماتنا) القاضية بأن يستفيض لـ (الناموس البريطاني) ذكر بين الناس في (ولاية بغداد) ، على أساس من (الانتداب) ، كما كان لزاما علينا أن نرعى ، عاطفين تماما ، (التعليمات) المستفيضة المتّصلة بالطرائق الواجب اصطناعها ، على كونها بيانية تعبّر عن (روح التقوى) التي تسودنا ، وكل ذلك بقدر ما يسمح به (الاهلون) لنا ، طبعا .

لقد دعمنا (النظرية) ، من جهة ، دعما قويا ، ونحن نعلم انها لا تعدو أن تكون (نظرية) حقا ، واستطال ذلك لحين من زمان مضى على احتلال بغداد مددا . وكان ذلك بالنسبة لـ (سنجقي : لواءي) البصرة والعمارة حقا . واريد بهذه (النظرية) الابانة عن اننا لم نكن نحارب العرب أبدا ، وانما (التعاون) معهم ، لتحريرهم من الحكم التركي الفاسد ، هو همّنا وديدننا . هذا ، ومن الجهة الاخرى ، كان كل (حاكم سياسي) يحاول أن يظهر للعرب القاطنين في منطقة عمله،اننا قادرون على أن نجود عليهم بأفضل مما جادبه الترك عليهم ، في أي زمان مضى ، وكان لذلك أثره العميق في القبائل . وكمثال عليه : معاودة بناء الكوت وكان هذا من أعمال البرّ وليس بأقلّ من كونه نهجا سياسيا . وقدّر الاضطلاع به للرائد سي . اف . أ . ويلسون ، المنسوب الى وحدة (رايفلز/١٠٤) ، ومن سبق له أن مُني بجُرح في (معركة الكوت الاولى) ، وهو يحارب مع «كتيبته» ، ثم كان التحاقه بالادارة المدنية ، بناء على مقترحي في شباط سنة ١٩١٦ ، فلمع اسمه ، كحاكم سياسي في القرنة[1] .

---

(١) ما ان عرف ان قد صدرت اليه الاوامر بالشخوص الى الكوت الا اتخذ (الشيخ اكباشي السعد) ونحو ستة من ذوي الصدارة ، سبيلهم الى البصرة راجين ابقاءه في منصبه ، ثم انهمر عليّ سيل من العرائض والبرقيات من التجار وغيرهم . [المؤلف]

لم تكلفنا معاودة بناء الكوت الا ٦٠٠٠٠ روبيّه ، ولقد جرت على عِرْق من الاقتصاد والتدبير ، ووسّعت الشوارع وحُسِّنت الاسواق فغدت (البليدة) ، في غضون ستة أشهر ، أفضل مما كانت عليه في أي وقت مضى ، وكان تأثير ذلك في القبائل كبيرا • ها هنا حكومة تنشد العمارة ، وانها عليها لقديرة ، لذا لا معدى عن أن تُعبّىء جميع القوى في سبيل خير المواطن السوي • وحتى في الايام السود الشـداد من سنة ١٩٢٠ لم يضطرب حبـل الامن في هـذه (المنطقة) أبدا •

ولاسباب ستتجلّى بما سيأتي بيانه ، كانت «تعليمات» الحكومة البريطانية، القاضية بتشجيع ممثلي الاهلين على التقدم والمشاركة في العمل وحصر العون البريطاني بالنصح والمشورة ، جهد الطاقة وطوال سنين مددا ، أمرا لا سبيل الى تنفيذه أبدا • ذلك ان جلّ سَرَوات بغداد ، على ما كان مأمولا ، كانوا يمالئون الاتراك وقلوبهم تهفوا الى أيامهم دوما • واتصل حبل الود بـين (نقيب بغداد) ، رأس (الطائفة السنية) فيها وبين (سر برسي كوكس) حالا • وكان الاتراك ذوي فضل كبـير على (النقيب) ، أيام السلطان عبدالحميد ، حين كان مقدّمو السنة يتبوأون مقاما عليا[2] • انه ليستمدّ مقـامه من كونه سليل الشيخ عبدالقـادر الكيلاني (الصحيح الجيلي ، ورحم الله هذا الشيخ الزاهد الجليل : المترجم) ، ومرقده الحالي يرجع بعهده الى القرن الرابع عشر الميلادي • والسنّة تنظر اليه بعين اكبار وتجلّه ، لذا تجدهم يتخّذون السبيل لزيارة (مرقد) من أرجاء عالم الاسلام طرا ، وذلك بعد أن يزوروا (مكة) و (المدينة) ان استطاعوا الى ذلك سبيلا • ان (النقيب) وآله ذوو علم وسراوة ، لكن ناموسه (نفوذه) السياسي لم يكن عظيما • واعتـاد على أن يزمّ النفس فيوفّق بذلك بين خوالجها وبين التصريحات العامة المتّصلة بالشؤون السياسية

---

(٢) انه يعيد حديث (الطائفية البغيضة) ويزيدها تكرارا ، وهـي التـي كان المستعبدون المحتلون البريطانيون يثيرون (حزازاتها) ليسهل لهم حكم البلاد، جريا على قاعدة (فرق تسد) التقليدية • وانهـا سياسة جرت على من طبقت عليها من الامم (خطوبا شيبت رأس الوليد !) [المترجم]

الجارية قطعا • وما كان على استعداد تام للاضطلاع بالتبعة[٣] ودأب على مثل هذا حتى سنة ١٩٢٠ حين وافق ، اثر الحاح سر پرسي كوكس ، على تولّي رآسة أول وزارة في العراق • ان مقامه الديني ـ الاجتماعي السني ، والاحترام الذي يتمتع به لدى الناس طـرّا ، صيّراه فوق مستوى الشبهات وأكسبا (مجلس الوزراء) هيبة ووقارا • « ان العروراء لتعتريني » ـ على ما روى سر پرسي كوكس ـ « وأنا اراوح في خاطري ذكرى أيامي الاولى وما كانت تسفر عنه محاولاتي ، خلالها ، لو لم يدركني (النقيب) بعونه • ذلك ان كانت العزلة لازمة من لوازم شيخوخته الوقرة ، لذا كان عمله من فعال الوطنية الفذة[٤] :

فاذا نشـرت لـه الثنـاء وجـدته :
ورث المـكارم طرفهـا وتلادهـا !

وما كان يسيرا ايجاد اناس ، من خارج بغداد ، ذوي مقدرة ورغبة في التعاون الحق على تصريف شؤون (الادارة المدنية) • فاسرة (كمّونة) التي نيط بها أمر كربلاء استغلّت ، مع الاسف ، مركزها وحقّقت مآربها الذاتية ، كما انها كانت تزوّد الاتراك بالمؤن ، بمقياس كبير أيضا • ولو أعرضنا عمّا قامت به هذه (الاسرة) في باب خرق الحصار المفروض ، فمن الجلّي الواضح

---

(٣) روى لي من لا أتهم حديثه ان (النقيب) رحمه الله كان يوءثر سرا عودة الاتراك الى العراق وانه كان يسر مكنون قلبه الى من يطمئن اليه ويضمّن ذلك في بيتين من الشعر العراقي الشعبي هما :

كل يوم اگول اليوم باچـر (يبينـون)
لنطي لـ (المبشـر) بوسـه من العيـون !

والذى كان يحمله على ذلك هو شعوره الديني ومقامه ، بطبيعة الحال •

[المترجم]

(٤) راجع : Lady Bell, II, 529.

قلنا : انتقل الى الرفيق الاعلى في حزيران سنة ١٩٢٧ وهو يتزاحف على الـ ٨٦ من عمره (رحمه الله) • وعندما توج الملك فيصل ملكا على العراق أعاد (النقيب) تشكيل الوزارة لكنه كان خلال استيزاره حلس داره ، ومجلس الوزراء كان ينعقد فيه •
[المترجم]

انه لن يمر زمان طويل قبل أن تنجم ثارات جديدة • لذلك عيّن (حاكم سياسي) بريطاني، فيخريف سنة١٩١٧ ، فطابت لذلك نفوس علماءالدين الذين كانوا يتوقون منذ أمد طويل الى افول شمس آل كمّونة ـ (كذا : المترجم) • وفي غضون سنتين أخذ هؤلاء العلماء يسعون الى زوال ظل (الحاكم السياسي البريطاني) المرتّب عليهم،نفسه•وغبّ سنتيناخريينصبّ هؤلاء (العلماء)،أنفسهم، جهدهم في سبيل استفزاز الرأي العام بازاء حكومة الملك فيصل فاصابوا في سعيهم من النجح شيئا •

وفي النجف تردّت الامور فأخذت تبعث على الاسى ، اذ كان يهيمن على (المدينة) رجل يدعى : الحاج عطية[٥] ، وهو من كان قبل الحرب ، على التوالي : طريد العدالة ، فلاجئا وسجينا • ولقد نال في السجن عذابا غليظا لذلك غدا سليب العقل • وكانت البهرجة (التهريب على ما هو شائع اليوم : المترجم) من اختصاصه ، كما كان (عجمي بن سعدون پاشا)[٦] وليه الحميم • أما ممثل جيش الاحتلال الوحيد فكان (أغا حميد خان) ، وهو من ما كان ، في ميوله ، متحفظا وفي انتهاجه حيّيا ، وبذلك استطاع أن يرين على صلاب القلوب • وكان اتخذ الى النجف ، في تموز ، سبيلا • وفي تشرين الثاني حَمِي وطيس القتال وغدا كل شيء ينذر بأن الحال ستغدو فوضى كرّة اخرى • وليست التطوّرات التي جاءت في أعقاب ذلك من أمر (المرحلة) التي أقصّ عليك قصتها • لقد قيل في باب تصوير الصعاب التي اكتنفت تنفيذ (تعليمات حكومة

---

(٥) هو الحاج عطية أبو الكلل ، غفر الله له • (المترجم)

(٦) يصفه معاصره الرحالة البرطاني نابهالشأن فيلبي في كتابهالموسوم بـ : The Heart of Arabia, Vol. I, p. 257.

« انه أعظم النوابغ العسكريين ، ان لم يكن النابغة الفذ ، الذين أنجبتهم العرب خلال الحرب العالمية الاولى • ان صفاته تستأهل اعلاءا افضل وخاتمة أسعد • انه عدو ، ولكننا لا نستطيع ان نكتم اعجابنا بالطريقة التي اصطنعها في سبيل خدمة (قضية خاسرة) • لقد ثبت خلال ايام الحرب كلها في الصحراء ، وراء الفرات ، وكان دوما كشوكة في جنبنا ، عاملا يجب أن يحسب له حساب » •

[المترجم]

صاحب الجلالة البريطانية) ما فيه كفاية ٠

وعلى الفرات ، غربي بغداد ، سَخَرت (قبيلة زوبع) المشاغبة (كذا : المترجم) وتهانفت[٧] من (منشور الجنرال مود) علانيـة ٠ ان رئيسها الشيخ ضاريا (رحمه الله : المترجم) هو قاتل العقيد لجمن ، في آب ١٩٢٠ ، وانهـا كانت ترقب مجرى الحوادث ، شأنها كشأن قبيلة الدليم التي كان يرأسـها الشيخ علي السليمان ، وهو رجل صليب القلب ثبت الجنان ٠ وبقيت مساحات شاسعة من أراضي هاتين القبيلتين على جـانب الاتراك ، حتى زمان متأخر من السنة التالية ٠ وعلى ذلك كان لزاما عليهما البقاء غير منحازتين (فالجلوس على التلّ أسلم !) ٠ ومهما تكن الحال ، اقتعد علي السليمان ، منذ البداية ، مكانه الامين على الجانب السليم (كذا : المترجم) وأسدى لنا خدمات خالصـة مخلصة ، فنال عنها ، في السنين التوالي ، الجزاء الاوفى ٠

وكانت الحال ، في الفرات الاوسط ، فوضى ٠ ففي الديوانية كانت هناك حامية تركية ، عدّتها ٣٠ جنديا ، بقيت ، حتى اليوم الثاني من آب ، في موقعها ثابتة لا تتزحزح ٠ ان مردّ ذلـك الى ضابط تركي ، من أصـل جركسي ، اسمه : الملازم محمد افندي ٠ وعمد هذا الى شنق ، أو قتل ، أي ضابط من رؤسائه راودته فكرة الانسحاب ٠

وانقسم أهل السماوة قسمين : أحدهما يمالىء الاتراك ، والآخر ، برآسة السيد طفّار ـ وهو من عانى من جرّاء ميوله عنتا كبيرا ـ يمالىء الانكليز ٠ وفي خارج الحواضر استضرت (قبيلة بني حجيم) وأفلتت من زمام أية سطوة عشائرية أو غير عشائرية ٠

وما كانت مشكلاتنا على نهر ديالى بأقل من هاته المشكلات عسرا ٠ ذلك ان صدور القِنَى التي تروي بساتين البرتقال(**) في بعقوبة ، وتسقي مستنبتات الرز في المنطقة كلها ، كانت تحت سيطرة الاتراك حصرا ٠ ولم تتعرّض اي

---

(٧) التهانف : الضحك باستهزاء ٠

(**) كلمة برتقال من أصل ايطالي : Portagalle [المترجم]

منطقة زراعية الى خطر الاجتياح على أيدي حكامها القدامى بأكثر مما تعرّضت له هذه المناطق ، لذا كان اعمارها ، وهي الغنية بزراعة الرز ، أبطأ من اعمار غيرها نسبيا •

وكانت القوة الروسية مرابطة وراء جبل حمرين • وكنا ، قبل أشهر قليلة ، على ثقة من رؤيتها في (الموصل) مستقرّة ، وبذلك نستطيع أن نخفض من عدّة قواتنا في (بلاد ما بين النهرين) ، ونركّز جهدنا في سبيل دحر الاتراك في (جبهة فلسطين) • وتجلّى ، في أواسط أيار ، أن تلاشي آمال كهذه أمر لم يكن له من منتدح : كـ (لمعان سراب حتى اذا جاء أحــد وحقّق أمره لم يجده شيئا) • وكان وجود تلكم المفرزات مبعث خطر على (حركاتنا) حقا • ذلك ان التنظيم العسكري الروسي كان تنظيما بدائيا ، فالجند الروس يعتاشون على ما تنبت أرض البلاد أو تجود به حصرا ، وانهم لايدفعون، لقاء ذلك، شيئا الاّ على الندرى • وما كان لديهم أحد من (الضباط السياسيين) أبدا ، كما لم يكن عندهم (ضباط ارتباط) يتعاملون مع الاهلين أيضا • وسرعان ما نجم الاحتكاك ، وتطاير شرر الاصطدام وانقلبت القبائل على غزاتها • ولم يكن هذا الذي مُني به (ناموسنا) من جرّاء تصرّفات الروس ، أمرا هيّنا • فأينا كانوا يمرّون ، حدّث عن المسغبة واللغوب ولا حرج • انهم على غرار (ماكنة ملتون) ذات المقبضين ، تضرب مرة ولا تعود الى أخرى • ولم يبقَ على ضفتي دجلة ، بين الكوت وبغداد ، أحد من المزارعين الاّ نادرا • ذلك ان الاتراك عمدوا الى ازاحتهم منهما منهجيا ، فتفرّقوا أيدي سبا • وما كانت الحال ، شمالي بغداد ، بأحسن من ذلك الاّ قليلا ، فالقبــائل المعروفة كانت تحلّ في مناطق يسيطر عليها الاتراك بناموسهم ، على حين تفرّق مزارعوها أباديد •

وجملة القول وغايته في تلكم (الحال) المرهقة : ان السكان ، عموما ، سعوا الى تسليح أنفسهم بالسلاح الحديث والعتاد الوفير ، فهبط سعر البُنْدقية من طـراز (موزر) أو (لي ــانفيلد) ــ وكان السعر قبــل الحرب ٢٠ أو ٢٥ من الجنيهات ــ الى ٥ جنيهات ، أو أنقص منها قليلا • كما كانت البندقيات البريطانية

والتركية تلتقط من حومات(***) القتال ، أو تُسرق من خطوط المواصلات ، وهي بالآلاف عددا • أما العتاد فكان في أكداس مكدّسة لا تخطر على بال أحد قبلا • وسعيا وراء السلاح تجلّت حماسة(٨) العرب وبان مكرهم وصبرهم ، ولو وجّهت هذه جميعا لقصد أفضل (كذا : المترجم) لضمنت لهم النجح في مناشط الحياة كلها • ففي أحد المعسكرات حُفرت أمكنة كانت تواري خبيئة من ٧٠ صندوقا من صناديق العتاد ، وزيادة ، وسرقت تحت سمع الاحراس وبصرهم(٩) : (على عينك يا تاجر !) • ان قصة تروى عن هذه الحقبة لتدلّ على الاصالة التي أظهرتها تلكم القبائل الغوّارة السالبة ، وما أثارته من قلق نفساني •

وبُحث في احتمال تجريد القبائل من السلاح واستطال البحث أمدا مديدا ، لكن قواتنا العسكرية المرابطة على ضفاف دجلة والفرات ، لم تكن لتحقيق ذلك أهلا • ان كل ما قامت به (سلطاتنا العسكرية) هو شراء البندقيات والعتاد من القبائل التي ترغب في بيعها ، وتم ذلك بانفاق تلكم (السلطات) ذاتها • وعلى ذلك ابتيعت ملايين الاطلاقات وبضع مئين من البندقيات الصالحات ، الى عدد كبير من غير الصالحات أيضا • وكان ضرر هذا (الشراء) أكثر من نفعه : (كالخمر سواء بسواء : المترجم) • وما أن ارتفعت الاسعار في السوق المفتوحة الا ّ غمرتها البندقيات وعتادها معاً • وكنا نزوّد حلفاءنا في سورية من غير حساب ، وانضاف اليه ما كان يستحوذ عليه من سلاح الاتراك أيضا • وعلى ذلك أخفق المال الذي أنفقناه في بلوغ القصد المرتجى ، اذ أخذ يصرف على شراء بندقيات أكثر عددا وأفضل حالا •

وفي بغداد ، نفسها ، حام الشك وأطبق ، ولم نستطع اصدار (بيان) يفصح عن نوايانا • لقد درس ذوو الرأي الرشيد ، والبصر الحديد ، والذهن القضائي السديد : (منشور الجنرال مود) فلم يحظ منهم بالقناعة والرضى أبدا • وكان المعتقد السائد ان (الدول المركزية) رابحة الحرب ، أو ان الحرب ، على أسوأ

(***) الحومة موضع القتال لان الاقران يحومون حوله (محيط المحيط) •
(٨) الحماسة على معنى الشجاعة •
(٩) راجع Mason [المؤلف]

احتمال ، ستكون بين الطرفين المحتربين ، سجالا • ومن كان يزهو بالاطلاع على (السياسة العالمية) كان يصرّح بأن العراق عائد الى تركية ، عن تحرير بلجيكة بديلا • وساعدت الطريقة التي كانت تصطنع في تصريف شؤون (الرقابة) في العراق على ترويج مثل هذه الأنباء • ذلك ان كل بريد كان يرد من الهند كان يحمل من الاوراق قدرا يؤخّر برقيات رويتر ، وغيرها من (ناقلات الاخبار) ، اثر مرورها من (الرقابـة) في بمبي ، انها لم تلق من رجـــال (المقر العـــام) قبولا ورضى •

تلكم هي حال (ولاية بغداد) حين أبرق (سر ويليم روبرتسن) ، في الـ ١٦ من أيار ، قائلا : ان وزارة الخارجية البريطانية ترى : « ان قد حان الزمان وسنحت الفرصة لاستثمار سياستنا العربية وتنشيط حركة عامة منصبّة على ارباك الاتراك •» «ان الحركة العربية» ـ على ما ورد بعد ذلك في (البرقية) التي حرّرت و (مصر) ، من غير شك ، هي الماثلة في الاذهان ـ كانت ذ ت هدف عسكري ظاهر بيّن ، فليس من الصواب في شيء أن لا ندأب على اسداء العون اليها • » وغبّ حوار جرى مع الـ (سر پرسي كوكس) طُلب الى الـ (جنرال مود) ارســـال «خلاصة» عن الاجراء الذي سيتخذه ضباطه السياسيون لتعبئة ولاء القبائل العربية الضاربة في جوار الفرات ، وشماله ، والسعي لتوسيع ميدان الحركة عموما • وجاء ، في اعقاب ذلك ، مُقترح محصله مدّ يد العون الى المجنّدين العشائريين في منطقة مندلي[١٠] وتوثيق صلاتنا بـ (والي بشتي كوه) وبذلك ينشر لواء الامن والسلامة على خط مواصلاتنا المادّ على دجلة ، ان رجـــع الروس القهقرى • وتعارضت هذه (البرقية) في ورودها مع رسائل بعث بها الـ (جنرال مود) وحرّر فيها « الحصيلة المعتادة من وقائع الاعراب » • ولمعالجة أمرها ، على ما ذهب اليه ،

---

(١٠) هي (البندنجين) ، واسمها الآشوري (اردليكا ــ اردريكا) ، وفي الفارسية (وردنيكا) • وردت على لسان هيرودتس وقال: ان فيها عيون نفط • وتطور الاسم القديم من (وردنيكا) أو (اردنيكا) أو (اردريكا) الى (وندنيـــكان) ف (بندنيكان) ، ثم الى (بندنيج) و (البندنجين) و (مندلجين) حتى استقر على (مندلي) الاسم الحالي [المترجم]

يجد نفسه ملزما بأن يُبقي أرتالا سيارة في مواقع شتى ، على استعداد لكل اجراء فوري : وقبل الاجابة عن (البرقية) وجب القيام بحركات تأديب (كذا : المترجم) ثلاثة في : سامرا وبعقوبا والفلوجة •

ان ولوج سر مارك سايكس في التفصيلات الدقيقة المتّصلة بالسياسة البلدية (المحلية) ، اثر زيارة عابرة قام بها في سنة ١٩١٥ ، (انظر الفصل العاشر) ، كان ضغثا على ابالة ان نظر الى الحركات التي كانت في (بلاد ما بين النهرين) جارية • وردّ الـ (جنرال مود) ردا قصيرا موجزا ذكر فيه ان (سر پرسي كوكس) يذهب الى ان في المُكنة تجنيد بعض المجنَّدين فيما حول مندلي وان من الممكن حمل (الوالي)[١١] على التزام جانب الحياد في مقبل الايام ، وعلى غرار ما كان عليه في أيام ماضيات • ثم انه أرسل ، بعد ذلك ، برقية مسهبة لم يبحث في أمرها مع (سر پرسي كوكس) ، قال فيها : « ان السياسة التي يطلب منه (سر ويليم روبرتسن) الاخذ بها ليست بجلية ، فلا تثبت حقا ولا تنفي ظنا • »

« كان يمانع ، حتى هذا الاوان » على ما ورد في (التأريخ الرسمي) نصا — « في طلب انفاذ مفرزات من (قوته) لمقاصد سياسية ، اذ كان يشعر ان ليس هذا من وجهة النظر العسكرية صوابا ، اذ قــد يورّطه ذلك في حركات ليست من مُهِمْه الرئيس • وشبيه بذلك ، سعى جاهدا الى ابقاء السكان العرب ساكنين هادئين ، يعاملهم بالحسنى ما داموا لا ينحازون ، ابان الحركات ، الى العدو ، ويتعامل معهم ويتّخذهم أولياء أصفياء • كان يعمد الى قمع اي حركة عدائية ، من فوره ، بالقوة ، وبأيد غير متوان • فان لم يكن ثمة قتال دائر على مقربة من مضاربهم كانت الاعراب تجنح الى السلم ولا تبــدي حراكا ، لـكنها كانت تستفزّ ، (كالصاروخ يصعد بتضريم النار الى السماء) وتغدو على حال قلق

(١١) كان يتبع المقدم لوريمر ، حاكم العمارة السياسي ، في هذا الاوان ، نائب — قنصل في الاهواز ، على صــلة من ولاء طويل الامــد مع (الوالي) وسيبقى تقــرير المقــدم لوريمر عــن (بشتى كوه) ، سنة ١٩٠٩ ، مــن الشوامخ الخوالد في موضوعه • [المؤلف]

بمجرد وجودها في خضمّ الاحتراب • وتراءت (سياستنا) منصبّة على تجنيد أبناء القبائل في سبيل القتال تحت (رايتنا) ، على أن أمر استخدامهم في هذا الباب لم يكن أمرا جليا واضحا • وما كان مثل هؤلاء ممن يُعتمد عليهم أبدا ، وهم ، ان حاربوا في صفنا ، يوما ، شهروا السلاح ، على أكبر احتمال ، يوما آخر في وجهنا • وما كانت لهم من القيمة القتالية الاّ القليل • ذلك انهم كانوا ، باعتدادهم من الغوّارة السالبة ، الناضجة دربتها على نار الاختبار والخبرة ، يستفيدون ، وأي فائدة ، من أي جيش مُندحر ، منهار المعنوية • وما كان لهم من تأثير اطلاقا ، لكنهم كانوا يقاهرون ويثيرون الصعاب بوجه جيش منظّم لم تذهب ريحه بعدُ أو فُصمت عُراه ، ولسان حالهم :

« اذا أقبلت كادت تقــاد بشعرة
وان أدبرت كادت تقــدّ السلاسل

ومضى ال (جنرال مود) يسال : ان كانت الرغبـة متجهة الى استخدام الاعراب في تحقيق مقاصد حربية ؟! كان يدفع ، حتى ذلك الزمن ، مالا جمّا ، وقد وزّع السلاح على آحاد من ناس لم ينل منهم ، حتى ذلك الوقت ، شيئا ، جزاءا وفاقا ، الاّ ولاءا سالبا • ولسائل أن يتساءل : ألم يكن في الامكان ادراك ذلك كله بما هو أقلّ شروطا • وكانت « حرب العصابات » التي تشنّها القبائل تقلق البال وتبعث البلبال[١٢] ، لكنها لم تكن ، بذات أثر في الحركات أو ذات بال مادامت القوات النظامية مرصوصة الصفوف ، صلبة الكيان ، مستقرّة الحال • على انها كانت ، في الاحيان ، تزعج السكان لذلك لم يكن يميل الى توجيهها على الوجه الوسيع ، وكل ذلك على الرغم من انّه قد كان في الامكان بث العيون للقيام بمهمة خاصة ، كقطع خطوط البرق مثلا • ومهما تكن الحال ، ان الأخذ بالمبدأ العام ، القائل بالافادة من القبائل في الاقتتال ، يتطلّب تنظيمها بعناية وباشراف ضباط لديهم المعرفة اللازمة والخبرة العسكرية الوسيعة • كما يجب استخدامها باعتداد ذلك جزءا من (خطة عامة) متّجهة تلقاء وجهة واحدة ، والاّ فاننا نقلق

---

(١٢) البلابل والبلبال = شدة الهم والوسواس •

حال البلاد من غير جدوى ونوسّع من رقعة المناطق الموّارة ، وسرعان ما نجد أنفسنا في هوّة فاغرة الفاه ، متورّطين في حركات لا صلة لها بتحقيق (قضيتنا الكبرى) : وخُتمت البرقية بهذا :

« لو تمّ تنظيم هذه القوات منهجيا فاني أميل الى الاعتقاد بأن تأثيرها ، ان استهدفنا غايات محمودة ، لضئيل ، ومردّ ذلك الى قِصَر الوقت وفقدان وسائل التدريب اللازمة • انها ستمثّل الخطر الكامن لنا في ميدان الحركات •»[١٣]

تجلو (البرقية) هذه ايمان الـ (جنرال مود) بـ (تعليمات مكبث: Macbeth) التي « لو درست حقا لجاءت بالويل والثبور على مرسلها » ولما كانت هذه صادرة عن شخص لم تسبق له خدمة ما في الشرق ذلك انها مثل رائع وأمر عُجاب دالّ على مقدرة رائعة على التكيّف وسداد الحكم • لكنها ، في الوقت نفسه ، توحي بأنه ، وهو الذي كان يفخر بالقيام بجلّ أعمال (هيأة الاركان) ، أخذ يضطلع بالعمل السياسي أيضا ، سواء بسواء • وجاءت في أعقاب تلكم (البرقية) ، وبعد ثلاثة أسابيع على التحديد ، رسالة تفيـــد بأنه ، اثر التحرّيات التي أجراهـا (سر پرسي كوكس) ، وجـــد ان بعض رؤساء (قبيلة عنزة) ـ وهي من أكبر القبائل الضاربة بين الفرات وسورية ـ على استعداد ، لو وجدوا الظهير السنَد ، لاسداء العون لنا ، وذلك عن سبيل القيام باجراء ما بازاء السكة الحديد الممتدة في سورية ، والحيلولة دون وصول الميرة الى عدونا[١٤] • ولو عمدنا الى احتلال الرمادي لقاموا باستمالة (الدليم) وبذلك يغدو كل قاطن بين الرمادي وسنجار مواليا لنا • وكان لزاما علينا أن نستشير (قائـدنا العام) ، بمصر ، بشأن أي اجـــراء يتّخذ بازاء السكة الحديد في سورية • كما ان فرض الحصار على تسرّب المؤن الى العدو أمر يبهظ ، وقد لا يكون حقا الاّ حصارا جزئيا • وما

---

(١٣) راجع ١٧ Official History Vol. IV. [المؤلف]

(١٤) كان هناك مهرب وسيع تتسلّل منه المؤن الى الاتـراك من منطقـة الفرات ، وهو بعيد جدا عن المراكز التي يهيمن عليها البريطانيون فلا يستطيعون السيطرة عليها حقا •

[المؤلف]

كان احتلال الرمادي ، حاليا ، من الوجهة العسكرية ضروريا • كما لم تكن قبيلة الدليم ، في مثل هذا الاوان ، مصدر تعب أو مبعث قلق أبدا • وعلى الرغم من ان (سر پرسي كوكس) كان يذهب الى أن عوننا تسديه (قبيلة عنزة) ذو اثر حق واسع ، بصرف النظر عن قيمته الحربية الصرفة ، لكن الـ (جنرال مود) كان يشك في هذا الذي سنجنيه من وراء ذلك • وكان الـ (جنرال) ، في الوقت نفسه ، يقرّ بأن أي شيء تقوم به (القبيلة) المـــذكورة في (وادي الفرات) ، تلقاء كربلاء والنجف ـ والارضون هناك مفتوحة لعيون العدو ، يتنطّسون فيها الانباء ويتجسّسون ، وخاضعة لنفوذهم ـ ذو فائدة •

سنخطوا الخطوات اللازمة للاتصال بـ (أمير اليزيدية) في سنجار للحصول على معونته ، فغزو خطوط مواصلات العدو ، شريطة أن يجري ذلك بامرة ضباط بريطانيين ، ان استطعنا الى انفاذهم سبيلا • وبصدد القبائل القاطنة على الحدود الفارسية نقول : ان الاكراد الذين كنا نأمل أن يقفوا في صفّنا غدوا للروس عدوا • وما كنا بقادرين على أن نعمل ، بازاء ذلك ، شيئا ، ما لم نعمد الى احتلال خانقين ، وما كان مثل هذا أمرا ممكنا • وكل الذين كنّا نأمله هو أن يبقى (والي بشتي كوه)[١٥] ذا فضل ، محايدا •

وختم الـ (جنرال مود) « رسالته » قائلا : انه يميل الى القيام بغارات صغيرة ، في الوقت المناسب ، تحقيقا لاهداف محدّدة ، بازاء خطوط مواصلات العدو ، لكنه لا يرى تشجيع «حرب العصابات» والقيام بأعمال مريحة عديدة اذ لن يسفر عن ذلك الاّ خير قليل ، وقد يسفر عنه شرّ مستطير • ينضاف الى ذلك كله انه كان يذهب الى ان تجنيد (المجنّدين) لن يكون له النفع المرتجى ، وبالنسبة الى الانفاق عليه • وفضلا عن هذا كان يرى ان من واجبنا نشر لواء

---

(١٥) تمتد جبال (بشتي كوه) من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي ، أي من قرب مندلي الى حدود عربستان • وترجمة اسم (بشتي كوه) (ماوراء الجبال) ، وذلك من وجهة النظر الايرانية ، وبالنسبة الى سلسلة جبال ايران الرئيسة • وكانت (الولاية) التي فيها تتمتع ، منذ زمن طويل ، بشبه استقلال وتكون دويلة حاجزة بين ايران والانبراطورية العثمانية • [المترجم]

السلام في البلاد كلها ليصبح أهلها أصفياء موالين لنا • وبذلك نركّز قوانا كلها ضد عدوّنا • وتبيّن ان اولي الأمر في مصر كانوا يرون ان أي شيء تقوم به (عنزة) ، من بلاد ما بين النهرين انطلاقا ، يجب أن ينصبّ على خط مواصلات الفرات حصرا • وكان ال (جنرال مود) يتفق معهم في الاسباب التي تحمل على هذا ، على انه لم يكتم الحقيقة القائلة بأن ليس هناك من سكة حديد أو جسور سكة حديد يمكن اتخاذها هدفا محدّدا • ان النجح الذي أصابه العرب ، قرب (الجبهة المصرية) أخيرا ، هو الذي حمل (رئيس الاركان العامة في الانبراطورية[*]) على الافصاح عن أمله في أن أي اجراء عربي حق منصبّ على خط الفرات قد يجبر الاتراك على الاحتفاظ بقوة عدّتها تعادل (القوة) التي يجب على ال (جنرال مود) تخصيصها لحماية خط المواصلات تقريبا • كما بيّن ، الى ذلك ، ان (الشختاتير) العائمة في النهر نزلا هي أهداف لاحبة للعرب غير النظاميين[١٦] دوما • والى هذه المراسلات غير الباعثة على الطمأنينة والرضى ، الى حد ما ، كانت هنـــاك قضايا ، على حظ من خطر ، ذات صلة ب (الادارة المدنية) في البلاد ، يجـري البحث فيها بين (الهنــد) و (بلاد ما بين النهرين) • لقد أدّى ما جُبل عليه ال (جنرال مود) من امساك كل شيء بيديه الى صدام نجم بينه وبين (سر برسي كوكس) • وازداد ذلك حدّة بورود سيل من برقيات كانت (وزارة الخارجية) تبرقها بوساطة : (سر وليم روبرتسن) ، وزاد منه ادراك الحقيقة القــائلة : ان للحكومة البريطانية هدفين لاحبين تسعى اليهما في بلاد ما بين النهرين ، هما : كسر جيش العدو واشاعة (الناموس البريطاني) في ولاية بغــداد • وغــدا ال (جنرال مود) على ثقة من ان الهدف الثاني لن يدرك الاّ بادراك الهــدف الاول • وتوافرت لديه أسباب تحمله على أن يرقب قيام الاتراك بزج قوات

(*) يلحظ اننا نكتب (الانبراطورية) على خلاف ما هو شــائع اعني : (الامبراطورية) وذلك عـلى ما كان السـلف ، من أمثــال (المقريزي) في (خططه) ، يكتبها • [المترجم]

(١٦) راجع: Official History, IV والشختور عائمة صغيرة •
[المؤلف]

كبيرة تقف بوجهنا في الخريف المقبل . وكان يعتدّ خططه السوقية وترتيباته التعبوية[17] المنصبة على مواجهة هذه الحركات تناهض ضمان الاستقرار النهجي في المنطقة الوسيعة التي تضمّ الولايتين . وكان على اتفاق مع جميع قوّاد (فرقه) وامراء (ألويته) وكثير منهم سبقت له الخدمة على حدود الهند وفي افريقية الشرقية ، وذوو خبرة وسيعة اكتسبوها من تعرّف الاعراب السالبة الغوّارة وشيوخ من أمثال (غضبان)[18] ، وهو من تذبذب هواه ، الينا ، تارة ، وعلينا تارة اخرى : (أينما دارت الزجاجةُ دارا !)، على وفَق تقلّب الحظ بالنسبة الينا ، سعودا أكان ذلك أم نحوسا . كان الـ (جنرال مود) يضادّ ، من الصميم ، استخدام المجنّدين المسلّحين بمقياس كبير ما لم يصبح مركزنا على حال من القوة بحيث نستطيع السيطرة عليهم ، خلال الظروف التي قد تنجم طرّا . وطلب أن يُمكّن من اهتبال جميع الفرص التي تعينه على تركيز قواه كلها ، لاعداد العدّة للحركات العسكرية القابلة ، وان لا توجّه عنايته الى تبرير ما كان يُذهب اليه من ان الاعتبارات المدنيـة ، المفروضة عليه ، كانت تتعارض هي والمصالح العسكرية . كان واجبه ، كشأن رغبته ، الأخذَ بيد (الادارة المدنية) لتسير قُدُما ، فتنمو وتتطور الى أبعد حد مستطاع ، شريطة الاّ يصطدم ذلك بالمصلحة العسكرية . وكدليل على ذلك بان : ان مثل هذا النماء وذلك التطوّر حادث في كثير من النواحي حقا . لكنه كان مشفقا من اجراءات أحر ، ان صار اللجوء اليها ، اذ قد تعوق ادراكه ، بازاء العدو ، نجحا .

وكان المراد منهـا ان نكون عـلى حظ من الكفـاية الادارية ، وبقـدر ما يوءول الى حفـظ النظـام وتلبيـة طلبـات القـوات المحتلّة ، وأن يصيّر تعديل القوانين وادخال الاصلاحات في نطاق ضيّق الى

---

(١٧) في الاصـل : dispositions وهـو مصطلح عسكري يراد به التشكيل الذي تتخذه قوة عسكرية والنسب المعينة بين أقسامها ، وتوجيهها ، مع أخذ (الموقف العـام) وعاملي الزمـان والمكان بنظر الاعتبـار وعلى وفـق خطة (المناورة) المقررة .

[المترجم]

(١٨) هو الشيخ غضبان البنية من شيوخ بني لام في لواء العمارة [المترجم]

أبعد حدّ مستطاع ، وأن لا تُثار قضـايا ادارية ذوات خطر قابلـة للجدل أبدا[١٩] • لقد وضعنا (خطا) تحت «العبارة الاخيرة» التي ختمت بها (البرقية)، وهي العبارة التي صيّرتنا نقوم بأفضل ما نستطيـع في مجـال (عملنـا) •

وغبّ مراسلات أخر ، أُقرّ نهـائيا أن يرتّب (سر برسي كوكس) « مفوّضا مدنيا : Civil Commissioner » وأن يُرسل تقاريره الى الحكومة البريطانية ، شريطة أن يقدّم نسخا منها ، قبل الارسال ، الى ال (جنرال مود) ليبدي رأيه فيها ، ان وجـد ذلك لازما • وتقرر أن تُلقى التَبِعة ، الاولى والأخيرة، على (الضابط الآمر) وأن لايحدّ شيء منها ولا يُرمى الا الى قليل من الشكوك السياسية التي كانت مطبقة علينا كثيرا ، ولكنها لم تكن بأكثر مما كان يطبق منها على مصير قواتنا المسلّحة • وكانت هناك ، في الأقل ، وجهة فذّة ، من وجهات الوضع ، ذات فائدة • ذلك اننا ما كنا ملتزمين ، في هـذا الوقت ، بخطة محددة جامدة • لقد كنا نرقب ماجـريات الامور ونتخذ من الخبـرة المكتسبة دليلا مرشدا •

ولي أن أقول : ان سر برسي كوكس لم يلتزم هو ، كما لم التزم انا ، حتى مرحلةمتأخّرة، بالفكرة القائلة ان « الكفاية الادارية في حدّها الادنى ، هي كل ما تتطلبه المحافظة على النظام • » لقد طُلب الينا أن نبتعث الموارد البلدية (المحلية) الى أقصى حد لنقلّل من العبء الواقع على النقل عَبْر المحيطات وعلى خطوط مواصلاتنا • والى الخطورة العسكرية لهذه الناحية من نواحي عملنـا أشارت رسائل ال (جنرال مود) ، الخاصة ومخابراته الرسمية فكانت شهادة لنا تناصرت براهينُها وتساندت أدلّتها • وغـدت قوة السكان المعنـوية ، نتيجـة سنتين من سني الحرب ، في الحضيض الاوهد ، ينضـاف الى دلك عـدد من الثورات الموفقة المتتابعة شُنت بازاء سلطان الاتراك ومصادر السكان، وعلى ماكانوا يملكون • وكان الحاصل الزراعي سيئا كما كان حبّ الحصيد نكداً قليلا ، وخلَت الاسواق ، منذ زمان ، مما فيهـا : كالشاي والسكر والاقمشة ، وهـي حاجات ضرورية جدا • واختفت المسكوكات النقدية ، المضروبة من ذهب أو

(١٩) راجع Official History, IV, 27 [المؤلف]

فضة ، أو كادت ، وحلّ محلّها ورق نقدي تركي هبطت قيمته ، قبل وصولنا ، كثيرا ، كما انخفض هذا ، أكثر فأكثر ، اثر احتلالنا بغداد • ووجد المولجون بالشؤون الادارية ان من الضروري اعلاء سلطان القانون وأن تعود بلهنية حياة السلم في كل رجا من أرجاء المنطقة المحتلّة • وكانت النصيحة التي أســديت الينا ، من جميع الجهات المسؤولة ، تؤيد ذلك • وكان الشيوخ والروحانيون والتجّار وأهل السَعة يتوقون ، كل التوق ، الى تأسيس دوائر البرق والبريد ومخافر الشرطة وشقّ الطرق واقامة (البلديات) • وأسّست (بلدية) في كل (بليدة) على وَفْق القانون التركي ، وهو قانون كان ، على ما يبدو ، رائــع النصوص ، وما كان له ، على التقرير والقطع ، من وجود حق الآ على الندرى • وتاق الناس الى حرية بيع الاراضي والدور وشرائهـا ، كرّة اخـرى ، فطلبوا قيام جهاز اداري خاص يضفي على «معاملاتهم» ، في هذا الشأن ، طابعا قانونيا • ورغب التجّار في استيفاء ما لهم من ديون ، وأراد المالكون الاقتراض ، وتناصر الفريقان فطلبا تشكيل محاكم وملحقاتها ، بغية الاشراف على المقـاصد التي كانا يسعيان اليها • وكان هنـاك مستأجِّرون طالحـــون فلا معـــدى عن أن يخلوا المُستأجرات • كما كان من الضروري أن تتّسم معاملات الايجار بالشرعيــة وان تُنفّذ وصايا التركات • وفي حالات كثيرة حيل بين الروحانيين وبين غلاّت الوقف ، واستطال ذلك سنتين مدداً • وأُسيء التصرف ببعضها في حالات أخر أيضا • وتسرّب الفساد وعمّت الادارة السيئة في كثير من مناشط الحياة • وما كانت سياسة « القاء الحبل على الغارب laissez-faire » مما يقرّه الروح البريطاني القومي ، كما لم يكن الاهلون بمشجعي مثل هذا ، أو يميلون اليه •

واليك قبسا من خطاب بعث به (مصطفى كمال باشا) ، رئيس الجمهورية التركية اليوم[٢٠] ، الى (أنور باشا) ، في يوم الثلاثين من ايلول سنة ١٩١٧ ،

---

(٢٠) للوقوف على تفصيلات وافية راجع : Official History, app. 42
[المؤلف]

قلنا : كان ذلك حين صدر الكتاب بطبعته الاخيرة (١٩٣٦) وقد اتخــذ مصطفى كمال باشا (١٨٨١ـ١٩٣٨) ، بعدئذ ، لقب (أتاتورك) • وهو=

بشأن الحال التي كانت سائدة في تركية ، أي في الوقت الذي كنا نسعى فيه الى لمّ شعث الحكم في بلاد الرافدين ، عينه . ان هذا القبس لحق ، يستأهل درجه فيما يلي السطر :

« ان القضية التي تعتد أشدّ القضايا حيوية اليوم هي قضية التحرّي عمّا يجرى في (الادارة المدنية) وفي صفوف الشعب . نحن نروم الحفاظ على البلاد ، فلو تعرّضت ناحية واحدة منها لتأثير الاجنبي وادارته، لهُدرت حياة الانبراطورية كلها وأُجهز عليها .

علينا أن نقررّ ، من فورنا ، على ما أرى ، تقوية الجهاز الاداري وضمان سلامة الحياة داخليا . اعدّوا الضباط لقوة الدرك ال (جندرمة) وعاودوا تنظيم القضاء الى أقصى حد مستطاع . ساعـــدوا التجارة وزيدوا من موارد القوت واجهزوا على الفساد المستشري ، أو ، في الاقل ، صيّروه في أضيق نطاق ، كل ذلك كي ترتكن البلاد الى أساس رصـــين مكين ، وتنطلق الى العمل المثمر المبين . ولو جاءت الحرب ، على امتدادها ، بمصائب أكثر وكوارث أشدّ ، فاننا ، بما ذكر ســـالفا ، نضمن وقوف الشعب ، كالبنيان المرصوص ، خلفنا . يجب أن لا تتركه مهيض الجناح أبدا » . لقد تجلّى مصطفى كمال باشا ، مُذ يومئذ ، باعتداده رجل دولة تركيا لا يُبارى ، ولعله ، على مثل هذا ، في الشرق الاوســط أيضــا . ان توكــيده (الجهاز الاداري) ، باعتــداده (قائد الجيش السابع) ، في ساعة عسرة من ساعات الوغى ، لدليــل على سداد السياسة التي انتُهجت في (بلاد ما بين النهرين) وانصبّت على تنظيم جهاز اداري ذي كفاية ، قائم على أساس متين .

= موءسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها . كان قائد الفرقة الـ ١٩ التركية التى أبلت بلاء حسنا فى معارك الدردنيل ، وعنـــدما عقدت (الهـــدنة) فى مودروس (تشرين الاول ١٩١٨) كان مصطفى كمال باشا قائد الجيش السابع فى سورية وفى الوقت الذى حرر فيه كتابه كان يستطلع حـال الانبراطورية العثمانية ، على حقيقتها يومذاك ، ويستثير دفينها . [المترجم]

وعلى الرغم من شعور ال (جنرال مود) ، على ما وضح لك فيما مضى ، بعجزه عن احتلال الارجاء القاصية ، خلال صيف سنة **١٩١٧** ، حقا اذ كانت الحال أشدّ ما تكون عسرا ، كما كان الخطر الداهم بنا محدقا ـ لكننا دأبنا ، خلال سنة **١٩١٧** كلها ، على السعي ، بعزيمة حذّاء[٢١] في الجهـــات كلهــا • وفي أيار رُتّب (مستر نالدر) حاكما سياسيا عــلى بعقوبا ، كما رُتّب (مستر ووكر) مساعدا له على شــــهربان[٢٢] وجلّ السكان فيهما من المزارعــين ، تنضاف اليهم عشائر بدوية أيضا ، لكن التنظيم العشائري كان واهن الشـــأن صعيفا ، وما كان للشيوخ من النفوذ الاّ القليل ، وكانوا يراجعون الحكومة لحسم منازعاتهم • ويسكن فريق من القبائل التي ذكرناها آنفا ، الاراضي المحتلّة من قبلنـــا • كما كان يسكن فريق آخر في الاراضي الخاضعة للنفوذ التركي • وكانت القبائل هذه تنشطر، بسبب مما ينجم بينها من ثأر وسفك دم، وهذا صيّر الحفاظ على الامن ، على الطرق ، أمرا عسيرا • وما ان تعمد قبيلة منها الى الهجوم على قافلة وتسلبها الا تسعى جاهدة الى القاء جريرتها على قبيلة اخرى • وكانت (عنزة) و (الجُبار)، خاصة، مُحتَربتين ، ولم تتصالحا الاّ في أواخر سنة **١٩١٩**• وتمّ الصلح على يد الرائد باريت : الحاكم السياسي المنسوب الى الدائرةالسياسية في بمبـــي •

ولم يتم احتلال خانقين الاّ في سنة **١٩١٧** • وأُفد (الرائد سون : حاكم مندلي السياسي) لاقامة حكومة مدنية فيهــا ، وكان القيام بمثل هــذا عسيرا معسرا • ذلك ان الارضين المحيطة بها كانت مكتسحة من قبل الروس والاتراك معا ، وما جرى ذلك مرة واحدة حسب ، بل مرات • وكان القوت نكدا شحيحا ، كما كان الهلاك من جوع شائعا دارجا • ولم يبق من أهل المنطقــة الا الثلث تقريبا ، وولّت بقيتهم، من الاضطهاد، فرارا • ولم نلق من الترحيب، في أي مدينة من مدن (بلاد النهرين) دخلناها ، كمثل الذي لقيناه في خانقين • قاست القبائل

---

(٢١) العزيمة الماضية التى لا يلوى صاحبها على شيء •
(٢٢) هلك بداء (ذات الجنب) فى الموصل فى ٢٦ـ١١ـ١٩١٦ •
(المؤلف)

العنت كثيرا ، واعتادت على الانقضاض على المستوطنين ، من غير رادع أو وازع ما ، في الارجاء طرا • وحُدّ من فعالها هذه الى حد ما ، لكنه لم يبلغ مبلغ القمع النهائي أبدا • وتم ذلك على يد ثلّة من ال (شبانة) الاكراد ، كانت بامرة ضباط بريطانيين ، من بينهم النقيب كبرد[٢٣] • وما كانت مشكلاتنا ، عبر الحدود ، بأقل من ذلك حدّة • ذلك ان تصرّف حلفائنا ، الروس ، لم يكن ليقلّ عن تصرف الاتراك ، سوءا ، وهذا وضع ، في يد جواسيس الالمان ، سلاحا ، عمدوا الى الافادة منه دراكا • عرقلت هذه الحال ، المقرونة بفقدان الثقة بنوايانا ، مساعي (الرائد سون) المنصبّة على استقرار الوضع المعتاد ، وذلك على الرغم من تسلّحه بمعلومات فذّة شاملة حياة الناس ولغتهم وعاداتهم جميعا • كان يعرف كل شخصية ذات خطر ، هناك ، ولم يمر زمان مديد الاّ اكتسب (الرجل) هيبة ، وناموسا عظيما ، ولنا أن نقول واثقين مطمئنين انهما لن يذهبا عن مواجيد النفوس وخواطرها قبل أن يمضي جيل ، أو زد عليه أيضا • ان كتابه الموسوم (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان : Through Mesopotamia and Kurdistan in Disguise[٢٥] لا يرسم الا صورة باهتة لشخصية (مؤلفه) الطاغية المتمردة • واستغل الجواسيس الاتراك والالمان (منشور) ال (جنرال

---

(٢٣) قتل قرب تبريز سنة ١٩٢٠ • [المؤلف]

(٢٤) كن الفيلق القفقاسي الاول بقيادة الجنرال باراتوف في هذه الجهة وقد خصص لمهاجمة وسط العراق على ان يعمل على محور كرمنشاه ـ خانقين ـ بغداد ، وخيالة هذا (الفيلق) كانت من القوزاق وهي تجتوي جوّ العراق الحار القاسي بالنسبة لها قام تندفع في اداء ما أوكل اليها • كما كان التعاون بين الانكليز والروس ضعيفا ، وذلك على الرغم من وجود (ضابط ارتباط) روسي في مقر (القيادة العامة للقوات البريطانية في العراق) • ومرد ذلك الى تضارب مصالح الطرفين في (الشرق الاوسط كله • وقد هجمت قوات باراتوف على فصدت في (معركة خانقين : ٣ حزيران ١٩١٦) واضطرت على التراجع داخل ايران • وقام الفيلق التركي/١٣ ، بقيادة اللواء علي احسان پاشا بتعقيبها حتى بلغ همدان واحتلها في ١٠ آب ١٩١٧ ولم ينسحب منها الا عندما اصاب الجنرال مود نجحا في جبهة دجلة وعبر من عطفة شمران (المترجم) •

(٢٥) نحن قائمون بنقله الى العربية وتحقيقه والتعليق عليه وسيكون في متناول ايدى المعنيين قريبا ان شاء الله تعالى (المترجم) •

مود) الموجّه الى العرب القاطنين في هذه (المنطقة) بوجه يتنافى مع مصلحتنا ، اذ بيّنوا ان الاكراد أُغفل ذكرهم فيـــه ، وان كان له مدلول ما فهو وضعهم تحت أقدام العرب الذين يجتوونهم ويزدرونهم (كذا والعكس هو الصحيح : المترجم) دوما •

وكنا نحتل على دجلة (سامرا)[٢٦] ، لكن قرب الاتراك منا حال دون أن نمضي ، في أية جبهة ، قُدُما • وكان ثمة شح في « حب الحصيد » ، وامتنع العرب ، بتأثير من خبرتهم المريرة الناجمة عن طرائق الاتراك ، عن زرع الصحاري ، كما كانوا يعدمون الحيوانات التي تسحب الفـــدان حقا • وكان جل سكنة الحواضر ، أو الصحراء ، على المذهب السنّي ، جانحين الى الاتراك جهرا • وبعث وجود قوات بريطانية في المنطقة شـغلا شاغلا ، وما كان هذا أمرا مستحبّا ، فلقد تطلّب اجراء التحريات في شكاوى الجهتين ، والتوسط بين الاهلين والجيش • لقد أُغلقت الطرق العسكرية التي سبق شقّها ، على استعجال ، ومردّ ذلك الى كثـــير من القِنَى الصغيرة ، كما عمد المزارعون السُذّج الى حفر الاخاديد التي تخترق الطـــرق ، على ما كان يحلو لهم ، وجرى ذلك ، بقصد ارواء أراضيهم ، ليلا • وما كان شقّ جميع الجداول بالامر الهيّن اليسير ، كما لم يكن ذلك ، أول الامر ، بالحل التام • ذلك ان الاعرابى ان وجد الجدول أصغر مما يروم ، فلن يأبه الى ما قد يترتّب على توسيعه ، أو تخريب الطريق أبدا • وتطلّبت مثلُ هذه الامور ، وما هو أقلّ منها شأنا ، صبرا لا ينفد وحصافة أذهان حـــداد • وكان (الضباط الاركان) و (مديرو الاشغال) ينوؤن ، في الاحيان ، بتبعاتهم الجسام ، شأنهم ، في ذلك ، كشأن الشيوخ البلديين (المحليين) سواء بسواء •

وما كانت مشكلاتنا في (الفرات الاعلى) مختلفة عن هذه كثيرا • ذلك ان (وضعنا) ، بنظر العرب ، حتى احتلال الرمادي في ايلول سنة ١٩١٧ ، لم يكن

---

(٢٦) من المفارقات الطريفة : ان الجيش البريطاني عندما احتل (سامراء) استحوذ على صناديق مليئة باللقط الاثارية التي عثر عليهـا (هرسفيلد) في حفريات (دار الخليفة) ، وعدتها ١٥٠ صندوقا ، واعتدها (غنائم حرب)واهداها الى المتحف البريطاني في لندن ، فتأمل !! (المترجم) •

يبعث على الطُمأنينة والرضى • كما كانت (قَبيلة عنزة) التي يرأسها (فهد بن هذ"ال) تتشامخ علينا ، على حين كانت (الدليم) خاضعة للنفوذ التركي غالبا • وكانت طلبات الجيش من الماشية ، تصيّر قطعانها في نضوب ذي خطر ، كما كان الحصار المضروب على الارضين مبعث قلق واضطراب بالنسبة الى القبائل أيضا • ومُنح (الرائد ماكفرسن) ، الذي صحب القطعات الى (الفلوجة) باعتداده (الضابط السياسي) ، اجازة مرضية ، في أيار ، فحلّ محلّه (العقيد ليجمن) • وكان كل منهما على اطلاع تام بشؤون البلاد ولغتها •

وتراءت مشكلة السلم في الفرات الاوسط أشدّ مما تكون اعضالا وعسرا • ذلك ان سكانه كانوا من المتبدّين شطرا ، ومن المستوطنين شطرا ، وما كان سلطان الشيوخ عليهم قويا • ونيطت شؤون المنطقة بـ (ماكفرسن) ، اثر عودته من الهند في تشرين الاول سنة ١٩١٧ ، وبعون من مساعديه في (المسيّب) و (الهندية) و (كربلاء) استطاع أن ينجز عملا رائعــا • لكنه لم يستطع أن يقوم في الديوانية ، خلال سنة ، بعمل ما • لقد كان فيها معتمد حكومة عربي عُيّن في وقت حاصر الاهلون ، خلاله ، مفرزة حامية تركية ، والمدينة على حال لا توصف من هرج ومرج • وكان (المعتمد) هذا اشبه شيء بريشة في مهب الريح ، ريح المكايد البلدية (المحلية) ، وما أن عجز عن بلوغ (مقرّ وظيفته) الا اتخذ (الدغّارة) له مستقرّا ، لكنه ، على غرار (حمامة نوح) لم يجدها مكانا آمنا مطمئنا • وطلبت القبائل ، لقاء الحفاظ على الهــدوء والسكينة ، معاشا ، وذلك على الرغــم من ان احترابها ، كان ماضيا دؤوبا • وحاصرت (المعتمد) ، المذكور سالفا ، في (السراي) واصطنعت له نمطا من التعذيب هيّنا ، اذ منعته من النوم واتخذت لذلك اسلوبا يسيرا حين أخذت تهوّس على سطح البنـاية التي كان يحل فيها ، وفيما حولها ، واستدام ذلك حتى مجيء المال وعند ذلك سمحت له بأن يذهب راحلا •

وكان (حميد خان) يمثّلنا في منطقة الشامية ، جنوبي الحلة • وبقي على هــذا حتى تشرين الاول سنة ١٩١٧ • انه ابن عم (أغا خان) ، وكان مقرّه

(النجف) ، كما كان لدينا (وكيل) نصراني عربي في (الكوفة) • وحتى كانون الاول من السنة نفسها لم يشاهد جندي بريطاني واحد في أرجاء الفرات كلها • وكان مردّ الناموس الذي تمتّع به (حكامنا السياسيون) الى القوة المعنوية حصرا • لقد أظهرت الثورات الخطيرة التي اندلع لهيبها في النجف انه لا سبيل الى ترك الفرات وشأنه أبدا • ولم يستطع (حميد خان) ، وهو من لم يكن ذا سطوة مُرتكنة الى قوة ، معالجة الحال ، فرجا (المفوّض المدني) قبول استقالته • وطلب (الاخير) من (القائد العام) تخويله أمر انفاذ (حاكم سياسي) فارسل اليه (النقيب بلفور) ــ وهو موظف كبير مقتدر منسوب الى (الخدمة المدنية السودانية) ويتكلم العربية بطلاقة ــ على (الشامية) حاكما ، وتقع النجف على حافتها • وقام (النقيب بلفور) بجولة تفتيش ابتدائية بغية تعرّف الامور في المنطقة ، وما كان يحرسه خلال جولته الاّ شيخ عربي واحد • وزار النجف في طريقه نُزلا ، وقام بمصالحة (عنزة) مع أهلها ، وجعل على (المدينة) شيوخا يقومون بدفع التعويضات الى القبائل ، ثم انه خلف فيها (حميد خان)، باعتداده نائبا له ، وداوم على طوافه في المنطقة ، وغبّ يومين اثنين عاد ليجد (الحلّ) الذي جرى ــ وكانت عنزه فيه طرفا ، لم ينفّذ أبدا ، ولم يقدم عليه غير شيخين من شيوخ (المدينة) أعني : الحاج عطية وكاظم الصبي • ان محاولة الضغط عليهما سبّبت نشوب ثورة كان (الحاج عطية) يؤجج نارها سرّا • وبقي (النقيب بلفور) في (مقرّه الرسمي) وجموع الناس تتدفّق على (السراي) ، على ثلاث موجات دواما • وأخيرا ، وافق على الرحيل ، يحميه ال (كليدار) ، متخذا السبيل الى بيت (الاخير) وما كان عن (السراي) ببعيد • لم تخمد الثورة بمجرد نهب (سراي النجف) اذ نجمت اضطرابات مماثلة ، في آخر ذلكم اليوم ، في الكوفة • فلقد استدعى (ممثل الحكومة) فيها الشيوخ البلديين (المحليين) وسيطر على الوضع • وفي (أبو صخير) ، وهي على النهر نُزلا ــ وحيث كان يؤمّل أن يجعل (النقيب بلفور) مستقرّه ــ لم يكن ثمة موظف حكومي يعالج أمر الثورة لذلك أفرغ السراي مما فيه نهبا •

وانثنى (النقيب بلفور) ، ولا يزال من غير عون عسكري ، الى (الشيخ المجتهد كاظم اليزدي) ينشد منه الانجاد • واثر نصيحة أسداها (الاخير) ، طلب كل من (عطيــة) و (كاظـم الصبي) العفو فمُنحاه • وعادت الامور في (البليدة) الى مجراها واستوسق الامر فيها • وكان الشيوخ في المناطق الريفية على تطهير القِنـى دائبين ، ينفقون عليه مالا اقترضوه منا ، وجرى ذلك قبل أن يبذروا « حب الحصيد » الذي كانت (الادارة المدنية) على استعداد لتزويدهم به • كان هؤلاء الشيوخ موالين لـ (النظام القائم) ، وهم له سند وظهير •

وصيّر (النقيب بلفور) الكوفة مستقرا له • ولما كان أمر الحصاد ذا خطر لذا وجب أن لا يترك الى نوايا الشيوخ الطيبين حسب ، والى السادة الـلاّكين والروحانيين من الشيعة ، أو الى ناموس (نفوذ) عجمي (يريد الشيخ عجمي السعدون ـ رح ـ : المترجم) العدائي المتاخم معرّضا • وزار (سر پرسي كوكس) وادي الفرات في الاسبوع الاول من كانون الاول ، وبناء على تقرير رفعه الى (القائد العام) وضعت حاميـــات صـغيرة في كل من الحلة والكفل والكوفة و (أبو صخير) • وكان (سر پرسي كوكس) يرى ان ليس من سداد الرأي وضع حامية في النجف • ذلك ان عـــدّة سكانها كانت تربو على ٤٠٠٠٠ نسمة فلا معدى عن وضع قوة كبيرة فيها ، كما رؤي ان وجود « قوة مختلطة » في الكوفة الكائنة على بعد سبعة أميال منها ، سببٌ في تهدئة الحال فيها • ولم يقدم (الحاج عطية) ، على ما أمر به، للقيا (سر پرسي كوكس) في الكوفة ، بسائر الشيوخ والمدنيين مصحوبا • وكانت حجته في هذا انه يشفق من مكيدة ما • وسعى الى أن يراه في النجف فقيل له : عليك أن تتخذ ، لذلك ، الى بغداد سبيلا • وعلى الرغم من ضروب التطمين جميعا تجلّى انه لبَث يتربّص خائفا ولا يريد أن يرى أحد وجهه ، ببغداد ، أبدا • وعُلم اليوم ، وان لم يعلم يومذاك ، ان من المحتمل اتخاذه السبيل الى لقيا (عجمي) ـ وهو من عاد من زيارة الاتراك في

(هيت) أخيرا ، يحمل مالا وفيرا ـ فشُنّت عليه دعاية قوية من قبل القطعات البريطانية[٢٧] .

وانجلى لنا عمود الحق في أن القيام بحركات عسكرية ضـــد الاتراك ، واحتلال المدن الرئيسة في الفرات الاوسط، أمر ضروري، ان أردنا للوضع تحسّنا. وكانت (هيـــأة الضباط الاركان) تعلّق أهمية بالغـــة على اصـــلاح (سدّة الصقلاوية) ، والظاهر ان ال (جنرال مود) كان على ثقة من خطر ذلك تحدوه عليه أسباب سوقية . وكان يؤثر ، على ما يلحظ (المؤرّخ الرسمي : جـ٤ ص٢١) تركها باعتداد الاسباب التعبوية ، اذ لو طما ماء القناة وفاض لغمر المنطقة الكائنة غربي بغداد كلها. لكن الفكر انصرف الى ان الفيضان هذا ، ان لم يُسيطر عليه، قد يهدّد سكتي حديد (سامرا) و (المسيب) بخطر ما ، فتغـــدو (الفلوجة) في معزل . وفي ضوء خبرة كانت حصيلة سنوات عشر ، نعلم ، اليوم ، ان تلـكم المخاوف ليست في محلها ، وان سدادا بلدية تكفي للسيطرة على الفيضان وابقاء الطريق المادّة الى الفلوجة مفتوحة ، ولحماية المسيب أيضا . وبهذا لن يتأثر ، بأية حال من الاحوال ، خط سامرا . وكان في الامكان الاتصال بـ (سر ويليـم ويلكوكس) في القاهرة ، وبالنظر الى ما أجراه من مسح مفصّل قـــدّمه الى (الحكومة التركية) قبل الحرب ، كان من المستحسن استدعاؤه ليسدي المشورة اللازمة . لقد ’رفض مُقترح” مُفاده الاستفادة من عونه ، شأنه كشأن اقتراح انصبّ على اعارة خدماته مجانا ، قُدّم بعد أشهر ، أيضا .

وجرت ، في أحد الفصول الاربعة ، محاولة احتلال (ذبّان) . انها على بعد عشرين ميلا ، الى الجنوب من الرمادي ، وكانت الغاية من احتلالها «تغطية» عمل الجماعات الناشطة في بناء (سدة الصقلاوة) . وكان ال (جنرال مود) يصبو الى أن يقترن احتلال (ذبّان) بضربة تنزل بالرمادي . وتمّ الاحتلال المرتجى على يد ألف جندي من حملة البندقيات ، معهم ستة مدافع ، لكن (الجنرال) لم يكن راغبا في أن يكون ذلك مستداما . وسجل (المحرار : ترمومتر) الرسمي

---

(٢٧) راجع : Review (المؤلف) .

بغداد : ١٢٢ درجة في الظل يوم الـ ٨ من تموز ، وهو اليوم الذي اختير لشنّ الهجوم • وبلغت درجة الحرارة في الخيم والملاجيء : ١٠٣ ، وفي الشمس ١٦٠ • وبالنظر الى وديقة الشمس وأوارها اقترح الـ (جنرال مود) أن تقتصر الحركات على احتلال (ذبّان) ، لكن (القائد المحلّي) حمله على اطلاقها • وشُنّ الهجوم يوم الـ١١ من الشهر فباء باخفاق وقاسى الجنود ، من الوديقة والاوار ، رهقا على رهق ، وما أن حلّ المساء الا كانوا منهوكي القوى غير قادرين على القيام بأي شيء آخر أبدا • واعترى بعض الجند الخَبَال ومات آخرون وهم عطاشى • وكانت عدة من هلك ، بسبب من ضربات الحر ، كثيرا • وكابدنا خسارا بلغت عدته : ٥٦٦ ، كان من بينهم ٣٢٩ بسبب من الحر حصرا •

وقبيل انفجار الصبح من يوم الـ١١ انسحبت القوة الموجودة قبالة الرمادي ، ولم يقم الاتراك بأي شيء يعرقل انسحابها ، لكن الاعراب الذين كانت عدتهم ١٥٠٠ انقضوا على مؤخرتها مرارا • وتواصى آحاد (القوة) بالصبر على ما منوا به من خسران عظيم • وكان الـ (جنرال مود) ، في الوقت نفسه ، على اتصال دائب بـ (سر وليم روبرتسن) ، وكان محور (اتصالاته) القضايا السوقية المتّصلة بـ (حملة الشرق) ، وهي كبيرة • واقتباسا من (التاريخ الرسمي : ٤/٣٢) نذكر : « ان (هيأة أركان الانبراطورية) كانت تؤثر ، بالنظر الى الوجهة العسكرية الصرفة ، الاخذ بخطة دفاع نشيط ، لا الهجوم ، ميدانها : فلسطين وبلاد ما بين النهرين • ذلك ان مثل هذه (الخطة) تساعد على تجميع قوات بريطانية أكثر، تقف بوجه العدو في (الجبهة العربية) ، على حين كانت (الحكومة البريطانية) ، من الجهة الاخرى ، تشك في امكان الحصول على قرار ما يتصل بمأزق الغرب الحرج ، وترى ان الفوائد المعنوية المنبثقة عن التقدّم في فلسطين وسورية تجود بعون محسوس ملموس • أما في بلاد ما بين النهرين فان من العوامل الرئيسة التي كانت تسدد خطانا هو : «القلق على سلامة الهند • »

عسير أن تؤخذ (العبارة الاخيرة) مأخذ الجدّ ، فالهند قد ذوت ونضبت مواردها بسبب من الطلبات التي كانت تنثال عليها من (بلاد ما بين النهرين) ، أعني: طلبات ارسال الجنود والعتاد . وما كنا ، في فارس ، بمسيطرين ، لكن سر پرسي سايكس كان أصاب نجحا عظيما . يظهر من ذلك جليا ان (بلاد مابين النهرين) أصبحت ، في هذا الاوان ، على غرار سوريّة وفلسطين ، هدفا ، منفردة عن الحملة الرئيسة الدائرة في أوربّة . ذلك ان تركية ، في مثل هذا الزمان عينه ، كانت تشاغل ، على جبهتين ، قوات بريطانية تزيد على قواتها كثيرا ، ولهذه ، على ما لا يخفى ، فائدة عظيمة بالنسبة الى حلفائها في أوربّة . كان يقف ، بازاء كل تركي مسلح ، اثنان من محاربينا ، ونحو أربعة من غير المحاربين ، باعتداد « قوة الجراية » عندنا . وكان كلُّ مدفع تركي يجبه ثلاثة من مدافعنا ، على حين جرى تحويل نصف مليون من الاحمال ، المنقولة عبر المحيطات ، وعدد لا يعدّ ولا يحصى من السفن الجاريات في النهر ، وملايين الاميال من زُبُر قضبان السكة الحديد ، وردت من الجهات الحربية ، المتّسعة بالضرورة الملحّة ، الى جهات أُخر . كل ذلك حفاظا على قواتنا التي تجبه قوات تركية بثبات .

وتقرّر أن يُعزّز الـ (جنرال مود) بكتيبة من الخيالة وبطرية من المدفعية كانتا مرابطتين في فرنسة ، وبكتيبتين من كتائب الخيالة من الهند . كما تقرر استبدال النقل بالبغال بالنقل على سيارات فورد ، توسعةً لقطر حركته ، واقتصادا في نقل العلف . وكان في الامكان الحصول على النفط من (عبادان) بأية كمية تراد . وباحتساب الـ (طن ـ ميل) كان مداه أبعد مما كان عليه عشرين مرة . وفي ايلول تقرر ارسال فرقة جديدة ، أعني (الفرقة/١٨)[٢٨] ، ومدافع أكثر ، وبطريات آلية ، مسلّحة خفيفة ، أزيد عددا ، الى رشاشات وسرايا ، كي تصل بلاد ما بين النهرين في أوائل سنة ١٩١٨ جميعا .

وفي ايلول وصل (جناح جوي) اضافي وأعني به : الجناح الـ٦٣ . وكان

(٢٨) راجع : H.D. Fanshaw (المؤلف) .

مدّ السكة الحديد جاريا على استعجال، ذلك ان خطا من بغداد مُدّ الى بعقوبا ، مقياسه قدمان وستة انجات ، ومنها امتد خط سكة خفيفة ، خلل شهربان ، حتى نقطة تقع عند أقدام جبل حمرين • كما مُدَّ خط ، مقياسه العريض (أربع أقدام وثمانية انجات وثمن الانج) وأعني به : خط بغداد ــ سامرا • وجرى مدّ الخط الى الفلوجة في كانون الاول • وفتحت الفرضة الجديدة عنـــد (نهر عمر) في تشرين الاول ، وأكمل وصل السكة الحديد بالبصرة والعمارة والجسر العائم ، عبر (كرمة علي)(٢٩) وهي فرع من الفرات • وكانت سكة حديد البصرة ــ الناصرية تعمل على وجـه حَسَن ، وشُرع بمدّ خط من الكوت الى بغداد •

وأصبح الـ (جنرال مود) ، اليوم، على استعداد لانزال ضربته، وكانت ضربة ايدة قويـــة • ففي الاسبوع الثـــالث من ايلول كانت (الفرقـة ١٥) ، بامرة الـ (جنرال بروكنك)(*) ، متجمّعة في (ذبان) و (الفلوجـــة) • وما أن برد الطقس الا حان أوان حركة تمضي الى قُدّام • وفي ليلـــة الـ ٢٧/٢٨ من ايلول ، وبعـد أن أعدّت العـدّة البيّنة للهجوم على ضفتي الفرات ، تقـدّم الـ (جنرال بروكنك) الى النَشَز المسمّى (مشيهيد) ، وهو كائن بين (بحـيرة الحبانية) والنهر • وما أن تمّ ذلـك الا بُعث بلواء الخيالة السادس ، وكان بامرة الـ (جنرال هولاند سپراير) ، ليسير على دورة وسيعة بغيـــة قطع خط

---

(٢٩) كان هذا الجسر من روائع صنيع الهندسة • وان عمق النهر وسعته كانا يجعلان من المستحيل نصب جسر مستدام عليه اذ ان ذلك يؤدي الى قطـع انسياب السفن فيه • وكان معدل ارتفاع ماء المد وهبوطه ٩ اقدام • وشيد الجسر من عوامات ارسيت على الجهة اليمنى ، عبر مجرى النهر ، وذلك على خلاف من القواعد المتبعة في نصب الجسور العائمة • واستفيد من العوامات اخيرا وذلك في نصب الجسر الجنوبي ببغداد وهو الذي غرق، ذات مرة، ابان نصبه، ثم تحطم كليا بعد ذلك • وجرى استبداله بـ (جسر مود) الذى لقي المصير نفسه أبان فيضان ربيع سنة ١٩٢٣ (المؤلف) •

(*) يلحظ أن الحركات، التي جرت بامرته، لا نظير لها في حركات البريطانيين في العراق اذ امتازت بالسرعة والدأب والعنف ومرد ذلك الى شخصية هذا القائد الذى وصفه (مود) بانه « من يلتهم الثمرة والنواة ايضا » (المترجم) •

الاتراك ان أرادوا الانسحاب ، غرب الرمادي ، فمهاجمة مؤخّرتهم • وأُنجز ذلك وعقربا الساعة يشيران الى الرابعة من بعد الظهر ، كما قطع خط البرق أيضا • ذلك ان (الآمر) حرّك اللواءين (ال/١٢) و (ال/٤٣) الى الارض الكائنة جنوبي الرمادي، وتقدم على العدو زحفا، وكان في مواقعه المحيطة بالمدينة مسمّراء • ثم حلّ الليل ، فحاول الاتراك ، في ضوء القمر الآلق اللألأ ، اختراق صفوف الخيالة ، مرّة بعد مرة فكان نصيبهم الاخفاق كل مرة ، لذلك انسحبوا الى (هيت) •

ونشب قتال مرير ، فبلغت عدّة ضحايانا ، بنتيجته ، نحو : ١٠٠٠ ، جلّهم جرح جرحا يسيرا • وفي الساعة ال١١ صباحا ، سلّم (أحمد بك) وآحـــاد قوته ، وعدتها ٢٥٠٠ ، جميعا • وخُمّن ما غنمناه ب (١٣ مدفعا) و (١٢ مدفعا رشاشا) و (زورقين مسلّحين) و (جنيبتين) وكمية من العتاد كان مقـــدارها كثـيرا •

كان صنيعا رائعا ، قويم الاعداد ، أيد التنفيذ معا • ومن ولّى من الاتراك فرارا ، وقليل ما هم ، صيّرهم حلفاؤنا (الدليم) «ربيّ كما خلقتني» عرايا • وغبّ ذلك ، لم تتر تلكم (القبيلة) مـن مزعجات أكثر مما أثارتها قبلا • لقـد اعتدّت (فوزنا) فوزا مبينا حاسما• ويظهر من رواية الاتراك عنه: انهم لم يوهنوا من خطره ، وذلك بقدر تعلق الامر بمقرهم العام ، وهو الذي خول آمر (بقيـــة السيوف) صلاحية الانسحاب من هيت ان هوجم بقوة تفوق قوته عدّة وعددا •

وكان ال (جنرال مود) على جناحنا الايمن ، سواء بسواء ، نشطا • وتمّ احتلال (مندلي) ، يوم ال٢٨ من ايلول ، على يد (لواء الخيالة السابع) ، وكان بامرة ال (جنرال بورتن) ، من غير مقاومة تقريبا • وبذلك فقد الاتراك أفضل مصادر تموينهم • ورُتّب (سون) عليها (حاكما سياسيا) • وغدت (قزل رباط) ـ (السعدية اليوم : المترجم) ـ و (خانقـــين) مفتّحة الأبواب أمامنـا ، لـكن ال (جنرال مود) لم يحرّك ، لحين من زمان ، ساكنا • وتظـافرت المعلومات ، المتيسّرة عندنا ، على ان الاتراك يحاولون استرداد بغـداد حقا • ولم يقرّر

(أنور باشا) ، حتى وقت جاء في أعقـــاب السادس من ايلول ، تأجيل تنفيـــذ (الخطة) التيوضعها ال (جنرال فالكنهاين) لتحقيق ذلك ، بَلْهَ أن تقول انه نبذها نهائيا ، بعد أن كان (الباشا) يتمسّك بها بقوة ، وكل ذلك على الرّغم مما تجلّى ، حتى وقت مبكّر ، أعني يوم ال ٩ من آب ، انـــه كان يشك في سدادها[٣٠] .

وحاز ال (جنرال مود) «انطباعا» مفاده : ان الهجوم التركي ـ الالماني بات وشيكا ، وكان مصدر ذلك الاسانيد التي عثر عليها في الرمادي ، ومعلومات أخر أيضا . ان انجاز مدّ الخط المتري الى (بعقوبا) ، واتمام ايصال خط السكة الحديد الخفيفة الى (شهربان) زادا من رصانة وضعه في هذا (الجناح) . وفي السابع من تشـــرين الاول وعَز الى ال (جنرال مارشل) بأن يستعد لزحف مقبل . وفي الـ١٨ من تشرين الاول ، بدأت الحركات ، وفي الـ٢٠ منه احتلّ

(٣٠) راجع : H. D. Fanshaw (المؤلف) .

قلنا ، وقع نبأ احتلال (بغداد) ، في ارجاء الانبراطورية العثمانية ، عهد ذاك ، وقوع الصاعقة ، وهذا حفز (القيادة العامة) فيها الى صب اقصى جهودها في سبيل استرجاعها . وعهدت بهذا الامر الخطر الى جحفل جيوش الصاعقة (يلدرم : بالتركية) المؤلف من الجيشين السادس (المستقر في العراق) والسابع (المستقر في سورية) ، معززا بفرق تركية وقطعات المانية خاصة . ونيطت قيادة (جحفل الجيوش) المذكورة سالفا ب (الجنرال الالماني فالكنهـــاين) . كان (انور باشا) أقوى شخصية عسكرية ـ سياسية تركية ، في هذا الاوان ، متحمسا لهذا الهدف الخطر ، وتؤيده ، فيذلك ، (القيادة الالمانية العامة) ايضا . واثر دراسة مستأنية قام بها ال (جنرال فالكنهاين) للموقف (ربيع ســـنة ١٩١٧) قرر ان يبنى خطته على اساس التعرض بازاء بغداد من اتجاهات ثلاثة هى : محور ديالى ، ومحور نهر دجلة ، ومحور نهر الفرات ، وأن يكون الاخير خط الحركة الرئيس . كما قرر حشد الجيش السابع المرابط في (منطقة حلب) في مدينة الرمادى تمهيدا لتنفيذ الخطة . لكن هذه (الخطة) سرعان ما انقلبت رأسا على عقب ، كان ذلك في مؤتمر عقده (فالكنهاين) مع قادة الجيوش أولا ثم في مؤتمر التأم في حلب في اواسط حزيران وحضره انور باشا وتبين للمشاركين فيه ان ثمة صعوبات ادارية تكتنف ادامة الجيش السابع على الفرات ، كما تناهت اليهم الاستعدادات الهائلة في جبهة فلسطين ، وكان ان حرك الجيش السابع لمواجهتها وصرف النظر عن تنفيذ (الخطة) واترك للجيش التركى السادس ان يجبه البريطانيين في العراق (المترجم) .

الـ (جنرال مارشل) جبل حمرين ، على ضفتي نهر ديالى ، ولم يلقَ ، خلالها ، الاّ مقاومة واهنة الشأن ، كما كان خساره نزرا قليلا •

وما أن خُتمت صفحة هذه الحركات الاّ جرى اشتباك على ضفة دجلة ، شمالي ــ غربي (سامرا) ، قرب (الحويصلات) التي سبق أن تمّ احتلالها ، قبل أيام قليلة ، على يد قوة تركية تراوحت عدّتها بين ٤٠٠٠ و ٦٠٠٠ من المقاتلة المشاة • وما أن هوجمت هذه (القوة) ، بأمر من الـ (جنرال كوب) ، من قبل (الفرقة السابعة) وكانت بامرة الـ (جنرال فين) الاّ ولّت منسحبة (بأسرع من لمع وميض البرق !) تلقاء (الدور) على النهر صُعُدا •

ودلّت جميع المعلومات الواردة ، خلال النصف الاخير من شهر تشرين الاول ، الى الـ (جنرال مود) على ان قوى (العدو) الرئيسة توجّه ، في هــذا الاوان ، تلقاء جبهة فلسطين • وهكذا غدت (بلاد ما بين النهرين) «على الهامش» ، كرّة اخرى ، بينا كان فيها نحو نصف مليون من جنودنا ، يؤدّون واجبا فرض عليهم فرضا :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

وفي الـ ١٣ من تشرين الاول استولى الـ (جنرال اللينبي) على (بئر سَبَع) واسّر ١٨٠٠ من الاعداء • وعلى الرغم من ان الاتراك كانوا يزجّون بجنودهم في (جبهة فلسطين)، بدلا من زجّهم في (جبهة بلاد ما بين النهرين)، لم يبق هناك من سبب قوي يحمل على الاعتقاد بأن هذه (الجبهة) ستتعرض الى خطر كبير • كان العملاء الاتراك والالمان على جناحنا الايمن ، في فارس ، وهم يصبّون الجهد الباذل المستميت في باب التخذيل[٣١] واثارة القلاقل والاضطرابات ، لكنهم لم يصيبوا في مسعاهم النُجْح المُرتجى • وكانت القطعات الروسية موجـودة في هذا (الميدان) أيضا ، لكنها كانت على حال تسريح بسبب من الوضع الداخلي

---

(٣١) **التخذيل هو اضعاف المعنويات وهو ما يقوم به العيون والعملاء الذين** اطلق عليهم في ايامنا (الرتل الخامس) (المترجم) •

في بلادها • ومن حسن الحظ لم يعد تعاونها معنا ضروريا لازما[٣٢] •

وبقي ال (جنرال مود) يرقب ويتلبّث أياما قلالا ، اثــر الحركات التي شهدتها (الحويصلات) ، وقبل أن يوعز بالمضي زحفا • ثم انه أمر ال (جنرال كوب) بأن يهجم على الموقع التركي الكائن حول (الدور) على ضفتي دجلة • انه موقع كان يمسك به ٤٠٠٠ من حملة البندقيات ومعهم ٢٠ مدفعا • وشُنّ الهجوم الرئيس على الضفة اليمنى ، على يد (الفرقة الخيالة) بامرة ال (جنرال جونز) و (الفرقة السابعة) بامرة (الجنرال فين) ، ومع الفرقتــين هاتــين (اللواء/٢١) بامرة ال (جنرال ليزلي) على جهة النهر الاخرى • وقبيل الفجر الوليد من اليوم الاول من تشرين الثاني بدأت الحركات ، وما أن أشار عقربا الساعة الى التاسعة والنصف صباحا ، وكانت عدة خسارنا ٢٠٠ من الضحايا ، الا" غدا الاتراك يتراجعون الى تكريت تراجعا كاملا ، حيث كانت قوتهم الرئيسة مخندقة • واظهر ال (جنرال مود) من التردد شيئا ، لاسباب لا تزال غــير واضحة ابدا ، فلم يسمح لـ (الجنرال كوب) بان يستغل نصره الى أبعد مدى فيسير الى (تكريت) قدما • لكنه في مساء يوم الرابع من الشهر اذن بأن يجري

---

(٣٢) لا معدى عن اعطاء (القارىء) فكرة ، بوجيز كلام ، عن تعاون القطعات الروسية والجيش البريطاني فيحرب العراق فنقول: خصصت (القيادة الروسية القيصرية العامة) فيلقين لجبهتى العراق وايران ، هما (الفيلق القفقاسي الاول) وهو بقيادة ال (جنرال باراتوف) ، نيط به واجب الهجوم على (وسط العراق)، على محور : كرمنشاه ـ خانقين ـ بغداد • والفيلق القفقاسي الثاني ، بقيادة ال (جنرال جرنازوبوف) ونيط به واجب الهجوم على (شمال العراق) ، على محور رواندوز ـ اربيل ـ الموصل • وكان صنف الخيالة (ومعظم آحاده من القوزاق ، هــو الصنف الغالب في الفيلق • ان تضارب مصالح (روســية) و (بريطانية) صير التعاون بينهما مرحليا • وما ان جاءت ثورة الشيوعية في روسية (آذر ١٩١٧) الا توقف الروس شرقي نهر ديالى واخذوا بالانسحاب الى ايران (حزيران ١٩١٧) متخذين سبيل (كرمنشاه ـ همدان) • لقـد استطاع الروس الاستيلاء على بنجوين في لواء السليمانية (٣٠ حزيران ١٩١٧) الا انهم طردوا منها بعد ثلاثة ايام • كما صدت هذه القوات لدى هجومها على خانقين (٣ حزيران ١٩١٦) ، وقــام الفيلق التركي بقيادة (علي احسان) بتعقيبها حتى همدان فاحتلها (١٠ آب ١٩١٦) • واحتل الروس رواندوز في (١٣ أيار ١٩١٦) ، لمدة ، ثم جلوا عنها (المترجم) •

تقدم آخر • وكانت الارضون في هذا الظرف مزدحمة محتشدة ، وكانت نسبة ضحايانا نسبيا كبيرة ، سيما في المدفعية والخيالة اذ بلغت عدتها ١٨٠٠ تقريبا ، من بينهم ١٦١ قتلى • وأفلت الاتراك من قبضة أيدينا ، وما ان تنفّس صبح اليوم السابع من الشهر الا كانوا يتراجعون تراجعا كاملا تاركين ١٣٧ من الاسارى ومخلفين ٣٠٠ من القتلى • وسقط حطام الباخرة المحترقة (جلنار) بأيدينا ، ومعه قدر من المواد الحربية • ولاسباب عاطفية ، كان مما يطمئن الحامية ، ان لم نستطع الى اكتساح الارضين مبيلا ، انزل ضربة حاطمة بمدينة ، هي على الرغم من كونها (مسقط رأس صلاح) قد اكتسبت سمعة غير مستحبّة ، (كذا:المترجم)، موطن قساة أنزلوا اقسوتهم بالذين جيء بهم من الكوت اسارى (ماذا يأمل المؤلّف من أناس يشهدون جيش الاحتلال يريد استعباد بلادهم ؟ أيريد منهم نثر الورود عليه ، يا ترى ؟! المترجم) •

وكان خط مواصلاتنا طويلا والارضون خالية من المؤن لذلك انسحبنا الى سامرا في اليوم العاشر من تشرين الثاني •

وخلال الاسابيع الاولى من تشرين الثاني دأب ال (جنرال مود) على الاتصال بسر ويليم روبرتسن بشأن حمل الروس ، وهم بامرة ال (جنرال باراتوف) على الامساك بخط ديالى أو الطرق المفضية الى فارس شريطة قيامنا بتموينهم • كان اُعلم من قبل (ضابط الارتباط البريطاني) في القفقاس انه لا يؤمل أن يكون هناك أي تعاون • « ان الذهب البريطاني » على ما جاء في البرقية[٣٣] •• قد يُبقي القطعات الروسية في فارس ، لكنها لن تحارب أبدا • ان الجيش الروسي القديم في عداد الاموات ، وعلى ذلك فان جهودنا المنصبة على ابتعاثه لا فائدة منها ولا جدوى •

ومهما يكن من أمر ، ان ال (جنرال مود) لا يزال آملا في المساعدة تسدى له في جهته ، وذلك على الرغم مما تراءى من ان لديه قوات كافية وافية في البلاد ، ان اراد الاستفادة منها ، سواء لحماية خانقين أو لحماية الفراتين :

(٣٣) راجع : Official History IV, 37. (المؤلف) •

الاوسط والادنى ، اذ ليست هناك أي حامية بين الناصرية وسدة الهندية • وتراءى ، حتى النهاية ، انه كان يتجنّب الاختلاطات التي تنطوي عليها التعليمات القاضية باشاعة الناموس البريطاني في ولاية بغداد • كانت عيناه على الاتراك وكان يرنو بقلبه الى النصر العسكري ، وما كان ذلك منبعثا من طموح شخصي ، وهو أمر يدعو الى الاكبار في كل انسان ، كي يخلّد اسمه في صفحة التاريخ ، لكن تدريجيا استغرق حياته كلها صيّره لائقا لادارة قطعاته وتوجيهها رأسا في الميدان واضعا أمام ناظريه هدف فذ هو تحطيم العدو •

وتوترت العلاقات بينه وبين سر برسي كوكس كثيرا ، وذلك خلال أشهر الصيف • وما كان الرجلان ، بقدر تعلق الامر بالمزاج وقوة الخلق ، غير متشابهين كثيرا ، لكنهما كانا مثلين على وجهتين مختلفتين في السياسة القومية • فبينا كان ال (جنرال مود) يُعنى بالمشكلات العسكرية الآنية حصرا ، كان واجب سر برسي كوكس المعترف به الواضح اللاحب أخذ المستقبل بنظر الاعتبار • كان ال (جنرال مود) يطمئن الى العمل على وفق التعليمات التي يتلقاها من (رئيس أركان الحرب الانبراطوري) من دون أخذ النتيجة القصوى بنظر الاعتبار • أما (سر برسي كوكس) فكان شغله الشاغل ، وتبعته ــ وهو ما كان شغلي وتبعتي باخرة أيضا ــ السعي الى اختطاط (سياسة) محلية وتنفيذها ، وهي سياسة يجب ان توائم الروح لا الحرف بالنسبة الى التصريحات المتناقضة التي يطلقها ، في الاحيان ، دعاة السياسة البريطانية في لندن •

كان ال (جنرال مود) يضطلع بتبعة الحفاظ على بغداد ، لكنه كان يجتوي قبول النتائج التي لا مخرج عنها ، وابتعاث (جهاز مدني) يتم الحفاظ ، بوساطته ، على مكسبنا الذي جادت به العبقرية وقطعاتنا الباسلة ، وذلك على الرّغم من انه كان يزهو في خطاباته الخاصة(٣٤) بتبعاته السياسية الجسام •

وفي السادس عشر من تشرين الثاني اتّخذ سبيله ، جريا على عادته ، الى مكتبه ، لكنه تراءى ، في أثناء ذلك ، سقيما ، وشعر بمرض يدّب في جسمه •

---

(٣٤) راجع : Callwell (المؤلف) •

ومن الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين استُدعي جراثحي (هيأة الاركان) فأوصاه بالتزام الراحة وشرب الحليب ، حَسْبُ • وما أن عاد الى بيته ، بعد الغداء ، الا دأب على العمل في غرفته • وفي الساعة السادسة مساء عاده (الطبيب المشاور : العقيد ويلكوكس) ورفض مُقترح (مود) القاضي بأن يبرّ بوعد قطعه ويتناول العشاء ، في أمسية اليوم ، مع (العقيد ديكس) مدير الموارد البلدية (المحلية) ، وهي دائرة كان (مود) يمنحها غلواً في العناية ويتيه ، عند ذكرها ، فخرا • وما كانت ثمة امارات خصرة تتراءى عليه في هذا الوقت ، عينه • وما أن عاد اليه (جراثحي هيأة الاركان) ، كرّة اخرى ، الاّ أفصح عن أن حاله تسير الى ما هو أسوأ ، وانهـا باعثه على القلق • واستُدعي العقيد ويلكوس ، ثانية ، وكان « تشخيص » المرض ، في هذه المرة ، بال (كوليرا) أي : الهيضة ، على شكلها الحاد • ورفض (مود) التلقيح بلقاحها ، وذلك على الرغم من انه كان يصرّ على تلقيح (هيأة ضباطه الاركان) به — وكانت حجته في رفضه ان رجلا بلغ عمره يصبح ذا منعة بازاء هذا المرض (كذا : المترجم) • وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ثقل عليه المرض وانهارت قواه في دقائق معدودات • ولم ينفع كل ما بذل من براعة في التطبيب وعناية ، وما أن أشار عقربا الساعة الى السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين ، مساء اليوم الثامن عشر من تشرين الثاني ، الاّ صعدت روح (مود) الى بارئها مودّعا الدار الفانية[٣٥] لقد دنت (ساعته) •

دقات قلب المرء (دقاتها) والسكته السكته عند الممات !

وما أن أُسدي الى جثمان (مود) الاجلال اللازم ، وقامت به (الحامية) وحشود (أهل بغداد) المتجمّعة (كذا : المترجم) الا أخذ (المقرّ العام) يحقّق في الوفاة ، يتفحّص أسبابها ، يتثبّت منها • ذلك ان هذا (المقرّ) لم يطمئن الى ان سببها انتشار : الهيضة ببغداد ، يومذاك ، وهي التي حصدت أرواح عدد من

---

(٣٥) ان اردت الوقوف على وصف لساعاته الاخيرة التي دبجتها يراعه كل من العقيد ويلكوكس والقس جارفس راجع Callwell (المؤلف) •

الضباط العسكريين ، وبضمنهم أحد مساعدي الـ (جنرال هوكر) • لقد دهم هذا الوباء حتى (الكتيبة) التي كان يُختص من آحادها حرس بيت (القائد العام) ، وان صحّت المعلومات التي لديّ ، حتى الرجال الذين كانوا يقومون بواجبات بيته • كما ان (المقر العام) لم يطمئن الى ان المرضـــة انتابته بسبب رفضـــه (التلقيح) ، وان صحته العامة لم تكن ، قبل أيام من ذلك ، حسنة • ومن المحتمل ان الهيضة دهمته مساء الـ ١٤ من تشرين الثاني حين حضر حفلة تمثيل أقامتها (جمعية الاليانس الاسرائيلية) في بغداد • لقد شرب ، مع ضـيوف آخرين ، وأنا من بينهم ، القهوة الساخنة دِيفت بحليب ، وقيل ان الحليب اعد خصيصا ومزج بجراثيم الهيضة •

طبيعي أن تشيع ، في الاسواق ، فاشية قوية مفادها : ان الـ (جنرال مود) مات مسموما (واني لا أعرف ، الاّ في النادر ، رجلا ، رحل عن الدنيا ، وهو في كمال رجولته وزهرة عمره ، في بلاد العرب أو في فارس ، من غير أن نشيع أمثال هذه القالة والمقالة وتكتنف أسباب موته) • واعتدت هاته الفاشيات مصداق لعبة ذات عِوَج والتواء • وأصدر (مراسل حربي أمريكي) ، قبل الهدنة ، كتابا فروّجها ترويجا وسيعا • لقد أنكر العقيد ويليم ويلكوكس (وهو من سما به سلّم الرتب ، بعد هذا ، فغدا : سر ويليم ويلكوكس) مثل ذلك الاحتمال (ولكنها الاهواء عمّت ، فأعمت !) وجاء توكيده السبب الصحيح قاطعا[٣٦] • انه مَنْ كان يتمتع بثقة الـ (جنرال مود) كثيرا ، كما كان يُعلي من شأنه علوا كبـيرا ، وعلى وجه منقطع القرين والنظير[٣٧] أيضا • و « من الواقع الذي

(٣٦) راجع : Egan (المؤلف) •

(٣٧) اني اعتد عمله الذى انصب على تحسين صحة (قواتي) مساويا لعمل فرقتين • ومهما كلف من عمل او مال ، عليك ان ترعى تقديم البلاد لكل ما يرام ويلكوكس ضروريا [راجع Callwell p. 305.] (المؤلف) •

لا تلحقه الريب ان الحليب كان ، على سبيل الصدفة ، ملوّثا معديا • كما كان يشك في ان الماء الذي ديّف به هو الذي لوّث هذا الرجا من أرجاء المدينة ، في الوقت عينه ، وان الهيضة كانت فاشية في هـذا الحي من أحياء (المدينة) أيضا • » ذلك ما كتبه (سر ويليم ويلكوكس) نصا •

لم يؤبه بمثل هذه (الشهادة) وقيل ان (هيأة الاركان العامة) في مقر الـ (جنرال هوكر) أرسلت من ينوب عن (رئيسها) في مأدبة قدمت فيها المرطبات من قبل المقاول الذي قدّم القهوة والحليب الى الـ (جنرال مود) نفسه ، ولذلك اصيب بالهيضة • وذُكر ان حيـاة كل من الـ (جنرال مود) والـ (جنرال هوكر) قد هددت في خطابات كانت من الامضاء غفلا ــ وذلك على غرار ما يعثر عليه في صناديق بريد الرجال النابهين ذوي الشأن ، أيام الأزَمات الشداد ، عموما •

وغبّ تحريات ، قامت بها : (دائرة التحقيقات الجنائية) التابعة الى الشرطة المدنية ، استطال أمدها ثلاثـة أشهر ، لم يظهر أي شيء موثق الاسانيد لا مغمز فيه ولا مطعن ، دالّ على ان (المقاول) أو (مساعده) هذا ممن كانوا في خدمة (شركة مونكهاوس) ، خلال سنين خلت ، وقد نُفيا باعتدادهما من الاسرى ، على الرغم من الاحتجاجات التي أرسلها (سر پرسي كوكس) مرارا وتكرارا • يقول الـ (جنرال مارشل) في (خواطره) : « انني لم أكن ، عـلى التحقيـق فيما اتخذته من اجراء عادلا • لقد درستُ ، شخصيا ، الاوراق ، بالتعاون مع (دائرة التحقيقات الجنائية) ، غلوا في العناية والحاحا في التحرّي وتوصلت ، على ما توصّلت اليه ، الى ان ليس هناك من لعبـة ذات اعوجاج والتـواء فـي الامر كله • وما كنت ، على غرار ما كان عليه (سر پرسي كوكس) أُعنى بالظلم الصارخ الذي ينجم عن النفي المقترح حسب ، وانما كنت أُعنى بالأثر السياسي الذي يسفر عن توجيه التهمة الى اليهود جزافا ، انهم طائفة من أهل

بغداد كان انتاجهم مثاليا[٣٨] ، كشأن وجهتهم دوما (كذا : المترجم) • كان القرار المتّخذ بمثابة « نكسة » ولم نحصل من ورائه على فائدة ، وهكذا وجد (كبش الفداء) فتوقّف التحقيق ، بقدر تعلق الأمر بالاعمال ، أو لعلّ التوقف كان لغير ذلك، بالنسبة الى من كانت بيده مقاليد الشؤون الصحية ويمارس صلاحيتها ، ومن لم يحتج على حضور (القائد العام) أو أي ضابط عسكري في الأمكنة التي كانت الهيضة فيها فاشية منتشرة ، واصيب فيها ضابط بريطاني واحد ، في الاقل • ولا يذكر (تأريخ الحرب العظمى) الامر هذا الاّ على الوجه الهيّن الليّن •• في بغداد ووري ال (جنرال مود) التراب في ذالكم المـكان الذي لا يعود منه من ورد اسمه في (الصنيع) الذي يضمّ قصص الحرب المملوء بالتنبوءات، وأعني به : (القوس الاخضر : The Green Curve)[٣٩] (ص : ٢٦٦) :

« لم يكن من الخطة المرسومة أن يشارك في تحمل المشقات اثقال الجسام التي كانت تنوء ، تحتها ، قطعاته وما كان ينبغي له تحمل أي مشقة ••• وعلى الرّغم من ميوله الفطرية كان لزاما أن يُحمى من كل خطر تستطاع حمايتـه منـه ، كيلا نُنكب بفقده ، وأن يُجنّب كل رهق والتعرّض لمكروه يوهن من صحته فيؤثر في سداد رأيه • كان (الجهاز) الذي أقامه ، بسبب من وسائله الراقية ، سببا في الحفاظ على حيَوات جنده ، لكنه أخفق في انقاذ حياته » •

وبعث هلاكه قلقا في انكلترة ، شأنها في ذلك كشأن أرجاء الانبراطورية كلها ، وان كان ذلك يقلّ عما حرّكه رحيلـه عن (الفـانية) بين جوانح (الجملة الاستكشافية) من أحاسيس تدفقت كالموج المصطخب • لقد قادها الى

---

(٣٨) لعله يخص منهم من عمل لمصلحة الاحتلال البريطاني ابتغاء المناله ، وهم كثر وليسوا بقل • لقد كان هذا الفريق من يهود العراق ، عهدذاك ، يحث على اطاعة رجال الاحتلال والرضى بحكمهم • ولا ادل على ذلك من القولـة التي كانوا يرددونها :

[اشما يقل لك ال « صاحب » قلّو ايس !] •

أي : « مهما قال السيد الانكليزي لك ، اجبه : سمعا وطاعة » فتأمل ، رعاك الله ! وفاء (المؤلف) لهم • (المترجم) •

(٣٩) نشره ، في سنة ١٩٠٩ ، النقيب (وهو ، اليوم ، « لواء » سر ارنست سبتوتن) • (المؤلف) •

الفوز البين غالبا • انها فلتة من فلتات الحظ ، وفلتات الحظ تأتي على غـير ميعاد ، أن يتولّى « القيادة » في برهة كادت جهود أسلافه عندها تذهب بددا ، لا أمل فيها وميئوسا منها • بسلسلة من الانتصارات الباهرة استطاع أن يمحو الذكريات المحزنة اللاذعة التي تفطر القلوب وتسفح الدموع ، والتي خلفتهـا الانحدارات الماضية • وبمقدرته على (التنظيم) ، وبصلاته الشخصية بالمقامات العالية في (وزارة الحرب) وبالجهات ذوات الكلمة المسموعـة في انكلترة ، استطاع أن يصيّر مقوّمات الراحة المادية على طرف الثمام من أيدي جنده ، بعد أن حرموا منها ، فيما مضى ، أمدا طويلا • كان الجيش المرابط في (بلاد ما بين النهرين) ينظر اليه على ما كانت الجيوش الموجودة في بريطانية العظمى وأوربة تنظر الى (لورد كچنر) سواء بسواء • كما كانت وفاتـه ، كمثل وفاة لورد كچنر ، مبعث اشاعات مدوّية • وما كان الجيش الذي قاده مؤلّفا ، كليا أو غالبا ، من جنود محترفين ، على غرار جيش (الاسكندر) ، لذلك كان بحاجة الى من ينفخ فيه بروح ديف باحساس شخصي • ليس هنـاك من مشهد ، في التأريخ ، مؤثر ، كمشهد جثمـان مرّ بها المحاربون المشفقون القـدامى ، أعني « بقية السيوف » المتخلّفة من خمسين واقعة ، وقد شقوا عصا الطاعة رغبة في القاء النظرة الاخيرة على (قائدهم المعبود) • لقـد مرّوا صامتين بجثمان (الاسكندر) المسجى على فراش الموت ، وما حال دمتهم دون ان يتبسّموا ويرفعوا الايدي تبجيلا ، ويرمقوا ذلك (المحيا) بنظرة أخيرة ، انه الوجـه الذي اجتلوه كثيرا كثيرا • أما كان مثل هذا حريا بأن يحتذى ، يوم ودّع الـ (جنرال مود) هذه الدنيا ، كي تنفخ في الاجيال النابتة ، جيلا أثر جيل ، روحا عاليا ، ولتوكيد الطابع الشخصي للمنصب الذي كان يشغله حقا وصدقا •

ليس هناك من سبب يحمل الانسان على عبادة الابطال •• ولا تدعوا أحدا يتصوّر ان الذي أدركه الـ (جنرال مود) كان معجزة وأمرا عجيبـا • يستطيع أي (جنرال) يقل عنه شأنا أن يدرك ما ادركه حقا ، وان كابدنا ، على يده ، وفي سبيله ، عدة كثيرة وعددا كبيرا • ولعل نكد الحظ هو الذي

حرم (نيكسون) من لقب (فاتح بغداد) • ستتركن شهرة (مود) العسكرية الى الاقتصـــاد في (الارواح) ، وهو كنـــه فوزه ، وليس هو بأقـــل من (ترتيباته الحربية) المسعدة شأنا ، أو من ذلك (الحظ السعيد) الذي لم يخذله ، وهو يقف بازاء نهر أو يخوض معركة ، أبدا ، وان لم تكن هناك معركة ك (زافا) أو (وترلو) • ومن هذا الذي قيل ، في تأبينه والاشادة بفعاله في (البرلمان) وفي غيره ، اننا مقتبسون ، بايجاز ، ما فاه به الـ (لورد كرزن) ، واليك ذلك : (سار في أعقاب الترك ، وهو مستوفز عجلان ، وحاذى صعدا نهر ديالى ، تارة ، ودجلة ، تارة أخرى • وفي زمن متأخر سار يحاذي الفرات صعدا أيضا ، فصيّرهم يمنون بسلسلة من الاندحارات الماحقة الساحقة بحيث غدوا عاجزين عن القيام بحركات أخرى • لقد أزاح الخطر الذي أطبـــق على الحدود الفارسية ولو لم يفعل ذلك لامتد فاخترق فارس وبلغ افغانستان والهند أيضا • لقد احتل (ولاية بغداد) برمتها وقام بالحركات التي ألمعت اليها ، يخامره في ذلك شعور بالمرارة من اخفاق حلفائنا الروس الـــذين كانوا ، في هذا الاوان ، يحلوّن في القسم الشـــمالي ـ الغربي من أرض فارس • لقد اخفقوا في مديد العون المرتقب له ، على حين كان لديه سبب يحمله على أن يكون لمثله آملا • » انه يمثل « روح الفروسية » ، ذلك انه كان ، في باب الضبط والربط العسكريين ، شديدا ، يطبّقان على نفسه كشأن تطبيقهما على من سواه ، على حد سواء • وما كان ممن اعتاد على التدخين ، كما كان يتأبى على الشراب ، وعلى الطعام تقريبا • انه مثال حي لزمّ النفس الواعي ، لذا كان تأثيره في سلوك الذين هم في أمرته ، وفيمن قادهم ، بعيد الغور عميقا • وكثير هذا الذي يستطاع ان يكتب في تصوير شخصية الـ (جنرال مود) ، حلية التقوى الرومانية ، ذات التدين العميق ، وهي التي صبغت حياته كلها • واجتزىء اذ أقول : ان الانتقادات التي أوردتها ، باعتدادي ممن عمل في أمرته ، لن تقلل ، قيد شعرة ، من اعجابي به : رجلا وقائدا •

كفنّ الـ (جنرال مود) بثرى بغداد (وحياة المرء كالشيء المعاد) :

ولابد من موت فاما شـــبيبة   وأما مشيب و (الشبيبة) أصلح

ورقد رقدته الابدية في (المقبرة العسكرية) الكائنة خارج بابها الشمالي •
وأقيم له في زمان متأخـّر (تمثال)[٤٠] يخلـّد ذكراه ، وأختير الجانب الايمن من نهر دجلة لذلك مقاما • وتبرع أهل بغداد بقدر كبير من المـال لتشييد مستشفى في البصرة ، لا يزال يحمل اسمه[٤١] حتى يوم الناس هـــذا •
وأقامت (الفرقة ١٣) نصبا تذكاريا فوق جبل حمرين (وهو ، اليـــوم ، خرب) دوّن اسمه عليه مقرونا بأسماء جميـــع من قـُبر في بلاد ما بين النهرين من آحادها •

وعلى غرار الاسكندر ، المتوفـّى ببابل سنة ٣٢٣ ق•م والانبراطور الروماني جوليان ، المتوفى في سامراء ســـنة ٣٦٣ ب•م ، فتح الـ (جنرال مـــود) بلاد ما بين النهرين الجامدة (كذا : المترجم) ليندو ، في خاتمة المطاف ضحية[٤٢] لها •

(٤٠) أزيل هذا (التمثال) الذي يخلد فاتح بغداد المحتـــل البريطاني والناطق بـ (لسان الاستعباد) من (دون لسان) يوم ثورة الـ ١٤ تموز ١٩٥٨ (المترجم) •

(٤١) وازيل هذا الاسم أيضا (المترجم) •

(٤٢) بالنسبة الى من يريد تدنيس تربتها الطيبة بالاحتلال ، واستغلال ثروتها على حساب تفقير أهلها ، وانكلترة على ما قيل بحق « عقادة العقد ما حلت في ارض ، ثم غادرتها ، الا بعد ان تعقد فيها عقدة يحار الناس والزمان في حلها لانها تغدو على اهلها وبالا •

(المترجم)

الفصل السادس عشر
ولاية البصرة
١٩١٧

« لو لم نجاهد في سبيل تحسين حال الصالحين لاخفقنا في القيام بما هو حق علينا ، ولكانت حياتنا ، على الحقيقة ، لهوا ولعبا . بمثل هذا (الجهاد) تصبح هذه (الحياة) افضل وأنبل ، وتتراءى لنا الاهداف واضحة لاحبة ، وتضطرم في نفوسنا (الحوافز) الى العمل الجاد النافع ! »

من :(محاضرة هربرت سبنسر ١٩٠٦ ، ص ٢٩)

والآن .. لزاما علينا أن ننحرف عن سرد الظفر العسكري الذي أدركناه في شمال (بلاد ما بين النهرين) الغربي لنعاود الحديث في عناء (الادارة المدنية) فيها . شهدت سنة ١٩١٧ اقامة هذه (الادارة) عينها ، لحمتها الضرورات العسكرية الملحة وسداها طلبات الاهلين الدائبة ، وهي من القوى المصطرعة المتناقضة غالبا . وعلى الرغم من ان احتلال بغداد تم في اذار ، فلأسباب أسلفتها لك فيما مضى ، لم يحدث أي تقدم في باب توسعة شأن (الادارة المدنية) الى ما هو أبعد من ضفتي نهرها . وفي نيسان جرى خفض في (حامية الناصرية) فغدت مؤلفة من : خمس كتائب ، لديها ٢٤ مدفعا ، ومفرزات في (الخميسية) ومثلها في كل من (سوق الشيوخ) و (بني سعيد) و (معسكر المفرق)(*) و (العكيكة) ، وهي على خطوط المواصلات جميعا . وما كانت لدينا قطعات عسكرية في (الشطرة) ، كما لم يكن في مكنتنا ، أن نرسل

(*) الراجح انه يريد (مفرق أور) والمسافة بينه وبين الناصرية ٩٫٧٥ من أميال السكة الحديد بالقياس المتري . [المترجم]

اليها (حاكما سياسيا) • وكانت في (أرض فارس) ، على نهر الـ (كارون)[١] كتيبتا مشاة تحلاّن في (الاحواز : الاهواز) ، ومفرزات في السوس (سوسا : شوش : شوشان القصر) الوارد ذكرها في (سفر استر) وفي (تمبي) •• وهذه محطة ضخ النفط كائنة في (الوادي) الذي يبعد عن حقـــوله ، الى الجنوب ، أميالا قليلة • وكانت تحرس (خط السكة الحديد) ، الممتد من البصرة الى الناصرية ، حضائر مشاة ، تبعد كل حضيرة منها عن الاخرى أميالا قلالا • وشأن هذا الخط كشأن صنوه المادّ من البصـرة الى العمـارة ، سواء أكان مدّه جاريا أم كان كاملا ممتدّاً •

وكانت البصرة ، نفسها ، من الوجهة الادارية ، على أعضل حـــال وأشد ما تكون تعقيدا • وحالفنا حسن الطالع حين كان فيها (الرائد ميك) باعتداده (حاكما عسكريا) عليها و (ضابطا سياسيا) فيهـــ • انه منسوب الى (الدائرة السياسية) في (بمبي) وهو أحد الكفاة ، صافي الذهن ، باقر[٢] في الشؤون القضائية ، ذو خبرة بها ، اكتسبها في (عدن) وفي غيرها • انـــه يحسن العربية ، وهو هادىء الطبع لا يستثيره شيء أبدا • وكان مساعده في الزبير هو (الملازم مالكولم) وفي العشار[٣] رجل حباه الله قوة في الجسم وايدا في الجنان ، واعني به : النقيب مكدرمن • وكانت في (المدينة) وفي ناحيتها : العشار ، وعلى كل شبر من الارض اليابسة المحيطة بها ، والى مدى أميال ، قطعات محشّدة : (ادارية) وغير محاربة • كما كانت فيها معسكرات أسرى الحرب ومستودعات (الميرة) و (التموين) و (النواقل) و (القرطاسية) ومقـرات (الصليب الاحمر) و (البيطرة) ينضاف اليها : (مدارس الرشاش) و (قـــوس ستوكس) ومراكز التدريب على الرمي بالبندقيات •

وكانت ثمة ١٢ فرقة من فرق العمال تضم رجالا جاؤوا من فارس ومصر

---

(١) قيل ان اسمه مصحف من (كوەرنك : الجبـل الملون) وهو اسـم الجبل الذي ينحدر منه هذا النهر ، عينه (المترجم) •

(٢) الباقر : المتبحر في العلم •

(٣) جاء اسم (العشار) من العشر الذي كان يجبى عن حمولة السـفن التي كانت ترسو عنده • (المترجم) •

والهند وبلاد العرب ، كما كان هناك حمالون يضطلعون بالشحن والتفريغ • أما المستشفيات فكانت تشغل كل مكان ميسون كائن على ضفة النهر ، ثم امتدت لتشغل أرضين واقعـــة في (المحمرة) و (العمارة)(٤) • وازدحم فيهـــا المرضى وكانت تُســـمع نحو ثلاثين مـــن اللغى تتردد في أرجائها ويرتضخ بلكنـــاتها الاعجمية ، ضمن مسافة لا تتجاوز ياردات قليـــلة • وكان في السوق أناس يرتدون الـ (خاكى) جاؤوا اليه من أعالي النهر وقد منحوا (اجازة) أمدها سويعات فتخلّوا عن العمل في فرق العمـــال • ومن بين الاخيرين مَنْ كان يراقب من قرب من قبل (المقدم لين) • كانت مراقبة ، على وثاقتها وصرامتها ، مشبعة بالعطف والحنان • وكان من بينهم عدد من المساجين الهنود القادرين على العمل والراغبين في خفض مدد محكومياتهم عن سبيل القيام به • وكان كثير منهم لصوصا محترفين ، لذلك القوا على الاعراب البلديين دروسا ، وان اعتدّ الاخيرون أنفسهم سبّاقين مجلين في « صناعة الليل » [كذا : المترجم] • وفي الغالب الاعمّ ما كان شرّ هؤلاء القوم مستطيرا ، فحمدا لمن أشرف عليهم وشكرانا • وكان في (شيخ سعد) معسكر كبير يضم مستشفيين ، كما كانت ثمة مفرزات منتظمة ، على خط يحاذي النهر ويمتـــد من الفـاو الى الـــكوت ، تحل في (القرنة)(٥) و (المدلل) و (علي الغربي) و (الوادي) و (حنه) ، وتختلف عدة وعددا • وكانت بين المفرزات فيالق عمال كبيرة ، تنشط ، في حالات عديدة ، في شق الطرق وبناء السدود • وعلى حال من استقلال في العمل ، دأب ضباط (دائرة النقل النهري الداخلي) على اهتبال الفرص الحقة ليقيموا على الشاطىء ما يرشد السفن في جريها • وكان هؤلاء الضباط يجـــأرون في شكيّاتهم (*) لدى قيام أحد الصبيان المتخابثين بازالتها ، خلال الليلة التي تعقب

---

(٤) للفائدة نقول انه قد ارخ تمصير المدينـــة بعام ١٨٥٩ أو ١٨٦٠م • (المترجم)

(٥) للفائدة نقول : انها كانت في ايام الرحالة تافرنيه الموضع الذي تسجل عنده البضاعة المحمولة على ظهور السفن ، على أن تدفع الرسوم عنها في البصرة بحسب قائمة التسجيل في القرنة • (المترجم) •

(*) الشكية : الشكوى سواء بسواء وهي ، عندنا : (شجية) ، من العامي الفصيح • (المترجم) •

نهار اقامتها • كما كان أولئك (الضباط) يطوفون العوامات المرشدة ويخرجون السفن الغارقة ، ويحاولون ، على غرار ما كانت تحاول (الحوريات السبع) و (الماسحات السبع) ، ازالة رقارق الرمل المتكونة في النهر • ان لـــكل صنف من هذه الصنوف صلاته الخاصة بالاهلين ، كما كان كل صنف منها يتقدم بطلبات تستنفد وقت (الضابط السياسي) ، وهي أمر من المقر[٦] • انه من كان يدأب على العمل ، طوال أيام الاسبوع ، في تصريف الشؤون القضائية والادارية • وكان حقا علينا تعيين أحراس الليل وأفراد الشرطة البلدية ، وأن نحصل على العمال اللازمين ، وان لم يتم ذلك كله من غير مشـــقة ، والمعين أبناء القبائل • وكانت البلدية بحاجة الى عناية تسدى ورعاية تسبغ ، كما كانت اجراءات فرض الحصان بحاجة الى من يرقبها ب (عين الصقر) ، كما ان الشكاوى ، التي كانت تنهال علينا دائبة ، كانت تتطلب من يُلقي اليهـا السمع وهو شهيد • لذا كان الرهق الواقع عظيما ، ولعلّه كان أشد ما يكون وقعا • ولم يستطع كل من استدعي للعمل أن يلقى لعبء جلدا له ، ناهضا به ، ماضيا فيه ، صبورا عليه مصابرا • وثقل العبء بسقوط بغـداد ، وكـــان لزاما علينا تزويد (سربرسي كوكس) بما يحوجه من (الضباط السياسيين) ، ليعملوا ، من الفور • وعلى ذلك خسرنا (الرائد مكفرسن) الذى كان يشغل منصب (مساعد ضابط سياسي) ملحق بالتشكيلات العسكرية الموجودة عـــلى ضفتي (نهر كارون) ونهر دجلة • انه من قام بتنظيم وحدات الشبانة ـ أي : الشرطة البلدية) ـ جنوبي العمارة ، وحل محل (لوريمر) في منصب (الحـاكم السياسي) عليها • الحق هذا (الضابط) ب (فرقة الخيالة) في أثناء الحركات التي أسفر عنها احتلال بغداد ، وبعدها اتخذ ســـــبيله ، مع (الفرقة) الى الفلوجة ، ثم أبحر ، بعد أشهر ، الى الهند ، باجازة مرضية وليقضي دور نقاهته من (مرض الزحار) الذي كان يشكو منه • وأخيرا عُين في الحلة ، وحل محله في العمارة الرائد مكنزي ، كما عُين دبليو•سي•اف•أ•ويلسون ،

---

(٦) أي الصبر •

على ما أومأنا اليه ، في الكوت . واتخذ كل من (بلارد) و (غاربت) .. وهما من موظفي (دائرة الواردات) السبيل الى بغداد ، كما رحل (باريت) من علي الغربي الى بعقوبا .

كنت أتوقع أن تنهال أمثال هذه الطلبات على من لدينا من رجال ، واستطعت أن أحصل من ال (جنرال ماكمن) على عدد محدود من الضباط لينوبوا عمّن يتقرر تسفيرهم الى الشمال . وكانت في (القوة) مواهب خارقة شتىّ ، وأخص من صنوفها بالذكر : ضباط الجيش الهندي الاحتياط .. وبعون من العميد كامبل ، وهو من (القدمة الثالثة) استطعنا أن نستغل جانبا منها لمقاصد مفيدة . وكان هناك عدد كبير من ضباط الشرطة الاوربيين ممن عملوا في مسلكي الشرطة : الانبراطورية والاقليمية في الهند ، كما كانت تردنا حشود من المهندسين والمحاسبين وموظفي المكس (الكمرك) وغيرهم . انهم على حظ كبير من معرفة اللغة العربية ، وكثير منهم كان قادرا على التكلّم بها بطلاقة ، ومردّ ذلك الى اشتغالهم بالتجارة في مصر . وقليل منهم درسها في الهند أيضا . كانت هناك قلّة من الضباط السياسيين وموظفي الخدمة المدنية الهندية الصغار أيضا . واصطُفي منهم آحاد فكانت النتيجة حسنة مرضية (فالامور بخواتيمها) . لكن الذي يُجتبى على هذا المنوال لن يتبوّءا المناصب العالية ، ما الى الشك في هذا من سبيل . و ل (الخدمة القضائية) من السودان أختير كل من (بونهام كارتر) و (بيل) و (بروص) و (دراور) ، ول (الخدمة الادارية) كل من (بلفور) و (نالدر) ، وجاء من الهند : (روبرتسن) و (ويليمس) و (نورتن) و (بليس) وكلهم من موظفي (الخدمة المدنية الهندية : I.C.S.) . وبعثت لنا وزارة الحرب عديدا من رجالها ، وكلهم من ذوي الخبرة المصرية وكان فيهم (كوك) و (روبرتس) و (سترو) و (ديجيرن) و (رابينو) و (سياما) .

وذهب (مستر دوبس) الى الهند باجازة مرضية ، وكان ذلك في تشرين الاول من سنة ١٩١٦ ، فحل محله باعتداده (مفوض الواردات) ، في

تشرين الثاني ولحين من زمان ، (مستر فيلي) وهو من كان يتحلّى بمـــزايا لا يلزه فيها قرين أو نظير ، تؤهله للعمل في البلاد التي تتكلم العربيـــة •
نال (فيلبي) في الهند (مرتبة الشرف) في دراسته العربية ، وهي واحدة من بين لغى أخرى • وحدّت الخبرة التي اكتسبها من « حدة طبعه » ، على ما كان عليه في السنين المواضي ، فغـدا ، اليوم ، غُنْماً وليس بغُرم • انه على العمـل لدؤوب ، ومنهجي في تحليل المشكلات التي تعرض له ، لكن تفكيره المنطقي انتهى به الى اوضـاع تراءت ، في الاحيان ، « عقـائدية »[٧] بنظـر من كان عليه اتخاذ قرارات مستعجلة تطلبتها الظروف الطارئة الملحّة • ان فيلبي من أولئك الرجال الذين كانوا يميلون الى اعتداد كل شيء يصادفهم قائما على أساس خاطئة لا معدى عن تصويبها • واستُدعي الى بغداد ، اثر احتلالها ، رأسا ، ليسدي الى (سربرس كوكس) في (مقره العام) عونا ، نحل محله في البصرة مستر ايفلن هول •

وفي تشرين الاول أوفد (فيلبي) الى قلب جزيرة العرب ليضطلع بمهمـة تتعلق بابن سعود ، ولقد أسهب في شرح هذه (المهمة) ، بعد ذلك ، فيما نشره من تآليف • لقد رفعته (رحلته) الى مقام سني وصيّرته من الرحّالين النابهين ومؤرخي بلاد العرب • ومن أسف أن أشاهده ، في أثناء وقت متأخر من زمان (الحملة) يرحل عن (بلاد ما بين النهرين) أثر طلب عاجل ورد من (حكـــومة الهند) • وعلى الرغم من اننا لم نكن متّفقين دوما (وما كان فيلبي ليخفي هذا

---

(٧) هو ثاني اثنين من كبار موظفي الاحتـــلال البريطاني اللذين كانا يميلان الى الاخذ بالنظام الجمهوري في العراق ، والاخر هو مستشار المعارف ، عهدذاك (مستررايلى) • ومما يذكر عنه ، واخبرني به من لا أرد احديثه، وادرك هاتيك الايام ، أنه هو الذى زار الملك فيصل في القطار الذي أقله من البصرة الى بغداد ، عندما جاء ينشد عرش العراق ، وعندما طلب منه فيصل معاونة الموظفين البريطانيين له في مسعاه ـ أجابه بما يلي : ان الانتخاب سيكون حرا ، وان كنت تروم مبايعة الاهلين لك عن سبيل تلكم المعاونة فان أملك (كسراب بقيعـــة يحسبه الظمآن ماء) ! وكان فيلبي يلازم (طالب باشا النقيب) ـ رحمه الله ـ المرشح الاخر لحكم العراق ، جمهوريا كان أم ملكيا ، لزوم ظله ، وكان منه مكان بعضه من بعض ، وعندما نفاه الانكليز كان أول من أحتج على نفيه • (المترجم)

أبدا) الا انني كنت أكبر اقتداره واقدر نزاهته الفكرية ، ذلك انــه كان يأبى خفر الذمة (وذو المروءة لا يفعل في السر ما يكره أن يفعله في العلانية) •

وكانت مشكلة (الادارة المدنية) في البصرة ، على ما أسلفنا القول فيها ، مزدوجة : ذلك اني كنت نائبا عن سر برسي كوكس ، ومقرّي البصرة ، من جهة ، ومن جهة أخرى كنت ضابط ركن في امرة (مفتش المواصلات العام) ، وهو من كانت تبعته الادارية واســعة الاطراف شاسعة تمتدّ من (السوس) وحقول النفط في فارس حتى الناصرية على الفرات وبغداد على دجلة • وعملنـا جاهدين في سبيل اللامركزية وتخويل من يمثلنا في المناطق ، على اختلافها ، « الصلاحية » اللازمة • لكن الواجب كان يقضي ، لاسباب مالية محضة ، بان نضمن ، عن يقين وعيان ، المعاملة الموحدة بالنسبة للقضايا المتماثلة من أمثال : طلبات التعويض وبدلات الايجار وفقدان السفن النهرية وشراء المواد البــلدية (المحلية) من المقاولين وعن سبيل (ضباط التموين) الموجودين في المراكز عــلى اختلافها ، وبذلك يُمنى القصد من حملة المبايعات البلدية بالاخفاق •

ان توكيد (المقر العام) الاستفادةَ من الموارد البلدية الى أبعد حــد مستطاع ، وبصرف النظر عن الكلفة ، أدّى بنا الى أوضاع شاذّة • ذلك ان المقاولين أخذوا يتحلّقون ويضيقون الخناق على ضباط التموين الموجودين في المراكز التي تكون فيها الحاجة الى المواد المذكورة على أشدها • بذلك كانوا يضطرونهم الى دفع أسعار غير معقولة • وما انفك المعنيون عن جعل الموظفين المرؤوســين خَرِبي الذمم ، لذلك غدت المراقبة المستدامة ضرورية • فعلى سبيل المثال ، طلبت الهند منا أن نحد من طلباتنا بشأن (الدُهْن) وأن نحصل عليه من الموارد البلدية ، وعند ذلك اشترى المقاولون ، من أهل البلاد ، كميات كبيرة مــن الدهن الخسيس في أسواق (كراجي) وشحنوها الى (المحمرة) ، ومنهــا الى (الاحواز : الاهواز) ثم أفرغوها في أوعية بلدية وباعوها الى ضباط التمــوين باعتدادها من المنتوجات البلدية (المحلية) ، وبذلك نسفوا كل ما يرتجى من وراء حملة الشراء محليا •

كانت حياة قصيرة المدى ، وكان النهار طويلا ، بالنسبة الى مراجعة (المحاكم المدنية) خلاله ، وقيام أمثال أولئك الضباط بفرض العقاب • كما لم يكن من الهيّن اليسير أن يعاد صوغ تلكم (المقاولات) لتغدو جامعة مانعة شاملة فتحول دون تلاعب المقاولين ، وهو تلاعب كانوا يبتغون اليه الوسيلة وتنشرح له صدورهم كثيرا • وكانت (القوائم السود) لا حفل بها غير ذات جدوى ، ذلك أن المتلاعب ان وضع اسمه فيها بادر الى الانخراط في منظومة أخرى ، أو راغ وزاغ فاندمج (بصديق أمين لا يأبه بما يحدث) • ومهما يكن من شيء ، من الانصاف أن نقرر ان الغالب من التجار البلديين ، والمؤسسات الكبيرة جميعا ، تعاملوا معنا على وجه مشرف أمين ، ولو لا هذا (التعاون) ، الذي يسّر العسير وذلل المتعاصي ، لكانت حالنا أسوأ ، ما الى الشك في ذلك من سبيل •

وكان (المقصف السياسي) ، طوال مدة ثوائي في (البصرة) مفتوحا ، على ما كان عليه في سنة ١٩١٦ أيضا • كان (مضيفا) يستقبل جميع القادمين المنسوبين الى (الادارة المدنية) ، فاستطعت ، بواسطته ، أن أقري كثيرا من الضباط المنسوبين الى الوحدات العسكرية وان أجدد علاقتي بصُدقان قدامى ، وأن أكوّن صداقات جديدة ، سواء بسواء • وتعايشت مع الاحداث الجارية ، بقدر تعلق الامر بالناحية العسكرية،فاستطعت أن أقف على أسامي (*) ضباط قد يستفاد منهم في (الادارة المدنية) • وعن طريق اعداد نظام من أنظمة (بطاقات الهوية) استطعت امساك سجل دوّنت فيه مزايا كل من لاقيته منهم ومؤهلاته تقريبا ، ينضاف الى ذلك سجل كل من كان (مرجّو الغد) فيهم ، طرق سمعي أسمه • وعلى ذلك ، وفي خلال ثلاث سنوات مددا ، جمعت معلومات جمة نفيسة ذوات صلات بآحاد تناهت اسماؤهم اليّ من أفواه من كانوا زملاء لهم • وما ان مسّت الحاجة الى اصطفاء رجال لاشغال مناصب ذوات تبعة ، على ما حدث بآخره ، الا برهن لكم (السجل) على انه ذو فائدة ، أي فائدة •

وغدت الناحية المالية في (ادارتها) ومحاسبتها (وكانت في هذا الاوان ، أعني

(*) جمع الجمع في (أسماء) وهي عندنا من العامي الفصيح • (المترجم) .

في أواخر سنة ١٩١٦ بعهدة (الملازم بل) أجلّ خطرا وأعظم شأنا • ذلك اننا كنا نجبي ، من غير اعسار كبير ، قدرا من الواردات في (سنجقي : « لواءي » : البصرة والعمارة) عظيما ، كما كنا نجبي منهـا في الناصرية شيئا • وكانت دائرة المكس (الكمرك) بيد من كان على حظ كبير من همة ومقدرة ، لا يشكل عليه دقيق ولا يعييه خفي ، وأعني به : مستر وتكنس • وكانت (الدائرة) المذكورة تستوفي مقدارا من المال كبيرا • وازدادت واردات الاملاك الاميرية التركيـة ورسوم الانتاج الداخلي وما الى ذلك ، وكان الازدياد مطردا دؤوبا • وأسّست (الخزانة المدنية)[٨] في البصرة ، في مطلع سـنة ١٩١٥ ، كخطوة أولى ، لينصب فيها كل ما كان يتأتى من موارد ، وهي شتى ، وروعي الاقتصاد التام في الانفاق الخاص ، على اختلاف وجوهه • ولاسباب تقنية صرفة أعتُد فرع (المصرف العثماني السلطاني « البادشاهي») في البصرة عدوا ، لذا لم نستطع الى التعامل معه سبيلا • ولاسباب تقنية محضة أيضا لم نستطع دعوة (المصرف الايراني الانبراطـوري « الشاهنشاهي ») للعمل بوصفه المصرف الرسـمي لـ (الادارة المدنيـة) لذلك أقامت حكومة الهنـد «مؤسسة» ثالثة واعني بهـا : (المصرف الشرقي) • كان له في بغداد ، فيما قبل الحرب ، فرع ، وفتـح (المصرف) المذكور أبوابه في يوم الثلاثين من أيلول سنة ١٩١٥ ، وفي تشـرين الثاني أسس له في العمارة (فرعا) ، وفي الـ ٢٤ من نيسان ١٩١٧ عاود فتح فرعه ببغداد واتخذ له من بناية (المصرف الالماني) مقرا • وفي أيار سنة ١٩١٩ أسس له في الموصل فرعا • وفي خلال السنتين الاولين من سني الاحتـلال قامت (الخزانة المدنية) بتصريف شؤون الاموال المدنية ، حسب • ولما كان جانب الصرف تمثله (المعاشات) المدفوعة على حسابات مستوفيها المودعة في مصارف الهند أو (المملكة المتحدة) غالبا لذا توافرت مقادير كبيرة من النقد ساعدت على تمـويل ما أرصد للجهة العسكرية ودائرتها ، وكانت حاجتها الى المال كبيرة • وغـبّ

---

(٨) الخزانة هو الاستعمال العربي الفصيح ، لا (الخزينة) على ما هو دارج في يوم الناس هذا •

[المترجم]

دلك ، أي في سنة ١٩١٧ ، أصبحت (الادارة المدنية) تضطلع بتبعـــة تزويد (الدوائر العسكرية) العملة اللازمة لها ، لذلك كانت تقوم باحتساب حاجة كل دائرة منها ، قبل شهر مسبقا ، بالاضافة الى تخمين حاجتها من المال ، لاحقا • وكانت المشكلة التي جبهتنا هي تزويد (الاراضي المحتلة) عملة جديدة ، ذلك ان الاتراك ، على ما أسلفنا القول عليه ، سعوا الى جمع جل الذهب والفضـــة واصدار عملة ورق بدلا عنهما • وعندما أحتـُلـَّت بغداد ، في اذار سنة ١٩١٧ ، كاد (النظام النقدي) ينهار ، اذ لم يكن ثمة نقد عين[٩] احتياط لمثل هذه الحال الطارئة • وما كانت حكومة الهند ، الا لماما ، بقادرة على تلبية الطلبات المتزايدة من الروبيات اللازمات للانفاق على الحركات الجاريات في مصر وشرقي أفريقية وبلاد ما بين النهرين وفارس ، ومرد ذلك الى اتساع الحاجة الداخلية في الهند ، اثر نشوب الحرب • وكانت الروبيات تشحن من (دار الضرب) ، في صناديق ، فورا ، ويكاد معدنها يكون حارا • وعلى ذلك رفضت حكومة الهند أن يكون لدينا أي احتياط منها ، وشجعتنا على أن نخضع للظروف الملجئة فنجعل العملة الورق متداولة • أصبنا في هذا ، في (ولاية البصرة) نُجْحا ، وفي أمكنـــة خارجة عن سيطرتنا كالسماوة والشطرة والحي أيضا ، ذلك ان الروبيات الورق كانت مقبولة بقيمتها دوما ، وحتى في الايام السود الحالكات من ســـنة ١٩١٦ أيضا • وكان من العسير المتعاضل ، على كل حال ، أن تقبل العشائر القاطنـــة على حدود (ولاية بغداد) أو تجارها ــ وهم الذين حرموا من العملات الذهب والفضة التركية ــ أوراق النقد الهندية بيسر واسماح •

ومع ذلك كله ، كانت الروبيات الميسورات ، في حدها الادنى ، لا تسد حاجة (ولاية بغداد) ، ولا يؤمل وصول كمية كافية منها من الهند ، قبـــل مرور شهر • وعند اطلالة اليوم الاول من اذار وردني ما يفيد تحديد المقـــدار

---

(٩) من معاني (العين) النقد من الدراهم والدنانير ، وهو في اللغة من (المشترك) ، ومن معاني (المفردة) الاخرى : عين الانسان ، ومخزن ماء البئر ، ومطر ايام لا يقلع ، والجاسوس ، والشيء نفسه •

[المترجم]

المطلوب ، بقدر تعلق الامر بالزحف ، لذلك عقدت اجتماعا عاجـــلا حضره (مفتش المواصلات العام) و (مدير الحسابات العسكرية) في (القاعدة) . وأقررنا خفض حساباتنا النقدية في كل من البصرة والعمارة والناصرية وجعلهـا في حدود الاف من الروبيات ، في كل منها ، وشحن البقية الباقية على ظهـور بواخر سريعة جارية في النهر صُعُدا . لكن المبالغ التي تم الحصول عليهـا بهذه الطريقة لم تكن بكافية أيضا . لذلك استنجدنا (بشركة النفط الانكليزية ـ الفارسية) وبفروع (المصرف الايرانى الشاهنشاهي) فلبت الطلب جميعـــا ، بأوسع ما في مكنتها . ولم تستطع (الخزانة المدنية) في (بوشهر) أن تسدي لنا عونا ، ذلك أنها كانت خالية خاوية ، أو تكاد ، ومرد ذلك الى انفـــاق المفرزات المرابطة في تلكم (الفرضة) . وابرقت الى كل من الكويت والبحرين ووفقت ، بعون من (البحرية) ، الى الحصول على (الكاك)[10] من الروبيـــات بأقصر زمان . والى ذلك كله كانت هناك كميات كبيرة من النقد في جيـــوب الاهالي ، لكن الخطر الذي ينجم عن اتخاذ اجراءات جهرية تفصح عن حاجتنا اليهـــا ، كان جليا . واثر اتصالات جرت مع مديري المصارف أُقرّت خطة محصلها : الاعلان عن ان « التحويلات البرقية » على بمبي ستُقبل من قبـــل (الخزانة المدنية) في البصرة بالعملة الورق ، حسب ، ومن يدفع اكبر قدر منها سيحظى بالافضلية . وأشيع السبب الذي حدا على ذلك سرا وكان مفاده أنـــا بحاجة ماسة الى (صرّافين) ، ولتأييد هذه (الحكاية) سُفِّر عدد منهم في النهر صعدا ، على وفق أوامر وردت من بغداد زعما[11] .

---

(١٠) كلمة فارسية وتعنى ١٠٠ ألف عدا . (المترجم) .

(١١) هذه من أحابيل الاستعباد البريطانى التى اعتـــاد على نصبـها للشعوب . ولا يذهبن عنك ان المال بالنسبة اليه هو عصب الحياة ، والاقتصاد غايته الاولى التى يهون في سبيلها هول الحتوف وابتزاز اموال الناس وحتى مخمصهم وخصاصهم .

[المترجم]

وزودنا المصارف كميات كافية وافية من العملة الورق ، من الفئات الكبيرة ، ورجوناها أن تدفع لنا ما تحصل عليه من نقد يوميا • وكان أن أصبنا في هـذا (المسعى) نجاحا تاما ، وعلى ذلك ورد بغداد نقد يكفي تفادي أزمة ، حسب • حسن أن لا تحصر (المقرات العامة المتقدمة) ، اذ ما كانت القوات تستقر الا كانت تشاهد صفوف ، من تجار بغداد وكتابهم ، متتابعة متراصة واقفة بازاء (خزانات الميدان) تبغي الحصول على الروبيات لقاء ما كان لديها من خزين العملة الورق • وكان جل العملة الورق المعروضة مما صدر منها قبل الحرب ، وما كان من هذا الذي لا ينقضي منه العجب أن تحمل نسبة عالية منها ختم (الخزانة المدنية) في البصرة ، وتعود ، بتأريخها ، الى سنة **١٩١٥** وسنة **١٩١٦** • وتشغل التجار الناشطون في شراء الذهب التركي بالعملة الهندية الورق ، على أساس الخفض ، ذلك ان حيازة هذا الذهب كان يُعتدّ جرما وعملا مخالفا عن أمر القانون ، يعاقب بموجبه ، القانون التركي • وكان أن بهرجوه(*) عن سبيل الاهوار ، أو عبر فارس • ولا معدى عن أن يكون الخطر الذي كان يكتنف مثل هذه (العملية) أمرا أدا ، لكن الطلب الواقع على العملة الذهب من قبل سروات القوم كان شديدا ملحّا أيضا • ولم نفكر في أن نطلب من (سملا) أو (وايت هول) تزويدنا الذهب لدفعه الى العرب ، على وفق مقياس كان ضباطنا الموجودون على ساحل البحر الأحمر والعقبة مصطنعية • واستثير حسد ابن سعود عندما وردته تقارير تفيد بأن كميات كبيرة من الذهب يقوم الضباط السياسيون الملحقون بـ (الحملة الاستكشافية المصرية)[١٢] بتوزيعها • لقد طلب منا هذا ، فيما مضى ، ان يكون

(*) البهرجة هى (التهريب) على ما يشيع اليوم ، ترجمة عن (قجغ : قاچاق) التى تدل في التركية على معناه • [المترجم] •

(١٢) راجع : .(Lowell, Thomas,) p. 249 • **لقد جمع من العين** الذهب القناطير المقنطرة من كل رجا من ارجاء الانبراطورية وشحن في صناديق لاثرة البدو عندما كان يتراءى ان حماس هؤلاء (السادة) غدا فاترا •
(المؤلف)

قلنا : يريد بذلك الذهب العين الذى وزعه لورنس ، واضراب لورنس ، على البدو الذين هرعوا ، طمعا فيه ، الى الثورة التي اعلنها شريف مكة (الملك حسين ،

ما ندفعه اليه ذهبا ، فجاءه جوابنا ، على القطع جزما ، يفيد بأن ليس هناك من شيء بالذهب يشترى ، ولا يمكن شراؤه بالفضة أيضا • وفي خلال أمد قصير استطعنا أن نجعل المنحة المقررة له تدفع الى حساب (وكيله) في بمبي • ان ابن سعود ملك ــ تاجر دوما ، ومن كانوا يتحلّقون حوله كانوا من التجار أيضا •

ولنعد الى ما أخذنا فيه من حديث العملة ببغداد : لقد نَفِد ما كان لدينا من الروبيات المدّخَرة ، خلال أيام ، وتراءت امارات تنذر بتدهور قيمة العملة الورق ان لم تتخذ ، بشأنها ، اجراءات حازمة حاسمة • وعولج الامر بمثل ما عولج به أمر البصرة • كان التجار يلحفون بطلب (التحويلات البرقية) لقاء البضاعة التي يرومون استيرادها ، فقيل لهم ان الامر ممكن بشرط كونه لقاء روبيات ورق ، وما كان منها من فئة ١٠٠٠ روبية هو الافضل المفضل • لذلك بادر التجار الى شرائها من المصارف فارتفع سعر الورقة النقد من فئة ١٠٠٠ روبية ، وبقيت قيمتها الحقة أعلى من قيمتها الاسمية طوال أشهر •

وشحّ الموجود من عملة الروبيات في أواخر السنة فعالجنا الامر عن سبيل رفض قبول مبالغ الضرائب والرسوم الا بالعملة الورق • وأوضحنا للناس أن الغاية هي ابقاء الروبية متداولة ، اذ اننا لن نستفيد منها ان بقيت في (الخزانة) مودعة • وكان للنكسة التي منيت بها هذه الاعراف التركية أثرها المرتجى ، ذلك ان الشيوخ ، والتجار ، سرعان ما أدركوا أن من الاسلم ارسال انصاف الاوراق النقدية الى مختلف أرجاء البلاد ، عوضا عن ارسالهم النقد العين ، وما أن أصبحنا في نهاية سنة ١٩١٧ الا غدت العملة الهندية الورق ركينة الاساس مكينته ، في أرجاء (الاراضي المحتلة) كلها وفيما وراءها الى أبعد مدى •

وبقدر تعلق الامر بالحسابات ، لقد ازداد حجم العمل باطراد ، ذلك ان

بعدئذ) ــ رحمه الله ــ على الانبراطورية العثمانية ، وعرفت ، بعدئذ ، بثورة ٩ شعبان • لقد مهد اليها كثير من الضباط العرب آملين تحرير بلادهم واستقلالها وتوحيدها وكان في مقدمتهم الثائر العربي المرحوم عزيز علي المصري ، لكنه انسحب منها بعد ان ادرك انها لم تكن الا أحبولة من احابيل الاستعباد البريطاني •

[المترجم]

كل (ضابط منطقة سياسي) غدا يضطلع بتبعة دفع المعاشات الى الشرطة البلدية (المحلية) ، وحراس الليل وموظفي (البلديات) ، كما كان يصرف قدرا كبيرا من المال ، نيابة عن (الدوائر العسكرية) • وكان في دوائر الشرطة مئات ممن يلبسون بزتها الرسمية ، وكما ان دائرتي العدل والسجون وموظفي (الحصر) ونحو ستة من فروع (الادارة المدنية) ، كلها كانت تتداول من المال قدرا عظيما • وبلغ مجموع (الدوائر الحسابية) ، في نهاية سنة ١٩١٦ ، مئة وزيادة ، تعمل كلها مع (الخزانة المدنية) يدا بيد • وكان لزاما أن تصرّف (الشؤون الحسابية) تصريفا منهجيا منظما ، وأن تكون (دفاترها) التي جرى في (القاعدة) امساكها ، على وجه ييسر تدقيقها ، تدقيقا سليما ، وذلك بقدر تعلق الامر بالدفع والقبض معا • وما كانت لدينا فكرة ، في هذا الصدد ، غير ارسالها الى (مراقب الحسابات العسكرية) في كلكتا • وكان هذا (المراقب) يقوم بما يطلب منه على أفضل وجه يستطيعه (ولا يكلف الله نفسا الا وسعها) ، ثم كان يعيدها الينا ، بعد شهور عديدة ، مشفوعة بفذلكة حسابية مجمّعة تفصح عن وضعنا الحسابي حقا • ومثل هذا كان أكبر مما نستطيع الى انجازه سبيلا ، ذلك ان من الضروري أن تكون حساباتنا مدونة بالانكليزية كي يفهمها من في الهند دوما • ولم نستطع ، خلال أيام الحرب ، على كل حال ، الحصول على (كتاب حسابات) عربيا كفاة ، ذلك ان أمثالهم كانوا يطلبون للعمل في المحلات التجارية التي تدفع لهم معاشات تؤمن لهم مستقبلا لا تستطيع أي حكومة أن تباريهم فيها • لذا كان التزام جانب التيسير في أمور الحسابات أمرا لازما ، ذلك ان الضباط المعنيين بشؤونها لم يكن لديهم وقت كبير يمضونه في انجاز الاعمال الورقية ، لما لم يكن الكتاب المرهقون ، ممن كانوا في امرتهم ، قادرين على القيام بما هو أكثر من الاحتفاظ بحساب النقد العين اليسير • ومنذ طالعة الامر جرى التوكيد على الضباط كافة بأن ناموسهم يرتكن ، الى حد كبير ، الى صحة الحسابات التي يقدمونها ، وسرعة ذلكم التقديم ، والتزام الاصول المقررة بشأنها ، كي لا يلتاث أمرها ويلتبس فيصبح أفرطا •

وكان من اللازم أن تصادق (الجهة المختصه) على صرف المعاشات تحريرا • والمراد (بالجهة المختصة) : (الضابط السياسي الرئيس) أو (نائبه) • وفي حالة الصرف على شؤون الجيش : السلطة العسكرية المختصة • وبلغ مقدار المخابرات اللازمة لذلك شيئا كبيرا جدا ، وشق على الضباط المرهقين بالعمل حقا بحيث كاد صبرهم ، وهم يطوفون في أرجاء البلاد ، ينفد ، وما كان لطوافهم هذا من فَوَاق • كانوا يقومون ، في أثناء ذلك ، بالمقابلات المتعبة ويحضرون جلسات المحاكم الطويلة ، ثم يجلسون الى مكاتبهم ، بعد العشاء ، في معاملات ذوات صلة بالمصروفات • ومهما تكن الحال ، كان لزاما وضع معايير للصرف في شتى المناطق ، وذلك بقدر تعلق الامر بالخدمات المتشابهة ، وأن ندقق حسابات المراكز النائية • وكان (مفوض الواردات) ، وكنت أنا أيضا ، على حظ من التزمّت في طلباتنا ، لا هوادة فيه ولا لين أبدا ، وكل في حدود تبعته واختصاصه طبعا •

وفي أوائل سنة ١٩١٧ جاء (مراقب الحسابات الحربية : مستر ميترا) — وقد سما به سلم الرتب ، بعد ذلك ، فأصبح يدعى سر بي•ان•ميترا ، وفي (مجلس نائب الملك في الهند) عضوا — الى البصرة في زيارة تفتيش وتحقيق رسمية ، يصحبه فيها مستر بارلبي ، المنسوب الى (دائرة الحسابات العسكرية الهندية) ومساعدون آخرون • وما كان استقصاء مثل هذا (الموظف الهندي النابه) ليعوزه الشمول أو يعدم الدقة • ولقد قام ، وموظفوه ، بتمحيص سجلاتنا الحسابية وتدقيق مستنداتها المتراكمة ، أكداسا مكدسة ، وحساب ما كان عندنا من نقد — عين • ولم يقتصر ذلك على (المقر العام) بل شمل المراكز النائية فثبت كل (مخالفة) و (انحراف) عن نصوص (التعليمات الصادرة) ، وهي التي فرضناها على أنفسنا فرضا • ومرت سنون وسنون وما زلت أذكر تلك الطمأنينة العميقة التي شاعت في نفسي حين تسلمت بيان مستر ميترا القائل بأن ليس هناك من شيء فقدناه أو عدمناه • لقد استقصى (مخالفة مالية) واحدة فقط ، كنت أنا المسؤول عنها حصرا • انها تتعلق بمبلغ قدره : سبع وأربعون روبية وعشر آنات كانت (دائرة الحسابات العسكرية) رفضت تسويته لسبب م ا • وتفاديا لامر

مخابرات قد تجري بشأنه قمت بصرفه محسوبا على (مادة المخصصات المكتومة) التي ما كانت خاضعة لغير تدقيق (مراقب الحسابات) حصرا • ورجوته أن ينساها واقترحت عليه أن أدفع من كيسي الخاص مبلغها ، لكنه وقف بأزاء ذلك كله (واذنه صماء غير صاغية) • وجاءني بعده ، (توبيخ) من حكومة الهند ، مشفوعا برسالة تقدير حارة على الجهود الباذلة التي صببناها فصيّرنا (حساباتنا) سليمة ، وعلى جعلنا (ادارة البلاد) مرتكنة الى آساس اقتصادية حقة • وغبّ عودته بأمد قصير ، وبناء على (مقترح) قدمه خولتنا (حكومة الهند) « صلاحيات » مالية واسعة ، كما اعارتنا خدمات (مستر بارلبي) وهو من لا يزال (سنة ١٩٣٠)[١٣] على الخدمة في (بلاد ما بين النهرين) دائبا ، كي يسلكنا على الصراط المالي الحالي المستقيم دواما • كان واجبه مرهقا حقا ، لا حمد عليه ولا شكرانا ، لكنه اضطلع به بحمية دأبا ، فبعث ، ولا يزال يبعث اعجابي به واكباري له •

وبين سنة ١٩١٥ وسنة ١٩٢٠ أخذت الاوراق تتكدس على منضدة (السلطة المدنية) ممثلة الجهد البشري في مختلف مناكب الحياة • ما كنا نرى فيها من وجهات الفعال الانسانية الشريفة الا قليلا ، ذلك انه لم يكن ثمة من يقيدها ، كما لم يكن هناك هدف ما في تقييدها • واني لازهو فخرا وأتيه عجبا حين أقرر أن لم تحم ، منذ البداية حتى النهاية ، حائمة ريبة حول أي موظف في (الادارة المدنية) ، سواء أكان بريطانيا أم عربيا ، أو هنديا • أقول قولي هذا وأعني كل موظف ، سواء أكان متعاقدا أم غير متعاقد ، هذا وان عدد المتّهمين بالخيانة كان أقل من ذلك أيضا • وكان مقدار المال المتداوَل كبيرا ، كما كانت الظروف التي تكتنفه مواتية الاخلاص • وخرجت (الادارة) مجلوّة الصفحة نقية الاديم ، ومرد ذلك الى أستقامة الافراد والى ذلك النظام الحصيف

---

(١٣) كان يشغل وظيفة (مراقب الحسابات العام) ويرتبط ب (مجلس الامة) في (العهد الملكي الزائل) في العراق • وكان (الدستور) ، يومذاك ، يقضي بأن يقدم تقاريره الى (المجلس) المذكور تمكينا له من الاشراف على اعمال (السلطة التنفيذية) من الوجهتين : المالية والحسابية •

[المترجم]

المتعلق بتدقيق حسابات السفر والمحاسبة المركزية ، حجر الزاوية في نظامنا المالي ، وهو الذي قام عليها ، منذ البداية حتى النهاية يزدان بحسن البناء واحكام الصنعة • كانت زيارة (مستر ميترا) عونا لنا في نواح أخرى ، ذلك انه حبب نفسه الى قلوب من كانوا في (المطعم السياسي) في البصرة جميعا ، ولا تنس أنهم أفانين من الناس شتى • كان الرجل يقبل على أداء واجبه مطمئن النفس متواضعا فيضفي عليه من فطنته شيئا كثيرا • وما كان احد يباريه في ميدان التعلق بمكتبه أو بالتمسك بنصوص (التعليمات) ، كما لم يكن هناك من هو أكثر منه توقا الى أن ييسر المجهود ، بأي وسيلة مستطاعة ، قدما • ولو أظهرت حكومة الهند ، في سنة ١٩١٥ ، بطاقاتها مجتمعة ، روح الحماس والتعاون التي تجلت في (الرجل) لما سمعنا ما دار في (البرلمان) ، وفي غيره ، عن عجز الهند ، الا قليلا • في (الفصل الخامس) ، على ما أسلفناه لك ، بلاغ عن مولد الصحيفة المسماة (بصرة تايمس) و « اختها الصغيرة » المسماة (بغداد تايمس) • وبازدياد قواتنا ازدادت الطلبات على (مطبعة الجريدة الاولى) وانهالت ، وكنا حصلنا عليها من (صاحبها) اثر تثمين لها • وكانت السلطات العسكرية تطلب من الاستئمارات قدرا كبيرا ، فيسنة ١٩١٥ ، اضطرت بسببه ، (دائرة القرطاسية في القاعدة) الى زيادة مقدار ما تحصل عليه من حاجتها بلديا • وتجلى ، أوانئذ ، ان هناك حلين للامر : فاما أن يقيم الجيش مطبعة خاصة به ، أو أن تقيمها (الادارة المدنية) لتلبية حاجات الجهتين : (العسكرية) و (المدنية) معا • وأقر الحل الاخير ، وعلى ذلك وصل ، في نيسان سنة ١٩١٦ ، (مستر ويكفورد) ، المنسوب الى (مطبعة الحكومة الهندية) في (كلكتا) ليضطلع بتصريف شؤون المطبعة في البصرة • كان الرجل منضدا مجربا وطابعا ماهرا ، ذا احاطة شاملة بأمور مكاين الطبع وورقه ، ولنا أن نضيف الى ذلك انه كان بالناس خبيرا • حباه الله باقتدار على استطلاع ما قد يجيء به قابل الايام ، وبحسن التأني لاموره والعمل على وفق متطلباته ، واختطاط المشاريع التي يحتاج اليها على مقياس كبير • وازداد عدد ما نصب من مكاين الطبع وتعاظمت قدرتها على العمل • كما كثر عدد من كان يعمل في (المطبعة) من المنضدين أيضا ،

سواء أكانوا من البريطانيين أم كانوا عربا ، أو كانوا هنودا • ومن مشاريعها الطامحة المنشور الموسوم ب (العــــراق في أثناء الحرب : (Iraq in Wartime

وهو مشروع تزهو به فخرا أي مطبعة في الهند • ذلك ان نسخا كثيرة منـــه بيعت ، وقُدّرت عدتها بآلاف • وسرعان ما أخذت (المطبعة) بصنع (صفائح) للاستمارات العسكرية والمدنية ، كي تطبع الكميات اللازمة منهــا على وَفْق الطلب، وتتجنب ماتسببه يد الضياع ، إنْ طرأ على الاستمارات تغيير ما •وصُيِّر نوع الورق وسعة الاستمارة الواحدة قياسيين ، وعلى ذلك حد من حمـــــاس الراغبين في اضافة عمود الى الاستمارة كثيرا ، وكان عدد مثل هؤلاء يزداد دوما • وسرعان ما تبين ل (دائرة قرطاسية القاعدة)[١٤] ان العمل البلدي (المحلي) أرخص كلفة من نظيره في كلكتا ، وشرع بالتجليد أيضا • وعندما تم احتلال بغداد نقلنا من (القاعدة) عددا من المكاين التي أعــددناها لهــا ، ورحل مستر ويكفورد ، صُعُدا ، لتولي ادارة (مطبعة الحكومة ببغداد) فحلّ محلّه ؛ في البصرة : مستر باري • وما أن حلّت سنة **١٩١٨** الا أصبح انتــــاج (مطبعــة بغداد) أكبر من انتاج (مطبعة البصرة) ، وكانت الاولى قد جهزت بمكاين طبع من النوعين المعروفين ب (لاينوتايب) و (مونوتايب) ، فغدت تطبع بأربع لغى وثلاثة ألوان •

وتولت أمر (مطبعة البصرة) شركة ذات تبعة (مسؤولية) محدودة ، وغدا اسم (بصرة تايمس : Basra Times:) (تايمس أوف ميزوبوتميــــا : The Times of Mesopotamia:) ودأبت (الجريـــدتان) عــــــلى الرواج والازدهار ، وذلك على الرغم من أن طريق الصحافة في بلاد ما بين النهرين لم

---

(١٤) لاول مرة يأتى الاحتلال البريطانى الى العراق بالآلة الكاتبــــة ، وانتشرت طريقة الكتابة بها فاخذت تطبع نسخا على وفق الحاجة ، وتحفظ نسخة منها للرجوع اليها • وكانت الاوراق في الدوائر العثمانية – على ما يحدثنا من ادرك ايامها – تجمع على حسب موضوعاتها وتوضع في كيس خام (طوربة) ، لكن سلطات الاحتلال اخذت بنظام الاضابير الخاصة بكل معاملة •

[المترجم]

يكن مدعاة البهجة أو بمنجاة من الخطل دوما • وفي سنة ١٩٢١ تولت (الحكومة العربية) شؤون (مطبعة بغداد) ، لكنها لم تنهض بعبء (بغداد تايمس) • لقد قامت بتصريف أمور المطبعة باعتدادها دائرة حكومية ، على انها كانت، ولا تزال، على حظ كبير من الفائدة ، كأداة طيعة بيد حكومة مدنية ساعية لتحقيق غايات مدنية أيضا •

كانت العناية بالخدمات الصحية والحجر الصحي ، في سنة ١٩١٧ م اسد مما كانت عليه في السنين الخولي ، وان كانت أوهن مما كانت تستأهل ونالته في الايام القوابل • وكانت المنطقتان البلديتان لـ (القاعدة) والعشار شديدتي الزحام ، ذلك ان الجيش أشغل كثيرا من دورهما كما ان عشرات الدور نقضت لفتح طرق جديدة وتوسعة للطرق الموجودة • واقيمت على روابي الارض ، التي لا تصلها مياه الفيضان ، معسكرات الجيش ، وازدحم على ما تبقى منها الاهلون ، فكان لهم دوي كدوي خلية النحل • وما كنا ، حتى هذا الحين ، بقادرين على تمكين الاهلين من (مشروع اسالة ماء) ، كما ان القنى التي كانت ترويهم فيما قبل الحرب ، وهم قلة ، أصبحت ، اليوم ، كريهة الرائحة ، ومرد ذلك الى النواقل المائية المتزايدة • كما كانت مجاري المياه القذرة العائدة للجيش تحول دون انسياب مياه المدّ فيها • وأدت محاولاتنا المنصبة على تحسين المناطق العسكرية الى أن تغدو المناطق الاخرى على حال أسوأ من ذي قبل • وفشا الطاعون في شتاء سنة ١٩١٦ وربيع سنة ١٩١٧ وجاء في أعقابه ، خلال السنة الاخيرة : الجدري ، ثم دهمت البلاد ، في أيار سنة ١٩١٨ ، الـ (كوليرا) ، ووقعت في الشهر المذكور ، اصابات بالطاعون أيضا • وكان الطاعون والجدري يهددان بأن يصبحا من الامراض المتوطنة في البلاد • ان الزحام الشديد الذي شهدته المنطقة كلها صيّر الاخذ بوسائل الوقاية عسيرا معسرا • وما كان الاهلون يشكون من انتشار البرداء (ملاريا) فيما قبل الحرب الا قليلا ، لكنها أخذت ، بعدها ، تنتشر دأبا • وكان الزعم الشائع هو أن الهند مصدرها ، وعُدّت العامل المسبب في الـ ٧ بالمئة من الوفيات المسجلة الواقعة سنة ١٩١٨ أيضا •

وانداحت موجة ال (أنفلونزا) ، التي نجمت في أسبانية ، خلال ربيع ١٩١٨ ، مصعدة في أوربة الشمالية ، وشرقت الى الهند ، وظهرت اثارها في (القاعدة) في أيلول من السنة المذكورة • وازداد عدد الوفيات بسببها فبلغ رقما لا كفاء له في الارتفاع ، بالنسبة الى ما عرفه الناس حتى في أيام انتشارالهيضة من شهرأيارالماضي• على أن ماعانته البصرة، وبلاد مابين النهرين، بعامة، كان أقل ، نسبيا ، مما عانته فارس وأوربة •

وفي فارس انداحت موجة شديدة من (ذات الجنب) ، وهو مرض من اختلاطات ال (أنفلونزا) ، فنزلت نازلته بكل انسان فيها ، فلم يسلم منه حتى الاصحاء الاقوياء ، سواءا كانوا من الرجال أم كانوا من النساء • وانتشرت هذه (الوافدة) بين القبائل الرحالة ، كالبختيارية وال (لُر) و (القشقائية) ، فحصدت من الارواح ، في أشهر قليلة ، ما يزيد على عدد ما حصد منها في أثناء أربع سنوات من السنين العجاف •

وكانت (الادارة المدنية) تصرّف شؤون (مصلحة صحة الميناء) و (مصلحة المحجر الصحي) نيابة عن الجيش ، على أن (المصلحتين) كانتا تخدمان (الجهتين) معا • وفي خلال سنة ١٩١٧ كان معدل السفن الشراعية التي تبلغ المحمّرة (خرمشهر اليوم : المترجم) شهريا : ١٠٠ سفينة ، كما كانت ترسو في (الميناء) عشرون سفينة دوما • وكانت كل السفن التي تصل من الهند محجورة ، ومنها ما كانت بالطاعون مصابة • وفي سنة ١٩١٨ اجتاحت موجة عارمة من ال (أنفلونزا) السفن الراسية في الميناء ، كما لم يسلم منها حتى (المحجر) نفسه • وأصيب بهذه (لوافدة) ، في احدى السفن ، نصف ملاحيها وزيادة • وقلة من تلكم السفن كان على ظهرها طبيب ، وعلى ذلك كان (ضابط صحة الميناء : النقيب فيج)(١٥) يضطلع بتبعة ، مستدامة الامد ، ذات صلة بمن كانوا على ظهور تلكم السفن ، وعدتهم نحو ٣٠٠٠ ، وما كان يبقى منهم في الميناء ، لمدة تزيد على عشرة أيام الا القليل ، وبانصرامها يحل محلهم آخرون •

---

(١٥) توفي في ٨ تشرين الاول • (المؤلف) •

وكان فحص الجثث ، الواردة ، على سبيل المرور ، من فارس والهند ، قاصدة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ، كشأن الكشف الطبي على زمر الزوار الذاهبة اليهما ، والسيطرة على البغايا للحفاظ على المصلحة العامة ، كل أولئك من شكول العمل الذي كانت تضطلع به (سلطات الصحة المدنية) ممثلة بالنقيب بوري الجرائحي المدني ، وبالنقيب وود : مدير الصحة • وكان الرجلان قائمين بالعمل على وجه رائق فائق ، تحت وطأة ظروف هي أشد ماتكون عسرا واعسارا ، ذلك ان النواقل كانت نادرة الوجود ، كما كانت وديقة النهار ووهج الشمس في النهر ، خلال الصيف ، أمرين لا يطاقان أبدا •وماكان هناك من سبيل الى الحصول على لوازم المستشفيات وتجهيزاتها الا لماما ، كما كان من الصعوبة بمكان أقامة (الصرائف) بسبب من انعدام الامكنة المناسبة لها • ويقاسي ، في مثل هذا الوقت ، الاطباء ما هو أشد مما يقاسيه غيرهم ، ذلك انهم يرون بأعينهم المآسي التي تغيب ، في العادة ، عن عيون غيرهم ، وهم كُثر ، (والشاهد يرى ما لا يراه الغائب طبعا !) • ان الاطباء ليعلمون ، علم اليقين ، ما الذي يجب أن يعمل به • لكنهم ، وهم على مثل هذه الحال ، ينظرون الى ذلك (نظر الملجج في اليم الى منارة الميناء !) • وأراني جديرا أن أقول : ان رجال الصحة المدنية كانوا ، منذ طالعة الامر ، أكثر لجاجة في طلباتهم وأشد الحاحا ، ان قورنوا بزملائهم العسكريين ، على ما تراءت حالهم في سنتي : ١٩١٤ و١٩١٥ • ولو قُدّر لي أن أتراخى في جهودي المنصبة على تلبية طلباتهم لجاءني وفد مِهْني يسعى ، مغيضا محنقا ، ويدعم تلكم الطلبات ، ويقدم الوعيد الذي كان الكهان في العصور المواضي يتقدمون به ، هذا واني لمدين لهم شخصيا ، كما كنت أعلم ما كانوا يفعلون جيدا وأتبين السبب الذي يحملهم عليه أيضا • لذلك كله عفوت عنهم ، وعلى غرار (القاضي المتهم في عدله) كنت ألبي طلباتهم ، ما استطعت الى ذلك سبيلا •

كان فرض السيطرة على البغايا ، خصوصا ، وعدتهن كانت ١٨٠ تقريبا ، أمرا عسيرا معسرا • لقد رفضت (سلطات الجيش) ، باديء ذي بدء ، الاعتراف بأية بغي ، أو فرض سيطرة ما عليها ، كما كانت منازلهن محرم

ونوجها . ودأب رجال (الانضباط) على جوب الامكنة التي تقع فيها وتنفيذ الاوامر الخاصة بها . لكن تعاطي البغاء ، سرّاً ، أمر يسير ، ومنعه أمر مستحيل (كمخض الماء لا يؤتي غير الماء دوما) . واقترح ابعاد (المخالفات) فرفض الاقتراح بسبب يتصل بواقع الحال . وكان هذا الذي أمكن تنفيذه في باب (الفحص الطبي) وقد قامت بذلك (مصلحة الصحة المدنية) لصالح الاهلين وغير المحاربين حسب ، والمبرر له : هو النجح الذي أصابه الجيش في تنفيذ خطته ، ذاتها . وبقي معدل الاصابات بالامراض الزهرية ، خلال السنوات ١٩١٤-١٩٢٠ أقل بكثير من صنوه في مصر والهند ، سواء أكان ذلك بالنسبة للبريطانيين أم بالنسبة لغيرهم من المحاربين[١٦] . وشهدت (باكو) ، في سنة ١٩١٨ ، التفشّي الخطر الفذّ .

وفي خارج مدينة البصرة ، في (سناجق) : القرنة والعمارة والناصرية ، حدثت ، خلال سنة ١٩١٧ ، تغييرات داخلية عظيمة ، اذ ما ان تم الاستيلاء على بغداد الا أخذت القبائل ، في الغالب ، باعتداد الحكم الجديد القائم حقيقة واقعة ، وعلى توطين نفوسها على الرضى بـ (واقع الحال) ، وتجنب مخاصمته. وأثمرت الجهود المضنية الاولى ، المنصبة على جمع المعلومات الخططية (الطبوغرافية) ، والاحصائية ، والاقتصادية والشخصية ، وتغير مظهر (الحكام السياسيين) كثيرا . وأستقرت شؤون الدولة في هذا الاوان ، وعلى ذلك وجب الاهتمام بالشؤون الفردية في مقبل الايام . وأمضي زمان طويل ، في (سنجق القرنة) ، بحثا عن الضرر الذي أوقعته الحركات الحربية وتخمينا . انه لعمل مضن ، لكنه ، بالنظر الى اعادة الحياة المدنية الى مجاريها الطبيعية ، أمر مهم . لقد أقتلع النخل المتعالي في بساتين ، فما بقيت نخلة سامقة باسقة وتبدلت الارض غير الارض فلم يعد مالكوها يعرفون أين تبدأ بساتينهم وأين منتهاها ؟! واستفيد من كثير من الارضين لمقاصد : الارصفة والسكك الحديد والمعسكرات . وارتفع مستوى الارض في بعض الامكنة الى حد صيّر الارض غير صالحة لمغارسة الشجر ، كرة أخرى . وفي أماكن أخر امتلأت الحفر ، المخلفة من جراء أخذ

---

(١٦) راجع كتاب Sir W. G. Macpherson. (**المؤلف**)

ترابها لمقاصد سكنية ، بالماء الراكد الاسن ، مباءة البعوض المتكاثر • انـــه بعوض كانت نخزته أشد فتكا من نخزات أي بعوض عرفتــه هذه الارجاء ، قبل الاحتـــلال •

ان كري مجرى ماء ، عبر بحيرة الحمار ــ وقد أسلفنا القول عليه في محل آخر من هذا (الكتاب) ــ سبب مشكلات عديدة عسيرة • وانتزع مشروع مدّ سكة حديد من البصرة الى العمارة من المزارع كل مزارع قوي الجسد ، يقطن منطقة القرنة تقريبا • وكان تشكيل النواحي في المناطق الريفية جاريا على عِرْق من النظام التركي[١٧] • ونيـــط الحكم في جـــلّ هذه (النواحي) برؤســـاء العشائر ، على وَفْق سياستنا المقررة ، لكن اختيار الصالح منهم لم يكن بالامر الهين اليسير • وكانت بعض المناطق مأهولة بعشائر عديدة لا تعترف كلها بزعيم واحد عليها ، على حين كانت ثمة مناطق لا تسكنها الا قبيلة واحدة تدين بالطاعة لزعيم فذّ ولا تعترف بغيره زعيما • وفي حالة ما أُجريت (تجربة) حين عُيّن موظف تركي سابق (مديرا) ، وسرعان ما تبين انه شرع يعتاش مما تدره عليه عصابة لصوص كانت تعيث في الارض فسادا •

وفي (ناحية) أخرى ــ أعني : الجبايش ــ كان (المدير) هو الشيخ سالم الخيون ، مقدّم قومه ، وهو انسان نابـــه الذكر ، لكنه كان يثـير القلق والاضطراب فارسل الى الهند ، باعتـداده (أسير حرب) ، وكان ذلـــك في كانون الاول من سنة ١٩١٦ • وثبت ان اخاه ليس بموطن اطمئنان ، كما لـــم نستطع الحصول على خلف صالح له أيضا • وأخيرا ، حمل ، أحد سَرَوات البصرة ، واعني به : (صالح الحجاج) على قبول وظيفة مستشار الى شقيق الشيخ سالم الأصغر (فالح) ، والى حين عودة (سالم) من الهند سـالما • وتجلّت ، منذ طالعة ، الأمر مزايا (فالح) الغرّ : كفاية في حصافة في صلابة وذلك بقدر تعلّق الامر بتصريف شؤون المنطقة ، وب (الشاب) الذي يعمل

---

(١٧) اعنى (١) الصخريجـــة ، (٢) النهيرات ، بني منصور والمزيرعـة (٣) السويب (٤) النشوة (٥) الدير (٦) الشرش (٧) المدينـــة (٨) الجبـايش (٩) بنى حطيط (١٠) المعدان • (المؤلف) •

لاجله وفي سبيله • وكانت لكل (ناحية) مشكلاتها الخاصة ، وما ذكرناه منها لا يعدو نموذجا • ونجتزيء القول هنا اذ نبيّن ان تبعة ايجاد (حلولها) كان واقعاً كله على عاتق (الحاكم النقيب : ماكي) تقريبا • لقد امضى في المنطقة ، باعتداده مساعد حاكمها السياسي ، شهوراً وجـــاء ، بعـده في أيار ، الرائـد ويلسون ، فبرهن على ان اختياره خلفا له كان أمراً موفّقا •

وجُبي ، في هذه (المنطقة) ، خلال السنة ، نحو ١٠٠٠ من الجنيهات وهو مبلغ يزيد على أي مبلغ استطاع الاتراك ، فيما مضى ، الى جبايته سبيلا • ولم نجبه في ذلك صعوبة ذات خطر ، ذلك ان القبائل كنت تحصل ، شهريا ، على مال يزيد على ما كانت تحصل عليه ، قبلا ، سنويا •

وكانت تقف ، في الاحيان ، من أمره حيرى ، لا تعرف ماذا تصنع به أبدا • وكانت نسبة كبيرة منه تستثمر ولا تصرف ، وسبيل ذلك حلي من فضة تتزيّن بها نساؤها وتصوغه تلك الطائفة الشيّقة اعني : الصابئة(١٨) •

وفي خلال سنة ١٩١٧ أُكمل مدّ قسم سكة حديد البصرة ـ العمارة المادّ بين القرنة والبصرة • وتطلّب ذلك نصب جسر عائم على نُهير (كرمة علي) شمالي (معقل) ، وتمّ ذلك بمادة مجسّنة • ان ارتفاع المدّ فالخفض الجزري

---

(١٨) ولكي تقف على وصفٌ شامل متصل بأصلهم وتأريخهم ، وثبت واف بما ألف عنهم راجع : (دائرة المعارف الاسلامية : Encyclopaedia of Islam)
وثمة سرد ممتع ، حسن الانارة ، اليوم ، كتبته (السيدة ستيفنسن Stevens)
(الموءلف)

قلنا ، والسيدة ستيفنسن Stevens هي (ليدى دراور) ذات التواليف المكينة الركينة في هذه (الطائفة) ، وفي كتابها الموسوم (By Tigris and Euphrates) الذى ترجمناه الى العربية وسميناه (في بلاد الرافدين ـ صـور وخواطـر) فصل نفيس عنهم •

وكلمة (الصابئين) تعني (الصبّاغين) وكلمة (المانداثين) التى تطلق عليهم أيضا تعني (المعمدانيين) ، والكلمتان منسوبتان الى (مار يوحنا الصباغ : المعمدان) وهو في القرآن الكريم (يحيى بن زكريا عليهما السلام) • أمـا كلمة (الصبّة) فتعنى (الصبغة) أى (العماد) • وكانت السريانية لغتهم أصلا ولا تزال لها اثارة في تعبّداتهم •

[المترجم]

بمقدار خمسة أمتار يومياً سبّب لنا تعقيداً اضافيا • وشُرع بنصب الجسر في آب وكمل في تشرين الاول سنة ١٩١٧ ، وكان المهندس الذي ينصبه هو : العقيد روثيرا • وثبت ان نصبه كان متقنا ، باعثاً على تمام الطمأنينة والرضى • ذلك انه قام كالطود بازاء فيضان سنة ١٩١٨ العاتي، وحمل، من دون عسر، ٨قاطرات زنتها خمسون طنا • وضعت (القــاطرة) في منتصف (القطار) وقُدّامهــا ثلاث شاحنات مشحونات ومثلها فارغات ، في اعقابها ثلاث عربات غير مشحونات ، كل ذلك كي يقلّل من العبء النازل به • وفي نهاية السنة تمّ مدّ السكة الحديد من البصرة الى القرنة ، وكان يعبر الفرات ، عند القرنه ، على جسر ذي عمد ، وفي وسطة فرجة متحرّكه •

وتحسّنت الاحوال في (سنجق : لواء العمارة) ، خلال السنة ، للاسباب التي ذكرناها ، أيضا • ذلك ان القبائل اخلدت الى الهدوء والسكينة وشرعت تعمل عملا نافعا مثمرا ، بسرعة تبعث على الاعجاب والرضى • وفي كل من مناطق علي الغربي (د• ويلي) والعمارة (الرائد هارفي) وقلعة صالح (النقيب هيجكوك) كان يصرّف شؤونها (معاون حاكم سياسي) وبذلك انمحت العصابات المنظّمة الى غير رجعة • وكان المغامرون يثيرون ، في الاحيان ، القلق فينا ، حين كانوا يغيرون على قطعان اتباع (والي يشتى كوة) و (شيخ المحمّرة) مبررّين فعالهم بالثارات القائمة بينهم ، مدّعين بحقوق في الرعي سابقة ، في منطقة مستقلة عن التخوم المحددة • واستطاع هؤلاء اثبات وقوع اعتداءات على قطعانهم ، جـرت فيما مضى ، اوقعها فرسان ال (بيران وند) والخزرج القاطنة على (نهر كرخا) • ولم تتطلّب الحال استخدام وسائل قمع قاسية ، ولو استخدمت لباءت بالفشل حقا • وعُيّن (محكّمون) ورتب ما يحسم الأمر بالنقد العين ، ودفع جلُّه اثر احتجاجات صارخة رفعها رؤساء (بني لام) •

وبلغت التجارة مع ايران ، عبر (بشتي كوه) ، عن طريق (علي الغربي) ، بُعداً واغلا ، ومردّ ذلك الى سدّ طريق خانقين ، فكان في ذلك بعض العون

على توفير النقد العين • كان شحه من أهم الاسباب في اطباق البؤس المتزايد على (كرمنشاه) و (همذان) ، وما اسفر عنه ، خلال السنين التوالي ، من فقر فاقر ومسغبة لم تر فارس ، في السنين المواضي ، مثلها • وفاق كلب الجوع هذا الذي شهدته البلاد في سنة ١٨٧٢م المروعة • ودرس (ضباط دائرة الارواء) امكانات الارواء دراســـة منهجية منظمة • ان (الدائرة) المذكورة شكلت وجعلت تحت اشراف (دائرة التموين والميرة) فقامت بمشاريع انصبت على توفير أقصى ما يمكن توفيره من ماء النهر لتغدو الملاحة فيه يسيرة ميسرة • ولما كانت تلكم المشاريع من المشاريع التي اختطت على استعجال ، من غير دراسة كافية وافية، لذا غدا ضررها النازل بـ (امرزات : مستنبتات الرز) عظيما ، واستحالت مساحات كبيرة من الارض بورا • وما كان ثمة نظام نظير بالنسبة لماء دجلة ، لذلك تمرد هذا (النهر) على امثال هذه المعالجات • وفي نهاية سنة ١٩١٧ نجمت حاجة ملحة الى (الحجر) اللازم لحماية جسور سكة حديد العمارة ، وعند اطلالة سنة ١٩١٨ مد فرع ســـكة حديد (بالمقياس المتري) من الزبير الى جبل سنام • وجبل سنام لا يعدو تلا منعزلا ، قوامه صخر ، ينتسب الى سلسلة عمـــان ويعود ، بتأريخه ، الى العصر الجيولوجي المسمى (كاربونيفروس Carboniferous) فـ (الترياسي : Treassic) وتراكم عليه الصخر القديم ، لسوء الحظ ، وصخور اخرى ، منها (حجر الرمل) وذرور من الـ (تورز Tors) ، متخلفه عن العصرين المتأخرين المسميين الـ (ميوسين : Meoscene) والـ (بليوســين : Plioscene) وبعض حجر الجير ، ولعله الـ (ايوسين)[١٩] • لقد استخرج منه ، حتى نهاية سنة ١٩١٩ ، أكثر من مليون ونصف مليون قدم مكعبة من حجارة ، وأزيد من هذه الكمية من الحصى والرمل ، ونقل ذلك كله الى البصرة •

---

(١٩) بموجب تقرير قدمه بلكرم Pilgrem : لوبوك Lubbock ص ١١٨ (المؤلف)

وجرى تخمين ما يجب دفعه ، تعويضا عن الاراضي التي استولي عليها من اصحابها لمقاصد عسكرية ، كما جرى تقدم مطرّد في باب تسوية قضايا (الديّه) وان كان بطيئا ، وهو أمر كان ، على ما تراءى ، يحظى بتشجيع من الاتراك ، فيما مضى . لست اعلم من الذي وضع قاعدة (فرّق تسد)[٢٠] ، أول مرة .

واشتدّ الطلب على موارد اللواء البلدية ، خلال سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ ، وبيع ما لا يقــل عن ١٠٠٠٠ رأس من الانعــام و ٥٠٠٠٠ من الخراف الى جيش الاحتلال ،خلال سنتين، وهو رقم يفوق رقم فيضها السوّي المعتاد ، فكانت النتيجة ان النعاج الولود غدت غير كافية للحفاظ على الاعداد التي عرَفها اللواء فيما قبل الحرب . لذلك رحــل الوكلاء الى (بشتي كوه) و (لورستان) وحتى (ديار البختيار) ، وهي على بعد نحو ٣٠٠ ميل ، لكن امثال هذه المناطق لا يمكن الاستفادة منها الاّ خلال الفصل البارد . وكان عليّ ان اراجع (دائرة الموارد المحلية) أكثر من مرة ، وهي دائرة غدت ، اليوم ، منتظمة ، على وجه التمام وبامرة العميد ديكسن ، لكي ابيّن طلباتها المحدّدة التي كانت تنثال على قبائل دجلة ، وتتعلّق بالحصول على الاغنام والانعام ، خلال أشهر الشتاء ، انا اريد تفادي الشحّ القاسي في سنتي ١٩١٨ و١٩١٩ .

وما كان التقدّم في (المنتفق)[٢١] و (الناصرية) ، خلال سنة ١٩١٧ ، ظاهرا الا بأقل درجة . ولم يستتب الامن فيهما تماما ، فيما خلال (الناصرية) و (منطقة سوق الشيوخ) حيث كان (النقيب هيسن) وكانت ادارتها سديدة

---

(٢٠) ورد في معجم بنم(Benham: Dictionary of Quotations) : « انه قول مأثور ليس له من سند اتباعي classical ، واقدم اشارة اليه وردت في الادب الانكليزي جاءت من قبل وزير العدل بيكن Lord Chancellor Bacon الذي ذكر القول الماكر : (فرق تسد) . ويعزو (كرومر) في كتــابه الموســوم ب (الانبريالية القديمة والحديثة : Ancient & Modern Imperialism) وهو ١ افضل ما أجال القلم فيه من تواليفه طرا ، هذا القول الى مكياڤلي . (المؤلف)

(٢١) تعني الكلمة في العربية : الاتفاق ، نقيض التفرق والاختلاف ، وقد ادخلها الغالبون من آل سعدون اظهارا لنجاحهم في لم شعث القبائل التي غدت في امرتهـم . [المترجم]

حقا • كان جلّ السكان من ابناء القبائل ، وهم بالطبع ، محاربون يكلفون بالحرية ويجتوون العمل اليدوي الذي يتصل بالزراعة قصدا •

وباستثناء بدو (الضفير) الصرحاء ، كان السكان يتألفون من فرق رئيسة ثلاث هي : الاجود ، (بنو مالك) وبني سعيد • وكانت الاجود بزعامة (زامل المناع) الاسمية وفيهم حلفا : (بنو رچاب : رکاب) و (الحميد) ومعهم لفيف من أبناء القبـائل المبعثرة الاخرى • وكان زعيم بني مالك : بدر الرميّض ، رئيس القبيلة المفلت المتملّص (كذا وقد اشتهر بالسماحة العربية : المترجم) • وبنو مالك حلف عشائري يتألّف من (بني خيكان) و (المجرّة) و (البو صالح) وكان زعيما بني سعيد : (عليوي المرهج) و (سكر النعمة) • وبنو سعيد مؤلّفون من فرق متخلخلة البنيان (كذا : المترجم) تنتمي الى قبائل جوّابة تسكن سرّة البادية الكائنة بين (الغراف) و (شط البدعة) و (بحيرة الحمار) ودجلة ، والوصول اليها أمر متعذّر •

وكان فرض أحكام القانون على أمثـال هذه العناصر المتنافرة والوصـول اليها أمرا متعذرا ، ومشكلة من مشاكل (الادارة المدنية) الكثيرة الناجمة في ولاية البصرة • فالقبائل لم تشهد شدّة سلاحنا ووقعه ابدا ، كما ان الحملات التأديبية التي جرّدها جيش الاحتلال ، بين حين وحين ، كانت ، على وجه العموم ، خائبة ، وابانت ، على نقيض الغاية المتوخاة منها ، ان قوتنا العسكرية محدودة واننا لسنا بقادرين على ان نحكم حقا • وما قاسى (اللواء) من الجيشين التركي والانكليزي الاّ قليلا • وكانت الاهوار غير الممسوحة ، وشبكة القنى التي تتخلّل الاراضي الشاسعة المرويّة عقبات يتعذّر على قوات نظامية اجتيازها • وكان في حكم المستحيل الامتناع عن ممارسة واجبات الحكـم الشائك • كانت حال القبائل تزدهر ، فالاحجام عن جباية الضرائب ، على ما فعل (اسلافنا) ، وفي الوقت الذي تجبى فيـه من السكان في (القرنة) و (العمارة) ، يعني خلق عقبـات ، واثارة مشكلات ل (حكومة العراق) المقبلة ، فالامر لا يعدو كونه أمانة في أعناقنا • وكانت السياسة المتّبعة أن يرتّب

شيخ كل قبيلة (مديرا) على منطقته أو (ممثلا للحكومة) فيها ، واصابت هذه (السياسة) نجحا الى ابعد مدى (بقدر تعلّق الامر بمصلحة الاحتلال البريطاني بطبيعة الحال : المترجم) • لقد صُبّت الجهود كلهـا في سبيل تركيز القوّة في شخص واحد ، وفي قبيلة واحدة ، وكان الشخص هذا يصطفى باعتـداده (شيخا) مقـــدّما ، وان كان عدد (الادعياء) الذين يُجتبى منهم كبيراً • واستثنت من ذلك ، لاسباب عسكرية ، بلدة الناصرية ، حيث جعل الحكم فيها مباشرا ، يمارسه (حاكم سياسي) هو (النقيب فلچر) حصرا • وارتكن النجح في هذا النهج الى حصافة (الحاكم السياسي) وبراعته كليا ، وبهما امكن اجتباء من هو صالح لممارسة « الصلاحيات اللازمة » الى حـــد ما ، وابدى (النقيب ديكسن) ، وهو من رتّب على (اللواء) سنة ١٩١٦ حاكما ، مقدرة حسنة • انه لعالم يتكلم العربية بطلاقة ، وقد حباه الله مواهب متمايزة ، فقلبه جياش بالعطف وبصره حديد يستكنه روح العرب ، لذلك أصاب ، الى حد ما ، في باب السيطرة على (اللواء) نجحا • ولعلّ اي انسان آخر من منتسبي (الادارة المدنية) لم يكن مستطيعا ادراك النجح الذي أدركه (ديكسن) شخصيا •

وما أن كان يصطفى (الشيوخ) الاّ يصبحوا (مدركين قيمة المنْصِب الرسمي) ، كما كان المعاش ، في نظرهم ، ذا قيمة ايضا (وهذا ما كانت تهفو اليه نفوس اولئك المستغلين المُقطَعين (الاقطاعيين على ما هو شـــائع ، اليوم : المترجم) • وكان مبلغ المعاش : ١٥ جنيها شهريا ، تضاف اليه قيمة عنوان (مدير) وهي لاتثمن بمال ما ، لذا غدوا على استعداد الى اطاعة أي أمر يصدر اليهم (وهو المطلوب من قبل المحتلين : المترجم) لئلا يتعرضوا لخطر فقـدان زهوهم الذاتي وشرفهم العائلي ، وهما أعز شيء لديهم ، بل أعز من الحيـاة نفسها • وكان من واجبهم جباية الواردات وصيرورة الامن مستتبا والمحافظة على النظـــام وحسم المنازعات الثـــانوية والكبيرة ، أن احيلت عليهم شخصيا ، أو بالمشاركة مع غيرهم من (المديرين) واعداد العمال اللازمين للاشغال العامة من امثال كري القنى وشقّ الطرق •

وتطلب هذا النظام العناية ، على أشد ما تكون ، وجهدا دائبا . وجنح بعض الشيوخ الى سوء التصرف في ممارسة سلطاتهم والى استغلال ناموسهم « نفوذهم على ماهو شائع اليوم : المترجم » في الاقتصاص ممن كان لهم ثأر عائلي قديم معهم . وجنح آخرون منهم الى احتجان المال ، كما خاب الدثورون[٢٢] منهم في ممارسة سلطانهم ، بقدر تعلق الامر باتباعهم ، على الوجه الشافي الوافي ، فأدّى ذلك الى ان تصبّ (السلطة العسكرية) جامَ غضبها عليهم وعلى (الحاكم السياسي) ذي الحظ المنكود باعتـــدادهم مسؤولين تجاهه . كما انهالت عليهم احتجاجات زملائهم ممن هم أشدّ ايدا . وكانت الشكاوى تنهال ، باديء ذي بدء ، على الجميع ، على حد ســـواء ، ومصدرها الرؤساء ، الـــذين استشعروا ضرّا نزل بهم ، والمختارون و (رؤساء الحمائل) الذين رتبتهم (الحكومة) لمساعدة (المديرين) فيما مضى . وكان من الضروري أن ندير لبعض الشكاوى اذنا غير صـاغية ، ولأخرى اذنا صاغية عاطفة واعية . انه واجب يتطلّب صبرا لا ينفد وبصيرة نافذة لاقطة فاحصة . وما شهدت ارجاء (بلاد ما بين النهرين) ، بقدر تعلق الأمر بتلألؤ سجايا (النقيب ديكسن) ، مثل الذي شهدته الاهوار الفراتية ، ووديقتها لا تطاق . وما كانت لدى (الحكام السياسيين) الاموال التي وضعتها (الخزانة البريطانية) بيد (اللنبي) ليجود بها على العرب العاملين على جناحه الايمن . كما انهم حرموا من الهبة التي تضفيها مشاركة حقـة في حركات عسكرية . ومهما يكن من أمر لقد كانوا يخاطرون بحياتهم يوميـــا ، ابان تجوالهم بين اناس لا يزالون يعتدّون الاوربيين في عـداد من لعنهم الله ، وان الحكومة المنّظمة لا تعـــدو أن تكون أمرا عـدائيا مهينا . انهـم على غـرار ال (بيصـــور : Besor) تبقيهم المادة موالين ، ولم يكن ثمة (داود)[٢٣]

(٢٢) الدثور الخامل غير الكفء ، ولعل (دثو) في العامية العراقية من هذه الكلمة (المترجم) .

(٢٣) من الاسرائيليات ، والمراد : هو (النبي) داود الذى وحد دولتي (اسرائيل) و (يهودا) واشتهر بالبراعة والمهارة والقتال والسيطرة .
(المؤلف)

يضمن معاملتهم على غرار من يهبّون الى (المعركة) ويقتحمون غمـــارها • وحرم هؤلاء الموظفون ، عند نهاية الحرب ، من مكافأتها ، ومردّ ذلك الى سبب شكلي محض وأعني به كونهم ممن لا تدفـــع لهم (معاشات) مصروفة من (اعتمادات الجيش) ، بل من واردات (الاراضي المحتلـة) تيسيرا لصرفهـا وتسهيلا • كان قرارا مجحفا مرتكنا الى ضيق في (تفسير) قانون سنّـه (البرلمان) ولا تزال له رنّة حزينة تعتلج في نفسي •

ان السرد الموجز الذيأسلفناه لك والذيدار حول ماذاكانت(الادارةالمدنية) نعنى به في (ولاية البصرة) لا يعطي الا فكرة مقتضبة عن براعة (ضباط الاقاليم) فيها وما اتسموا به من اقدام • انهم الذين كانت تقع على عواتقهم تبعة تصريف الشؤون الادارية ، خلال سنة ١٩١٧ • وبصدد التطورات التي جاءت بها السنوات المقبلات ، ولها حديث سيأتيك اخيرا وستقف على خبره ، في موضعه ، تفصيلا • واجتزيء القول ، ها هنا ، اذ اقول : انها جرت « على وفق خطة مرسومة » عموما • وانها (خطة) وجدتها (الحكومة العربية) ، اثر تشكيلها ، حرية بأن تلتزم بها ، وما غيَّرت فيها الا قليلا • بقيت البصـرة (مركز ولاية) ولبثت اصرّف فيها الامور الادارية تحت سيطرة (سر پرسي كوكس) حتى حلول فصل الخريف حين نقـلت الى بغداد لاشغـــال منصب (رديف المفوض المدني Vice Civil Commissioner)[٢٤] •

وكانت لي رحلة فذّة قمت بها الى الجنوب الغربي من فارس ، بناء على طلب وردني على استعجال من (السلطات العسكرية) ، فحواه النظر في امكان اقامة (معسكر نقاهة) في (تل فارس) • ان مرأى جبال (پشتي كوه) ــ وقد جلّل الثلج الناصع هاماتها ــ كان يشد أنظار رجالنا ، العاملين على ضفتي نهر دجلة المتلظية سنة ١٩١٥ ، اليها • انه هو الذي بعث فكرة اقامة (محطات) على التلال شائعة ، على غرار نظيرات لها كانت تشرف على سهول (البنجاب)

(٢٤) آثرنا ترجمة Vice ب (رديف) وفضلناها على كلمة (نائب) التي شاعت وذاعت ، لانها ، على ما نحسب ، أفصح [المترجم] •

الحارة • ومهما يكن من أمر ، استبعدت (بشتي كوه) لاسباب سياسية ولعدم وجود بقعة صالحة تقع ضمن مساحة معقولة ترتفع بصورة كافية ويتوافر الماء فيها • واثر مشاورة (النقيب نوبل) تقرر النظر في امكانات (جبال منكاشت) التي ترتفع ذراها الى نحو ١٠٠٠٠ من الاقدام ، وتقع الى الجنوب الشرقي من سهل (مالمير) • واستصحبت (النقيب نوبل) و (مساعدي الخاص : هوع) ـ والاخير على انه قدم من (دلويج) ، عبر فرنسة ، حديثا ـ هو من أكفأ ضباط (الادارة المدنية) الصغار ومرجو الغد حقا ـ وسرنا راكبين انطلاقا من (الاحواز : الاهواز) الى (رام هرمز) ومنها بسبيل (ميد داود) الى سفوح جبال (منكاشت) حيث بدأ تسلق الى علو ٥٠٠ قدم ، خلل مناظر خلائية بهيّة بالغة الروعة تسر الناظرين • وعند الذروة ثمة منخفض يشبه الكوب ويصلح جوفه ان يكون للطائرات مهبطا ، وهو على ما يرام ويرتجى • لكن الماء في هذا المكان كان معدوما فيما خلا ذوب جليد يستقر في شق الجبل ، كما كان الوقيد نادرا جدا • ولبينا دعوة رعاة من ال (بهماي) فانحدرنا خلل سلسلة شعاب مونقة الى (قلعة تل) • ثم رحلنا ، في اليوم التالى ، الى حقول النفط الكائنة على الحافة المسماة (مرده فيل) ثم مررنا ب (قلعة مدرسة) محاذين مجرى ملْحا كائنا عند أقدام (جبل اسمرى) حتى بلغنا (كركر) • وكانت الوديقة على أشدّها ، لا تطاق ، وأخذت تنال من (هوغ) كثيرا ، لذلك عمد الى ملابسه فابتلها بماء المجرى عسى ذلك يبرّد جسمه • لكن هذا كان قليل الجدوى ، وكان لزاما علينا أن نأوى ، من دون ماء ، الى ملجأ ما حتى يصبح النهار على أطراف العشيّة • وكنا تحت صخرة في واد تلاعب فيه ريح رخيّة • وكان مسرانا في مغامض العتمة ، ودأبنا عليه طوال الليلة كلها تقريبا ، حتى بلغنا حقول النفط الكائنة في (مسجدي سليمان) وكان ذلك حين ابتسم الصبح في اليوم التالى • وكان الحر في هذا المكان على أشد ما يكون ايضا ، وما شعرنا ، خلال أول الليل بهبة نسمة حتى انتصف ، وعند ذلك هب اعصار حار جاف على حين غرة ، وكأنه ألسنة فرن تتلاهث منطلقة ، وكان مصدره سهول عربستان • واقتعدت

فراشي وبللت كلا من قميصي والشرشف بالماء ، وأمرت (هوغ) بأن يحذو حذوي ، لكن الشرشف غدا ، اثر عشر دقائق ، جافا يابسا ، كرة أخرى • وكانت التلال التي تطيف بنا متوهجة بضوء الغاز اللاهب ، وجوابها تدوّي بأصوات المثاقب الدائرة والاجهزة الفارغة ، وكنت اشاهد أضوية السيارات المجوّلة ، بين فرجة جبل وفرجة ، ذلك ان العاملين كانوا ناشطين في القيام بواجباتهم طوال اليوم كله ، ليله ونهاره ، وايام الاسبوع السبعة ، كي ينجزوا عملا ذا خطر ، على غرار عمل أي دائرة عسكرية في بلاد ما بين النهرين ، سواء بسواء • وفي سنة **١٩١٧** لم تكن(القوة البحرية الشرقية) وكثير من قطارات (السكك الحديد الهندية) لتعتمد ،في الغالب، على النفط الفارسي ، حسب، لذلك كانت مواصلات الحملة البريطانية على (بلاد ما بين النهرين) ترتكن ، حصرا ، الى تجهيزات من زيت الوقود وال (كيروسين) والبترول تتأتى من هذا المعين اولا •

سأحاول في الجزء التالي من (كتابي) هذا ان اجمل بعض اوجه فاعليات (شركة النفط البريطانية ـ الفارسية المحدودة) والعاملين فيها خلال الحرب ، لذلك لن اسهب في هذا الآن ، ولا جرَمَ ان (الموضوع) يستأهل كتابا خاصا يفرد له • وغب حديث استطال أمده سويعات،دار بيني وبين مضيفي(مستر كابينو) مدير حقول النفط وشارك فيه (مستر يونك) طبيب الشركة الاول ومستشارها السياسي ، وهو من كنت ، طوال الحديث ، اعتمد على مشورته وناموسه الشخصي، وشأني في هذا كشأن سر برسي كوكس ، وذلك بقدر تعلق الامر بالقضايا الخاصة ب (البختيارية) ، سرت راكبا منحدراً محاذيا خط الانابيب حتى بلغت (دارّا خزينه) ومنها ركبت باخرة جرت بي الى (الاحواز : الاهواز) • واثر تقديم فروض التبجيل الى شيخ (المحمّرة) ـ وهو من كان يشغل منصب وكيل الحاكم العام أيضا ، نجم لي شغل مع (نائب القنصل النقيب نويل) ورديفه النقيب بيل المنسوب الى (دائرة الشرطة الهندية) وال (جنرال ينكهزبند : آمر القطعات العسكرية) المرابطة في المنطقة •

وفي اليوم التالي ركبنا سيارة فسارت بنا محاذية ضفة (نهر ديز) اليمنى حتى بلغنا (دزفول) حيث اضطُررنا ، بسبب من مصلحة السلم في فارس الجنوبية ـ الغربية وسلامة مواصلاتنا على نهر دجلة ، الى الاضطلاع ببعض التبعات السياسية في هذه (المنطقة) مدة الحرب. وقبل احتلال العمارة كانت (دزفول) والبلدة الواقعة غربها أعني (ششتر) ـ والمسافة بينهما : ٣٠ ميلا ، مراكز ينشط فيها عملاء الالمان والاتراك معا . ولما كانت المدينتان في معزل عن فارس ، في مثل هذا الوقت ، بسبب من جبال (زاغروس) التي يتعذّر اجتيازها شتاءا ، وتحتلهما قبائل ثائرة طوال السنة كلها ، لذا استحال على الحكومة الفارسية أمر ممارسة أي سلطة فيها . كان من اللازم أن يسود فيهما نظام ما وما أن طُرد الاتراك من عربستان وتمّ اصلاح خط الانابيب الا ّ رُتّب (نائب قنصل) فيها . وكان أول من رتب هو : (سون) ، الذي أسلفت عليك ما قام به في (دزفول) في مكان آخر من (كتابي) هذا . وتمّ ، في أيامه ، اصلاح عمارة القنطرة الساسانية القائمة في (دزفول) فحظى ذلك من لدن الاهلين تقديرا بالغا . وجرى اصلاح عمارة تلكم (القنطرة) بمال جاد الاهلون بجزء منه ، كما جادت الواردات البلدية بجزء آخر ، وكان للاعتمادات العسكرية فيه نصيب . وكان سوق القطعات ، عبر النهر ، الى (شوش : سوسه)، عند مسيس الحاجة ، من الامور ذوات الخطر بنظرنا . وكانت ثمة مفرزة خيالة ترابط في (حصن شوشان) الشبيه ، في عظمته وفخامته ، بقلعة فرنسية من قلاع القرن الرابع عشر، بناه (مسيو جاك مورغن) الراحل ، على قمة التلّ العظيم قريبا من موقع (شوشان القصر) . لقد عفت آثار القنطرتين وحلّت محلهما قنطرة معلّقة شيدّت بالمواد الميسورة في (مخزن الميدان العسكري) في البصرة . انها لا تزال قائمة (بعد ١٥ سنة) من تشييدها ، ومردّ الفضل في ذلك الى مهارة (ويلدن) المهندس ، بانيها ، واخلاص البنّائين الدزفوليين الذين قاموا بالعمل تحت اشرافه . لقد قاموا بتدعيم (الآساس) التي تقوم عليها الطوق الباقية ، ومنها ما تجلجل بناؤه فلم يعد أكثر من قشور . ذلك ان الفيضانات التي اجتاحتها نخرت أجوافها ، ابّان قرون انسابت

عبر التأريخ متواليات .

ان ما يشبه (دزفول) ، من المدن ، حسنا ورواء ، لقليل لا حَفْل به . انها تتعالى على ضفة النهر اليسرى ، على نشز من حجر الـ (گوگلو ميرايت) ، وتحتها سراديب تشبه خلايا النحل يأوي اليها أهلها عندما تكون وديقة النهار على أشدّها . وتقوم على مجرى النهار ، وهو ينخفض عن صعيد المدينة بنحو ١٠٠ قدم ، عدد من طواحين الماء ، وماؤه يغمرها ان انهمرت سيول عاتية . وفي الامكان مشاهدة قمم جبال (كبير كوه) ـ خلال النقع والضباب ـ الكائنة في الشمال الغربي والشمال والمتـــاريس الاولى للسلسلة العظيمة التي اخترقتها ومسحتُ قسما منها في سنتي **١٩١١** و **١٩١٢** .

وفي الطريق التقينا بالنقيب كرينهاوس وهو من كان يشغل ، بسبب من غياب (مستر ادموندز) في (خرّمشهر) ، منصب نائب القنصل وكالة . كان يحلّ في بيت يعود الى من يدعى بـ (مجد الاسلام) واتّخذ (دار استراحة قنصلية) منذ سنة **١٩١٧** حـــين زار (دزفول) ، أول مرة ، نائب قنصل بريطـــاني في (الاحواز : الاهواز) وأعني به : النقيب لوريمر . وما كان (كرينهاوس) مالكا المواهب الخاصة التي كان يملكها (سون) ، لكنه كان يتّصف بصفات قيّمة تعدل ، في الاقل ، صفات (صاحبه) . كان يجيد اللغة ، ولخلقه سحر يأخذ بالالباب . لقد أحبّه القوم (وحسبُكَ باسمه فصل الخطاب !) ، وكان بعضهم يشفق منه لانه كان يعلم ان ثمة جانبا آخر من جوانب طبعه . ذلك ان من كان يسعى الى تعكير صفو الحياة ويثير الاضطرابات ، علم ـ على غرار ما علمت (أغوات ششتر) أخيرا ـ ان حبله قصير ومهواه في قرار سحيق . وكان ادموندز ـ وهو من كاد يموت بعد هذا الحين بقليل بسبب من اصابته بالـ (تيفوئيد) ـ قد اتّخذ سبيله في البلاد صُعُدا ، سالكا الطريق المادّ بين (خـــرّم اباد) و (طهران) آملا أن يكون قادرا على وضع ترتيبات مستدامة مع القبائل منصبّة على ضمانة ســـلامة القوافل وطمأنينتها .

ان خطر هذا (المشروع) ، بالنسبة لقواتنا المرابطة في (بلاد مابين النهرين)

وشمالي – غربي فارس هو الذي يبرر الانفاق عليه بمال عظيم • وهو ، الى ذلك ، أقصر من طريق البصرة القديم المادّ الى (همدان) والى ما بعدها ، المار ببغداد وخانقين وكرمنشاه • وانه ليخلّى عن هذا (الطريق) حمل بضعه مئين من الاطنان شهريا • كما انه يمكّن من تصدير البضائع واستيراد الحبوب من قبل الوكالات الخاصة فيؤدي ذلك الى تخفيف وطأة (المجاعة) النازلة على فارس الوسطى وعقباها • لقد أخفق المشروع بسبب من حرص القبائل وجشعها الى فقدان أيّ نمط من أنماط (التــدخّل الحكومي) حقا • ولم يعــاود استخدام الطريق لمقاصد تجارية الاّ في سنة ١٩٢٩ • وكتب (مستر ادموندز)[٢٥] بحثا نفيسا جدا ومفيدا بشأن (لورستان) ، أشار فيه الى هذا الامر ، نشرته (المجلة الجغرافية : Geographic Journal) سنة ١٩٢٢ • انه بحث يقع من قلوب قرّائه موقع الماء من ذي الغلّة الصادي !

وبعد أن لبثت في (دزفول) يوما واحدا عدت ، و (هوغ) ، بسبيل (ششتر) الى الاهواز • وكانت لي أكثر من رحلة كهذه في الايم الخوالي • ان مسافتها ١٠٠ ميل ، والخيل تقطعها في يوم واحد ، وما كان اجهاد البشر والدواب في قطعها ، هذه المرّة أمرا ضروريا • ذلك ان السيارة كانت برزت الى عالم الوجود في يوم الناس هــذا • وبعد أن قطعنــا ، راكبين ، مسافة ٣٥ ميلا بلغنــا ششتر ، ومنها أكملنا رحلتنا بالسيارة فعبرنا بها (نهر كارون) عند (بندي كير) على جسر متأرجح نصبته السلطات العسكرية ، وسُرّ من نصبه تجار ششتر كثيرا • وأسرعنا في سيرنا حتى بلغنا (المحمّرة) فقابلت فيها (مستر ولبول) المدير العــام ورديفه : مستر جاكس[٢٦] وبذلــك أتممت رحلتي • وبعــد أن أمضيت في (القنصلية) ليلة ، ضيفا على الـ (دكتور لنكلن) والسيدة زوجه ، عدت الى قيد

---

(٢٥) وللوقوف على منشورت أخرى أصدرها راجع :
Wilson: Bibliography of Persia, 1930.
وانه الان (١٩٣٠) مستشار وزارة الداخلية في بغداد •
(المؤلف)

(٢٦) وغدا بآخرة المدير المقيم لـ (شركة النفط الانكليزية الفارسيــة المحدودة) في فارس (المؤلف)

العمل الرتيب ال (روتين) في البصرة •

كان أول واجب أُلقيَ عليّ ، اثر عودتي الى البصرة ، الاحتفاء ، على الوجه اللائق ، بوفد ياباني • كان وفدا مؤلفا من ملحقين عسكريين وسياسيين ، وقد جرى تقديمه الى سروات العرب في البصرة • وقبل أن يواصل (الوفد) سفره في البلاد مُصعِّدا ، ادّبت له في (الزبير) مأدبة رسمية قام بها (الشيخ ابراهيم) ، ذلك الانسان الودود الانيس دوما • وكانت التجارة بين اليابان وبلاد ما بين النهرين ، خلال سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ ، واسعة جدا ، كما كان أرباب الصناعة اليابانيون ، لحين من الوقت ، يكادون يحتكرون تجارة بعض البضائع ، ومنها (بيرة اساهي) ، لكنهم أخفقوا في المحافظة على (سوقها) بمجرد تيسر السفن التجارية الماخرة بين أوربة وخليج فارس (بالاحرى : العربي ، المترجم) كرّة أخرى •

وكانت تستدعي (الحلّ) وترقبه مشكلات عويصة منبثقة عمّا قامت به (دائرة الواردات المحلية) من (وضع اليد) على منتوجات اتباع الفرنسيين • وكان ثمة حق قانوني لبعض الشركات الفرنسية في (مارسيليه) فيها ، على وفْق عقود مبرمة • وما كان حقنا المنبثق عن (القانون العسكري) واضحا ، و (مستر رو) القنصل الفرنسي في البصرة يعرف ذلك حقا • لقد شعر ، وما كان شعوره من دون سبب مبرر ، بأن (السلطات العسكرية) لم تعامله الاّ بأقلّ مما يستحق ، لذلك جنح الى اثارة المتاعب والمصاعب • وتمّ الوصول ، بعد حين ، الى حلّ اتّسم بالولاء وما كان ذلك من غير الرجوع الى باريس ولندن معا •

واستدعاني ، بعد أيام قليلة ، سر پرسي الى بغداد وأمرني ، وأنا في طريقي لها ، بأن أقوم بجولة تفتيش رسمية شاملة أكبر عدد من الدوائر الحكومية • وفصلت من البصرة ، بعد يوم أو بعض يوم ، ومعي (هوغ) فمخرنا بقـارب بخاري واهن الشأن يترنح في النهر جاريا • وكنا نقضي في سفرنا هذا جانبا من النهار والليلة كله في احدى البليدات التاليات تباعا : القرنة فقلعة صالح فالعمارة فعلي الغربي فكوت الامارة فالبغيلة (النعمانية اليوم : المترجم) فالعزيزية ودأبنا

على الاستعلام من كل (ضابط) فيها رأسا . كما كنا نقابل وجهاء كل (بليدة) ، وهم كثر ، ولا نستثني منهم أحدا . كنا نروم الوقوف على المشكلات البلدية المحيّرة الناجمة عن تغيير (الحكم) ، وكنـــا بسبيله . سبق أن أوجزت في (الفصل الخامس عشر) الوضع العام في (ولاية بغداد) وما كان باعثا على الطمأنينة والرضى الا بأقلّ مما كان يبعثه صنوه في (ولاية البصرة) أيضا . ذلك ان الاسعار في بغداد كانت أعلى من الاسعار في البصرة ، كما كان (طروء الاعراب) عليهـــا غالبا ، حتى على ما حول العزيزية نفسها . لكن بشـــائر السلم كانت تلوح ، وكان الوجهاء الذين قابلتهم لا يعيبون الا ّ الزمان ويأسفون على نوبـه (بمقال مكوي الفؤاد حزين !) كانوا يهيبون بنا الى المبادرة الى احتلال الحلة والديوانية (كذا : المترجم) حيث الحال فيهما فوضى سافرة وعملاء العدو المزوّدين بالنقد العين يغرون به ، جهرة ، كل شخص وقبيلة على مهاجمة خطوط مواصلاتنا .

ولدى وصولي بغداد اعلمني (سر برسى كوكس) انه يؤثر التحاقي بـ (مقره) لاتبوّأ منصب (رديفه)[٢٧] في (بلاد ما بين النهرين) بدلا من (ولاية البصرة) حسب . لقد بيّنت له بالحاف ضرورة استقدام ذوي « دم جديد » ، رجال ذوي آمال بعيدة المدى ، واناطة المناصب السامية بهم ،

(٢٧) يظهر ان ذلك كان بداية متاعب (الادارة المدنيـــة البريطانية في العراق) فمن المعلوم ان (سر برسي كوكس) عندما ذهب الى طهران سفـيرا لحكومته، ناب عنه (المؤلف) ، ويروي ساطع الحصري في (مذكراتي في العراق ١٩٢١ـ١٩٤١ جـ١) انه قابل مستشار المالية البريطاني ، عهدذاك ، (مستر غاربيت) فقال له « انه ما كان يستحسن سياسة (ويلسون) « مؤلف الكتاب ـ المترجم» وان تأخر مجيء السر برسي كوكس ، بسبب انشغاله في ايران ، صار كارثة على العراق . كان يقال ، على الدوام ، سيأتي قريبا . ومرت بهـذه الصورة نحو تسعة أشهر سببت كثيرا من المشاكل . لو لم تشغل قضــايا ايران السر برسي كوكس بهذه الصورة لسافر ويلسون قبل تسعـــة اشهـر ـ ص ٦٤ » . واعلمني من لا اتهم حديثه ولا ارد خبره ، ومن أدرك أيامه هذه الاولى ، انه كان يستثار بسرعة ويغتاظ وانه شديد الاعتـــداد برأيه ، وانه كان على ضلال ويزهو بنفسه ، ولعل مرد ذلك الى انه تبوأ منصبا خطيرا وهو في فتاء السن ولم تنضج بعد خبرته .

[المترجم]

كما رجوته أن يسعى الى الاستفادة من خدمات (اللواء كلايتن) كرديف (نائب) له ، وذلك قبل أن يقطع في أمر نقلي شيئا . وقام بذلك حقا لكن النتائج جاءت على غير ما هو مطلوب (تجري الرياح بما لاتشتهي السفن !) . ذلك ان ال (جنرال اللينبي) أجاب بأن (كلايتن) يرى انه غير لائق للعمل بدنيا . وما اقترح اسم شخص آخر ، فعدت ادراجي الى (البصرة) وقمت بتسليم مهام منصبي فيها الى خلفي : (ايفلن هويل) المنسوب الى (الدائرة السياسية الهندية) ، ثم غادرتها الى بغداد في ايلول . آسفت على تركي البصرة لاسباب عدّة : ذلك ان صلاتي بوجهائها كانت ودية الى الحد الاقصى

ومن مذهبي حب الديار لاهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

ومنهم : عبداللطيف عبدالوهاب من (المنديل) ، واحمد باشا الصانع[٢٨] والسيد هاشم النقيب ، ومصطفى باشا الچلبي ، واسرتا (النعمة) و (باش اعيان) وغيرهم كثيرون ممن حبوني بودّهم المصفّى وهو (اعذب من جنـا النحل) ولطفهم . لقد تقبّلوا بيسر واسماح المتاعب الصغيرة ، وان تعددت وازعجت ، وهذه تصحب الاحتلال العسكري بالضرورة . انهم ، على الدوام ، كرام ذوو سماحة وعلى استعداد لمدّ يد المعونة عندما يطلب ذلك منهم ما لم يكن ضروريا ، واطلاقا . أقول قولي هذا واعني به : عندما كانت الضرورة الملجئة تقضي باقتلاع بستان عامرة أو نقض دار قائمة لمقاصد حزبية طارئـة . وفي البصرة ، على كل حال ، شعرت ان في الامكان اناطة تبعة ادارية بهم ، بمجرد انتهاء الحركات الحربية ، وذلك بقـدر تعلق الامر ب (الادارة المدنية) . وشرعت بذلك حقاً اذ اغريت بعضهم على مثل هذا سنة ١٩١٧ ، ولكن جوابهم كان سلبا (ولا يأمن الايام الا المضلّل !) ، وان كان رفيقا مهذبا . وما كان احدهم في نوايانا الطيبة السليمة متشككا ، او يرتاب في اننا سندأب على الامساك بزمام الامر في هذه البلاد ، لكنهم كانوا يرون الاّ يتورطوا

---

(٢٨) توفي في أيار سنة ١٩٣٠ وعمره ٨٥ سنة .
(المؤلف)

في أمر من هذا القبيل حتى تضع الحرب اوزارها ويصبح المصير واضحا لا لبس فيه ، وما كان هذا الا شيئا طبيعيا • وما كنا ، ولا كانوا الا قليلا ، على رأي يذهب الى اننا سننتظر الى زمن متأخر ، اعنى تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ، حتى يعقد الصلح مع تركيه ، وان مستقبل البلاد ، حتى سنة ١٩٣٠ ، سيبقى مظلما تلفه المستندات الدبلوماطيقية بشملتها •

ورُتّب (مستر هويل) ، المنسوب الى (الدائرة السياسية الهندية) (وقد غدا بعد ذلك كثوم (سكرتير)الشؤون الخارجية في حكومة الهند) رديفا (نائبا) ل (المفوّض المدني في ولاية البصرة) ، وبقي شاغلا هـــذا (المنصب) حتى أوائل سنة ١٩١٩ حين تقرر ، لاسباب سياسية في الدرجة الاولى ، الغاء (الولاية) باعتدادها (وحدة ادارية) ومعاودة تنظيم (الادارة المدنية) على أساس تسعة الوية ترتبط ب (المقر العام) في البلاد رأسا • انه (نظام) أخذت به الحكومة العربية (يريد به الحكومة العراقية التي شكّلت في ظل الاحتلال فالانتداب البريطانيين _ المترجم) سنة ١٩٢١ ، بشيء من التكييف الطفيف • ان (مستر هويل) من اقدر موظفي هذه (الادارة) الكبار ، ذو (سجل) خدمة ممتازة ، عرفتها الهند أولا ثم عرفتها مسقط • وكانت خبرته الوسيعة المقرونة بالشخصية الساحرة ذات قيمة عظيمة ، لذا أصبح ذا ناموس (نفوذ) كبير في رؤساء العشائر الكبار والمدنيين ممن قدّر له الاتصال بهم •

قدّم[٢٩] ل (عرض) شؤون الادارة في سنة ١٩١٧ بعبارات أفصحت عن الاتجاهات العامة في (ولاية البصرة) والمبادىء التي توجهها ، ولا تزال هذه (العبارات) ممتعة وان مضى على تدوينها ١٢ عاما •

حرر (هويل) : « بدلا من أن يبقى السكان العشائريون على حالهم الراهنة ، ويبقوا الوضع مريجا ، أخذوا يجلون نفوسهم لتصبح نقيّة الصفحة متمايزة • وسيعمدون ، بمضي الزمن ، الى الاستقرار وامتهان حرف مصدرّة أكثر ، وذلك على النقيض مما كانوا عليه قبل مجيئنا » : انك لتشهد هـــذه

---

(٢٩) راجع Howell, E.B. (المؤلف)

العملية جارية في كل مكان ، وان اشتاتهم اخذت تلمّ شعثها يشجعها على هذا حكم يرى في التضامن القبيلي افضل حارس للحريات الوليدة • قد يكون هذا التعبير مفيدا ، لكن ، أهــو عند الذين يعنيهـم أمره اثير ، يا ترى ؟! ان المقترحات الاخيرة بشأن شروط السلم المحتملة تعطي هذا الموضوع خطرا فوق خطر • ما علينا الا أن نصّر عليه ، ومردّ ذلك الى تعذّر ايجاد جواب فذّ ، أمره ظاهر للعيان•ولنا أن نزعم ان المدن معنا أولا• أما القبائل فالقول يصحّ عنها ، عموما ، في ان المتقدّم فيها لا يزال ذا رأي سديد يدور حول الفائدة التى يجليها من جرّاء التعامل مع (دولة) ممثلوها هم فرسان الميــدان المجلوّن دوما • لذلك تجده ، على العموم ، مطمئنا الى مسايرة الهنات الظاهرة الغالبة• اما المغمور من القوم فسهل الارعاب واقل تهذيبا واكثر جنوحــاً الى الاراء البدائية ، لذلك ، ولاسباب مادية في الدرجة الاولى ، تراه يوافق على ماجريات الامور بضرب من التوكيد • لذا فان كل شيء يجري ، حتى يوم الناس هذا ، رخاء ، لكن « نبتة الثقة » هي عسيرة النماء ويتطلب استنباتها حفاظا • وان رعايتها المستدامة ترتكن ، على ما يتراءى ، وفي الدرجة الاولى ، الى هذا :

١ ــ تجنّب كل تحيّز طائفي ، بتةً ، وتبديد ما يحوم حوله من شك •

٢ ــ الحفاظ على الناموس البريطاني ، بقدر تعلّق الامر باعلاء شأن العدل •

٣ ــ تشذيب (نظامنا) من الجمود المتطرّف •

٤ ــ اشاعة الرفه المادي ، على اوسع وجه مستطاع ، وباصطناع ما لدينا من الوسائل كافة •

٥ ــ الالتزام بسياسة حرّة تقدّمية ، وبضمنها توفير القوت وتهيئة وســائل التربية الصحية واستخدام ابناء البلاد تحت اشراف (ادارتنا) ، بموجب تقدير سمح لقدراتهم الشخصية •

٦ ــ جعل الباب منصفقاً دوما كي يلج منه (المحكوم) الى (الحاكم) شخصيا •

وبعد أن تقدّم بـ (مقترحات) شتّى تتصل بتنظيم (الادارة) واقامة (النظام القضائي) ــ وكانت بسبيل الاجتلاء ، يومذاك ، ختمها قائلا :

« يسير أن يسأل المرء مثل هاته الاسئلة وعسير أن يجيب عنها . أما أنا فلست بقادر على أن أصف الدواء الشافي لكل داء . كما ليس عندي في مثل هذا الوقت ، عينه ، الا الايصاء بأن نمضي على غرار ما مضينا قبلا ، وان نسرع في ذلك قليلا ، ان شئنا اطلاقا ، وان نتأكد من ان المؤسسات المتأصلة في هذه البلاد هي منفسخة عفنة حقا .

انها من الكلم السديد ، وتمثل (المبادىء) ، التي اهتدت بها (الادارة المدنية) منذ طالعة أمرها ، تمثيلا حسنا حقا .

وفي ختام السنة ، علمنا ، علم اليقين ، باننا سنا قادرين على فرض (النظام) على من كانت حالهم فوضى ، في وقت ما ، أو مدخلين في نظام متسم بالبساطة تعقيدا . فعلى النقيض من ذلك : ان (النظام) المريج المتنافر الذي وجدناه كان أكثر مما خيل الينا اتقانا . لذلك انحصر واجبنا في تكييف المؤسسات القائمة لتوائم الحاجات الجديدة الطارئة ، والالتزام ، في مثل هذا الحين ذاته ، بالولاء المنبث بين الاهلين ، على ما أشار اليه (مستر هويل) سالفا . لا سبيل الى انبثاق (ولاء) بازاء « الدولة » لذا طلب الى الاهلين اطاعة ولية أمرهم[30] : (الادارة المدنية) ، في الحاضر ، والارتباط بها لانها قادرة على حمايتهم من الشرور المستطيرة ، على أن تقدم لهم من مناكب السعي ما لم يعهدوها من قبل . لقد ارتاع القوم وشدهوا وذهب الرعب بلبهم كل مذهب

---

(٣٠) يلحظ ان البريطانيين المحتلين للعراق حكموا حكما مباشرا على الوجه التالي :

المنطقة الجنوبية (ولاية البصرة) ٧ سنوات
المنطقة الوسطى (ولاية بغداد) ٤ ـ ٥ سنوات
المنطقة الشمالية (ولاية الموصل) ٣ سنوات

وكان البريطانيون يشعرون ، خلال حكمهم البغيض ، ان العراقيين عموما يحنون الى الاتراك ، وان كان بنظر الوطنيين بغيضا أيضا ، ولتوقيف هذا التيار المعادي لهم أو تخديره ، في الاقل ، بادروا الى تأليف حكومة «وطنية» . ومما تجدر الاشارة اليه ان السلطات البريطانية كانت قد فصلت ، في بادىء الامر ، لواء السليمانية عن العراق وجعلته « حكمدارية » يرأسها الشيخ محمود البرزنجي (حفيد زاده) رحمه الله ، لكن اللواء عاد الى احضان أمه (العراق) سنة ١٩٢٠ . [المترجم]

بسبب مما قام به الجيش ، لكن ذلك استبدل بالحمد والشكران اللذين جاءا في اعقاب الرخاء والازدهار • هذا وقد اصبحت كثير من هذه المشاعر ، في كثير من الحالات ، أقوى من ذي قبل ، ومردّ ذلك الى الصداقات الشخصية الحميمة مع (الحكام السياسيين) • وعلى الرغم من ذلك تجلّى ان تلكم الوشائج غير كافية ان كان القصد هو ضمان التوازن السياسي على الشوط الطويل • ان أساس الحياة المادي في تغيّر معجل – كما ان طبيعة (التنظيم الاجتماعي) تتبدل جذريا ، وكل ذلك بسبب القوى الجديدة التي كنا نبتعثها ، والتحسّن الذي طرأ على وسائط النقل • كان الصدام بين (ولاء) و (ولاء)(*) وبين (واجب) و (واجب) ينجم دراكا ، وآمل أن اوضحّ نهجه وعقبـــاه في (جزء) آتٍ من (كتابي) هذا •

ما كان (الصدام) الذي نجم بين (ولاء) و (ولاء) والذي المعت اليه آنفا مقصورا على (بلاد ما بين النهرين) لكنه شمل (شبه الجزيرة العربية كلها) ،واعني كل قسم منها لفّه بشملته ما ورد في وثائق كتبها (صابط سياسي الماني) ، وقعت في ايدينا على الفرات • انها « مجموعة وثائق دوّنت ببراعة وران عليها شيء من غموض » •

حمل دخول تركية الحرب ضد الانبراطورية البريطانية على محـــاربة الشعب التركي منذ طالعة الامر • وكانت الحرب هذه على جبهتين : (جبهـة البحر المتوسط) و (جبهة خليج فارس) – (بالاحرى الخليج العربي – المترجم) ، كما غدت الحركات في (بلاد ما بين النهرين) جزءاً لا يتجزأ من (الحملة) على اوربّة • واتخذ ال (لورد كچنر) – وهو من جـــاء من القاهرة حديثا – الخطوات اللازمة (من غير مراجعة وزارةالخارجية أو وزارة شؤون الهند) للاتصال ب (شريف مكة : حســـين) ، وكان (سر هنرى ماكماهون (نائب المعتمد السامي في مصر) قد تسلّم من (الشريف) ، في

(*) من هنا جاء عنوان (الكتاب) بالانكليزية :
Mesopotamia: Clash of Loyalties.
[المترجم]

أوائل سنة ۱۹۱٥ ، كتابا يرجو فيه أن تصون بريطانية استقلال البلاد العربية كلها ، لقاء (ثورة) تشن بازاء تركية • وجاء (كتابه) في ابانه ، ذلك ان كل ما يربك تركية ذو أثر في حملتي : (غاليبولي) و (دجلة) • لكن (مطالبه) ، على كل حال ، كانت جارفة (كذا : المترجم) ، ذلك انه كان يقترح اعتراف بريطانية باستقلال العرب ضمن منطقة يحدها شمالا خط العرض ۳۷ ، من مرسينه الى فارس ، وغربا البحر الاحمر والبحر المتوسط ، وجنوبا وشرقا (المحيط الهندي) و (الخليج الفارسي فحدود فارس) • وأرسل ، رداً على رسالته ، جواب فيه تحفّض اولا ، ثم دعم ، في تشرين الاول سنة ١٩١٥ ، بتصمين آخر في هذا الباب ، لكنه استثنى الاقاليم التالية : مرسينة واسكندرون واقسام سوريّة الكائنة غربي دمشق وحمص وحلب ، وهي أقسام ما كانت عربية محضة (كذا : المترجم) • وتعهّدت بريطانية بالاعتـــراف باستقلال العرب القاطنين ضمن الحدود التي بيّنها (الشريف) ودعم هذا الاستقلال • وثمة (تحفّظ) آخر حدّد (الضمان) وجعله مقصوراً على الاراضي العربية التي تتصرّف فيها بريطانية العظمى بحرية ، من غير تعويق لمصالح فرنسة • كان (التحفظ) الاخير يذهب الى ان (الولايتين التركيتين : بغداد والبصرة) قد تخضعان ، الى سيطرة بريطانية[٣١] ، احتمالا •

واطمأن (الشريف حسين) الى تلكم (النصوص) ، عموما ، وان لم يكن ذلك تماما فقرر في ربيع سنة ١٩١٦ اتخاذ ما يلزم لطرد الاتراك من الاراضي العربية • وفي ٦ ايار سنة ١٩١٦ عقدت (اتفاقية سايكس ــ بيكو) ، تحت وطأة ظروف فصّلنا أمرها ، في (الفصل العاشر) ، تفصيلا •

ولادراك ضرورة هذه (الاتفاقية) والامتيازات التي منحت لفرنسة لا معدى عن أن نأخذ بنظر الاعتبار الوضع العسكري في (الجبهة الغربية) ، وهو الذي حمل فرنسة على ان تذهب الى ان قواتنا المتيسّرة كلها مطلوبة فيها والا تستخدم،

---

(٣١) راجع :
MacMunn pp. 215-17. Official History of the Campaign in Palestine.
(المؤلف)

لهـــذا ، في سبيل مخططات فتح لا يستفيد (الحلفاء) منها أو لا يؤمل أن يستفيدوا منها • وتشدّد الفرنسيون في هذه الدعوى ، وعلى ذلك وجب دفع ثمن ما لقاء موافقة فرنسة ورضاها ••

وتبودلت (المذكرات) ، في آن واحد ، بين فرنسة وبريطانية العظمى وروسية وحددّت فيها (مناطق النفوذ) في هذه البلدان • وكانت مصـــالح ايطالية قد روعيت في نيسان سنة ١٩١٥ تماما ، ولم يحط (الشريف) بالخبر اليقين التام الدائر حول (التفاهم) الذي جرى بين الدول الكبرى حتى دخلت سنة ١٩١٨ ، لكنه كان يشعر بان هناك مشكلات كثيرة عسيرة تتطلب حلا اثر ركود الحرب الناشبة وقرّ فورتها •

ما ان اثيرت (القضية العربية) أول مرة ودار حديثها على الالسنة الا عمد (سر هنري ماكمهون) الى أن يحيط نفسه بعدد من الخبيرين العارفين بشؤون سواحل البحر الاحمر وفلسطين وسوريّة(٣٢) • وفي شباط من سنة ١٩١٦ اسست الحكومة (المكتب العربي)(٣٣) على هذا (الاساس) وعهدت أمره الى الراحل الدكتور دي• جي• هوكارث ، وهو من كان ، عهذاك ، يحمل رتبة (كوماندر بحري) • ونيطت بهذا (المكتب) ، تحت اشراف (المندوب السامي) ، دراسة السياسة البريطانية بقدر تعلّق الامر بالشؤون العربية وابتغائها وجمع المعلومات المتّصلة بها • وفي حزيران من سنة ١٩١٧ جاء مستر (ثم « سر ») رونلد • جي • ستورز الى (بلاد ما بين النهرين) من مصر لمقاصد « الارتباط » ، نيابة عن « المكتب العربي » • كان مَقْدمه

---

(٣٢) يريد رجال (المكتب العربي) مركز حوك الدسائس ووضع الخطط الاستعبادية لبلاد العرب ، الذى تخرج فيه كثير ممن استخدمتهم بريطانيا فى ادارة العراق ، ابان عهد احتلاله لها أو انتدابها عليه ، ومن سمو ب (المعتمدين الســـامين) ثم (سفــراء) في العهـــد الملكى الدابر ، من أمثـــال (كلايتن) و (كورنواليس) و (لورنس) و (مس بيــل) • ان ركاكة التسميـــة واختلالها ظـــاهران في اســـم (المكتب العربى) والاصح ان يسمى (مكتب استعباد العرب واحتلال بلادهم) • [المترجم]

(٣٣) بالاحرى : مكتب التخطيط لاحتلال البلاد العربية واستعبـــادها فاستغلال خيراتها لصالح (بريطانيا العظمى) [المترجم] •

في ابّانه ، وبذلنا جهداً حقاً لاكتشاف أفضل السبل الضامنة لتنسيق السياسة المختطَّة ، طبقا لاوامر بغداد والقاهرة ، على الجانبين الغربي والشرقي من شبه الجزيرة العربية • كانت الصعوبات عسيرة لا سبيل الى التغلب عليها تقريبا • ولم ترع مذكرات (سر هنري ماكمهون) مشاعر زعماء العرب ، من أمثال (أبن سعود)[٣٤] وهو من لم يرفض الاعتراف بحق (شريف مكة) بأن يكون الناطق بلسان الشعب العربي ، المفاوض عنه ، حسب ، وانما كان عدوا لدوداً ناشطا بازاء دعواه ! واشتدّ ضريم هذا الشنآن عندما اتخـذ (الشريف) في (الرسائل) صفة المتعالي ، وبسبب من المنحة السخية التي تسلّمها ، ذهبا وسلاحا وعتادا ، وابن سعود وغير ابن سعود ينظرون • وجدنا ان لا شأن للشريف حسين يذكر في بلاد ما بين النهرين ، وكان اهلها من دعواه يسخرون • كما كانوا يرفضون ادعاءه بانه الناطق بلسان طائفتي السنة والشيعة ، على حد سواء ، رفضا باتا • ومهما يكن من أمر تجلّى اننا ، بقدر تعلّق الامر ببلاد ما بين النهرين ، لم تحصل على فائدة كبيرة من نجوم علاقة وثيقة بالملك حسين ، وان من الضروري ، ولصالح الحركات العسكرية والاحتلال ، الاخذ بسياسة تتفق ومشاعر سكانها[٣٥] ، وان وجد التعارض بين مثل هذه السياسة والسياسة المتبعة في مكان آخر ، اذ المبررّ لها موجود في (التحفّظات) التي أشرنا اليها سالفا ، وأعني بذلك عبارة : « من المحتمل خضوع الولايتين : بغدادوالبصرة التركيتين الى السيطرة البريطانية • » وايا كان الامر كان الشعور السائد هو أن زيارة يؤدّيها (مستر ستورز) الى (ابن سعود) شخصياً لا تجود الا بخير ،

---

(٣٤) راجع : H. St. F. Philby: Arabia) (Modern World Series)
(المؤلف)

(٣٥) قلنا : عبارة (المؤلف) هذه حق من جانب وخطأ من جـانب • فهل اتبعت بريطانية العظمى سياسة تتفق مع مشاعر اهل البلاد حقا ؟ ان رجالها ، و (المؤلف) منهم ، كانوا لا ينامون الا على سر مبيت أو قصـد دفين يحقق مصلحة بلادهـم ، قبـل كل شيء • وهـم الذين كانوا يريدون اشتداد المنافسة بين (الشريف) و (ابن سعود) لتستغـل من قبلهـم في تفتيت شمل العرب ففرض هيمنتهم جريا وراء سياسة (فرق تسد) •
[المترجم]

ليس غير • لم يقف في سبيله عَنَت الوديقة المهلكــة اذ اتخذ ســبيله من الكويت الى الرياض في تموز ، لكن المرض دهمه فاضطره على العـــودة الى فلسطين بحرا ، وبعد سنة كان أمره قد شهر وعرفه الناس طراً • لقد أصبح اول حاكم على القدس •

وفي تشرين الثاني من سنة **١٩١٧** لعب عنصر جديد دوره اذ اصبحت الحال مضطربة فوضى ، بقدر تعلّق الامر بالوضع الدبلوماطيقي (دبلوماسي) في بلاد العرب جميعا • ان تطّور الحرب وانغمار امم اخرى فيهـــا • وتأثر مصالح أخرى بها وحاجات الحلفاء الملحة والوضع الدولي للشعب اليهودي كل اولئك رغب الحلفاء بالاعتراف بآمال اليهود في اقامة « وطن قومي » لهم في فلسطين ، لذلك صدر (وعد بلفور) وهو تصريح جَهْري افضى بـه وزير الخارجية مستر بلفور الى (لورد روچيلد) في الـ **٩** من تشرين الثاني **١٩١٧** ، واليك نصه :

(ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي » للشعب اليهودي في فلسطين وستصبّ أفضل جهودها في سبيل تيسير تحقيق هذا الهدف شريطة أن يفهم بجلاء انه لن يصطنع شيء يضرّ بالحقوق المـــدنية والعربيــة للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو الحقوق والوضع السياسي لليهود في أي بلد آخر » •

لم يثر هذا (التصريح) أي اهتمام في بلاد ما بين النهرين وما كان له من اثر في الفكر السياسي ببغداد ، وفيها ناقلة (جاليـــة) يهودية كبيرة تعايش اهلها منذ قرون كثيرة • لم تكن صلات هذه (الناقلة) بالعرب ليقلقها شيء الا باقلّ مما يقلق موقف حكامها الاتراك منها • وبُحث في أمر (التصريح) مع كثير من وجهاء الطائفة اليهودية ممن كانت علاقتنا معهم حسنة ، فاشاروا الى ان فلسطين بلد فقير وان القدس بلدة سيئة (كذا : المترجم) لا يحسن الحلول فيها ، ولو قورنت (بلاد ما بين النهرين) بها لكانت الجنة بالنسبة اليها • هذه « جنة عدن » ـ على حد قول احدهم ـ « ومنها طرد آدم (كذا : المترجم) ،

اعطونا حكومة صالحة لتغدو هذه البلاد زاهرة مزدهرة • ان (بلاد ما بين النهرين) هي وطننا ، وانه وطن قومي يسر كل يهودي في بمبي ، أو في فارس ، أو في تركية أن يشد الرحال اليه • سيكون موطن الحرية ها هنا وستسنح فيها الفرصة (كذا : المترجم) • قد تكون في فلسطين حرية لكن لن تسنح فيها الفرصة ! » ان هذه لمن نوافل القول ، ما الى الشك في ذلك من سبيل ، لكنها تنطوي[٣٦] على ان اليهود والنصارى والعرب كانوا يرون ، على حد سواء ، في سياسات الحلفاء مبعث صدام (ولاء) حاد بازاء (ولاء) حاد • اما (المصير) فالشك يكتنفه والغموض يلفه بشملته !

(٣٦) ذلك لان الانكليز المحتلين المستغلين والضالعين معهم من اليهود الذين سكنوا العراق كانوا أدرى الناس بامكانات العراق المعدنية والزراعية والتجارية — نتيجة المسوح الفنية التى أجراها خبراؤهم الذين جاؤوا العراق ، متخفين باهاب ، السياح وما الى ذلك ، والتي يؤمن استثمارهامن قبلهم رفاهة العيش ومستوى معيشة يتعالى قدما ، وصدق الشاعر حين قال :

يزدحم الناس على بابه والمورد العذب كثير الزحام !

[المترجم]

الفصل السابع عشر
الحركات العسكرية في (بلاد ما بين النهرين) من وفاة الـ (جنرال مود) حتى (الهدنة)

الحوظة تمهيدية :

مستل من (تأريخ مؤتمر الصلح) ، المعقود بباريس
لمؤلفه : (ايج ، دبليو . قي . تمپرلي :
H.W.V. Jemperley: History of the Peace Conference.
(الجزء السادس ، ص ١٧٨)

اضطرنا دخولُ تركية الحرب على مهاجمة « الانبراطورية التركيه » ، كارهين، عن سبيل الهجوم على رعاياها العرب . وكانت الخطة المقرّرة لذلك تنصب على الزحف من اطراف الانبراطورية المذكورة على اختلافها . وفي كل من هذه (الحملات) ، وفي حملة ما بين النهـرين في الاكثر ، كان الظفر العسكري يؤدي الى تحطيم الحكم القائم اولا ، فاقامة بديل منه ثانيا . وبفرض سداد شنّ حملة على (بلاد ما بين النهرين) ـ من وجهة النظر العسكرية في الحرب ـ لم يكن هناك من سبب يحمل على التوقف ، بل على النقيض من ذلك كانت الاسباب تتناصر على عدم التوقف ، بين موقع الانزال في (الفاو) واقامـــة (ادارة) للاراضي المحتلّة طرّا . ان كانت حماية (النفط) هي الغاية ، فمما لا شك فيه ان حماية عبادان و (خط أنابيبه) كانت تكبّدنا أقلّ مما كبّدتنا حقا وعن سبيل مدّ أسلحتنا شأنها كشأن التزاماتنا المدنية في الولايات الثلاث : بغداد والبصرة والموصل ، وان كان النفط الثمين في الولايتين الاخيرتين موجودا أيضا . لكن مرد الزحف عليهما ، على ما تراءى ، الى رغبة سياســية تنصب

على الثأر لتسليم الكوت وتعزيز هيبتنا • فان كلفت (الحملة) في أي من ميادين الحرب أكثر من كلفة غيرها نسبيا، فلا يستتبع ذلك ان ما جادت به على النتيجة العامة يجب ان يعتدّ غير ذي جدوى •

لقد صرّفت شؤون الاراضي المغلوبة على الآساس الممكنة الفذة • ذلك ان الجيش اعار ، في كل حالة من الحالات تقريبا ، كبار الموظفين والضباط السياسيين ، أما الكتاب المرؤوسون الصغار فلقد جيء بهم من الهند • واستخدم العراقيون في ملء المناصب التي هي بين هذه وتلك ؛ وذلك على أساس من الجدارة والرغبة • لكن الشرطين الاخيرين حدّدا مجال الاصطفاء • كنا في حرب مع (الانبراطورية التركية) ، وكان جلّ موظفيها ، وهـم الاناس الافذاذ الذين كانت لهم خبرة ادارية ، قد انسحبوا مع قطعاتها •

وصيّرت (الهدنة) منطقة من الارضين ، مساحتها تعدل نصف مساحـة (المملكة المتحدّة) ، تحت سيطرتنا • وكانت المواصلات ، الموجودة فيها ، بالاضافة الى انهارها ، عبارة عن نحو ٦٥٠ ميلا من السكك الحديد و١٠ اميال من الطرق المبلّطة • ان ادارة منطقة ، بهذه السعة ، سيئة المواصلات ، القت حملا ثقيلا على عاتق الجيش والحكومة المدنية ، كان انجازا رائعا ، استمد من الموارد البلدية ، حين أعدّ للجميع نمط ذو كفاية من انماط الحكم ، متماسك كالبنيان المرصوص •

ooo

« يضم (الانكليز) أقصى درجات الشجاعة المصممة الى ارهف الحـذر والحيطة • ولا يعدلهم اناس في باب اعداد العـدة للحرب وتسوية صفوفهـم في غمارها • فان علموا ، الى هذه المؤهلات العسكرية ، كيف تجمع فنون الحكم ، وان عنوا بظروف الفلاح والماجد الـ (جنتلمان) وبذلوا كثيرا من البراعـة والرعاية في سبيل التفريج عن (خلق الله) وتيسير امورهم ، وعلى غرار ما هم فاعلون في شؤونهم العسكرية ، فلن تفضل أمة من الامم عليهم أو يثبت انها افضل منهم في الاخذ بزمام (القيادة) » •

قبس من كتاب السيد غلام حسين خان الموسوم بـ (سير المتأخرين) ج ٢

ص ٣٤١ ، في نحو سنة ١٧٨٣ ، وقد اقتبس (على غير صواب) من قبـــل (مكولي) في كتابه الموسوم بـ (مقالة في حياة لورد كلي :
Macauly: Essay on Lord Clay.

× × ×

اليوم ... تسلّم الـ (جنرال مارشل) قيادة الجيش مؤقتا . فبعد لأي من زمان نيطت به على وجه مستدام : انه أهل لها وهي أهل له ، وذلك باعتداده خير من يولاّها ، ان قورن بلداته سناً[1] ، وانداده رتبة . وغدا الـ (جنرال غيلمان) ـ الذي قدم مؤخّراً يقود (الفرقة الهندية/١٧) ـ لضباط الاركان رئيسا ، وما كان لاي جمع آخر بين اثنين من الضباط القادة الكبار أن يكـون أسعد من مثل هذا حالا اذ هو : (كماالتقت الصهباء والبارد العذب). وكان (القائد العام) الجديد ، على ما أورد في (كتابه) شخصيا ، على حظ قليل من الخبرة الادارية ، نسبيا . لكن سجل الـ (جنرال غيلمان) كان فيه عـوض منهـا . وبوجود الـ (جنرال ريدى) والـ (جنرال ستيورت ورتلي) ، وكان كلاهما يضطلعان بالتبعة التنفيذية على وجه التمام ، باشغالهما منصبي (المقر العام) : (مدير الادارة) و (مدير التموين والميرة) على التوالي ، حدث تغيّر سريع تلقاء ما هو أفضل ، بقدر تعلق الامر بفرعي (الادارة) ، المدني والعسكري ، وانعكس على صفحة العمل اليومي الذي تقوم به كل دائرة مدنية .

وكان (الجهاز العسكري) الذي ورثه (القائد العام) الجـــديد عن (سلفه) وصديقه الـ (جنرال مود) على حظ عظيم من الكفاية . كانت (روحه المعنوية) عالية و (تدريبه) يبعث على الرضى والطمأنينة ، كما كان يسعى الى التحسّن قُدُماً . ولم تترك حال الدوائر شيئا يُرتجى ، وعلى ما يستشف من الصفحات المواضي ما كان تقدم (الادارة المدنية) العام الا مطمئنا مرضيـــا ،

---

(١) حين عرض على الـ (جنرال مود) منصب القائد الاعلى في فلسطين ، خلفا لـ (سر أ . موري) ، في آذار سنة ١٩١٧ وبعيد الاستيلاء على بغداد ، رفضه . لكنه اضاف الى ذلك ان لو أصرت (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) على ذهابه الى فلسطين ، فان الـ (جنرال مارشل) اصلح (خلف) له واظهر . (المؤلف)

وذلك على الرغم من ان قضاء كل شيء في الفرات الاوسط وفي ولاية بغداد ، بقي واجبا . ولم يرث ال (جنرال مارشل) من ال (جنرال مود) خططا أو مشاريع من أي نمط كان « ومَا كان في السجلات الا القليل ، أو لعله كان معدوما ، كما لم تكن لدى احد معلومات شخصية تظهر بوايا ال (جنرال مود) أو خططه في مُقْبل الايام ، سواء أكان ذلك بالنسبة اى (الحركات) أم بالنسبة الى (المنظومات العسكرية والمدنية)[2] » وكانت لديه ، في (جبهة بغداد) : فرقة خيالة واحدة ، وست من فرق المشاة ، تبلغ عدتها جميعا : ٣٥٠٠ من (حملة السيوف) و ٦٦٠٠٠ من (حملة البندقيات) ينضاف اليها ٣٠٢ من المدافع الى تعزيزات تمثلت في القطعات الاولى من (الفرقة ١٨) ، الاخذة في الورود .

وبلغت عدة (قوة الجراية ration force) الكمية نحو : ٤١٤٫٠٠٠ .

وغب أيام قليلة من يوم تسلمه القيادة تلقى من (سر ويلم روبرتسن : رئيس هيأة الاركان الانبراطورية) البرقية التالية ، المؤرخة بتأريخ ٢٢ تشرين الثاني :

« أرى ان من الصواب ، وأنت تتسلم (قيادة بلاد ما بين النهرين) معاودة تبيان التعليمات التي صدرت الى سلفك .

١ - ان الواجب الرئيس لـ (قواتك) هو اقامة الناموس البريطاني في ولاية بغداد والحفاظ عليه ، لذا كان واجبك ، في الدرجة الاولى دفاعيا ، لكن عليك ، وانت تعد جميع وسائل العدة المستطاعة لمجابهة الهجمة ، الافادة من موضعك الوسيط وفَوَقك في باب المواصلات على العدو لتجعل دفاعك نشطا جهد المستطاع وان تهوى بالضربة عليه ، عندما يمكنك من فرصة تصيب ، باهتبالها ، نجحا .

٢ - والى ذلك كله ، انك مولج بحماية خط أنابيب النفط وحقوله الكائنة في جوار (نهر كارون) والحيلولة دون بلوغ العـدو الخليج الفارسى

(٢) التأريخ الرسمي (٨٦/٤) (المؤلف)

(بالاجرى « العربي » ـ المترجم) • عليك ضمان عدم قيام الجماعـات المعادية بأي عمل في الجنوب ، عبر خط ششتر ـ اصفهان •

٣ ـ وبقدر تعلق الامر بالروس : ان وضع بلادهم غامض ، الى حد يجعل وضع خطط معينة محددة أمرا مستحيلا • لكن الذي عليك هو السعي الى جعل الروس يتعاونون معنا في سد الحد الفارسي • لك أن تمون أي قسم من قوة الـ (جنرال باراتوف) أن تقدم الى الحد الفـارسي ، شريطة الا يضر ذلك بما يقيم أود (قوتك) •

٤ ـ من المهم أن تستعين بمناصرة العرب في ميدانك (فمنا في القلوب بشب الحروب) وان تحملهم على القيام بعرقلة مواصلات العدو والامتنـاع عن تزويده بالمؤن • ان هذا يتطلب دعاية ناشطة ، تستغل ، الى أبعـد مدى ، ما أصبناه من ظفر في فلسطين وبلاد ما بين النهرين أخيرا • وبقدر تعلق الامر بذلك ان سر برسي كوكس ، سيرشدك بصـوب عقلـه ، فشاوره في الامر •

٥ ـ وفي ضوء (تقدير الموقف) هاهنا ، الى ما يستطاع من مدى ، ان تحطيم قواعد العدو الامامية في (الرمادي) و (تكريت) ـ بالاضافة الى النجاح الذي أدرك فيفلسطين وما تلاه منتحويل احتياطي العدو الىذلك الميدان ـ كل اولئك يمكّـن العدو من أن يأتي ، بازائك ، في هذه السنة ، بقوة كافية لتهديدك تهديدا جديا ، ويجعل من المشكوك فيه أن يستطاع القيام بذلك قبـل حلول صيف ١٩١٨ ، وهو في العراق اتون متسعر يرمى باللهب الماحق والشواظ المبيدة • ان كثيرا من الامور لتركن الى مـد سكة حديد العدو الى الموصل ، ومن المهم الحصول على جميع المعلومات التي يمكن الحصول عليها في هذا الباب ، الى الوقوف ، في ابانه ، على تجمع قوات العدو ، سواءا كان ذلك على الفرات أم كان على دجلة •

٦ ـ ان الوضع العام يجعل من الاهمية بمكان عدم ابقاء قوات في (بلاد ما بين النهرين)، بأكثر ممـا هو ضروري للقيام بما هو مطلوب منـك ، وعلى ما حُدّد في

الفقرتين (١) و (٢) - لئلا يطبق عليها في هاته البلاد خلال صيف ١٩١٨ . لذا فأني أرغب اليك أن يمثل أمام ناظريك احتمال اجراء خفض في قواتك قبل ذلك الاوان وأن تعد كل مابستطاع للاقتصاد فيها على وجه التمام وذلك عن سبيل ترصين دفاعك وتحسين مواصلاتك .

٧ - ان الضرورة الحيوية تقضي بالاقتصاد في النقل المائي الى أبعد مدى ، لذا كان لزاما عليك اصطناع كل محاولة لابتعات الموارد البلدية (المحلية) في سبيل هذه الغاية ، وذلك بالمشاورة مع سر برسي كوكس .

ان أبرز « ملامح » هذه الرسالة المهمة هي :

١ - التلميح الى أن القوة المرابطة في (بلاد مابين النهرين) قد يطرأ عليها خفض بسبب عدم احتمال القيام بحركات هجومية من قبل الاتراك .

٢ - التوكيد الدؤوب على الاستعانة بالعرب في عرقلة مواصلات العدو ومنع المؤن عنه .

٣ - تعليمات تقضي بالدأب على الافادة من التعاون الروسي في فارس .

وبصدد (الفقرة الاولى) من هذه النقاط يلحظ ان جميع المعلومات التي تلقاها ال (جنرال مود) ، خلال النصف الاخير من تشرين الاول ، كانت تؤكد احتمال قيام الاتراك بهجوم ذي خطر . وكانت المعلومات التي لدى (وزارة الحرب) ، في وقت مبكر أي ٢٠ أيلول ، تشير الى الاتجاه نفسه . واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الظروف التي كنا ظاهرين عليها ، ، عهدئذ وانشغال الاتراك في فلسطين ، وفيها كانت قوات ال (جنرال اللنبى) تتقدم معجلة[٣] ، تراءى ان لم تكن ثمة مبررات لاصدار قرار ، في أيلول ، بانفاذ تعزيزات أُخر الى بلاد ما بين النهرين - وكان فيها نحو ٢٠٠٠٠٠ من الجنود المسلحين ، الا قليلا .

---

(٣) تم الاستيلاء على (بئر السبع) في اليوم الاول من تشرين الثاني ، كما تم الاستيلاء على (غزة) يوم السادس منه ، وعلى (يافا) يوم ال ١٥ ، وعلى القدس يوم التاسع من كانون الاول ١٩١٧ (المؤلف) .

وتتطلب النقطة الثانية ، وأعني بها : العون الروسي ، تعليقا ما . لقد بيّنا فيما مضى ان ال (جنرال مود) لم يظهر ، في أي وقت ، رغبة في أن يورط نفسه في مغامرات تسلك هذا الاتجاه ، ولقد أفصح عمّا في نفسه ، بقدر تعلق الامر بهذا الموضوع بقوة، وأفضى به الى سر ويليم روبرتسن، لكن الاخير اهتبل أول فرصة ، وأثر وفاة ال (الجنرال مود) لتوكيد خطرها لدى (خلفه) ، شريطة أن يسترشد بـ (سر برسي كوكس) وهو من كانت (لندن) تعـرف انـه يعتد حركة ما في هذا الاتجاه غير عملية ان جرت في أوائل السنة . انها ، الان ، غير عملية وبأكثر من أي وقت مضى . ومن بين الخطوط الثلاثة الكائنة خلف (جبهـة الاتراك) ثمة (خط) يقع على حدود الاراضي التي يحتلها الاتراك ويخترق كركوك وكفري . لم يذكر وجود هذا (الخط) من قبل وزارة الحرب الا نادرا وذلك على الرغم من أن سر برسي كوكس كان قـد بكر ، في كانون الاول ١٩١٤ ، وأتصل بزعماء الاكراد ممن قد يستفاد من خدماتهم ان جرى في سنة ١٩١٥ زحف على بغداد . كانت الارضون الواقعة على (دجلة) و (الفرات) ، المحاذية لخطوط مواصلات الاتراك الباقية ، بيـد (شمرّ جربة) وهي جماعة من العشائر قوية ومحاربة ، لا تزال في منتجعاتها الصيفية ، والشتائية ، الاّ قلّة منها ، بيد الاتراك . كانوا ، على العموم ، عوملوا من قبل الاتراك معاملة حسنة ، وهم من كانوا يشفقون منهم ويجودون عـلى رؤسائهم بالمنح والهبات ، ولو أريد القيام بأمر ما فلن يقتصر ذلك على المـال بل يشمل السلاح والعتاد ، بكميات كبيرة . هـذا وان احتمـال الحصول على أي فائدة من جراء ذلك ، من الوجهة العسكرية ، كان يعكره ، في نظر من كان في بلاد (ما بين النهرين) ، هذا الذي يجيء في عُقبى الحرب من ردود فعـل محتملة وتأثير مقلق في المنطقة المسالمة الكائنة خلفنا . هذا وان الذي أسفر عنه السعي في ميدان الاستعانة بالعرب في (جبهة فلسطين) ، حتى هذا الاوان ، لم يحمل من كانوا في الميدان على أن يعتلوا بغلة تنصب على تغيير (السياسة) . وما كنا نعدم الضباط البريطانيين القادرين على قيادة (حركات) كهـذه أو

توجيهها • كان هناك (ليجمن) و (ايدي) – وهو من نشكل عصبة من المقاتلة غير النظامية تنتسب الى قبيلة المنتفق وعرفت باسم « كشافة الناصرية » ، وسيطر عليها بنجاح – و (ديكسن) ونحو ستة من الرجال الاخرين الكفاة وكـل جرب الامور وحلب الدهور ، وكلهم على حظ من الاهلية للعمل على آساس كهذه • وما كان (سر برسي كوكس) أو الـ (جنرال بج) – باعتداده رئيس شعبة الاستخبارات – يضطلع بتبعة اسداء المشورة الى (القائد العام) في هـذه الامور ، أو على استعداد للاشراف على مشاريع كهذه • وهكذا ختمنا فـي (بلاد ما بين النهرين) صفحة الحرب ، على ما بدأناها أول‌مرة، أعني‌أحرارا من جميع الوعود والاتفاقات أو « التزامات » أخر ، فيما خلا ما كان منها مضمنـا ، ان وجد ، في « منشور الجنرال مود » الصادر الى أهل (ولاية بغـداد) • وما قلنا لاهل (البصرة) الا قليلا ، كما لم نقل لاهل (ولاية الموصل) شيئا أبدا • ان «التزاماتنا» المحددة كانت تتصل بشيخي (المحمرة) و (الكويت) حصراً•

لم يتقدم مشروع مد سكة حديد بغداد ، وهو الذي كثر فيه البحـث ، تلقاء الموصل ، على يد الاتراك وبتوجيه من المهندسين الالمان ، الا قليـلا • وعرف جيـدا ان رأس السـكة كان غـربي (صيبين) • وما كان من المحتمل أن نعثر على شيء في هـذا الاتجاه ، وفيه تستطيع الغوّارة التركيز فتصيب من جراء ذلك نجحا •

وبصدد (النقطة الثالثة) ، أعني خطة تعاون محدودة مع الروس ، نجتزىء فنقول ان قد كانت لـ (لينين) و (تروتسكي) في هذا الحين ، اليد العليـا في (موسكو) و (بتروگرد) وأنهما دعيا الامم المحتربة الى بدء مفاوضـات السلام حالا[٤] ، لذا كان وجود قطعات روسية ، بأعداد كبيرة ، على جناحنا ،

---

(٤) ان (الحزب الاشتراكي البريطاني) أقدم عهدا من لينين وتروتسكي ببضعة أشهر • لقد عقد الحزب مؤتمرا في (ليدز) يوم الـ ٣ من حزيران سنة ١٩١٧ والقى السمع الى خطابات القـاها كل من : مستر رمزي مكدونالد ، ورودن بكستن ، ومركريت بوندفيلـد ، وسي• جي• امون وبرتراندرسـل ومستر ومسز سنودن وغيرهم • وصرح مستر مكدونالد : « انه لم تكن ثمة حصيلة في يوم من الايام بأوفر حظا من الحصيلة التي تم جنـاؤها اثر =

« غرما » كبيرا ، وما كان وجودها في أي وقت ما ، « غنما » • كما لم يكن ال (جنرال بيجاراكوف) أو ال (جنرال پاراتوف) موالين على ماكنــــا نعني بالكلمة هذه ونفهمها • لقد سحبوا ، منذ اليوم الاول ، جراياتهـــم rations (لاكثر من ٥٠ بالمـــائة) ، وما كانا مخلصــين أمينين وحتى في هذا الزمان والمكان • وكان الجنود أفضل منهما حالا ، اذ كانوا من المرتزقة المخلصين بالنسبة الى طبيعتهم •

وغب اسبوعين ، وفي اليوم السادس من كانون الاول على التحديد ـ تناهى الى مسمعنا ان (هدنة) جرى اعدادها بين تركية وروسيا ، وفي اليوم ال ٢٢ من كانون الاول فتح باب مفاوضات الصلح في (بريست ـ ليتوفسك) • وكانت شروط (الهـــدنة) تقضي بانسحاب جميع القطعات الروسية والتركية ، وعلى الرغم من بقاء (بيجاراكوف) وجنوده معنا ، نجم عصيان خطر في جنـــود ال (جنرال پاراتوف) المرابطين في (همدان) ، وهذا فتح عيوننا على (الجهة) التي كانت الريح تهب منها •

= زرع آتي أكله • » لقد قدم مستر مكدنالد (المقترح الاول) ومحصله : « ان قصة الاضطهاد والشهادة ، وهي طويلة ، قد بانت جليلة للعيان ، وما كانت هذه لتقتصر على روسية ، ولكن شكرا لله وحمدا له ، انها تشمل العالم طرا • لقد ظهرت الثورة للعالم جميعا وجعلت الفكر الانساني يحلو وصيرته انبل واسمى ، وقدم مستر سنودن اقتراحا محصله ان القيصرية قد هوت وان ذلك يدعم المبادىء الديمقراطية في روسية ••• وفي الداخل والخـــارج ، ســيخلق في ديموقراطيات الامم الاخرى آمالا جديدة نحو السلام المستند الى المحبة واخـــوة الامـم • وكان عين مستر مكـــدونلد ومستر لانسبرى وآخرون لاسداء العون اللازم في سبيل اقامة مجالس العمال والجنود • لقد استندنا في كل ما اوردناه الى (النـــداء : The Call) الصادر يوم السابع من شبهر حزيران سنة ١٩١٧ ، لكن المدلول العام لهذه العائديات أصبح شائعا ذائعا في (بلاد ما بين النهرين) وفارس بواسطة الكراسات التركية والالمانية التي طبعت بلغات عديدة وكان لها أثر في معنوية حلفائنا الروس ولم يكن ذلك في اماكن اخرى •

(المؤلف)

لم يبدّد ال (جنرال مارشل) وقتا في سبيل تنفيذ الفقرتين (١) و (٧) من تعليمات (سر ويليم روبرتسن) فأنفذ قطعـــات الى (المسيب) و (سدة الهندية) و (الحلة) و (الكوفة) و (أبو صخير) و (الشنافية) في الفرات الاوسط ، توا • وبعيد ذلك احتـــل (طويريج) و (السماوة) الكائنتين على الفرات الاسـفل • وأصدر ، في الوقت نفسه ، (تعليمات) الى (الفيلق الثالث) ــ وهو ، اليوم بامرة ال (جنرال ايگرتن) ــ تقضي بالهجوم على الاتراك الواقفين ، قبالته ، على خط مادّ من (قره تبـــه) حتى (نهر ســـيروان)[٥] • وكانت (الفرقة/١٣) ، بامرة ال (جنرال كيلي) في غربي ديالى ، على حين كان ال (جنرال طومسن)، و(الفرقة/١٤) شرقيه ، في سهل (قزل رباط) ، صحبة مفرزة ال (جنرال بيجاراكوف) • وكانت (الفرقة الخيالة) على نهر (العظيم) ، عـــلى استعداد لانزال الضـربة بمواصلات العدو • وأصابت الحركات نجحا تاما ، وبخسار قدره ٢٠٠ من الضحايا • استطعنا الاستيلاء على ممر (صقل طوطان) في اليوم الخامس من كانون الاول • ثم قمنا باحتلال (قره تبه) وأجهزنا على ما فيها من الذخائر الحربية وأســـرنا ٢٥٠ من الاسارى تقريبا ، وغنمنا مدفعين ، كما أوقعنا خسائر فادحة بالاتراك الذين خُمّنت ضحاياهم ب (٣٠٠) تقريبا • ولم نبق ، في هذا الاوان ، في (قره تبه) لكننا أمسكنا بخط يمتد من ممر (صقل طوطان) الى خانقين ، وهي الان محتلة لاول مرة •

وأصبح الطريق الماد الى فارس ، الان ، راشدا ، لكن الوضع فيها تحول الى غير صالحنا ، اذ انحرف الروس عنا • ورأى ال (سر چارلس مارلنك) ان اتخاذ اجراءات علاجية حاسمة أمر لا بد منه ولا معدى عنه • وفي الخامس عشر من كانون الاول ألح على ال(جنرال مارشـــل) بأن يضـطلع بحماية طـــريق خانقين ــ همدان ، بغية احلال الاستقرار في فارس وكانت حكومة البلاد تخضع الى ضغط عظيم يوقعه المبعوثون الدبلوماطيقون لـ (الدول المركزية) ، شأنهم في ذلك كشأن معتمدي روسية • وأخذت الحال الفوضى تتسع في الاقاليم فيما خلا

(٥) هو اسم مجرى نهر ديالى ، وهو يتجه الى الجنوب الغربي مارا من دربندي خان (المترجم) •

ما كان منها تحت السيطرة الايدة التي فرضتها وحدة (سوث پرشيا رايفلز) بامرة ال (جنرال سايكس) • ورفض ال (جنرال مارشل) أن يضيف الى (تبعته) تبعه ولم يقصر في وجدان العلّة في الرفض ، اذ رأى انها تتطلب استخدام قطعات ، بأكثر مما يستطيع ، وان ذلك يورطه في مشكلات تموينية • وكان يؤيده في موقفه هذا (سر ويليم روبرتسن) ، حتى خلف الاخير (سر هنري ويلسن) في الثامن عشر من شباط •

وعلى ما صارت اليه الامور حقا ، لعله ، لو قبـــل المقترح ، كان يحسن صنعا ، اذ أن ذلك كان يمكنه من ممارسة سيطرة ، يُحتاج اليها كثيرا ، على الحركات الابتدائية في شمالي – غربي فارس التي يقوم بها (لواء هش هش) ، الاسم الذي اطلق على مجندي العميد دنسترفيل ، وهم رجـــال أجرياء باسلون عـلى انفراد ، لكنهم ، مجتمعين ، لا يرتجى منهم نفع وما من ورائهم جدوى • وقبل أن تمر شهور كثيرة دعي ال (جنرال مارشل) الى الاضطلاع بأمر «دنستر فورس» ، والى ارسل لواءين (هما : اللواء/٣٦ واللواء/٣٩) وفوجين الى خطوط المواصلات المادة الى فارس واحتلال (انزيلي) و (باكو) • ان هذه الحركات ، ذوات الاصل المتلمس في قرارات (اللجنـــة الشرقية لوزارة الحرب) ، مسرودة بايجـاز في (الفصل التالي) •

ولم يجر تقدم آخر في (بلاد ما بين النهرين) حتى حلّ شـــهر آذار ، وفيه احتل ال (جنرال بروكنك) هيت ، بازاء مقاومة قليلة ، وكان انسحاب القائد التركي شكري بك معجلا ، وهو عمل كان سديدا رصينا ، لكن ذلك أدى الى احلال آخر محله فورا[٦] • وتقدم ، الآن ، ال (جنرال بروكنك) ليختط احدى

---

(٦) من المحتمل ان قرار خلفه (ناظم بك) بالثبات حتى (خان بغدادي) لم يكن مقطوع الصلة بهذا الظرف عينه • (المؤلف)

قلنا : كان البريطانيون يعلمون ان القطعات التركية الواقفة بازائهم واهنة ، لذلك هجموا على هيت يوم ال ٩ من آذار ١٩١٨ فبادر القائد التركي (شكري نائيلي) الى الانسحاب الى خان بغدادي خلافا لاوامر قائد الجيش السادس خليل باشا لذلك اصدر الامر بعزله واوفد العقيد نظمي آمر اللواء/٣ التركي بطائرة من (الفتحة) الى (حديثة) فتسلم امرة (جحفل الفرات) في ١٣ آذار ١٩١٨ • وقد اصدر خليل باشا اوامر جديدة تقضي بالا يكون الدفاع في اية جبهـــة حاسما لئلا تمحى القطعات التركية على بكرة أبيها • وشرع (الجحفل) باعداد

(حركات الاحاطة) وينفذها ، الحركات التي أثبت انــه ابن بجدتهــا • وكان يعاونه فيهــا (لواء الخيالة/١١) وبطريتان آليتان مدرعتـــان خفيفتان ، بامرة ال (جنرال كسيلس) ، تنضاف الى ذلك طائرتان ورتل مشاة سيار محمول على ٣٠٠ سيارة نقل من طراز فورد • وفي الـ٢٦ منآذار بدأ الحركات ال (جنرال اندرو) ــ اللواء/٥٠ ــ وهو من تقدم ، خلال الليلة النصرمة ، من هيت حتى بلغ نقطة تقع الى الجنوب الشرقي من (خان بغدادي)[٧] ، وفي أعقابه ال (جنرال لوكاس) ــ اللواء/٤٢ • وكانت تعليمات ال (جنرال كاسيلس) تقضي « باغذاذ السير ، والتحلي بالشجاعة والعمل بأيد ، خلال الحركات جميعا » (ومن طلب عظيما اصطنع عظيما) • ومما لا ريب فيه ان ال (جنرال كاسيلس) كان مسرورا من أن يتلقى ايعازات متقنة كهذه ، متفقة مع مزاجه • وكانت ترتبط به طائرات لمقاصد الاستطلاع والاتصال ، وكان فعلها على حظ ، بالغ الفائدة • وخلال النهار صيّر المشاة الذين كانوا بامرة ال (جنرال اندرو) وال (جنرال لوكاس) العــدو مسمّرا في موضعه الكائن عند (خان بغدادي) حتى وصل في الساعة الخامسة من بعد الظهر ال (جنرال كسيلس) ــ وهو من كان يقوم بانعطاف وسيع غربا ــ موقعا خارجا عن (وادي حوران)[٨] على بعد نحو عشرة أميال شمالا • واستمر في ذلك الموقع قتال ، شاركت فيه الصنوف كلها ، وأبدت فيه القوة الجوية فاعلية عظيمة خصيصا • وختمت الصفحة بعيد منتصف الليلة حين استفاد الاتراك ، وكانت عدتهم ٥٠٠٠ تقريبا ، من فرصة تعالي القمر اللألأ فبادروا الى التسليم جميعا • واندفع ال (جنرال كاسيلس) ــ بسياراته المــدرعة التي كانت بامرة الرائد سر تي• طومسن شرقيا ــ وكان ذلك عند الفجر الوليد :

خطي دفاع من (خان بغدادي) • وكان للاتراك اسطول نهري مؤلف من زورقين بخاريين مزودين بمدفعين وجنبية تحمل مدفعا من عيار ١٠ سم • [المترجم]

(٧) على بعد ٢٥ كيلو مترا من هيت ، وهو اسم قرية راكبة على ضفة الفرات الغربية • وعند (خان بغدادي) بقايا سدّ وقنطرة ، ويحتمل ان الانبراطور جوليان عبر الفرات (٣٦٣م) في نقطة غير بعيدة عنه • [المترجم]

(٨) هو أطول الوديان التى تنحدر من بادية الشام الى الغرب واوسعها يمر بالرطبة ويصب في الفرات ، آلى الجنوب من (حديثة) بنحو ٦ كم •
[المترجم]

ولا بد للصبح الجلي اذا بدت   تباشيره أن يسلخ الليل مسلخا

وقبل تسليم ٢٠٠٠ آخرين من الاسارى . ثم انه غـذّ السير تلقاء (آلوس)[٩] وفي أعقابه الرتل السيّار الذي كان بامرة المقدم هوك الذي كان احتل (حديثة) ، صباح ذلكم اليوم عينه . وبينا كانت (القوة الجوية) تقوم دائبة بعرقلة تراجع الاتراك ، وقوتهم المعنوية تهاوت تماما ، اندفعت (الخيالة) و (السيارات المدرعة) الى (الفحيما – كذا ، وهو «الفحيمي»[١٠] المترجم) ذلك المساء عينه ، وجمعت ، على الطريق ، عددا من الاسرى ، كان بضمنهم (ناظم بك) قائد الفرقة/٥٠ نفسه . وشارك الاعراب البلديون الان في الامر ، – في ضوء الخطوط التي أقرتها (وايت هول) – فأخذوا بنهب الجماعات المنفصلة وقتل الأفراد الضالون ، وتشجيع الجنود على التسليم الى أول وحدة بريطانية يرونها .

واحتلت (عانه) صبيحة اليوم الثامن والعشرين من الشهر من غير مقاومة واندفعت المدرعات بأمل انقاذ المقدم تنانت (آمر القوة الجوية الملكية في بلاد ما بين النهرين) والمقدم هوبارت (مقدم اللواء – لواءالمشاة/٨) وهو من اطلق عليه النار بينا كان يقوم باستطلاع جوي غير مرخص به ، فهوى من حالق واقتيد الى (ناظم بك) يوم الـ ٢٥ من آذار ، أسيرا ، وجوزيت المدرعات التي كانت بامرة النقيب طود على فعالها الجزاء الاوفى ، ذلك انها لم تلحظ لدى مجيئها على مسافة ٢٥ ميلا الى الشمال من (عانه) . وبتناصر الطالع الحسن والتدبير الرائع استطاعت أن تقتل (الحرس التتري) وتفرقه أباديد ، ومن دون الاجهاز على الاساري وهم من نجا ، بشق الانفس ، مرتين من الابادة على يد (القوة الجوية الملكية) .. وبالاندفاع الى نقطة تبعد ٧٣ ميلا وراء عانه استولت (المدرعات) على محطة لاسلكي ونفر من الالمان بضمنهم (هر بروسر) رئيس

---

(٩) جزيرة في الفرات جنوبي حديثة ، عرفها العرب باسم (الوس) و (الوسة) ، قربها بقية مدينة عباسية على ضفة النهر وليس في الجزيرة . [المترجم]

(١٠) خرائب على بعد نحو ٤٠ كم من حديثة ، وكانت مرحلة على الطريق من بغداد الى الرقة . [المترجم]

بعثة الفرات ، وهو من كان يحمل وثائق على حظ من خطر • ثم انها عادت الى (عانه) حيث كانت (خيالتنا) تقوم بتدمير العتاد التركي • وأعقب ذلك انسحاب رخي الى (هحيمي) ، ف (حديثة) أخيرا ، وهي نهاية تقدمنا في هذه (الجهة) ، حتى (الهدنة) حاصلا • وما كان النصر الذي أصابه ال (جنرال بروكنك) ليبلغ حدا أتم مما بلغ ، ذلك انه استطاع ، عن سبيل كلفة كلية عدتها ١٣٠ من الضحايا ، أن يؤسر ٥٠٠٠ تركي وزيادة و ١٨ ألمانيا وأن يستحوذ على ١٢ مدفعا وكميات من العتاد ضخمة • لقد أجهز على محاولات الاتراك المنهجية ، وقد دلت عليها دلائل وفيرة وشوهدت على الطرق ، المنصبة على تقوية (الجبهة) ، كما جعل من المتعذر على الالمان والاتراك الدأب على حوك المكايد في النجف وكربلاء والفرات الاوسط حقا : انها مكايد لقيت ، بفعل غياب القطعات البريطانية عن هذه المنطقة، مشجعا • ان الحركة هذه لمثال خالد على التعـــاون الحق بين الصنوف كافة ، وعلى قيمة الخيالة والمدرعات ان كانت بامرة قيادة نشطة وكان التوجيه بارعـا ماهرا • وليس ثمة شك ، الا على وجه القلـــة ، في ان الهجوم التركي في (بلاد ما بين النهرين) لو قدر له النضج لكان ذلك بمحاذاة نهر الفرات ، وان ثورات القبائل في (الفرات الاوسط) كانت تغـدو جزءا من (خطـــة الاتراك السوقية) لا يتجزأ • والى ال (جنرال بروكنك) يزجى الحمد والشكران ، اذ ما كان عندنا سبب يحمل على ترقب نجوم متاعب على هاته الخطوط ، كما أصبحت (الادارة المدنية) في هذا الاوان ، ولاول مرة ، طليقة حرة ، يمد اليها (القائد العام) يد المعونة النشطة ويسبغ عليها النية الحسنة لتخطو خطوات ثابتة في «بسط الناموس البريطاني» في هذه الجهة من (ولاية بغداد) •

ولو صرفنا النظر ، الان ، عن شغل ال (جنرال مارشل) الثقيل الشاغل في فارس ، فلا معدى عن أن نصرف اهتمامنا الى جناحنا الايمن ، وهو الذي غدا في هذا الاوان ، مشهد تقدم آخر كانت تقوم به قطعات (الفيلق الثالث) ،

---

(١١) ان أردت الوقوف على وصف اتم رائع لهـــذه الحوادث فراجع : Tennant, Hobart.

(المؤلف)

بامرة الـ (جنرال ايكرتن) ، وبضمن الفيلق (الفرقة/١٣) التي كانت بقيادة الـ (جنرال كيلي) وقوة ايدة من الخيالة بامرة الـ (جنرال هولاند - براير) • واحتُلت (كفري) في اليوم الـ ٢٨ ، كما احتلت (طوزخرماتو) يوم الـ ٢٩ من نيسان وأسر نحو ١٣٠٠ واستحوذ على ٢٠ مدفعا ، وقتل ٢٠٠ تركي ، وما كانت ضحايانا الا أقل من ٢٠٠ • وكان الاسارى الاتراك خلقي الثياب مهلهليها ، شأنها كشأن أحذيتهم ، وكانت حالهم الجسدية تثير الرثاء لهم وتبعث على الاسى • لقد تجلى انهم على هذه (الجبهة) وعلى (جبهة فلسطين) أيضا ، صبوا الجهد الى قصاراه ، وانهم ليسوا بقادرين على شن الهجوم مجددا • وما كان من خطط الـ (جنرال مارشل) ، حتى هذا الاوان ، التقدم فيما وراء (طوز) أبدا ، اذ ما كان لديه من سبب يحمله على الاشفاق على خطوط مواصلاته، لكن طوله كان يتطلب شيئا كثيرا بالنسبة لما لديه من نواقل آلية محدودة • وعلى الرغم من أن تقدما جرى في هذا الجناح بمد سكة حديد من بغداد ، فلا بد من مضي شهور قبل أن يستطيع الحصول على انجاد ذي بال من هذا المرفق نفسه • ومهما تكن الحال ، كان (رئيس أركان حرب الانبراطورية) يصر على القيام بزحف تلقاء كركوك و (سليماني[١٢] : السليمانية) بغية تخفيف الوطء التركي النازل على اذربايجان التركية من قبل أنور باشا ، وهو من كان يسيطر على الارضين الواقعة عبر جبال القفقاس • كما كان يرد اليه فضل احتلال (تبريز) وتنظيم ثورة عامة عارمة بوجه الانكليز في ايران وافغانستان • وأوضح الـ (جنرال مارشل) الى (وزارة الحرب) انه ، لاسباب عصرية ، لا يستطيع الى احتلال (سليماني :السليمانية) سبيلا ، كما انه ، بسبب من صعوبة النقل ، وتقرب فصل الصيف ، لن يقدر على ابقاء كركوك بيده ، لكنه ، على الرغم من ذلك ، استطاع أن يحتل (المدينة) يوم السابع من أيار ، من غير مقاومة الا

---

(١٢) هذا هو (الشكل الكردى) لاسم المدينة واننا مصطنعوه في هذا (الكتاب) اطرادا ، ونفضله على (الشكل العربى) : السليمانية الذى اطلقته (لجنة « الاسماء البلدانية » الدائمة) •

(المؤلف)

قليلا[١٣] كانت خطوة معجلة ، وعلى ما بُيّن في (الفصل الرابع) كانت لهـــا عقبى كادت تجيء بكارثة • وفي تقديري انهـــا كانت الخطوة غير السديدة الوحيدة التي خطاها رجل كان سجله في (بلاد ما بين النهرين) يتمايز بصواب الحكم ويتجلى عند اتخاذ قرارات حاسمة • وفي العاشر من أيار بينت (وزارة الحرب) أن برقيتها المرسلة بتأريخ ٢٩ نيسان كانت من غير الاطلاع على ما يجبه ال (جنرال مارشل) من صعوبات ، واقترحت احتمال الاستعانة بعون كردي على الأساس النظرية العوالي التي نورتنا برقيات (وزارة الحرب) السابقة بما علينا • ولو أمسك ال (جنرال مارشل) يده الى حين وصـــول هذا الاعتراف الواني بالخطأ ، وأبقى قطعاته في (طوز) ، أو لو تلبّث في (كركوك) لاختلف الوضع في (كردستان الجنوبية) كله ، خلال السنتين المقبلتين • وكان احتمال هجوم تركي بعيدا ، وعلى الرغم من أن وضع النقل تراءى عسيرا ، لكن تخطّيه لم يكن أمرا متعذرا • وفي ال ٢٤ من أيار أخلينا كركوك فاحتلها الاتراك حالا•

واندفعت (الفرقة الخيالة/٦) ــ بقيـــادة الجنر ل هولا ّند ــ پرايير الى الزاب الاصغر ، عند (الطون كوپري) لكنها عادت أدراجها من غير أن تدخل (البليدة) • وأخلى الاتراك الموضع على استعجال ، وكان ذلك اثر تدمير كدس عظيم من عتاد الحرب وعدتها لكنهم لم ينسفوا الجسر ، ذلك ان تحطيمه كان يأتي ، في مرحلة متأخرة من الحملة بضُر ّ عظيم نُمنى به •

ومرت أشـــهر من غير اجـــراء حركات عسكرية أُخر في (بلاد ما بين النهرين) ، واهتبل ال (جنرال مارشل) الفرصة في تموز فاتخذ سبيله الى الهند مجازا • واستدعي في نيسان (سر پرسي كوكس) الى القـاهرة للمباحثة في الشؤون العربية ثم مضى الى لندن ليقدم الى (حكومة صاحب الجلالة) تقريرا • وطلب اليه في آب ، وهو على طـريق الرجعى ، أن يتخذ السبيل الى طهـران

---

(١٣) لعله كان يأمل ان سيسمح له ، بمجرد احتلاله كركوك ، بتحـديد فاعلياته في فارس • ولم يشعر بضرورة الانسحاب منها الا حـــين ادرك ان عليه أن ينشر قواه على الجانبين •

(المؤلف)

رأسا[١٤] ليحل محل سر برسي مارلنك ، (سفير صاحب الجلالة البريطانية) الذي أمر بالشخوص الى وطنه : انكلترة • ومرّ من بغـــداد خلال الاسبوع الاول من ايلول ، وتركني ، بموافقة سر ويليم مارشال ، أدأب على القيـــام بواجبات (المفوض المدني) وكالة عنه •

وخلال أشهر الصيف غادرت وحدات بريطانية كثيرة الى جبهات أخر ، وحلت محلها تشكيلات هندية جديدة ، على حين ارسل ١٢ فوجا هنـــديا من (بلاد ما بين النهرين) الى (سلانيك) • لقد كانت النية منصرفة ، ان استمرت الحرب ، الى زيادة نسبة القطعات الهندية الى أكثر من ذي قبل • لقد كان في الهند استعداد لتشكيل ما لا يقل عن ٦٧ فوجا جديدا ، وبغية التعاون عـــلى

---

(١٤) نقـل سر برسي كوكس الى ايران في ١٥ ايلـــول ١٩١٨ ، اثر تردي الاوضاع هناك ضد الانكليز بسبب نشـاط الدعـاية التركيـة الالمانيـة فيها • وعندما نشبت ثورة تلعفر وتأزمت الامـور في العـراق ارسلت وزارة الخارجية البريطانية اليه طالبة منه العودة الى العراق • ويقول هو في ذلك :

« وفي ذلك الاوان كنت متفرغا لواجباتى الكثيرة العائدة لمنطقتى بصفتى آنذاك وكيلا للسفير البريطانى في ايران فلم اتمكن من الاطلاع تماما على سير الامور في العراق ، واذا بي اصبيحة أحـــد تلك الايام أتسلم في طهران ، بكل دهشة ، برقية من وزارة الخارجيـــة البريطانية تبلغنى فيها قرارها بوجـــوب عودتى الى منصبى في العراق على أن اتوجه قبل ذلك الى لندن بعـد ان اجري دور التسليم للذى سيخلفنى في السفارة البريطانية في طهران غير انى وجدت هذا النقل ليس في محله بالنسبة الى ذلك الموقف الحـاسم الذى كانت فيـه مصالحنا في ايران آنئذ ، غير ان هناك حدودا معينة كانت تســـمح لي بعرض وجهة نظرى هذه من دون افساح المجال لسوء تفسيرها ، فعرضت ذلك حسب الاصول المتبعة ثم اذعنت لقرار حكومة صاحب الجلالة البريطاني بنقلى نهائيا الى بغداد فأخذت استعد لسفر مبكر اليها ولما وصل خلفى في الوقت المعـين سافرت انا وزوجتى في اليوم العاشر من شهر حزيران من تلك السنة متوجهين الى بغداد وبعد اربعة ايام وصلناها ومكثنا فيها يومين في دار وكيل المندوب السامى الكولونيل ولسن ريثما تمت الترتيبات اللازمة لاستئناف سفرنا الى لندن ، وفي خلال هذين اليومين تمكنت ان أفهم منه ومن مس جرترود بيل آخر التطورات التى طرأت على الموقف في العراق •

راجع : تكوين الحـــكم الوطنى في العـــراق ، مذكرة الـ (ســر برسى كوكس) • [المترجم]

تدريب هاته الافواج ارسلت أغلب الوحدات الهندية في (بلاد ما بين النهرين) « وحدات طارئة » من ضباط مدرّبين وسائر المراتب • واستمدت من (الفيلق الثالث) قطعات كثيرة لارسالها الى فارس ، حيث أخذ الوضع العسكري يغدو ، على وجه متزايد ، غير آمن مريحا • ان ورود نحو (٥٠٠٠٠) من اللاجئين بعقوبا ، في ظروف ستقف فيما بعد عليها لم يوضحها ، أضاف الى نواقل ضروراتنا التموينية شيئا • جاء هؤلاء اللاجئون ، ضربة واحدة ، من الشمال الشرقي في تركية ومن الشمال الغربي في فارس وأصبحوا يعتمدون علينا ، بقدر تعلق الامر بالقوت واللبوس والمأوى حصرا • يضاف الى ذلك كله : ان الابتعاث الاداري ، الذي يخضع للاشراف العسكري ، وبقدر تعلق الامر بالموارد البلدية (المحلية) والزراعة والاشغال والطرق العسكرية ، والارواء والميناء والسكك الحديد والنقل المائي الداخلي ، كل اولئك غدا أمرا عظيما لا سبيل الى الامساك بزمامه أبدا •

وفي اليوم الثاني من تشرين الاول أُعلم الـ (جنرال مارشل) من قبل (وزارة الحرب) ـ وكان عاد من اجازته التي قضاها في الهند ـ ان خروج بلغاريا من الحرب والنجح الذي أصبناه في فلسطين وسورية(١٥) يجعلان قيام تركية بطلب الهدنة أمرا محتملا • وتحت وطأة ظروف كهذه ، من السداد أن نتقدم على ضفتي دجلة الى أبعد مدى مستطاع شريطة ألاّ تعرقل الحركات في فارس والتحرك على بحر قزوين ـ وهما أمران أخذت (الحكومة) تعلق عليهما ـ ويا لغرابة ذلك الان ، على ما يتراءى ـ أهمية عظمى • كما أُقترح أن ينفذ الـ (جنرال مارشل) الخيالة على الفرات صُعدا ، تلقاء حلب (والمسافة ٣٥٠ ميلا) بغية مد يد العون الى الـ (جنرال اللنبي) ، وما كان هذا بحاجة الى معونة حقا ، وان كنا قادرين على اسداء شيء منها • لقد كانت متطلبات الحركات في فارس من النواقل ليست قليلة بحيث أجاب الـ (جنرال مارشل) بأن لن يتيسر أكثر

(١٥) احتلت دمشق من قبل قطعاتنا في اليوم الاول من تشرين الاول ، كما احتلت بيروت يوم الثامن منه ، وجرى احتلال حلب في الـ ٢٥ من الشهر المذكور ، سنة ١٩١٨ • (المؤلف)

من ٢٠٠ من شاحنات (فورد) لاستخدامها في الحركات الجارية في أعالي دجلة ، من (تكريت) انطلاقا • ان فقدان النواقل حال دون زحفه على الموصل ، بسبيل كركوك و (الطون كوپري) وأربيل ، على ما كان يؤثر • وكان يستهجن أي فكرة تتصل باجراء حركة ما على الفرات صعدا • ووافقت (وزارة الحرب) على هـذا وأكدت أهمية اتخاذ اجـراء فوري ، لـكن ضرورة الزحف تلقـاء (قزوين) كانت كابوسا يطبق على أفكار من في الوزارة الى حد حملهم على أن ينصّوا في ايعازاتهم على أن يكون لبناء سكة حديد من جوار (خانقين) تلقـاء (كرمانشاه) «الاسبقية» على مد السكة من كركوك تجاه الشرقاط والموصل •

وأقرّت (شروط الهدنة) في مؤتمر عقده رؤساء وزارات (بريطانية العظمى) و (فرنسة) و (ايطالية) في باريس يوم السابع من تشرين الاول • وفي اليوم الثالث عشر منـه رجا القائم بالاعمال التركي في مدريد (الحكومة الاسبانيه) أن تدعو (الرئيس ويلسن) الى أن يضطلع شخصيا بمعاودة اقرار السلم • وبينا كان (الاقتراح) هذا قيد الدرس جاء ال (جنرال طاونسند) بعطاء سلمي تركي آخر ، وكان الترك قد أطلقوا سراحه ، اثر اقتراح منه ، لتحقيق ذلكم القصد فوصل (ميتلهين) يوم العشرين من تشرين الاول • وكانت الشروط التي يحملها ويوصي بقبولها جادا تمكنّ الاتراك ، في حالة قبولها ، من نجح سياسي ذي خطر • انها ملخصة في كتاب ال (جنرال طاونسند) ـ ص٣٧٩ ـ على ما يلي السطر:

١ ـ تنشد (تركية) صداقة (انكلترة) وتطلب حمايتها •

٢ ـ على انكلترة ايقاف الحركات الناشطة حالا •

٣ ـ يكون لفلسطين وسورية وبلاد ما بين النهـريـن الخ حكم ذاتي في ظل السيادة التركية • على انكلترة أن تدافع عن نظام الحكم هذا •

٤ ـ الاستقلال المالي والسياسي والصناعي لتركية •

٥ ـ تمنح انكلترة قرضا الى (تركية) فورا •

« لتقم انكلترة بالامور عـلى وجه الهـدوء ولتثق بتركية ثقتها بماجد (جنتلمان) » ـ ذلك قول تركي ذي سلطان اقتبسه طاونسند (ص٣٨٠ من كتابه) بموافقة منه ـ « ان هذا ما ستقدرّه تركية » •

ومن حسن حظ سكان سورية وفلسطين ، وحظ صهاينة[16] المستقبل ، ولعل ذلك من حسن حظ بريطانية أيضا ، سادت مشورات أخرى ، وعلى ما يظهر من شروط الهدنة التي أعدت أخيرا .

هذا ، وقد بذل ، في الوقت نفسه ، في (بلاد ما بين النهرين) كل جهد لادراك أقصى ما يستطاع ادراكه ، على دجلة ، قبل أن تنطلق صافرة الانتهاء . لقد نيط هذا الواجب بال (جنرال كوب) وغدا كل شيء للزحف معدا . وكان الاتراك يخندقون على الوجه الأيد في (شق الفتحة) ، على جانبي نهر دجلة ، وعلى الزاب الاسفل ، وعدتهم نحو ٥٥٠٠ من حملة البندقيات ومعهم ٤٢ مدفعا من مدافع الميدان ، كما كان نحو ٢٥٠٠ من حملة البندقيات ، ومعهم ٣٠ مدفعا، في جوار (الطون كوپري) و (كركوك) ، بقيادة (علي احسان باشا)[17] .

---

(١٦) من فلتة اللسان هذه ينكشف دخل السياسة البريطانية ، الماكرة الخداعة ، وان جاءت عبارات « تقرير المصير » و « تحرير الشعوب » و « تقدم البلدان على يدها » على لسان سياسييها وذوي التبعة فيها . انها ـ على ما تحقق ـ عبارات فضفاضة لا تحدد شيئا ، لا تعدو جعجعة بلا طحن ، قعقعة في غير غناء . ان تحقيق حلم الصهاينة في فلسطين كان أمرا مبيتا منذ يوم تقررت « تصفية الانبراطورية العثمانية » لا مذب للكذب فيه أو التمويه ، أبدا . [المترجم] .

(١٧) تسلم علي احسان باشا (القيادة العامة) في الاول من ايلول وجعل (مقره العام) في الموصل . وكانت (خطته) أن ينسحب (جحفل دجلة) التركي الى الشمال تدريجيا ، مع عرقلة الزحف البريطاني بغية الحيلولة دون احتلاله الاراضي قبل عقد (الهدنة) والادعاء بها بعدها . وكان للجانب البريطاني التفوق العظيم على الجانب التركي . وعندما عقدت الهدنة وتقرر أن يكون ميقاتها ال ٣١ من تشرين الاول ، دأب البريطانيون على زحفهم ، رغما عنها . وكان خط قطعاتهم مادا على هذا الوجه (خانقين ـ كفرى ـ كركوك ـ القيارة ـ عانة) .

وفي اليوم الاول من تشرين الثاني زحفت خيالتهم ومدرعاتهم الى (حمام العليل) فحاول علي احسان باشا المحافظة على الموصل لكنه اخفق في ذلك اذ انذره ال (جنرال مارشل) بوجوب تخليتها ، فاضطر الاتراك الى تنفيذ ذلك يوم العاشر من تشرين الثاني ١٩١٨ وانسحبوا الى (نصيبين) و (جزيرة ابن عمر) كما احتل الانكليز (عانة) في اليوم الاول من تشرين الثاني من غير مقاومة . [المترجم]

وكانت لدى ال (جنرال كوپ) الفرقة/١٨ بقيادة العميد فانشو والفرقة/١٧ بقيـــادة العميد ليزلي ، والفرقتان تقومان بحركات على ضفتي دجلة اليسرى واليمنى ، على التتابع • وكان على لواءي الخيالة القيـــام بحركات بامرة ال (جنرال كاسيلس) ، على الضفة اليسرى ، كما كان على لواء المدرعات الخفيفة ـ وبه أُلحق العقيد جيرارد ليجمن ـ اداء مهمة خاصة على الضفة اليمنى •

وفي اليوم ٢٣ من الشـــــهر طـــرد لواء ال (جنرال ليون) الاتراك من (تازهخورماتو) وجعلهم يولون الادبار تلقاء كركوك • وفي ليلة ٢٣/٢٤ من الشهر أخلى الاتراك ، وال (جنرال كوپ) دهش من ذلك ، موقعهم من غـير اشتباك جاد • واندفعت قطعاتنا الى قدّام واخترقت (الشق) لكنها وجدت الطريق الحق به ضرر عظيم بحيث غدا اجتيازه أمرا يشّقّ حتى على نواقل الاحمال • وبادرتوحدة المهندسين (سابرز ـ پاينيرز) الى المضي الى أمام لاصلاح الضُرّ ، لكن الاتراك كانوا أتقنوا القيام به بحيث لم يجر قبل انتصاف النهار أي تقدم على الضفة اليمنى من (شق الجبل) ، على حين لم تستطع المدافع أن تمر منه حتى حل اليوم الخامس والعشرين من الشهر •

ونفذت ألوية الخيالة من جبل حمرين خلال اليوم الثالث والعشرين من تشرين الاول ، وكان ذلك من ممري (درب الخيل) و (عين النخيلة) ، وكنا قد أجرينا احتلالهما يوم الثامن عشر من الشهر • وباغذاذ السير قدما بلـــغ (لواء الخيالة/٧) مقرن (الزاب الاصغر) بدجلة ووقع بيده عدد من الاسارى • وحمل (لواء الخيالة/١١) جراية ثلاثة أيام على ظهر (شاحنات فورد) وشق له طريقا عبر الزاب الاصغر ، على بعد ميل تحت (زرارية) ، ونار المدافع والبندقيات تنهال عليه • وقبل اطباق الغسق ، من يوم الرابع والعشرين من الشهر ، استطاع الاحاطـة بجناح الترك الايسر فاضطرهم الى الانسحاب • وفي اليوم الخامس والعشرين تمكن (لواء الخيالة/٧) من عبور الزاب الاصغر اثر صدام حاد ، استعرت خلاله الملحمة وعلت الغمغمة ، وكان ذلك عند موقع (شميط) ـ الكائن عنـد منتصف المسافة بين مخلط الزاب الصغير وقرية (زرارية) ثم مضى على

دجلة صعدا حتى غدا على فوت ٥ أميال من (الشرقاط) ، بعد أن أسرَّ على الطريق : ١٠٠ • وسار على أعقابه (لواء المشاة/٥٣) وعبر الزاب الاصغر عند الغسق • واستعرّ الاحتراب ، الان ، على خط مادّ من شمال(الشرقاط)وجنوبها تقريبا ، ـ وهي (البليدة) التي وجدها (لواء المدرعات الآلية الخفيفة) محتلة من قبل ١٠٠٠ من المشاة ، ومعهم مدافع ـ الى (عين دبس) و (المسحق) الكائنتين ، على التوالي ، الى الغرب والشرق من امتداد (جبل حمرين) عبر دجلة وهو المسمى ها هنا ب (جبل مكحول) •

وكان الاتراك يمسكون بالموضع الاخير امساكا قويا كما كان الدفاع عنه عنيدا : (والضرب مثل شرار النار يلتهب) • كان موضعا يعسر الهجوم عليه ، ذلك انه كان مشرفا على الارضين المتقطّعة الكائنة جنوبا وشرقا ، وما كانت هذه لتجود على مدافعنا بمواقع ستر الا قليلا • لقد استفاد الاتراك من الفرص التي توافرت لديهم استفادة حسنة ولسان حالهم :

انتهز الفرصة ، ان الفرصة   تصير ، ان لم تنتهزها غصة

كما أفادوا من معرفتهم الارض أيضا ، ولم يعدل هذا ، الا جزئيا ، ذلك التقدم الذي قمنا به على الضفة اليسرى صُعدا ، وحيث لم تستطع مدفعيتنا أن تجود باسناد حق الا قليلا • وعبر مجرى دجلة الرئيس ، على بعد ميل جنوبي (مسحق) كانت الباخرة (حميدية) جانحة منبوذة ، وعلى الضفة اليسرى ، قربها ، خنادق جمة وأسلاك شائكة ، مخفية عن الانظار بصورة جيدة بحيث لم يتبين وجودَها طيارونا • وما أن تنفسَّ فجر يوم الـ ٢٦ من الشهر الا قام (اللواء/٥١) ، بامرة الـ (جنرال هيلديارد) ، بالهجوم وسرعان ما غدا تحت نقمة نيران موصدة ، من الخنادق منبعثة • وتعرض كل من (لواء المشاة «هايلاند» الخفيف/١) و (وحدة السيك/١٤) الى نار رشاشات وبندقيات شديدة فمنينا بخسار كان فادحا عظيما ، وعلى الرغم من ذلك دأبنا على التقدم بثبات وبسالة حتى صدَّ من قبل أسلاك العدو • وقامت مدفعيتنا بما استطاعت أن تقوم به في سبيل اسداء العون اليهما ومنيت هي بخسار كبير أيضا ، فالبطرية/٤٠٣ ، خصيصا ، تكبدت

٢٥ من الضحايا ، وكان من بينهم آمر لواء المـــدفعية/٢٢٠ : العقيـد لينج ـ ستونتن ، وهو من جرح جرحا مميتا • وجاء (لواء المشاة/٣٤) بامرة الجنرال ووكوب لهؤلاء منجدا ، واندفع فوجان من (وحدة مهراتا/١١٤) ـ تحت نار مدفعية وبندقيات موصدة ـ قدما الى جزيرة كائنة في عقيقة دجلة وبقيا يشغلانها حتى بقية النهار ، فتكبّدا ، في سبيل ذلك ، ١٠٠ من الضحايا وهو رقم يساوي أزيد من ربع قوتيهما ، لكنّ (من جسَر أيسر ومن هاب خاب) دواما •

كان الوضع الذي كان يجبه الـ (جنرال كوب) ، عند الغسق ، على حال معقدة غير اعتيادية • لقد أطبقت الشبكة على الرتل أو ـكادت ، ذلك ان (بطرية المدرعات الخفيفة) كانت منفرجة على الطـريق الماد الى الموصـــل ، شمالي الشرقاط • وقام قسم من (لواء الخيالة/١١) ، بامرة الـ (جنرال كاسلس) بعبور نهر دجلة ، الى الجهة السفلى من الحضرانية تماما ، فلقي في ذلك عسرا ، ثم انه اتخذ موضعا أيدا عبر طريق الشرقاط ـ الموصل عند الحويش • وأيا كان الامر ، كانوا على حظ شحيح من المؤن ذلك انهم أجهزوا على جراياتهم كليا ، كما كانوا ، الان ، في معزل عن مواد التموين الاخرى ، بسبب من الشحّ في باب المواصلات ، وهذه عرقلت فاعليات الجنرال كوب في الجهات كلها • هذا ومن الجهـــة الاخرى كان الاتراك لا يزالون غير مغلوبين وما كانت الخيـــالة في (الحويش) قويـــة الى حد تستطيع صد محاولة مصممة يقوم بهـــا الاتراك فيخترقون ، عن سبيلها ، هذه الجهة • ولو قرر العدو ، خلال ليلة ٢٦/٢٧ ، القيـــام بمثل هذا ، لما بقي الا شك قليل في استطاعته الافلات بخسار قليل • ذلك ان (مشاتنا) قد أصـــابها رهق على رهق ، و (خيالتنا) غير معبئة ، بسبب من شح النواقل والمؤن على ضفة دجلة اليسرى ، الا شطرا ، و (مدفعيتنا) غـير قادرة ، بسبب من عسر الارض ، على المضي معجلة قدما • وكان رأس السكة لايزال عند (تكريت)[١٨] وكانت المواصلات عسيرة جدا •

---

(١٨) بلغت الموقع المسمى (ابو رجاش) ، الكائن على بعد ١٦ ميـــلا شمالي (تكريت) يوم التاسع والعشرين من الشهر • (الموءلف)

وما أن سل (سيف الصبح) عن (غمد الظلام) ، يوم السابع والعشرين من تشرين الاول ، الا وجدت (الفرقة/١٧) ـ التي وعز اليها القيـام بهجوم ناشط على طول قمة (جبل مكحول) ـ ان الاتراك قد أخلوا (خط بلاليج ـ عين دبس) وأن أمرا صدر بالقيام بزحف عام على جانبي دجلة • وتراءى وضع ال (جنرال كاسلس) عند (الحويش) محفوفا بالخطر نوعما ، وذلك على الرغم من أن خط مواصلاته على الضفة اليسرى كان رصينا ، ولم يدرك ، حتى أشار عقربا الساعة الى السابعة وخمس واربعين دقيقة صبحا ، انه لم يعد يحظى بعون من (لواء الخيالة/٧) وهو الذي رجع القهقرى لانه لقي في أمر تموينه عسرا • ومهما تكن الحـال ، كان واثقـا من الامسـاك بالعـدو الى أن تبتعث هجمة (الفرقة/١٧) • وصدر الامر الى (السرب/٦٣ ـ من القوة الجوية الملكية) بأن يكون على أهبة الاستعداد للقيام بحركات قصف ان مست الحاجة اليها • وتحرك (رتل الجنرال ساندرس) على الضفة اليسرى ، الى قُدّام ، معجلا ، حتى بلغ (الحويش) قبل انفجار صـبح الـ٢٨ من تشرين الاول وبدأ يعبر النهر على (معبر) نصبه ال (جنرال كاسلس) وهو من اتصل به ، اثر مسيرة ٤٥ ميلا ، ال (جنرال نورتن) ، ومعه (لواء الخيالة/٧) الذي فقد عـددا من الرجال والجياد ابان عبوره النهر عند (الحضرانية) والظلام مطبق على الدنيا كلها • وكانت الارضون الكائنة على الضفة اليمنى وعرة والطرق فيها سيئة لذلك فُقد الاتصال بالترك كليا • كان الزحف قُدما ضروريا ولو بقصد تخفيف الضغط النـازل على (الجنرال كاسلس) حصرا • وطلب ال (جنرال كوب) من قطعانه الجائعـة المرهقة أن تصب جهودا جديدة فاستجابت لذلـك على ما يفعل الشرفاء الشم العوالي •

فصل رتل ال (جنرال ووكوب) في الساعة الثالثة من صباح يوم الـ٢٨ من الشـهر مـن (قلعـة البنت)[١٩] ، عـلى حـين بـدأ المقـدم كننگهـام

---

(١٩) تقع وراء جبل مكحول ، الذى هو امتداد سلسلة جبـل حمرين غربا • انها كائنة على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتضم اخربة يرجح انها تعود الى العهد الساساني او العهد الفرثي من عهود العراق القديمة • [المترجم]

مسيرته ، بعد ست ساعات من ذلك ، انطلاقا من (بلاليــج) • وأخــذ (الاثنان) يطبقان على موقع الاتراك الكائن جنوبي (الشرقاط) • لكن الارضين كانت عسيرة ، لذلك لم يتماسا مع العدو الا عند منتصف النهــار ، وكان هــذا مخندقا على وجه حسن في موضع كان اصطفاؤه جيدا •وقادت (وحدة رويال ويست كينتس/٢) الهجوم ، وما كانت عدتها الا ٤٠٠ حسب ، ومردّ ذلك الى انتشار (انفلونزا) حادة بين صفوفها • واضطلع العقيد وولف ـ فلانكن بتوجيه ذلك على الوجه الرائع ونفذّه ببسالة ، وما كان ذلك من غير كلفة باهظة ، فلقد تكبّدت (وحدة رويال ويست كينتس) وحدها نصف عدتها ، وزد عليها أيضا : (لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا) • وفي غضــون نصف ساعة ولجت خنادق الخط الامامي ، وتم تحريك (وحدة المهراتا/١٤) ، التي كانت في عداد الاحتياط ، ودخلت القتال ، وغب نصف ساعة ، وفي نحو الساعة الثانية ظهــرا غدا خط العدو الثاني في أيدينا ، وغنمنا ١١ رشاشا ووقع في أيدينا نحو ٢٠٠ من الاســـارى • وكان في حكم المستحيل أن نطــارد الاتراك المنسحبين على استعجال ، ذلك ان قطعاتنا ودوابنا كانت عطشى ، منهوكة القوى ، ومن الجياد ما لم ترتشف ، مدة ٦٠ ساعة ، قطرة ماء أبدا •

وبينا كانت هذه الحركات المريرة مستمرة ، كان ال (جنرال كاسلس) في مشاغلة عنيفــة جارية عند (الحويش) • لقــد لحق به رتل ال (جنرال ساندرس) وكانت حاجته من ال (شربنيل : Shrupnel)[٢٠] شديدة ماسة • لقد شاغل مفرزات العدو الرئيسة في الجهة الشمالية ، شأنه في ذلك لشأنه مع الجماعات المتقدمة من قوات العدو الرئيسة الكائنة في الجنوب وهي التي جاءت خلال النهار بنحو ٢٤ مدفعا وصوبت فوهاتها نحونا وأخذت تصلينا حمماء لقد أنقذ الوضع بمقدرته على الثبات في موضعه وب «الاحاطة» بالاتراك ومرد ذلك الى وصول (لواء الخيالة/٧) الى (الحضرانية) فيما بعد الظهر ، وكان هذا

---

(٢٠) راجع : Durand, p. 300.

(المؤلف)

الوصول في ميقاته الصحيح ، ثم غدا ذلك (اللواء) في امرته • وكان طول خطه نحو أربعة أميال ، يمتد من دجلة الى أرض وعرة جدا كائنة على جناحه الايمن يغطيها (لواء المدرعات الخفيفة) • وشغل ، منذ الظهيرة حتى الغسق ، بقتـال عنيف (ما له من فَواق) مع جماعات من المشاة الاتراك ، تسندها المـدفعية ، تحاول الاختراق • حمدا لدقة تصويب مدفعيتنا ورشاشاتنا وشكرانا والى العون الذي كان يسديه (السرب/٦٣ : القوة الجوية الملكية) من الجو ، ذلـك ان المحاولات المشار اليه والتي استمرت طيلة الليلة لم تصب نجحا • ومهما يكن من أمر ، ليس ثمة شك ، الا ما هو قليل ، في انه لو شن الاتراك الهجوم على وجه أنشط ، لادركوا ، على كل حال ، نجحا جزئيا • ومهما تكن الحال ، تراءوا وكأنهم منوا بعرقلة سوء المواصلات بأكثر منا ، ومردّ ذلك الى اتساع رقعة الارضين التي كان القتال عليها جاريا • ومهما يكن السبب ، كانت جهودهم تصب بقلب كسير ، وعلى الرغم من افلات قلة من المفرزات من الفخ فان جل القوة التركية وجدت عند الصبح في مواضـعها التي كانت فيهـا في الامسية الماضـية • وما أن انصـدع عمود الصبح الا تلقى الـ (جنرال كاسلس) من الـ (جنرال ساندرس) تعزيزات أخر ، بضمنها «البطرية الملكية الخيالة/في» • وباشتداد ساعده على هذا الوجه وبايقانه من ان الجانب الرئيس من القطعات التركية لا يزال في موضعه ، استنادا الى التقارير الجوية ، سار (لواء الخيالة/٧) شمالا كي يناجز أية مفرزات معادية يصادفها • وعلى وفق هذا تحرك الـ (جنرال نورتن) ولم يتعرض لنار الا من نشز يعلو السهل المحاذي لـ (دجلة) بمائـة قدم وزيادة • كان لزاما الاستيلاء على هذا الموضع من غير وناء ان اريد القيـام بتقدم آخر • واثر حركات قامت بها المدفعية ، تحت ستار نار مصوبة بدقة ، تقدمت وحدة (هسـّار/١٣) هاجمة خببا ، فوفقت الى ادراك الأرض «الموات» الكائنة لدى أقدام «النشز» من غير أن تتكبّد ضحية ما • وما أن تحقق هذا ، الا ترجل احادها ، وركّبوا الحراب ، واندفعوا على التل صُعدا ، يقودهم الضابط الآمر المقدم ريجاردسن •

واليك قبسا مما يرويه الـ (جنرال نورتن) عن هذا[٢٠] : « وما أن رفع ستار القصف ، الا هجمت وحدة (هسّار) ـ ولا تزال بامرة آمرها « المقدم » ـ على قنّه التل ، ودأبت على رمي الاتراك الذين لا يزالون يجبهونها ، وهم مخندقون ، أو اعمال الحراب في جسومهم ، ثم انها سرعان ما شكلت خطا على الجهة اليمنى واندفعت بمحاذاة القنّة كي تنال من الاتراك الذين لايزالون ممسكين بموضعهم الكائن على نهاية (التل) الشمالية . وما أن أسفرت هجمة الـ (هسّار) عن الاستيلاء على القمة الا امتطى آحاد وحدتي (لانسرز/١٣ و/١٤) جيادهم وانطلقوا بها مطوّقين الجهتين الغربية والشمالية ، ثم انهم استحوذوا على مدفعين للعدو وقطعوا خط تراجع المشاة ، المنسحب أمام هجوم وحدة الـ (هسّار/١٣) . وما أن رأى الاتراك ان خط انسحابهم مقطوع كليا الا سلمت قوتهم جميعا . وفي هذه الهجمة الموفقة تم الاستيلاء على مدفعين جبليين و ١٢ من الرشاشات كما أسر ٩٨٢ جريحا ، كما كن هناك عدد كبير من الاتراك ، على التل ، وهم ما بين قتيل وجريح . (والحرب ، بعد ، لا ترى الا رؤوسا تتطاير ودماء تهدر وأجساما تتناثر !) . لقد كانت هذه القوة المعادية مؤلّفة من الكتيبة/١٣ كلها ، وهي التي انفذت من الفرقة الخامسة الموجودة في فارس بغية تعزيز جيش حقي بك[٢١] .

---

(٢١) هو آمر جحفل دجلة ، بامرة القائد التركي الممتاز علي احسان باشا . وكثير ممن كتب في تاريخ حرب العراق يصفه بانه تردداد يخشى تحمّل التبعة وهذا هو السبب في النكسة التي منى بها (جحفله) اثر قيام المدرعات البريطانية بقطع خط البرق بين (مقره) و (مقر الجيش السادس) يوم ٢٦ تشرين الاول . وعندها غدا (اسماعيل حقي) في حيرة من أمره أخذ يعقد المؤتمرات العسكرية للمشاورة ويصدر الاوامر القتالية المتناقضة المبددة للوقت ، حتى انتهى الامر الى التسليم يوم ٢٨ من الشهر المذكور : لقد نسي هذا (الآمر) الحكمة الممثلة في البيت العربي :

وكن صارما كالوقت فالمقت في (عسى)
واياك (علّا) فهي اخطر علة

لذلك قصر عن الغاية فمرّ عليه (يوم ايوم) و (ليلة ليلاء) وما أمرّ التسليم !.. [المترجم]

لقد يسر هذا الاجراء الباسل حركات ال (جنرال كاسلس) الاخـــرى كثيرا ، ذلك ان جبهتــه الشمالية غـدت الان مطهّرة ، كما اصبح هو حرا في استخدام القطعات التي لديه لتقوية الشبكة التي أطبقت على الاتراك ، كلها • وائر سويعات ، في نحو الساعة الرابعة صباحا ، شرعت (الفرقة/١٧) بهجومها على الترك • ان طبيعة الارضين المتكسّرة ، وعسر المواصلات ، وما اصاب صنوف الجيش كلها ، من رهق اثر رهق ، كل اولئك جعل اشراف (الاركان العامة) على مراحل الهجوم أمرا متعذّرا ، وتعقّد الوضع أكثر بسبب شحّ في عتاد المدافع واطباق الظلام حين بلغ القتال الذروة واوفى على القمة • لقد قاتلت الوحدات البريطانية والهندية ، على حد سواء ، بايد وبسالة وبلغت عدّة الضحايا التي تكبّدتها ٥٠٠ من مجموع المشاركين في القتال وهم : ٣٠٠٠ • وان دلّ هذا على شيء فعلى ضراوة ذلكم القتال الذي دام حتى دلوك الشمس واسـدال الظلام سجوفه على الدنيا كلها •

وعنـد منبلج صبح يوم ال ٣٠ من تشرين الاول اكتحلت عيون الجنود المرهقة بمرأى اعلام بيض ترفرف على الخنادق المقابلة (وأى امرىء مما قضى الله يفلت) • وفي الساعة ٧/٣٠ صباحا سلّمت قوة الاتراك على دجلة كلها ، وفي مقدمتها قائدها اسماعيل حقي بك • بذلك غدا (الجيش السادس التركي) حطاما ولم تبق منه الا « بقية » ، عدتها ١٦٥٠ (من حملة البندقيات) تقريبـــا ومعها ٣٢ مدفعا ، تستقر في الموصل ، ينضاف الى ذلك نحو ١٥٠٠ من حملة البندقيات ، ومعهم ١٢ مدفعا ، على الطريق الماد من (الطون كوپري) وهي التي احتلهـــا رتل ال (جنرال ليـــون) في يوم ال ٣١ من الشـــهر مبـــكرا • وســرعان ما اتخــذ ال (جنرال كوپ) الاهبــــة لاســتغلال الفـــوز الذي ادركه ، الى ابعد مدى ، لكن شحّ المؤن وقلة وسائط النقل حالا دون سيره ، من فوره ، قُدُما ، فيما خلا التقدم الذي قامت به (وحدتا الخيالة ٧ و ١١) وألوية المدرّعات الخفيفة التي بلغت (القيارة) ، التي تبعد عن الموصل بنحو ٤٠ ميلا ، وكان ذلك عند المساء من يوم ال ٣٠ من تشرين الاول • وفي

اليوم الاول من تشرين الثاني ، وبينا كان ال (جنرال كاسلس) زاحفا على حمام علي ، (كذا والصواب حمام العليل : المترجم) ، الكائنة على بعد ١٤ ميلا جنوبي الموصل ، لقيه علم الهـــدنة ، المرسل من علي احسان باشا صحبة كتاب موجّـــه الى ال (جنرال مارشـــل) بشـــأن مفـــاوضاتها • وعلـــم ال (جنرال مارشل) من الضباط الـــذين كانـــوا حامليـــه ان قد وُقّعت هدنه[٢٢] وان الاعمال العدائية ستتوقف ، من يوم ال ٣١ من تشرين الاول ، وبعد سويعات تلقى مذكرة ، حملت على ظهر طائرة ، جاءت من مقر اللواء بالمعنى نفسه[*] •

---

(٢٢) على ظهر الباخرة (أغا ممنون) في (مودرس) يوم ال ٣٠ من تشرين الاول ، على منضدة لا تزال تشاهـــد في (المتحف الحربي الانبراطـــوري) (المؤلف) • قلنا : يلحظ ان البريطانيين دأبوا على زحفهم قدما ، على الرغم من ذلك كله ، لذلك وصلت قطعاتهم (الخيالة) و (المدرّعة) حمام العليل ، يوم الاول من تشرين الثاني ، سعى علي احسان باشا الى المحافظة على الموصل لكن البريطانيين ضربوا بأمر الهدنة عرض الحائط لانهم كانوا يبيتـــون أمرا (ونفط ولاية الموصل كان أمام عيون ساستهم ماثلا) لذلك وجه ال (جنرال مارشل) الى علي احسان باشا انذارا يطلب فيه اخلاء المدينة في مدة تقـــع بين ٨ — ١٥ تشرين الثاني فاضطر الاتراك ، وانبراطوريتهم في هبطة من حالها ، الى الانسحاب منها الى نصيبين وجزيرة ابن عمر ، وتم للبريطانيين احتلالها • [المترجم]

(*) هبطت على الجيش التركي المحارب في العراق البرقية التاريخية المرقمة ٢١٧٧ والمؤرخة في ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ (الساعة ٢٠٠٠ من يوم ٣١ تشرين الاول) تعلمه بعقد الهدنة) واليك ترجمة نصها :

الى قيادة الجيش السادس

« لقد عقدنا هدنة مع الدول المؤتلفة اعتبارا من ظهر يوم ٣١ تشرين الاول سنة ١٣٤٤ رومية (١٩١٨ ميلادية) وقد بلغ ممثلو الدول المذكورة الكيفيـــة الى قواد حكوماتهم في بلغارية وسورية والعراق ، فيجب الاعتناء بتطبيق شروط الهدنة وانبأنا بوصول هذا البلاغ • وسوف نخبركم بالتفصيلات بعـــدئذ ، على حده •

احمد عزة
رئيس الوزراء ورئيس اركان
الحرب للقيادة العليا التركية

وبقدر تعلق الامر بالافعال العدائية بين قوات الترك وقوات البريطانيين الموجودة في (بلاد ما بين النهرين) ، كانت آخر اطلاقة قد رميت • واستطاع ال (جنرال مارشل) أن يدرك الفوق على أعدائه : منـاورة وعـددا وبراعـة فكر ؛ ذلك انه أسرّ خلال الفترة الواقعة بين ١٨ ـ ٣٠ تشرين الاول أكثر من ١١٠٠٠ من الاسارى واستولى على ٥١ مدفعا واستحوذ على باخرتين وعلى كثير من عدة الحرب ، ولم يتكبّد الاّ نحو ١٨٠٠ من الضحايا ، كان من بينهم ١٥٠٠ ينتسبون الى(الفرقة/١٧)• وعلى الرغم من صعاب ثقال شداد جبهته ،استطاع أن ينجز كل ما عقد العزم عليه وسار اليه وكان ذلك على اشدّ ما يكون روعة وبروزا • ان مردّ هذا النجح الآلق الى : ما اتّسم به ال (جنرال كاسلس) من قيادة رائعة ، بقدر تعلق الامر بالخيالة والوية المدرعات الخفيفة ، وسير المشاة الممتاز والبسالة المتميّزة ، وما قامت به المدفعية ، على الرغم من تدريبها النزر القليل ، وجهود (القوة الجوية الملكية) والعمل الدؤوب الصامد الذي ماز قيام (صنوف النقل) بواجبها ، انه نصر اسفر وتجلّى وخلده الدهر ، وعلى غرار ما اتسّمت به الحركات التي انتهت بالاستيلاء على بغداد • ان ذلك ينطبق على ما قاله (نابيه : Napier) في ال (بويرا : Albuera) : « تكسب

ولما كانت هذه (الهدنة) على حظ كبير من خطر فانا موردون الاحـداث التي سبقتها على الوجه الذى يلي السطر :

سقطت وزارة طلعت باشا في ٨ تشرين الاول على اثر اندحار الجيـوش التركية في فلسطين والعراق واندحار الجيش البلغاري في (مكدونية) وطلب بلغارية الصلح فجاءت فى اعقابها (وزارة توفيق باشا) فوزارة (المشير احمد عزة باشا) الذى اطلق سراح ال (جنرال طاونسند) فورا وارسله في ٢٠ تشرين الاول عن طريق ازمير الى جزيرة (مدللى) صحبة ممثلى تركية للتوسط بعقـد (هدنة) بوساطة امير البحر الانكليزى • واجتمع ممثلو لحكومة العثمانيـة (حسين رؤوف بك وزير البحرية التركية ، ورشاد حكمة بك مستشار وزارة الخارجية التركية ، والعقيد الركن سعدالله بك) بممثل حكومة بريطانية العظمى وحلفائها ، امير البحر سر سمرست آرثر غالثروب ، قائد الاسطول البريطانى في البحر المتوسط ، وكان مقر اجتماعاتهم في (موندرس) ، ثغر جزيرة (ليمنى) وفيها عقدت (الهدنة) التي عرفت باسمها •

(المترجم)

المعركة على وجه مشرّف حين يمضي المنتصر فيضع على جبهته الدامية اكليل الغار » • لقد هزمنا على احسان باشا في ميدان الوغى وبقي ان نواجهــه في مؤتمر ما ، ليثبت انه كدبلوماطيقي (دبلوسي) لا يقل كفاءة عما كان باعتداده (عسكريا)[٢٣] • ولم نتسلم حتى اليوم الثاني من تشرين الثاني اشعارا من وزارة الحرب باحتلال الموصل مقرونا بشروط الهدنة ، ومنها النصوص التي تلي السطر ، والتي هي على حظ من خطر بالنسبة الينا ، واعني بها :

(٥) تسريح الجيش التركي على الفور ، فيما خلا القطعات اللازمة لمراقبة الحدود ، والحفاظ على استتباب الامن الداخلي • (ان عدد القطعات وتوزيع آحادها سيقرر من قبل الحلفاء وبالتشاور مع الحكومة التركية نفسها) •

(٧)للحلفاء الحق في احتلال اية نقــاط سوقية (Strategic) ، ان كانت الحال الناجمة تهدد سلامتها •

(١٠) احتلال الحلفاء لنفق جبال طوروس •

(١١) انسحاب القطعات التركية المباشر من فارس الشمالية ــ الغربية ، الى ما وراء الحدود التي كانت قبيل الحرب •

(١٥) وضع ضباط السيطرة التابعين للحلفاء على خطوط السكة الحديد ، وبضمن ذلك أقسامها الكائنة عبر القفقاز المسيطر عليها حاليا من الاتراك ، والتي يجب ان توضع تحت تصرّف الحلفاء على الوجه التام المطلق ، وان يؤخذ بنظر الاعتبار كل ما يتصل بضرورات السكان • ان هذا الشرط ينطوي على احتلال (باطوم) ، ذلك ان تركية لن تعارض في احتلال الحلفاء لـ (باكو) •

---

(٢٣) انه لسهم من النقد مسموم ! اذ كيف يستطيع مثل (علي احسان باشا) ــ وقد سخط حظه ــ ان يحصل على شيء على (منضدةالمفاوضــات) ، وهو المغلــوب والانكليز هم الغالبــون ••• وقيل بحق (ويل للمغلــوب) • وكانت الحجة التي تذرع بها الـ (جنرال مارشل) لاحتلال (الموصل) انــه بموجب المادة ٧ من (الهدنة) يحق للحلفاء احتلال أي موقع سوقي ، وان وزارة الحرب البريطانية أمرته باحتلالها •

[المترجم]

(١٦) تسليم جميع الحاميات المرابطة في الحجاز وعسير واليمن وسورية وبلاد ما بين النهرين الى اقرب قائد من قواد الحلفاء ، وسحب القطعات من (قليقية) ، باستثناء ما يحتاج منها لحفظ الامن الداخلي ، شريطة ان يقرّر ذلك في ضوء المادتين الخامسة والسابعة •

(٢٤) الالتزام بالاوامر التي تتصل بالتجهيزات ، والسلاح ، والعتاد ، ويضمن ذلـك وسائل النقـــل ، وبقـــدر تعلق الامر بالقسم المشمول بالفقرة الخامسة من الجيش التركي •

(٢٣) على تركية ان تقطع علاقاتها مع الدول المركزية جميعا وان تصدع في ذلك بما تؤمر •

(٢٤) ان اضطرب حبل الامن ، يحتفظ الحلفاء بحق احتلال أي قسم من الولايات (الارمنية) الست •

(٢٥) تضع الحرب بين الحلفاء وتركية اوزارها اعتبارا من الظهر ، على وفق التوقيت المحلي ليوم الخميس ، ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ •

من نافلة القول أن نقيّد ، ها هنا ، ان هاته (الشروط) وضعت من وجهة النظر البحرية والعسكرية المحضة ، وما قصد من ورائها أن تكون ذات صلة بحسم اقليمي يفرضه الحلفاء في (مؤتمر الصلح) أو تبتغى الوسيلة اليه • ومن وجهة النظر العسكرية ، على ما يلحظ ال (جنرل مارشل) « انها لم توضع على وجه متقن ، وهو أقل ما يمكن أن يقال عنها ، وقد اصطنعت فيها تعابير عسكرية أكل الدهر عليها وشرب ، لذلك كان عن احسان على استعداد لايجاد ثغرات ينفذ فيها الى ما يريد » • ومن وجهة نظرنا البلدية (المحلية) كـان كل شيء ينصبّ على اســتجلاء معنـــى كلمـــة (ما بين النهـرين : Mesopotamia) وهي كلمة ما كانت جارية على اللسانين الرسمي وال (دبلوماطيقي : الدبلوماسي) في تركية • أكان مسموحا لنا ، بموجب (الهدنة)،

تطالب بتسليم « الحاميات » فيها ؟ ثم ما معنى « حامية » يا ترى ؟ ولو عقدت (الهدنة) بعد أيام قليلة ، لما نجم أمر هذه (النقطة) • وعلى ما كانت الامور عليه ، كانت هذه على غاية من الوهمية • ومهما يكن من أمر ، لقد جرى حسمها حالا ، وذلك بقدر تعلّق الامر بما يعنينا رأسا ، وذلك عن سبيل الشروط والتعليمات التي جاءت من (وزارة الحرب) •

وخلال أشهر مضت ، كنت بموافقة الـ (جنرال مارشل) على اتصال برقي بالحكومة ، بشأن الرغبة المنصَّبة على توسيع مدى اهدافنا الحربيه حتى ولاية الموصل • لقد بينّت ، انها : سواء أصبحت في « منطقة نفوذ » فرنسية أم بريطانية ، في النهاية ، من الضروري ان تُحتل من قبل القطعات البريطانية قبل توقف الاعمال العدائية أو من لحظة توقفها • طبيعي انني لم استشف حجاب المستقبل لأشهد ابرام الصلح مع تركية ، بعد مضي خمس سنوات تقريبا ، ونبذ الاتراك مطاليبهم في ولاية الموصل ، بعد نحو ثماني سنوات ، نهائيا • لكنني كنت واثقا مطمئنا ؛ الى أن طيرا في « اليد العسكرية » خير من طيور كثيرة في « اشواك الدبلوماسية » وان الحلفاء قادرون ، في تعاملهم مع تركية ، على أن يحصلوا على حق يرتكن اليه فيما بعد الحرب وذلك عن طريق حيازتها عند عقد الهدنة • لقد عرضت أكثر من ذلك ، ودأبت على الاصرار عليه ، صحة أو ضله ،غبّ شهور عديدة اعقبت الهدنة •ومهما سيكون شكل الحكومة التي سيجري تأسيسها في (بلاد ما بين النهرين) من الضروري ، ان اريدت لها الديمومة الحقة ، أن تشمل الولايات الثلاث : البصرة وبغداد والموصل معا • من حسن « الطالع » ان لم تبق اليوم الاشارة الى هذه الحجج أمرا ضروريا ، وهي حجج تورد في دعم اتفاقية (سايكس – بيكو) والتعليمات الموفية وتناولت الحكم القابل في ولايتي البصرة وبغداد ، على التتابع • وأقرّت (عصبة الامم)

---

(٢٤) للوقوف على بحث اوفى بصدد هذه (النقطة) راجع : « تقرير لجنة عصبة الامم » بشأن الحد بين العراق وتركية ١٩٢٤م • وراجع كتاب Marshall ص ٣٢٣ وما بعدها وص ٢٢ في الاسفل • (المؤلف) •

هذه النظرات نهائيا ، شريطة الالتزام بالامور المضمّنة في المعاهـــدات التي تشكل طبيعة الحكومة العراقية اليوم • وجملة هذه المراسلات وخلاصتها ، وعلى ما يمكن أن يورد زعما ، لقد الحت وزارة الحرب على ا- (جنرال مارشل) ، على ما قلناه ، بأن يحصل على رقعة مستطاعة ، تلقاء اموصل ، على دجلـــة صعُدا • ذلك على الرغم من انها اصرّت ، قبل أشهر قليلة (يوم ال ١٨ من تموز) ، على ان « الاولوية » يجب أن تكون لمدّ سكة حديد من بغداد الى فارس ومن الناصرية الى الحلة ، بالنسبة الى مدّ الســـكة الحديد شمالا الى تكريت والى ما بعدها • ان قادة الميدان ، على كل حـــل ، لا يزالون مالكين لشيء من التبصّر في تنفيذ الواجبات المناطة بهم ، لذا سعى ال (جنرال لبوك) مدير السكك الحديد ، على وفق (تعليمات) ال (جنرال مارشل) الى ضمـــان اكمال الخط المادّ الى تكريت وما بعدها ، في الوقت اللازم لهذا التقدّم • من غـير ذلك ما كان في مقدورنا المضي قدما الى مـا وراء جبل حمرين أبدا •

وشاع في نفس ال (جنرال مارشل) طمأنينة ورضى ، ومردّ ذلك الى لهجة البرقيات التي وصلتني من (وزارة الهند) مفيدة ان في نيـــة كل من الحكومة البريطانية وحلفائها ، شأنها كشأن مصالحها ، أن يقوم باحتلال (الموصل) • وقبل أن ترده شروط (الهدنة) وعز الى ال (جنرال كاسلس) ، رعاية لقضية القـانون والنظام (كذا ! : المترجم) ، بأن يزحف على تلكم المدينة حالا • وبلغ (علي

---

(٢٥) ان سكان ولاية الموصل بموجب الاحصاء الذى اجــرته الحكومة العراقية سنة (١٩٢٢ - ١٩٢٤) هم على وفق ما يلي السطر :

الاكراد	٤٩٤٠٠٧
العرب	١٦٦٩٤١
النصـــارى	٦١٣٣٦
الاتراك	٣٨٦٥٢
اليزيدية	٢٦٢٥٧
اليهـــود	١١٨٩٧
المجموع	٨٠١٠٩٠

(المؤلف)

احسان باشا) الامر قبيل منتصف ليلة ٢/١ من تشرين الثاني ، وقبل سويعات من تسلمه رسالة من (المذكور) يرجوه فيها أن يعود الى (القيّارة) النقطة التي وصلتها القوة البريطانية في اللحظة التي وقّعت فيها (الهدنة) • وفي صبيحة اليوم الثاني من تشرين الثاني اتخذ (ليجمن) سبيله الى الموصل يحمل (رسالة) ، يفيد فيها ال (جنرال كاسلس) ان (الاوامر) التي عنده تلزمه بأن يتقدم ويحتل الموصل، وانه يأمل ان يقوم بذلك من غير صدام • وطُلب من (علي احسان باشا) أن يسحب قطعاته الى خارج الموصل على فوت ٥ اميال في الاقل ، تاركا جرسا كافيا يحول دون اضطراب حبــل الامن حسب ، حتى يحلّ غيره محله • وعـاد (ليجمن) عند منتصف الليل يحمل نبأ مفاده ان (علي احسان باشا) لن يغـادر الموصل وانما سيخلي التـلال الواقعة جنوبا ، المشرفة عليهــا ، ول (الجنرال كاسلس) ، ان شاء ، أن يحتلهــا • وجاءت في أعقاب ذلك مقــابلة تمت بين ال (جنرال كاسلس) و (علي احسان باشا) أبرق (الاول) ، على أثرها ، البرقية التي تلي السطر الى ال (جنرال مارشل) نصا :

«عدت لتوي ، اثر ترتيب جرى مع (علي احسان) • انه ، في ظل الظروف العتيدة ، السائدة في هذا الصباح باعث على الرضى من وجهات النظر كلها سأتقدّم الى (خط) تم الاتفاق عليه بيننا ، يبعد عن الموصل بمسافة ميلين ، ويدأب الاتراك على اشغاله حاليا ، ميسِّرين لنا كل ما يدعو الى أن يسود القانون ويستتب الامن معا • ان هذا ، في مثل هذا الاوان ، باعث على الطمأنينة والرضى • ينضاف اليه : انني أعددت الترتيبات الاولية لشراء المؤن من الاتراك رأسا ، بغية تلبيــة حاجاتنا ، على وفق ما هو ميسور حقا • لن اشغل ، هذه الليلة ، التلال المسيطرة على الموصل والسهل الذي تقع فيه ، لكنني سأشغل خطا أماميا غــدا • كانت (المقابلة) ودية ، طوال المدة التي استغرقتها » •

وأجاب ال (جنرال مارشل) حالا :

« تنص الفقرة السابعة من شروط (الهدنة) على ان للحلفاء الحق في احتلال أي نقاط سوقية ، ولقد أمرت (وزارة الحرب) باحتلال الموصل • يجب تنفيـذ

(الامر) وأن لا يحدده موضع القطعات ، قرب الموصل ، على ما ورد في (أمري) السابق • يرجى أن تلحظ أيضا ان الفقرة ١٦ تأمر بوجوب تسليم الحاميات المرابطة في (بلاد ما بين النهرين) ، الى أقرب قائد حليف ، جميعا •

وعلى ذلك تقدم ال (جنرال كاسلس) واحتل النقاط التعبوية المحيطة بالمدينة والسبل المفضية اليها جميعا • وأيا كان الامر لم يستطع هو ، كما لم يستطع ال (جنرال كوب) السيطرة على (علي احسان باشا) بقدر تعلق الامر بتسليم (المدينة) ، أو على القوة التي كانت بامرته ، من غير أوامر حاسمة باترة من الحكومة التركية • ذلك انه كان يدعي ان الموصل وما حولها ليست واقعة في (بلاد ما بين النهرين) وعلى ذلك ليس هناك ما يلزمه على تسليم قوته ، وهي على كل حال، تكوّن « جيش ميدان » وليس ب « حامية » • ولم ينتظر ال (جنرال مارشل) قرارا في هذه النقاط يرده من بلاده ، بل سار الى الموصل فورا ، لانهاء الامور وبلوغها خاتمة صفحتها • وفي مؤتمر عقد في الموصل ، يوم السابع من تشرين الثاني ، كان لي حظ المشاركة فيه ، أعلم ل (جنرال مارشل) (علي احسان باشا) على الوجه الحاسم البات ، بأنه ليس على استعداد للمناقشة في النقاط ، المثارة للبحث [٢٦] ، وانه عاقد العزم على الاستحواذ على ولاية الموصل كلها ، ولو قاوم (علي احسان) فانه سيعتد مسؤولا عن اراقة الدم المسفوك لذلك• ثم انه وضع الشروط التي تلي السطر طالبا من (علي احسان باشا) قبولها والتوقيع عليها حالا :

١) ان عليه وعلى قطعاته جميعا اخلاء ولاية الموصل في غضون ١٠ أيام •

٢) وان عليهم الحركة في صفوف متدرّجة (échelons) وأن تبدأ جماعة الجند contingent الاولى ذلك في اليوم التالي •

٣) وان للمشاة الحفاظ على ما لديهم من بندقيات، وعلى العتاد الموجود في نجاداتهم bandoliers أما مدفعية الميدان ، بمدافعها وعتادها ، فتسير محمولة على عجلات المدافع

---

(٢٦) راجع : Marshall (المؤلف)•

٤) ان المدافع ذوات العيار الوسيع ومدافع (قوس) والطائرات ، والقنـــابر ، والمعامل والمخازن يجب أن تسلّم الى الجنرال فانشو ، لقاء وصل يعطيه ٠

٥) ان صفوف الجند التي ستخرج متدرّجة يجب أن تخترق الموصل وتمر بموقع فحص بريطاني ٠

٦) وان اسارى الحرب من بريطانيين وهنود ، ممن وقعوا في أيدي الاتراك ، يجب فك اسارهم ومبادلتهم ٠

كما وضعت نصوص لمصلحة الاهلين والحكومة البلدية (المحلية) ، وهي نصوص ستتحمّل تبعتها من الان فصاعدا[٢٧] ٠ ان المسجونين المدنيين المودعين السجن لن يطلق سراحهم ، بل سيجرى تسليمهم الينا وليبقوا محجوزين ، ومعهم سجلات سليمة تبيّن الجرائم التي حكموا من أجلها أو اوقفوا ٠

لن يسمح للاهلين ، سواء أكانوا من الموظفـــين أم من غير الموظفـــين ، اصطحاب الجيش ، او طوعا ٠ يجب تسليم جميع السجلات المدنيـــة الينـــا سليمة كاملة ، وفي الوقت الميسّر لنا ، ومن قبل الموظفين المدنيـــين المختصين في (الولاية) الذين التزمنا مبادلتهم ـ ان شاؤوا ذلك ـ أو البقـــاء على أساس ان يصرف نصف راتب لكل منهم ، الى حين حسم أمر مستقبل (الولاية) نهائيا ٠ وطلب الى (علي احسان باشا) أيضا أن يقدّم لنا قائمة بأسماء أرجاء الولاية التي يعلم أن فيها مفرزات عسكرية أو مدنية شرطية مستقرّة ، وأن يصدر (التعليمات) الى القادة البلديين (المحليين) في تلكم الارجاء للاضطلاع بتبعة سـريان القانون واستتباب الامن الى حين يستطيع الموظفون الذين تعينهم الحكومة البريطـــانية تسلّم الأمر منهم ٠

انها لشروط سمحة ، ومن هذ الذي يدرك ، بادىء الرأي ، ان (علي احسان باشا [٢٨] لن يقبلها ٠

---

(٢٧) راجع : Official History (المؤلف)٠

(٢٨) راجع رسالة (مارشل) المؤرخة بتاريخ الاول من شباط ١٩١٩ ، London Gazette, 8.4.19 (supp.)

و (الكتاب الاحمر التركي) :

La Question de Moussoul, April, 1925 (المؤلف)

لقد احتج بأنها تجاوز كثيرا شروط الهدنة المقررة أصلا • وأعاد الـ (جنرال مارشل) القول بأنه على غير استعداد للبحث في الامر ، ثم وقع علي احسان ، اثر اجتماع استطال ساعات ، الوثيقة المعدّة له ، وهو محتج •

ولم يبدد (العقيد ليجمن) وقتا ما ، وقد عين حاكما عسكريا على ولاية الموصل وضابطا سياسيا مولجا بشؤون الولاية ، فتسلم الزمام من (القاضي) • ولعله لم يكن ، طوال حياته ، أشد ميعة وأقوى اندفاعا مما كان عليه حاليا يلعبهما فيما هو أكثر نفعا • وغب ٢٤ ساعة من توقيع علي احسان باشا الشروط ، التي سلف القول عليها ، كانت الاعلام التركية لا تزال مرفرفة فوق البنايات العامة ، كما كان الضباط الاتراك مشغولين ببيع الذخائر الحربية ، والموظفون الاتراك ، كبارا وصغارا ، يخفون السجلات التركية المدنية ، أو يحرقونها • وعلم ان عددا من ضباط الشرطة الاتراك يقومون بتجنيد غير النظاميين من الاكراد لمقاومة انتشار (ناموسنا) في الولاية • ولم يبدد (ليجمن) وقتا ما فأصدر مناشير • لقد أصدر أوامر شفوية الى من يلزم جميعا بأن من يوجد في الخارج ، بعد أن يرخي الظلام سجوفه ، يرمى ، بمجرد رؤيته ، بالنار • وبعون من الضباط الذين أعارهم اياه الـ (جنرال كاسلس) قام بسلسلة من الغارات على بيوت الموظفين الاتراك ، وعلى دوائرهم أيضا ، فكان يحتجز السجلات ، ويحجر على من يشتبه به أن يكون من السارقين أو المتلاعبين • وصرع قليل من السكان النهّابة ، وعين بعض سراة القوم البلديين في مناصب رسمية ، بمعاشات طيبة ، كما طلب اليهم أن يعدوا الشرطة البلدية (المحلية) الى حين اتخاذ ترتيبات مستدامة •

وكان نتاج ذلك كله أمرا مرضيا ، مطمئنا بالنسبة الى من يعنيهم الامر جميعا •

وكان لاجراء الـ (جنرال مارشل) الفوري ومصابرته في المشورة نتائج بالغة الخطر • ولو انتظر (الرسالة) التي بلغته من (وزارة الحرب) بعد اربع وعشرين ساعة لأصبح في وضع أوهن ، بالنسبة الى المفاوضة مع علي احسان باشا • حملت هذه الرسالة (أمير البحر غالثورب) القائد البحري العام في البحر

المتوسط ، والمولج بالمفاوضات في اصطنبول ، على أن يطلب من الحكومة التركية اصدار الاوامر الى (علي احسان باشا) باخلاء الموصل ، طبقا للفقرة السابعة •

وأضافت البرقية : انه ، وان وجب على (علي احســان باشا) ، بموجب الفقرة ١٦ التسليم مع « حاميته » ، من غير ريب ، فان (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) على استعداد للتنازل عن هذه (النقطة) ، شريطة أن يقوم بتسليم سلاحه، على وفق الفقرة ٢٠ ، وأن ينقل قوته الى مكان يقرره ال (جنرال مارشل) • وبصدد (الفقرة ٥) ، مضت البرقية تقول : ليس من الضروري بقاء أي قطعات تركيـــة للمحافظة على الامن الداخلي في (ولاية الموصــــل) ، أو في أي مكان لا يطلب منهــا ال (جنرال مارشل) • وكان على الاميرال غالثورب أن يبيّن للحكومة التركية ان عدم مطاوعة ذلك في خلال مدة يعينها الجنرال مارشـــل يسفر عنه الاستيلاء على الموصل من قبل قواتنا المسلحة •

ويلحظ ان ترك الاتراك ولاية الموصل لم يبيّن على الوجه الجلي : ففي مقدور علي احسان باشا ، أن يتهرب من القضية ، كرة اخرى ، لـــذا كان من الضروري اجراء محادثات اخرى في اصطنبول، كما كان التقدم فيما وراء أطراف الموصل في الوقت نفسه أمرا غير ذي موضوع ، شأنه كشأن معاودة الاحتـــراب مع الاتراك على مثل تلكم الارضــــين • ان نتيجة ذلك ، على التحقيق تقريبا ، بقاء السلطات التركية المدنية تساندها القطعات التركية العسكرية ، متنكرة بالدرك، في أرجاء الولاية الكائنة شمالي الموصل ، فلا يبقى لدينا حق في ازاحتهم عنها ، ولا تبقى لدينا وسيلة •

حمدا للجنرال مارشل وشكرا فلقـــد أقررنا ، من الوجهـــة الفعليـــة de facto المبدأ القائل : بأن ولاية الموصل جزء من العراق[٢٩] • والعراق

---

(٢٩) لا ادل على أن الموصل جزء من العــراق من النص الصريح الوارد بذلك في (قاموس الاعلام) التركي المشهور لمؤلفه شمس‌الدين سامي بك • وهذا القاموس (طبع بتقدير نظارة المعارف وتحسينها) لذا فهو وثيقة تركية شبه رسمية • [المترجم]

هو المصطلح الجغرافي الذي استعملناه بعد الهدنة للدلالة على الولايات الثلاث ، وتفـادينا به المدلولات الغـامضة التي يبعثهـا اسم « بلاد ما بين النهـرين Mesopotamia »[٣٠] . لقد فعلنـا ذلك على ما توافرت الاسباب التي عندنا جميعا فحملتنا على أن نستشف بها رغبات (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) وحلفائها ، ولقد كان ذلك رغما على شروط الهدنة : لا بسببها ، وهي شروط لم تكن غامضة حسب ، بل كانت غير متفقة مع تفسيرات (وزارة الحرب) لها . ان شخصا أقل شأنا من الجنرال مارشل كان يعمد الى انتظار (التعليمات) بشأن هذه القضية ، والقيام بتفسيرها ، موسّوسا ، لدى تسلمها . وان شخصا غضوبا ليصر على أن يسلم جيش علي احسان باشا ، وبذلك يضيف الى اثقالنا الادارية واجب اطعام ألفي ، أو ثلاثة آلاف ، جندي آخرين . لقد اتّخذ الجنرال مارشل ذو الادراك السامي السليم ، الوسيلة المسرة ، وبحصـوله على ضم ولاية الموصل كلها الى « أراضي بلاد ما بين النهرين » التي تحتلهـا القوات المسلحة لصاحب الجلالة البريطانية ، بلغ القمة من انجازاته العسكرية ، وسواء أكان ذلك لويل السكان أم لخيرهم فمن العجل في القول أن يذهب لى انه وضع حجر أساس دولة العراق القابلة » .

وما لم تكن المثل العالية ، الاوسع مدى ، هي مصدر لوحي للحكومة العراقية ، في اعقاب قبولها في (عصبة الامم) ، وبموارد جديدة ، فان اتمام كلمات (سقراط) التي تورد في هذا الباب لامر عسير[٣١] .

---

(٣٠) من المحتمل ان استعمال اسم (ميزوبوتاميا) شاع بين الاغريق اثر فتوحات الاسكندر الكبير . وفي الحق انه ترجمة : « ارام نهريم) : « سورية النهرين » على ما عرف اليهود هذا الاقليم ، وعرفته الشعوب السامية الاخرى من غير شك . ويحدثنا اريان بجلاء (اناباسيس ٧ : ٧ ٣) انهـا تسـمية أهلية . ومن بين الموءلفين الاغريق القدامى يذكر (الاسم) على لسان بوليبيوس (٧ : ٤٤ و ٤٨) أول مرة . (الموءلف)

(٣١) اورد (المؤلف) هذه الكلمات بالاغريقية ولم يترجمها الى الانكليزية . (المترجم)

الفصل الثامن عشر

زحف على قزوين[1]

« ادى نبذ الدردنيل الى تحويل قوات الحلفاء العسكرية ، بمقياس اوسع بكثير مما كان يذهب أشدّ الناس دعوة اليه •• من بين العشرين فرقة تركية المحررة ذهبت تسع فرق الى القفقاس ••• وبذلك اثقلت حمل الروس ، ثقلا فوق ثقل •• وتنامت الحملات التى شرع بها ، أو كانت وشيكة البدء بها ، من سلانيك ومصر ، وبلاد ما بين النهرين انطلاقا ، وسرعان ما أصبحت اعمالا ضخاما ، واستمرت حتى اليوم الاخير من ايام الحرب وبذلك كانت تنضب الموارد البريطانية كثيرا » •

من الضروري الآن ، وبالنظر الى القصد المرتجى من سردنا هذا ، ان نرجو من (القارئ) اعمال الفكر في مجرى الحوادث في فارس والقفقاس وبحر قزوين معاً • لقد غمض الوضع في روسية واستبهم ، وباعتداد عقبى الهدنة التركية ـ الروسية المعقودة في السادس من كانون الاول ١٩١٧ ، لم يكن هذا الوضع في رأي الحلفاء ، من الامل ، باي وجه من الوجوه ، خاليا • فلقد كانت في روسية عناصر ذوات خطر ما كانت تعترف بالسلطان البلشفي ابدا وتنفي اي نية في باب المصالحة مع الدول المركزية • لقد قررت (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) دعم هذه العناصر باعتداد ذلك أفضل الوسائل

---

(١) المراجع المأثورة التى رجعنا اليها هي :

Callwell (2), Dunsterville, Donohue, Dickson, Kennion, Ironside, Dyer, Ronaldshay, Marshall, Sykes, Rawlinson.

(المؤلف)

قلنا : وبحر قزوين عند المؤرخين والبلدانين العرب الاقدمين هـو : بحر طبرستان •

[المترجم]

المؤدية الى اشغال قطعات العدو ، والاّ غدت ميسّرة الاستخدام ضدنا ، في (فلسطين) و (بلاد ما بين النهرين) و (فارس) ، أو ، على وجه الاحتمال ، في اماكن ابعد شرقيا • ينضاف الى ذلك ، انه كان لزاما علينا القيام بما نستطيع لمنع المؤن ، والبترول المتدفق من ميادين النفط العظيمة في باكو خصيصا ، كيلا يصل الدول المركزية ابدا •

لهذا الهدف ، لا لغيره ، قررت (الحكومة) ، في كانون الاول ١٩١٧ ، انفاذ (بعثة) ، على وفق اوامر صادرة عن اللواء دنسترفيل ، مؤلّفة من مفرزة مدرعات وعدد من الضباط البريطانيين ، نيط بها واجب تشكيل قوى بلدية (محلية) وتنظيمها ، عناصرها : الارمن ، والكرج ، والقفقاسيون ، ممن كانوا في تفليس خصيصا • ان امتلاك هذه (المدينة) يمكّن الجيوش التركية ـ الالمانية من السيطرة على السكة الحديد وخطوط الانابيب المادّة بين (باطوم) و (باكو) ، وثروة القفقاس المعدنية ، وقد كانت ، على ما هي عليه اليوم ، مصدر (خامات المنغنيز) اللصيق باوروبة ، الى تمكين تلكم الجيوش من الحصول على مؤن من الحبوب والقطن من البلدان المتاخمة لبحر قزوين • واكثر من هذا ، كان من الضروري التأمل في الاثر المحدث ، الذي لا معدى عنه ولا محيص ، في الهدنة التركية ـ الروسية ، بقدر تعلق الامر بفارس ، حيث كان الروس ، في كانون الاول سنة ١٩١٧ ، يمسكون بالطريق الممتد من خانقين الى بحر قزوين • في الحق ، ان شروط الهدنة كانت تقضي بانسحاب قطعات روسية وتركية من فارس ، لكن من الجلي أيضا انه لم يكن محتملا أن توافق (المانية) و (تركية) على تنفيذ هذا النص ان كان في حركاتهما بازاء (الحلفاء) مؤثّرا • كان ثمة ١١٠٠٠٠ من الالمان والنمساويين في (تركستان الروسية) يُحتجزون ، ونصف هذا (العدد) في (سبرية) أيضا •

ورؤي ان من اليسير تنظيمهم ليتّسقوا في قوة ضخمة يمكن أن تهاجم بها (افغانستان) ، وما كان اهلها الآن بحاجة الى قليل من التشجيع ليبدأوا بأعمال عدائية تنصب على الهند البريطانية • ومع ذلك عُلم بآخرة انه لم يبق من

الأسارى على قيد الحياة ، بسبب جانحات الـ (تيفوس) ، أكثر من ٣٠٠٠٠ • وكان عاهل افغانستان ، الامير حبيب الله خان ، يلتزم بالحياد بازاء اعنف ضغط ، خلقي وديني ، وافضى الى (البعثة الالمانية) التي كانت لديه في كابل ان من الواجب مثول (قوة المانية) على المشهد قبل أن ينكث التزاماته الموثقـة مع بريطانية العظمى[٢] • وتراءى ان من المحتمل انه ما أن يغدو مجال الاختيار ، عنده ، اضيق ، فانه اما أن يجلي حلفاءه البريطانيين أو ان ينزل عن عرشه •

ولمجابهة هذه المخاطر الجسام وغيرها ، اضيفت الى (النطاق الفارسي الشرقي Eastern Persia Cordon) المادّ من (كويتّا : (Quetta) الى مشهد — قوة اضافية • لقد ضرب هذا النطاق في أوائل الحرب ، على يد الحكومتين البريطانية والروسية ، بغيـة الحيلولة دون تسلّل مبعوثي الترك والالمـان الى افغانستان • واوفدت بعثـة برآسـة الـ (جنرال ماليسن) الى مشهد ثم الى تركستان الروسية ، من بعد ذلك ، بقصد تنظيم مصادر الاستخبارات والموارد البلدية (المحلية) استعدادا لمقدم قوة ضخمة ، كان انفاذها الى هذه المنطقة قيد النظر ، والغاية منها : مجابهة الخطر التركي — الالماني ، ان بلغ دور النضج[٣] • ليس من وكدنا العناية بهذه التطورات التي كان يسيطر عليها من الهند حصرا • ومهما يكن من أمر ، لا يستطيع المرء الا يرى في ان كان من الافضل تجنّب ذلكم الانتشار العسكري العظيم ، بقدر تعلّق الأمر بالجهد

---

(٢) كذلك يفعل الرجل البصير ، من يستبطن (خائنة الاعين وما تخفى الصدور) ويستبينها • والظاهر انه فكر مليـا في وضع بلاده ، باعتدادها ملتقى طرق آسية ومفترقها ، فسنح بباله الا يزدلف كثيرا الى جهة من الجهات المحتربة أو ينأى كثيرا ، (عسى نكبات الدهر عنه تزول) ، كيلا تدور به صروف الحياة في دوامتها • وترادفت الاعوام وتواردت السنون من سنة ١٩٠١ حتى سنة ١٩١٩ وهو على كرسي عرشه حين خلفه ، عامئذ ، ابنه (أمان الله خان) الذى استطاع ان يضمن استقلال بلاده اثر حرب نشبت بينها وبين البريطانيين في ذلكم العام نفسه •

[المترجم]

(٣) راجع : Moberly, Dickson, Dyer, Sykes.

(المؤلف)

المبذول في امثال هذه المغامرات ، وأن تركّز عنايتنا في الحد الهندي ـ الافغاني ، حيث يمكن الحفاظ على القطعات وتموينها بيسر وبأبخس كلفة .

وبغية مدّ يد العون في تنفيذ السياسة التي نيطت ببعثة ال (جنرال مالليسن) ، أنفذ صديقي العقيد بيلي ، المنسوب الى وحدة (سيك باينيرز/٣٢) سابقا ، ومن كان يضطلع بواجب سياسي في ششتر ، الى تركستان الصينية ، بسبيل (كلكيت : Gilgit) وكان ذلك بطلب من حكومة الهند ، في شباط من سنة ١٩١٨ . ان السجل الفذّ المتّصل بمغامراته كشفت النقاب عنها في يوم الناس هذا (رسالته) التي تُليت في (الجمعية الاسيوية المركزية : Central Asian Society) في سنة ١٩٢٠ ، ولقد جاد مساعده : النقيب پلاكر على العالم بسرد ابعاد (البعثة) وطوائح الزمن التي ضاقت فامتزج القصص الخيالى والواقعي في ذلك (السرد) مزجا رائقا[٤] . لا يمكن ان يُستشف من صفحاته الا على الندرى ، وذلك بقدر تعلق الامر بتبعة العقيد بيلي، باعتداده لهذه (البعثة) رئيسا . ذلك ان من الطبيعي انه ، خلال مروره من (تركستان الصينية) ، غدا بامرة (سر جورج ماكارتيني) العليا ، وهو من كانت له خبرة فذّة مصفّاة وحكمة سديدة نضيجة لا يمكن ، خلال تلكم الايام الشداد ، أن تثمّنا .

وورد بغداد ال (جنرال دنسترفيل) ، وهو في طريقه الى (انزيلى) وكان ذلك في شهر كانون الثاني من سنة ١٩١٨ . ان هذا الرجل ذو بنية حسنة وميعة جمّة وشخصية نافذة مؤثّرة ، وله بالروس شيء من خبرة ، وكانت معرفته بلغتهم حسنة . وعلى وفق (التعليمات) الصادرة اليه من (رئيس الاركان العامة الانبراطورية) رُتّب على (البعثة البريطانية) ، الموفدة الى القفقاس ، رئيسا ، وفي (تفليس) ممثلا بريطانيا . وكان لمجال عمله أن يمتد في الارضين : الروسية والتركية ، الواقعة الى الجنوب من سلسلة جبال القفقاس

---

(٤) راجع : On Secret Patrol in High Asia
وانظر أيضا : Etherton (المؤلف)

الرئيسة ، وهي الارضـــون التي كانت جمهورية ما وراء القفقاس الشـعبية الفيدرالية تدعى بالسيطرة عليها ، واعنى بها : ارمينية واذربايجان وداغسـتان وجورجيا . وقصد أن تتألف (بعثته) أصلا من ١٥٠ ضابطا و ٣٠٠ من ضباط الصف ، يصطفون من كل جبهة ، لكنه ، في العاشر من كانون الثاني ، وقبل أن تستطيع جماعته التجمع في بغداد بامد طويل ، رحّل ، ومعه ١٢ ضابطا ، الى (انزيلي) وهي على بعد ٦٥٠ ميلا ، باصطناع الطريق السري ، وكان ، في بلوغ (باكو) ، آملا . وما ان بلغ انزيلي ، يوم الـ ١٧ من شباط ، الا وجد البلاشفة يسيطرون عليها تماما . لقد كان هؤلاء يعرفون أهداف بعثة الـ (جنرال دنسترفيل) كملا ، وتلقوا تعليمات تقضي بمنع مضيها قُدُماً . وايا كان الامر ، قدّموا رجلا وأخّروا اخرى فلم يلقوا القبض على (البعثة) ، شأنهم كشأن الزعيم البلدي (المحلي) المسمى (كوجك خان) ايضا . انه من كان ، واتباعه الـ « جنكالي » ، اوانئذ ، على صلات موالية لهم ، كشأنه مع العملاء الاتراك والالمان سواء بسواء . وكانت الحكومة البلشفية ، في باكو ، اوفدت احراسا « حمرا » لتولي تنفيذ القــاء القبض المذكور آنفا ، لكنهم وصلوا ، وقد فات الاوان ، تماما . لقد تجلى لـ (الجنرال دنسترفيل) وبان له ان « خديعته » باءت بخيبة ، ففصل من (انزيلي) يوم الـ ٢٠ من شباط وبلغ همذان ، يوم الـ ٢٥ منه ، من غير ان يتكبد ضحايا وان مُنيت هيبته بشيء من خسران ، نوعما . وفيهـا وجد كلا من الـ (جنرال بيچاراكوف) والـ (جنرال باراتوف) ، ومعهما قوة عـدتها ١٢٠٠ جندي تقريبـا ، اطلق عليها اسم (پارتيسانزكي : Partisanski) ، وما كان الاعتماد عليها الا قليلا[٥] .

وما كان لـ (جنرال مارشل) ، وما كانت لي ، بوصفي (وكيل الحاكم الملكي العام في بلاد ما بين النهرين والضابط السياسي الرئيس في فارس الغربية) أي نوع من تبعة بالنسبة الى (قوة دنسترفيل) . وكان كل منا يذهب الى ان

---

(٥) راجع : Kenion (المؤلف)

(وزارة الحرب) ، التي اوفدت (البعثة)[٦] مزودة بـ (تعليمات) صادرة من (لجنة وزراء الحرب الشرقية) ، تدرك ، من الظروف التي تكتنف استقبال (البعثة) في (انزيلي) ، ان الوضع في القفقاس (حيث كان المقدم بايك معتمدا عسكريا بريطانيا) ، وعلى بحر قزوين ، لا يمكن أن يستجيب الى معالجة تجرى على آساس وصفت في التعليمات الصادرة الى الـ (جنرال دنسترفيل) اصلا •

كانت هذه الآساس ، على ما يلحظ ، وعلى العموم ، منسجمة مع الآراء التي عبّر عنها سر ويليم روبرتسن بالعبارات التي تلي السطر[٧] :

« ان الذي كان يطلب (في فارس وما وراء القفقاس) هو انفاذ قلة من الانكليز الى مواطن الكيد والتململ ، شريطة أن يكونوا من الطرز الصالح ، وذلك لبيان ما تراه في وضع الامور ، وأن يمولوا بالمال الذي يستطيعون انفاقه على الوجه الحسن لما يقدّم في سبيل الاستخبارات ، وغيرها من الخدمات ، وأن تهيىء لهم الحراسة الكافية ضمانا لسلامتهم الشخصية » •

والى ذلك يضيف سر دبليو روبرتسن ، بصدد سنة ١٩١٦ ، بان اجراءات من هذا النوع شرع بها على الوجه الناجح ، ولا استطيع الا القول بأني لا اعلم حالة كهذه الا في فارس • وعلى النقيض من ذلك : ادّت بعثة (سر پرسى سايكس) ، مثل ما ادّى (النطاق الفارسي الشرقي) الى انفاذ القطعات من الهند رأسا ، وكان النجح اليسير الذي صحب الجهد المبذول مناسبا ، في كل حالة ،

---

(٦) ليس الوقوف على كنه هذه (الحركات) و (البعثات) وانفاذ (القطعات) و (العيون) و (الارصاد) بالامر المعتاص• ان سرد (المؤلف) يصيّر (القارىء) في مقام (القابلة) التى تستولد (الغاية) • انه نشاط عارم ، مشبوب التطلع ، يمتحن الصبر ، وهدفه : نشر الناموس البريطانى الانبراطورى في هاتيك الارجاء • لكن الواقع ان (الخرق اتسع على الراقع) بنشوب (الثورة البلشفية) التى جعلت الدول الغربية لهيفة القلب مضرمة الانفاس بعد ان كانت تعقد اعناقها تيها وتلسع بنظراتها ا رغيبة الى هذه البلدان طمعا • انها الحرب أولها (جوى) واوسطها (شكوى) وآخرها (بلوى) !•
[المترجم]

(٧) راجع : Robertson i, 273 (المؤلف)

مع عدد أفراد القطعات البريطانية والهندية المستخدمة ، لا مع مقدار المـــال المصروف •

وخضعت (لجنة وزراء الحرب الشرقية) ، من غير أن تؤثر فيها التقارير المثبّطة للهمة ، المتناهية من تفليس وباكو وانزيلي ، الى ما لج ّ به وضج ّ السفير البريطاني في طهران سر جارلس مارلنك وال (جنرال دنسترفيل) وهو من كان فيما فرط من أيام مضت يلح ّ على أن تنفذ فرقتان من بلاد ما بين النهرين الى فارس • وفي ال ٦ من آذار تلقّى ال (جنرال مارشل) تعليمات تقضي بابقاء الطريق الماد من كرمنشاه مفتوحا ، والغاية من ذلك انه قد يرى ان من الضروري أخيرا ابتعاث هذه السياسة ابتعاثا عظيما ، فيمد ّ تلقاء همدان أيضا • وتلقى ال (جنرال مارشل) هذه (التعليمات) فعقل الدهش لسانه وامتعض • ذلك انه كان ارسل ، قبل اسابيع قليلة ، ال (جنرال كلمان) الى القاهرة ليجري حوارا ، نيابة عنه ، مع ال (جنرال سمطس) وهو من اوفدته الحكومة لاجراء محادثة مع القائد البحري العام في البحر المتوســط وال (جنرال اللنبي) ، بغية تقـديم المشورة الى (لجنـة وزراء الحرب) بشـأن اصطناع مصادرنا ، على افضل وجه ، جميعا • وكان ال (جنرال مارشل) يعلم ان حملة تشن ّ في القفقاس ، ترتكن الى بلاد ما بين النهرين ، لن تكوّن من توصيات ال (جنرال سمطس) جزءاً ، كما خامره شعور قوي بأنها قد لا تصيب نجحا •

وعلى ما حرّر في (كتابه) : « يتراءى لي أن من الخَبَال ، أن نظر الى الامر من وجهة النظر العسكرية المحضة ، خلق ٧٠٠ ميل من المواصلات أخرى ، على حين تتخلّل المسافة هذه أرضون جبلية ليس فيها الا ّ ذلكم المسار المتّخذ سبيلا •

ان دفع الترك بقواتهم الى القفقاس ، فلِمَ نقبل بذلك ونرضى ؟ لِمَ يُعطي المرء المبادأة السوقية الى عدوه ؟ لتكن الضربة نازلة بمقوماته الحيوية » عن هذا ، بديلا • واقترحت ان دوري هو في التحرك تلقاء الموصل ، لا تشكيل

(*) مخازن الحبوب •

فرقة الخيالة على الزاب الاصغر ، كي نبلغ جميع اهراء(*) الترك وأضغاثا عظيمة من الحصيد ، أعني منطقة اربيل ، فتغدو تحت سيطرتنا • لكن الكلمة العليا كانت ل (سر چارلس مارلنك) ول (دنستر فورس) تدعمها (اللجنة الشرقية) ، وعلى الرغم من ان الطقس ساعدني لحين من زمان على تأجيل ميقات يوم كان شرّه مستطيرا ، لكنني تسلمت ، أخيرا ، أوامر مباشرة بتنفيذ هذا ، وهو أمر اعتدّه مشروعا مخبولا » •

وكانت لدى (لجنة وزراء الحرب الشرقية) ــ وهي برآسة ال (لورد كرزن) الأبدة ، آراء مختلفة اختلافا كبيرا • لقد هزمت مطامح الالمان في بلاد ما بين النهرين وفلسطين ؛ لكنها اتجهت شطر القفقاس وبحر قزوين معا • وفي خطبة ألقاها ال (لورد كرزن) ، يوم ال ٢٥ حزيران ١٩١٨[٨] ، وسمعتها (وزارة الحرب الانبراطورية) ، أوضح أهمية هذا الخطر ، بالنسبة الى بريطانية العظمى ، تفصيلا :

قال : « في مقدور المانية أن تتخلّى عن كل ما كسبت في الاقسام الغربية ، أعني في فرنسة وال (فلاندرز) ، ان بقي هذا (الباب) في الشرق لها مفتوحا • ولو وضعت مقترحات الصلح حاليا وجلس ممثلو الدول حول مائدة مؤتمر الصلح ، غدا في مقدور المانية اعادة بلجيكة كي تحصل على امتيازات في الالساس واللورين عظيمة ••• وتبقى لها مطامع قابلة وفرصة لا سبيل وصفها ، ومداها لا يحد ابدا • ان المانية تنزل الضربة بالهند ، على وفق خطوط التقدم التي انا قائم بوصفها • وليلحظ انها لم تصبّ الا نجحا وان لم تدفع بقواتها قُدُما ، وهو ما تحاوله واليه تسعى ، وان كانت جهودنا في صدها سببا ، فان الهدف لن ينبذ ، وستعاد المحاولة مجددا ••• يجب الاّ يسمح لا لالمانية ولا لحلفائها باحتلال فلسطين او بلاد ما بين النهرين كرة أخرى • يجب أن يصبّ كل جهد في معاودة خلق روسية ــ وذلك على الرغم من ان مشروعا كهذه يستغرق عشر سنوات أو عشرين سنة ــ كي تغدو عقبة في سبيل المانية وهي تتسلّل

(*) جمع هري وهو مخزن حب الحصيد وفي الانكليزية Silo • [المترجم]
(٨) راجع : Ronaldshay, iii 21 (المؤلف)

تلقاء الهند ، وأخيرا : علينا ان نصطنع كل وسيلة لدينا في سبيل امتلاك فارس الصديقة وافغانستان الموالية »[٩] •

وما كانت (اللجنة الشرقية) ، ومستشاروها ، قد استقامت على رأي جميع بشأن « عملية » السياسة المطروحة والتي كان ال (لورد كرزن) يدعو اليها ، مصطنعا بيانه المعتاد وايمانه • وكان (رئيس الاركان العامة الانبراطورية سر هنري ويلسون) ، على غرار سلفه : سر ويليم روبرتسن ، يرى ان القوات العسكرية المتيسّرة عندنا غير كافية لتمكيننا من السير وراء هذه الاهداف فاصابة النجح المرتجى • وكانت الآراء في (سملا) متقسّمة شتى • كان سر هملتن كرانت ، باعتداده كتوم (سكرتير) الخارجية يستنكر جميع « المغامرات » في فارس[١٠] ، لكن حكومة الهند ، بدعم من رأي مستشاريها العسكريين ، كانت قد فكّرت وتدّبرت فرأت ان نفاذا تركيا ـ المانيا من خلال فارس وافغانستان وبازاء الحد الهندي بات وشيكا ، لذا كانت على استعداد لاسناد اي مشروع ينصب على صد ذلك ، عن سبيل حركات تجرى غربي (بحر قزوين) أو شرقيه • وأشار أعضاء آخرون في (اللجنة الشرقية) الى فقدان الحماسة التي اثارتها حركاتنا في صدور اعضاء الحكومة الفارسية ، ورأوا ان علينا سحب قطعاتنا ، وقطع معونتنا ، وترك الامور في فارس تجرى على سجيتها ، والاعتماد على ما يجيىء في اعقاب ذلك من ازدياد قوتنا في (بلاد ما بين النهرين) وعلى الحد الفارسي للحيلولة دون تهاوي الوضع في الشرق الاوسط كله •

---

(٩) هذه هي حقيقة الدول المستعبدة ال (انبريالية) : المانية تأخذ بسياستها التقليدية : « الزحف تلقاء الشرق : "Drang Nach Austen" للاستحواذ على خيراته لصالحها المكشوف (قد استوى فيه سر واعلان) وبريطانيا تريد ذلك لنفسها ••• وهكذا يدأب الصراع وسيدأب الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • لقد وجدت بريطانية الانبراطورية ، كما وجدت المانية القيصرية ، في يوم لاحق ، ان آمالها العذاب ومطامحها قد غدت (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) فتحررت من قبضتها افغانستان والهند وباكستان وكثير من الارجاء الاخرى •

[المترجم]

(١٠) راجع : Marshall, p. 308 (المؤلف)

وبقدر تعلق الأمر بالآساس المالية حسب ، كان هناك حديث مستفيض يدور داعما تلك (السياسة) . ذلك ان التزاماتنا في فارس ، خلال سنة ١٩١٨ ، كانت تتضمن انفاق ما لا يقل عن ٣٠ مليون جنيه ، وما كانت الهند لتتحمل أي جانب منه . ومهما تكن الحال ، لقد أسرّ (لورد كرزن) الى زملائه في (اللجنة الشرقية) المخالفين بشيء مقتضب . وصرّح قائلا : « اني لاعتدّ هذه السياسة مدعاة سرور للفرس ، وهي افضل من أي سياسة أخرى ... لكنها قد تكون لا اخلاقية ، ضعيفة فاجئة فاجعة[11] » وما كان ثمة بلد في العالم ، الاّ بلاده ، ليسحره ويأخذ بلبه ، كل مأخذ ، بأكثر من فارس . كان هدفه أن ينفث في العاهليات الشرقية العظمى ميعة ذات طراءة ، وقد حلّ هذا في سويداء قلبه لثلاثين سنة مددا . وشعر ، أخيرا ، انه في وضع بمكنه من اختطـاط (سياسة) قد تيسر لفارس ، بعون سخي من بريطانية العظمى ، استعـادة ازدهارها ، ومنه استقلالها ، بالدعم المالي والعسكري ، عن الدول الاجنبية ، وانه على تنفيذ مثل هذه (السياسة) لقادر . لكنه لم يدرك ، ولعله ما كان قادرا ، بفعل العاطفة ، أن يدرك ، ان الامة الفارسية وحكومتها لن تنظرا الى سياسته بعين الطمأنينة والرضى . كان الاعتقاد بان الاتفاقية الانكليزية ـ الروسية المعقودة سنة ١٩٠٧ من قبل سر ادورد گري ، اريد منها ، في خاتمة المطاف ، «تقسيم» فارس بين بريطانية العظمى وروسية، وكان متأصلا في نفس لامة الفارسية عميقا ، كما كانت سياسة (لورد كرزن) تعتدّ ، على الوجـه الوسـيع ، محاولة من قبل (الاسد البريطانية) . حقا ، كان هناك بعض الساسة الفرس المدركين خطل هذه الاهواء القديمة ، يسعون الى استحصال مرافقة الامة على مشاريع (لورد كرزن) ، على ما أفصح عنها (سر پرسي كوكس) محليا ، وهو من خلف ، في ايلول ١٩١٨ ، سر جارلس مارلنك ، لكن الامة ، عموما ، لم تكن

---

(١١) راجع : Ronaldshay

(المؤلف)

مقتنعة مطمئنة ، وكان موقفها يشبه موقف (هيكوبا : Hecuba) في (أينيد : Aeneid) [١٢] الثانية •

ليس هذا موضع البحث في تطورات السياسة البريطانية في فارس ، على ما حدث أخيرا • ولما كنا نعني ببلاد ما بين النهرين فان ما توقعه الجنرال مارشل قد حدث كملا • وبفعل جهود عظيمة وكلفة ضخمة ، في المال والعدّة ، وصلت قوة بريطانية (باكو) ، لكنها لم تستطع الاحتفاظ بالمكان بازاء ضغط تركي — الماني متزايد ، لذلك اضطرت في ال ١٤ من ايلول الى الانسحاب من انزيلي ، ومنها الى قزوين أخيرا ، حيث تلبّثت الى ما بعد توقيع (الهدنة) ، وعند ذاك احتلت (باكو) كرّة أخرى • لقد أسهب (التأريخ الرسمي) في تحليل هذا المجهود العسكري ، شأنه في ذلك كشأن ما سطره ال (جنرال دنسترفيل) في صفحات (كتابه) • لقد استجابت القطعات الى جميع النداءات التي وجّهت اليها ، لكن عمل (الاركان) ترك كثيرا ممـــا كان يؤمل ويرتجى • وقام ال (جنرال دنسترفيل) ، وجماعة ضباطه ، وقليل ما هم ، وكثـير من بينهم كان مالكا لسجل خدمة عسكرية متمايزة ، ولقــدر نزر من المؤهّلات للقيام بالواجبات المناطة بهم ، بجميع ما امكن القيام به تحت وطأة تلكم الظروف • كان الاخفاق ، على ما تنبأ به ال (جنرال مارشل) مسبقا ، أمرا محققا • وتفادى الكارثة (قرار شجاع) اصدره ال (جنرال مارشل) قضى بالانسحاب ، شأنه في ذلك كشأن الصفات القتالية التي اتّسم بها هؤلاء الضباط وآحاد (الفيلق / ٣٩) الذي كان موجودا في ايلول سنة ١٩١٨ ، الى المقدرة الدبلوماطيقية التي ابداها ال (جنرال دنسترفيل) في مفاوضاته مع اللجـــان المتعددة المتباينة ، الثورية منها ، والمضادة للثورة ، التي احاطت به تباعا •

---

(١٣) هي ملحمة الشاعر فرجيل الغنائية ، وما كان اتمها عندما ودع هذه الدنيا الفانية سنة ١٩ ق•م• في الكتب الخمسة الاولى منها سرد قصة فرار اينياس من طروادة ورحلته الى ايطالية والكتاب السادس يتناول زيارته للعالم السفلي والكتب الستة الاخيرة تتناول فتحه أثينيوم •

[المترجم]

كان لوجود قوة عظيمة في غربي (فارس) وشماليها ، لها مواصلات مادّة الى ألف ميل وزيادة ، أثر ذو خطر في الوضع العسكري ، وأثر غير مباشر في الوضع السياسي في بلاد ما بين النهرين ، قبل (الهدنة) وبعدها • ذلك ان اتساع تبعة ال (جنرال مارشل) وشمولها (انزيلي) ، في الدرجة الاولى ، وضع على عاتق (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين) واجب تهيئة (ضباط سياسيين) اضافيين ، في أي وقت تطلبهم فيه السلطات العسكرية ، على الطريق المادّ من خانقين الى انزيلي كله ، وفي اماكن شتى وراءه •

وعلى ذلك وقع على عاتقي الاشراف على اعمالهم وتنسيقها على وفق متطلّبات الوضع العسكري من جهة ، وبموجب نظرات سفير صاحب الجلالة البريطانية في طهران وسياسته من جهة أخرى • وما كانت الحاجة الى (الضباط السياسيين) لهذه الغاية متوقّعة ، وقد نجمت في وقت كانت تنوء فيه مصادرنا بشدة ، ومردّ ذلك الى طلبات (ولاية بغداد) ، وهي التي شرعنا بادارتها على الوجه الفعّال حقا •

وكان (الضابط السياسي) الفذّ الميسور بين (خانقين) و (انزيلي) في هذا الاوان هو العقيد كينّين المنسوب الى الدائرة السياسية الهندية ، والموفد من المحمّرة ، في آب سنة ١٩١٦ ، للالتحاق بضباط ال (جنرال پاراتوف) الاركان[١٣] • وفي زمان لاحق حلّ محل الهرم (مستر مكدول) ، باعتداده القنصل البريطاني في كرمنشاه حيث اكتسب ، وزوجه الموهوبة ، شكران الفرس والبريطانين والروس على حد سواء •

وكان من الضروري أن يملك الضباط المصطفون شيئا من الخبرة وان يتكلموا الفارسية بطلاقة • وما كان في الامكان الاستغناء عن أي واحد في الخليج الفارسي (بالاحرى العربي : المترجم) لذلك بات ضروريا الاتيان بهم من فارس الجنوبية الغربية ومن (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين) وهي التي كان رجالها مرهقين بالعمل وفي نضوب• وكان (نويل) ، وهو من لم تنقص السنوات

---

(١٣) راجع : Kennion, R.L. (المؤلف)

الثلاث الشداد التي أمضاها في فارس الجنوبية الغربية من نشاطه وبراعته ولا حد لهما ـ قد اوفد لمرافقـــة الـ (جنرال دنسترفيل) في حملته الثانية على (مشهد) ـ لكن الـ (جنكالي) ألقوا القبض عليه أخـيرا وهو يسعى الى بلوغ الـ (جنرال دنسترفيل) ويحمل رسائل من تفليس • أسِّر في ظـروف اكتنفتها الصعاب الشداد ، واستطال اسره من منتصف اذار حتى نهاية آب • وكان نصيبه كنصيب كـــل من (مستر اوكشوت) المنسوب الى (المصرف الفارسي الشاهنشاهي)[١٤] و (مستر مكلارن) نائب القنصل في (رشت) ، لكن معاملتهما كانت أقلّ قسوة من صاحبهما ، آنف الذكر ، ذلك انهما ، على مابان، كانا أقل « خطورة » ، وقد سمح لهما بالنجاة أخيرا ، اما (نويل) فلقد لبث في غيابة سجن ، تلعب فيه الفئران ، بالسلاسل الوثاق مقيّدا •

ومن الـ (جنرال دنسترفيل) اقتباسا : « ما ان اطلق سراحه الا بادر الى وضع خطة تنصبّ على اجتياح مواصلات العدو في بقعة من الارض أحاط بها ، من قبل ، خُبْـرا ••• ان خططا من هذا القبيل كانت على حظ كبير من خطورة ، لكن فرص النجح فيها كبيرة • وسأفترص الفرصة بعد هذا لأنبّه على فاعلياته النشطة في كردستان ، واليها اتخّذ السبيل بعيد (الهدنة) • لكن ، لعل هذا هو الموضع الحق للاشادة بروحه القهّار الذي (يعزّ على من رامه ويطول) ، وبسعة حيلته ، على ما جلاّها في مدى ست سنوات امضاها وهو و (قوة ما بين النهرين الاستكشافية) على صلة وثقى • ان مغامراته تمـــلأ مجلدا ضخما ، وآمل ان يرى هذا (المجلد) النور في يوم مستقبل • ومن بين نحو مئة (ضابط سياسي) الحقوا بالقوة المذكورة آنفا ، بالمعنى الحق الذي ينطوي عليه عنوان « ضابط سياسي » ، كانت الشخصية البارزة في نظر (العرب) هي شخصية (ليجمن) ، وفي نظر (الاكراد) هي شخصية (سون) ، وفي نظر (الفرس) هي شخصية (نويل) • وما كان هؤلاء الرجال الثلاثة ليشتركوا في صفات متماثلة الا قليلا ، فيما خلا الشجاعة النادرة والعزيمة المصمّمة والخبرة

---

(١٤) هى من (شاهان شاه) اى ملك الاملاك وهو ما اطلقه ملوك الفرس على أنفسهم ، وياللغرابة اذ لا مالك الا الله جل شأنه ! [المترجم]

البلدية (المحلية) • ولعلهم كانوا على شيء من النقيض في هاته الصفات ، ولكنهم فرضوا شخصياتهم على من اتصلوا بهم الى حد يجعل ذكرهم يتردد ، عبر أجيال ، بعدهم (والذكر للانسان عمر ثان !) • ومن بين الثلاثة ما زال (نويل) ، وحده ، حيا • ومن بين الضباط الآخرين الذين اجتبوا للنهوض بواجب سياسي في فارس الشمالية ـ الغربية : سي• جي• ادموندس المنسوب الى سلك المشرق (ليفانت) القنصلي ، وهو من كان عمله في فارس الجنوبية ـ الغربية لامعا و (اي• تي• آر• ويكهام) المنسوب الى الدائرة السياسية الهندية و (آر• سي• كيرد) والاخير كان صبيا بائسا وقع فريسة ، في تموز سنة ١٩٢٠ بين مخالب عصابات الـ (شاه سافن) على طريق قزوين ، وقرب تبريز ، حيث كان يفاوض بشأن اعادة (اللاجئين) الاشوريين والارمن الى (اورمية) في فارس •

وازدادت صعاب (القوة) في فارس حدّة ، ومردّ ذلك الى الاوضاع الراعبة على طوال الطريق المادة في فارس الشمالية ، بعامة • وعمّت المجاعة بين (انزيلي) و (خانقين) وما خفّفت من وطأتها الجهود العامة ، وما اغاثتها الجهود الخيرة الخاصة • وخلال الاشهر الاخيرة من سنة ١٩١٤ ، وفي سنتي ١٩١٥ و ١٩١٧ ، أصبحت المنطقة الكائنة الى الغرب من (بحيرة اورمية) كلها خالية خاوية من المؤن والماشية ومرد ذلك الى ما فعلته يد الروس أو يد الترك أو اليهما معا ، في الغالب جدا • وفي شتاء سنة ١٩١٥/١٩١٦ نفذ الروس حتى رواندوز[١٥] حاملين كل ما استطاعوا الى حمله سبيلا ، حارقين كل ما خلفوه ،

---

(١٥) في (الخطة الروسية) لحملة العراق نيط الزحف على خط رواندوز ـ اربيل ـ الموصل بالفيلق القفقاسي الثاني ، وقائده الـ « جنرال جرنازوبوف)• وقد اجتاح الروس الحدود العراقية ، عهدذاك ، في ٧ أيار ١٩١٦ واحتلوا (رواندوز) يوم الـ ١٣ من أيار • ويعزى تقدم الروس السريع الى (حركة احاطة) قاموا بها حول مواقع الاتراك الدفاعية ، بالافادة من الادلاء البلديين ، الى تذبذب العشائر التى كان الاتراك يعتمدون عليها في الدفاع ، بله ضعف المفرزة التركية التى وقفت بوجههم ، وقد حشد الاتراك ، بعد ذلك ، قواتهم واستطاعوا يوم ١٨ تموز ١٩١٦ استرجاع رواندوز ، بعد ان اشغلها الروس لمدة ٦٥ يوما تقريبا • [المترجم]

بعد ذلك ، ظهريا • وأتلفت البساتين فصوّحت اما بنزع شجرها واصطناعه وقيدا أو بقطع قنَى الارواء عنها • وقتل كل الذكور القادرين على حمل السلاح وشرّدوا ، وما بقي بعدهم غيّر النسوة الاطفال والطاعنين في السن من الرجال والكلاب ليموتوا جوعا بين أخربة بيوتهم والدخان يتصاعد منها • وعاشت الكلاب الى ابعد من هذا زمنا • وعندما كان الروس يرقون ُصعُدا ، كانت القرى المسلمة هي التي تعاني عنتا • ذلك ان أهلها غالبا كانوا يظهرون مع بني دينهم تعاطفا • وعندما تدول الايام وتصبح للاتراك اليد العليا كانت القرى الارمنية ، للسبب نفسه ، هي التي تنزل نقمة الثأر بها ، يساعدهم على ذلك من بقي من الاكراد حيا •

وما ان وصل الروس ، في اوائل سنة ١٩١٧ ، خانقين ، الآ فتحوا صفحة عهد من الرعب الراعب شمل الطريق الماد كله • وما سلم مسافر خارج البليدة كما لم تسلم امرأة في داخلها ، من تحرّش القوزاق • وكان يدفع عن القوت ، خلال الاسابيع الاولى القليلة ، بالفضة شطرا وبورق النقد الروسي شطرا ، ثم غدا الدفع من بعد ذلك ، بورق النقد حصرا ، وبأسعار فرضت اعتباطا • وما ان دارت دائرة الحرب عليهم الآ ادبروا واتلفوا كل المحاصيل والقطعان التي لم يستطيعوا الى حملها سبيلا • وفي المدن الكبرى ، حسب ، لم يستطيعوا القيام بعمل كهذا • وكانت في كرمنشاه ، وهمدان ، وسلطان اباد ، وتبريز ، وقزوين ، اهراء عظيمة من الحنطة ، وذلك على الرغم من ان حصاد سنة ١٩١٧ كان سيئا • وكانت هذه الاهراء بيد قلة من المالكين الموسرين (بضمنهم جلالة الملك الراحل سلطان احمد شاه) وتجار الحبوب ، وقد تناصرت جهودهم على ابقاء السعر عاليا من غير أن يأبهوا الى ما يخلفه ذلك من عقبى • كانت الحنطة هناك ، لكن المال الذي يدفع عن شرائها كان معدوما • وفي همدان التي تبلغ عدّة سكانها ٥٠٠٠٠ كان ثلثهم ، في الاقل ، يكاد يموت جوعا ، وكان معدل من يموت من المسغبة ، يوميا ، عشرين أو زد عليه أيضا • وما كان الوضع في كرمنشاه بأقل حدة من هذا • عندما اتخذت سبيلي على الطريق الماد من خانقين ، في نيسان سنة ١٩١٨ ، ُصعُدا ، رأيت مشهدا آمل الآ اراه ،

ما دمت حيا ، كرة اخرى : مشهد اناس يموتون ، بسبب من انعدام القوت ، جميعا . وكان الباعة يجلسون في سوق كرمانشاه ، يغشى عيونهم الأسى ، على توقّر واحتشام ، وراء الدكّات التي يعرضون بضاعتهم المختلفة ، المؤتلفة من تمر وخبز وغلال ، عليها . وعلى فوت ياردات قليلة كان هناك (لازاروس : Lazarus)[١٦] تاعس مضطجعا ، والذباب يحوم حول رأسه داخلا انفه وفمه خارجا ، ومن هذا الفم كان ينضح سائل أسود ، لكنه لا يزال حيا . [لقد مات على هذه الشاكلة مئات من الجنود البريطانيين ، قبل سنتين ، وهم «ضيوف الحكومة التركية المكرمون» على ما ورد على لسان أنور باشا][*] . وكانت ثمة امرأة تجلس بمقربة ، عُريانة تقريبا ، وقد باعت نقابها الشرقي التقليدي ، لتشتري بثمنه قوتا . وكانت بشرتها السمراء الدكناء تلتصق ، بوثاقة ، على عظامها الحادة ، كما كان ثدياها مسبلين ، كقطعتين من رق ، يكادان يبلغان خصرها . وبقربها كان ثلاثة أطفال محشورين على حصير عرايا ، أطرافهم تلفت – وكل عظم من عظامهم ، من الجلد الشفيف ، يتراءى . وشهدت في كل قرية أو بليدة لا تزال على حفافي الطريق قائمة لمثل هذا المرأى نظيرا ونظيرا ، فملئت من ذلك رعبا ، ومن الاشفاق من اننا غير قادرين على التخفيف من حدة هذه المنطليات رأسا[١٧] . وكنت أعرف الطريق المادة بين خانقين وهمدان

---

(١٦) ورد الاسم هذا في انجيل لوقا (١٥ : ٢٠) علما على من هو واسع الثراء سابغ النعمة حقا وفقير ذو متربة مظهرا . [المترجم]

(*) كان انور باشا وزيرا للحربية في وزارة طلعت باشا وأقوى شخصية عسكرية – سياسية في الانبراطورية العثمانية ولما سقطت هذه الوزارة جاءت في اعقابها وزارة توفيق باشا المعروف بميوله البريطانية لكن جمعية الاتحاد والترقي الميالة الى الالمان والتى كان انور باشا من أقوى شخصياتها ، اسقطتها ، فجاءت وزارة عزة باشا التى عقدت (الهدنة) مع انكلترة فأفل نجم انور باشا . [المترجم]

(١٧) هذه من أهوال الحرب الانبريالية التى شاركت في شنها حكومة (المؤلف) ، آنذاك ، وحلفاؤها . انه يشكو من عقباها ويتوجع ، في الظاهر على ضحاياها ولا يملك عينه من الدمع ولا قلبه من الوجد لا بعد ان يفرغ مخزون حافظته مما فيه ويصوره على الوجه هذا ، وكفى بالواقع المشهود حجة ودليلا ! فالمطامع البريطانية الانبريالية اتفقت مع المطامع الروسية القيصرية على فتح

جيدا ، ذلك اني قطعتها ، قبل الحرب ، مرات عديدة ، واستمتعت بسماحة سراة الناس وسوقتهم معا ، وذلك في كثير من المدن والقرى . وقُدِّر لي ، اليوم ، أن أرى الابنية أخربة وركاما ، ومن أضافني ، قبل سنوات خمس ، قد تفرّقوا أيدي سبا، أو أصبحوا أمواتا،أو انهم يتخذون الىالآخرة سبيلا.وكنابأمس الحاجة الىوسائطالنقل، وما كنا قادرين علىالاتيان به من الحبوب في(بلاد مابين النهرين) كان يصطنع لسدّ حاجة (لواء خانقين)[18] ، وهو لواء نزلت به الفاجعة المرعبة بسبب من قسوة مدّ الحرب وجزرها . وعندما كنت اسمع ، بين الفينة والفينة ، الفرس وغير الفرس يذهبون النفس حسرات على الايام الخيّرات الماضيات ، حين لم تكن هناك طرق ، وحين كانت حيوانات الحمل هي الواسطة الوحيدة في طول البلاد وعرضها ، كانت تسنح في خاطري مرعبات تلكم الايام الخوالي وما فيالسجلاتالمدوّنة المتواترة الوفيرة[19] عنها لاتقلّ شقاء وعناءعنهذه،وأعني بها : المجاعات الاولى ، كمثل مجاعة سنة ١٨٧٢ . ثم اني لانظر بعين الحمد والشكران الى الشاحنات الآليات ال (اللوريات) والسبل الجيدة التي يشهدها يوم الناس هذا .

وعلى الرغم من اننا اجهدنا كل عصب فينا في سبيل التخفيف من حدّة وقعأهوال المجاعة في همدان وفي غيرها ، وحمدا الىجهود ال (جنرال بايرن) ،

جبهة ايران ـ العراق ، وهو أمر لا يند على خاطر ولا يلتوى على ذهن ، أما الحجج التى كان يوردها الانبرياليون في تبرير شنهم لامثال هـــذه الحروب اعنى « تحرير الشعوب » و « تقرير المصير » فلا تعــدو كلاما لاكتــه الالسن حتى تفه . وعندما اندلعت الثورة الشيوعية في روسية ، أذار ١٩١٧ ، توقف الروس على جبهة العراق وشرعوا في الانسحاب ، بقيادة الجنرال (باراتوف) الى داخل ايران عن طريق كرمنشاه ـ همدان في حزيران ١٩١٧ . واستمرت قطعاتهم في جبهتى السليمانية ورواندوز على القتـــال . وفي ٨ كانون الاول ١٩١٧ بلغت (القيادة التركية العامة) مفرزات جيوشها بعقد معاهدة الصلح في (برست ليتوفسك) بين الحكومة التركية والروسية وثبتت خطوط (الهدنة) بين القادة المحليين على هذا الوجه (باش قلعة ـ ديزه كاور ـ بانه) .

[المترجم]

(١٨) هى الان ، قضاء من أقضية محافظة ديالى . [المترجم]

(١٩) راجع Brittle bank (المؤلف)

الذي يلي (دنسترفيل) في سلم القيادة ، خصيصا ، وشكرانا ، لكن معدل الوفيات في همدان جوعا بلغ لحين ما ٢٠٠ شخص يوميا • لقد بلغ الهول بالسكان الى حد أخذ فيه بذبح الاطفال واصطناع لحومهم طعام • وكان تقدير جهودنا الانسانية المنصبة على تخفيف وقع المآسي الجائحة ، على الوجه الحق ، أمرا بعيد المنـــال حقا ، وعلى النقيض من ذلك لقد هوجمنا لاننا لم نستطع الى أن نفعل اكثر مما فعلنا • لقد انهال علينا السباب باعتدادنا في شقاء فارس الحق سببا • قال « ديموقراطيو همدان » : « غزت قطعات الروس فارس بايعاز منا ، والغاية من ذلك أن يتعاونوا معنا على الاستيلاء على بلاد ما بين النهرين اولا ، ثم ، في مرة تالية أخرى ، على الاستيلاء على فارس • لقد كانت في كل مدينة فارسية ذات خطر حاميتها من القطعات البريطانية أو الروسية : من المجندين الذين كانوا بامرة ضباط روس أو بريطانيين • انها ، على ما زعم ، لا تعدو في تقسيم فارس الخطوة الاولى • وما كان الوزير البريطاني في طهران بقادر على أن يقول شيئا يناقض ، (المعتقد) هذا ويبدّده تبديدا • لهذا فان اخراج الروس من صفوف الحلفاء ادّى الى أن يركّز استنكار العناصر « الوطنية » وتحوم شكوكها حول بريطانية العظمى ، وشمل ذلك فارس طولا وعرضا • ان نشر الاتفاقية الانكليزية ــ الفارسية المعقودة يوم التاسع من آب ١٩١٩ ، بعد ١٢ شهرا ، لم يفعل شيئا في باب التخفيف من حدّة هذه المفـاهيم الخطلـة الخطـيرة الا قليلا[٢٠] •

ومكّن اتمام الخط المادّ من البصرة الى بغداد ، سنة ١٩٢٠ ، شحـن البضائع من اوربّة الى حد فارس ، فيما وراء خانقين ، رأسا • وكان مدّ الخط الى (تياروق)[٢١] لاسباب عسكرية صرفة • انها نقطة كائنة في فارس ، وقد اسس مركز كمركي فارسي ــ عراقي مشترك فيها • وفي مثل هاته الظروف

(٢٠) راجع : History of the Peace Conference, vol. vi, and Balfour (المؤلف)

(٢١) هذا الاسم من ابتداع بريطـانى ، وهو الاسم (قوريتو) كتب مقـلوبا ! • (المؤلف)

طبيعي أن تصرف عناية نشطة الى الخط المادّ من الحد الفارسي ، عبر كرمنشاه وهمدان ، الى طهران ، والمسافة بخط السكة الحديد **٥٢٢ر٧٥** من الاميال[٢٢] • وكان يدور في بال الحكومة الفارسية مدّ خط سكة حديد من البحر المتوسط الى بغداد في خاتمة المطاف ، اذ لا يحتاج المرء الى خيال خصب ليدرك الفوائد التي تجنيها فارس من الاتصال المباشر مع اوربّة ، عن سبيل خط كهـــذا • وارسل السادة اس• برسن وابنه 'Messrs S. Pearson & Son' ، باعتدادهما وكلاء (شركة سكة حديد فارس المحدودة) ، زمرة مسح خاصـــة ، وجـــرى تخمين ابتدائي لكلفة البناء • كان المشروع ، من الوجهة المالية ، رصينا ، وهو ، من بين جميع مشاريع السكك الحديد في فارس ، أبعد عن أن يكون غير رابح ، خاسرا • ذلك ان عدّة السكان ، القاطنين ضمن **٢٠** ميلا من الخط ، هي : **٦٥٠٠٠٠** نسمة ، وبذلك يكون معدل كثافة السكان في الميل المربع الواحد منها **٣٣** ، وطهران وغيرهما من البلدان ، باعتداد انها تُخدم ، داخلة في هذا الحسبان[٢٣] • هذا وان معدل كثافة السكان في فارس كلها هي **١٦** نسمة في كل ميل واحد • ورفضت الحكومة الفارسية المشروع أخيرا وفضلّت عليه خطا يمتد من (خور موسى) على الخليج الفارسي (بالاحرى العربي : المترجم) الى طهران ، عبر دزفول وبروجرد •

ان هاته التطوّرات ، وغيرها ، كانت ذات اثر محدّد في مجرى الوقائع التي شهدتها (بلاد ما بين النهرين) • وكانت لرجال الدين الشيعة (بالاحرى رجال الدين الاسلامي على المذهب الجعفري ـ المترجم) في النجف وكربلاء وشائج وثقى مع فارس قوامها : الدين والمصلحة المالية معا ، وفي حالات كثيرة : الارسّ أيضا • وكانوا على اتصال وثيق بزملائهم في كل مدينة ذات خطر في فارس ، كما كان غلوّهم الديني تفصح عنه وطنية متزمّته • وتلاشي اطمئنانهم ،

---

(٢٢) راجع Grove: A Railway Engineer's Journey in Persia
(الموءلف)

(٢٣) كانت عدّة سكان طهـــران ، على التقريب ، ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، وهمدان ٦٠٠٠٠ نسمة وكرمنشاه ٤٥٠٠٠ نسمة • راجع (مجلة الجمعية الاسيوية المركزية ٩ C. A. S. J. I.: ix) ص ٩٢٢ • (الموءلف)

بذهاب ريح الاتراك في سنة ١٩١٧ ، على ما تفصح عنه برقيتهم الى (صاحب الجلالة الملك) ليحل محلها ، خلال الاشهر الاولى من سنة ٩١٨ ، شك عميق الجذور يخامر نوايانا في فارس • انه شك كان يرفده سيل من النقد المرير ، وما كان هذ يعدم الحذق كليا • كان مبعثه : فارس ، وما استطاعت التطمينات أن تزيله أبدا • وكان العلماء يؤججّون نار الثورة التي اندلعت في سنة ١٩٢٠ وقامت بها العشائر الشيعية في الفرات الاوسط (كذا : المترجم) ، واليهم مرد نجاحها في الدرجة الاولى[٢٤] • وكان هؤلاء العلماء ، بدورهم ، متأثرين بالسياسة البريطانية في فارس ، الى حد ما ، وان كانت تحدوهم ، بالدرجة الاولى ، رغبة في منع اقامة حكومة قوية في العراق على أي نمط كان ، تستطيع الآن تأبه بهم وتتنكّر لهم •

لقد اوضحت في الصفحات المواضي ان تنفيذ سياسة (لجنة وزراء الحرب) المتقدمة في فارس والقفقاس وبحر قزوين عرقلت مساعينا في بلاد ما بين النهرين على الوجوه التي تلي السطر :

(١) ألقت العبء الثقيل ، المؤلّف من طلبات انفاذ القطعات والنواقل ، على الجيش ، ومن الضباط على (الادارة المدنية) •

(٢) وضعت على كاهلنا تبعة القيام بحركات اثائة ، تتصل بالمجــاعة ، موسّعة ، فاتجّه الينا الطعن الذي يبعثه وجودها نفسه •

(٣) جنحت الى التأثير في العنصر الفارسي من جماعـــة علماء الشيعة في النجف وكربلاء وصيرورتها خصما لـ (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين) ،

---

(٢٤) الصحيح انها كانت ثورة وطنية عراقية اشترك فيها بالتفـــدية والتضحية العراقيون على اختلاف طوائفهم واديانهم وقومياتهم وشملت العراق شمالا ووسطا وجنوبا فأضاؤوا ظلام الاحتلال المطبق على وطنهم ببريق أرواحهم وسيوفهم واطلاقاتهم • راجع تفصيلاتها في : (ثورة العراق سنة ١٩٢٠ للفريق سرالمر هولدين القائد العام للقوات البريطانية في العراق ابان ثورة العشرين) وترجمتنا ، ان (المؤلف) كان الحاكم بأمره ، خلالها ، فهو يختصر الاراء في رأيه ، ويفكر بهواه ويضرب على وتر الطائفية البغيضة ، سبيلا لتحقيق سياسة (فرق تسد) البالية • [المترجم]

وعلى الاخص ضد العنصر البريطاني القوي الذي كانت تملكه في هاتيك الايام لزاما •

واضيفت الى هذه المزعجات ، خلال صيف سنة ١٩١٨ ، تبعة رعاية اللاجئين النصارى من تركية واذربايجان الفارسية الى (بلاد ما بين النهرين) وحمايتهم • كانت عدتهم ٥٠٠٠٠ لاجيء وزيادة ، وكان ثلثاهم من الآشوريين والثلث الآخر من الارمن • وانفذ ال (جنرال دنسترفيل) خلال شهر حزيران مفرزات الى (بيجار) و (ميانه) لتقوم بواجب الجنبات (flank—guards على الجهة الغربية من خط مواصلاتنا الواهن الطويل الذي يخترق بلاد فارس[٢٥] ، ويخترق الطريق الماد من همدان الى اورميه • وبعث وصول المفرزات البريطانية الى هذا الموقع آمالا ذوات طراءة ، لكنها كانت (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا) ، في نفوس القبائل النصرانية القاطنة في منطقة اورميه وفي الآثوريين والارمن ، وهم من قاوموا ، خلال مطلع الصيف ، غارات الاتراك مقاومة أيدة وأصابت النجح عموما • ونشدوا منا العتاد والرشاشات والمال الذي يمكّنهم من الدأب على التقدم بازاء العدو المشترك • وكانت مهمة ال (جنرال دنسترفيل) الاصلية ، على ما بيّن آنفا ، تشجيع العناصر المضادة للاتراك والبلاشفة في القفقاس عن سبيل انفاذ قلة من الضباط ، مزوّدين بالمال والسلاح ، الى هناك • ووصل أحد ضباط ال (جنرال دنسترفيل) اورميه في كانون الثاني سنة ١٩١٨ ووعد باسداء المساعدة البريطانية الى الآثوريين البلديين بازاء الاتراك • ولما كانت هذه هي سياسة (اللجنة الشرقية) لذا قرر ال (جنرال مارشل)[٢٦] حالا النزول على عريضة رفعها قادة النصارى ،

---

(٢٥) هذه المواقع غرم ، وما كانت للحماية ، ومرد ذلك الى بعدها عن خط المواصلات • وكانت من اولى الخطوات التي اتخذها ال (جنرال طومسن) ، عند توليه زمام القيادة في فارس ، التقريب بينها كثيرا • (المؤلف)

(٢٦) كان موقف ال (جنرال مارشل) بالنسبة الى قوة ال (جنرال دنسترفيل) على غاية من الاعسار • ذلك ان الآخر كان على اتصال مباشر مع (وزارة الحرب) وما كان يتلقى الاوامر منه ، فيما خلا ما اتصل منها بحاجته الى مزيد من التعزيزات • ثم وضع في أمرة ال (جنرال مارشل) مؤقتا (المؤلف)

وأبرزهم ال (جنرال أغا بطرس) وهو نصراني آثوري اكتسب بحق شهرة مردّها الى بسالة وميعة أبداهما خلال حملات شُنّت بازاء الروس في منطقة (وان) و (بتليس) في سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦م • وقُعّد الاتصال بقيادة الآثوريين النصارى على يد الملازم الطيار كي• ام• بنتكسن المنسوب الى (الفيلق الطائر) وهو من قام بطيران رائد الى اورمية حيث استقبل استقبالا حارا • ومهما يكن من أمر ، جاء العون الموعود ، متأخرا ذلك ان قافلة تحمل السلاح والمال الى ممثلي القبائل النصرانية في ارومية أنفذت في تموز ، تحرسها وحدة (هسّار/١٤) ، قاصدة (صاين قلعة) الواقعة على بعد ١٠٠ ميل الى الجنوب من تبريز • وبينا كان جلّ القادة وكثير من رؤساء العشائر المتقدّمين يسعون على الطريق المفضي الى (صاين قلعة) لتسلم الاسلحة ، هجم الاتراك على اورمية وطردوا منها الآشوريين والنساطرة وذبحوا كثيرا منهم وهم يلوذون بالفرار • وشاركت العشائر الكردية الاتراك في سلب جموع تاعسة بائسة من الطاعنين في السن من الرجال والنسوة والاطفال ، وهي مثقلة بما لديها من متاع وقطعان • كانت مذبحة تشيب لهولها الولدان ، ذلك ان الاكراد والاتراك ، على حد سواء ، ما كانوا يرعون ، على عادتهم المطردة ، للعمر وللجنس حرمة • وعلى الرغم من ان المفرزة الصغيرة من الجند البريطاني قامت بما استطاعت أن تقوم به في باب طرد الغوّارة السلاّبة ، لكن ليس هناك من الشك، الا أقلّه، في أن اللاجئين، على هذا الوجه ، فقدوا خمس عدّتهم، في الاقل• وهلك من الخلق الوف ، جلّهم من النسوة والاطفال ، ومردّ ذلك الى ما أصابهم من رهق على رهَق ومرض ، وكانوا يتخذون السبيل الى بلاد ما بين النهرين ، يقطعون مسافة ٥٠٠ ميل تقريبا ، وذلك على الرغم من ان السلطات العسكرية في همدان وكرمنشاه بذلت كل جهد مستطاع لتوفّر الطعام والملجأ لها •

واتُخذ قرار بالاتيان باللاجئين الى بعقوبا ، وكان ذلك بازاء معارضة قوية ، لكن ، ما كان له من بديل أبدا • وكانت المجاعة مطبقة على همدان وكرمنشاه ، وما حولهما ، كما كان في حكم المستحيل طبعا ، نقل قوت الى

٣٠٠٠٠ نسمة اخرى ، ناهيك بالخيام والالبسة التي يجب أن يزدوّدوا به ، ان اريد انقاذهم من مخالب الموت ، خلال الشتاء المقبل ، جوعا • وكن الوقيد نزرا قليلا ، أيضا ، كما كانت العشائر الكردية البلدية معادية • والى ذلك كله ، لقد جيء باللاجئين من أصقاع ، معتدلة المناخ ، تعلو سطح البحر ٥٠٠٠ من الاقدام في الاقل ، وما كان أحد منهم بقادر على أن يعاني من قسوة صيف بلاد ما بين النهرين • لذلك كانت هناك سبب سديد يدعو الى الاشفاق من أن يكون الهلاك من المرض قاسيا • لقد أظهرت التجربة ان لهذه المخاوف ما يبررها • وفي نهاية آب شرع اللاجئون بالانهيال على المخيّم الذي اختير لهم على ضفة نهر ديالى اليمنى ، على بعد ثلاثة أميال من بعقوبا ، وبالسكة الحديد لصقا • وكان عدد من يعاني منهم من (الزحار : ديزنتري) كثيرا • وأبقى ال (جنرال دنسترفيل) لديه الصالحين من الرجال جسميا ، بغية تشغيلهم على الطرق ، وبذلك القي على عاتق العجائز من النساء وغيرهن من النسوة عبئا ثقيلا ما كن يستطعن الى حمله سبيلا • وكانت نسبة الوفيات ، في هذا الاوان ، نحو ٦٠ يوميا • وانتشر مرض ال (تيفوس) على طريق خانقين — بعقوبا ، وفي المخيم أيضا ، لكن سرعان ما اكتشف هذا على يد ذي النشاط الدائب المقدم ويلكوكس ، فاتخذت اجراءات فعّالة تحول دون أن ينتشر ويشيع ها هنا •

واليك ، عن ذلك ، من (التأريخ الرسمي)[٢٧] قبسا :

« اقيم مخيم حجر كبير ، حيث جرى فحص اللاجئين جميعا باعتداد ذلك اجراءا وقائيا • ولم تقع الا قلّة من الضباط الاطباء على هاته الحمى ••• ولو لم يشخّصها الطبيب المداوي في ابانها ، لكان هناك احتمال بلوغها الى الرجال العاملين في (فيلق الشغل) وانتشارها •»

والحقت بالمخيم ثلاثة مستشفيات[٢٨] ، مزودة بجهاز تعقيم خاص ، وبهذه وبغيرها ، استطاع الجرائحي العام بلنكسوپ ، مدير الخدمات الصحية ،

(٢٧) راجع Macpherson (المؤلف) •
(٢٨) المستشفى عند الفصحاء مذكّر ويخطىء من يؤنثها (المترجم) •

لا أن يخفض من نسبة الوفيات العالية بين اللاجئين ، حسب ، لكنه حال دون أن يغدو وجودهم على (جيش الاحتلال) خطرا • وما أن غدا المخيم لهم مستقرا الا هبطت نسبة الوفيات دراكا ، وأصبحت نسبة الوفيات الشهرية ، في سنة ١٩١٩ ، بالألف ثلاثا • ان هذه النسبة لتقرن بنسبة ١٤٫٦ بالألف التي عرفتها ، سنة ١٩٠١ ، (مخيّمات الاعتقال) في جنوبي افريقيا • انها مخيمات كانت تضم نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة على حين كان هناك ٤٠٠٠٠ في بعقوبا[٢٩] ولا تظهر هذه المقارنة ما يستوجب ردّ الفضل الى النظومة الطبية ، والى الطريقة التي صرّفت بها شؤون المخيم الذي كان بامرة الـ (جنرال اوستن) ومساعده (ايچ• أل• چارج) ، حسب ، لكنها سبيل اظهار التقدّم الذي حقّقه الطب الوقائي ، منذ سنة ١٩٠١ مدداً • انها لتظهر أيضا : ان القرار الذي توصّل اليه (مقر الجيش العام) القاضي بتنظيم معسكر فذّ تحت اشراف سليم ، وتفضيل ذلك على عدد من المخيمات الصغيرة ، كانت له ، بحكم النتائج مبرّرات : (فالامور بخواتيمها) •

ومن بين الارمن جاء نحو ١٠٥٠٠٠ من (بتليس) و (وان) ، كما جاء ٢٥٠٠٠ من اذربايجان ونحو ٥٠٠ من كل من القسطنطينية وكليكية • واختار ٥٠٠٠ من هؤلاء الذهاب الى (اطنه) و (حلب) حيث كانت الحكومة الفرنسية ، باعتدادها دولة منتدبة على استعداد لاستقبالهم ومنحهم الارضين • واختارت النسبة العظمى منهم البقاء في بلاد ما بين النهرين ، حيث أخذ بامتصاصهم وصيرورتهم من سكان المدن فيها •

ومن بين الآشوريين ، الذين كانت عدتهم ٢٥٫٠٠٠ والذين وردوا بعقوبا ، كان نحو ١٥٠٠٠ من الجبليين الذين قطنوا أرض تركية ، أما الباقون منهم فكانوا رعايا فرسا جاؤوا من صولدوز وسلماس وتارگاوار ومارگاوا • وبموافقة الحكومة الفارسية جرى استبدال هؤلاء ، خلال سنة ١٩١٩ ، أخيرا • وكان التصرّف بأمر الـ ١٥٠٠٠ الباقين يشكل معضلة على حظ كبير من

(٢٩) للوقوف على هذا وعلى غيرها من التفصيلات راجع : Charge وان اردت أن تقف على ما يتصل بالآشوريين فراجع : Wigram (المؤلف) •

اعسار ، ترقب حلاً • ذلك ان ثلثيهم كانوا من العشائريين القادمين من مناطق: تياري (٦٠٠٠) وجلو (١٠٠٠) وباز (١٠٠٠) ودز (٢٠٠) وتخوما (١٢٠٠) وكانوا يعرفون بـ (جلو) عموما • أما الباقون فكانوا من الـ (رايات) القادمين من (قدشانيس) و (برويز) و (گاوار) و (مار بيشو) و (شمسدينان) ، وثمة قلة من (وان) • كانوا جميعا من الاتراك تقريبا ، وما كانوا رعايا فرسا •

وجُنّد نحو ٢٠٠٠ من (العشائريين : عشيرات) باعتدادهم من الـ (ليفي : المجنّدين) خلال سنة ١٩١٩ انتظموا في فوجين للدفاع عن حدّ الموصل • كانوا أفضل عنصر محارب يرتجى ، على استعداد للقتال في سبيل استعادة الوديان العوالي من يد الاتراك • انها التي كانت لهم ، على كرّ القرون ، موطنا • وما كان فرض الضبط والربط عليهم بالأمر اليسير ، ولقد قاموا ، في أكثر من ظرف واحد ، باثارة اضطرابات أهلية ذوات خطر ، لكنهم ، في خلال سنة ١٩١٩ ، وفي السنين التوالي ، أدّوا خدمات غالية لا تثمن ، باعتدادهم جزءا لا يتجزأ من قوى الدفاع العراقية ، وفي الامرة المباشرة لـ (المندوب السامي)[٣٠] •

ليس من شأن هذا (الكتاب) البحث في التطورات التي جاءت بعد تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ، لكن من المتمع أن نذكر ان (الحكومة العربية) لم تكن بطيئة في ادراك الحقيقة القائلة ان عربي (المدينة) ، شأنه كشأن عربي (السهل) ، ليس على مستوى واجب الحفاظ على النظام بين الاكراد الجبليين الضواري القاطنين على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للعراق • في مكنة (المندوب السامي) الاعتماد على اخلاص الآثوريين ، وهم بامرة ضباط بريطانيين مختارين ، والاستفادة على أتم وجه من خدماتهم • انها خدمات كانوا يسدونها ، عن رضى واختيار ، لا عن كره واضطرار ، آملين شيئا لم يكن ، بعدُ،قدادرك، وأعني به : اشاعة شيء من العدل الواني بين أبناء هذه (الطائفة) المنكوبة• لكن الواقع الحادث ، في هذه الناحية وفي كثير من النواحي غيرها ، هو : ان السياسة التي اتبعت ، اثر تشكيل (الحكومة العربية) ، كانت استمرارا لسياسة (الادارة

(٣٠) راجع : Cunliffe-owen and Bentinck (المؤلف) •

المؤقتة) التي سبقتها ، ان لم نقل انها غير منطبقة ، في الاقل ، على هذا الذي سبق قولنا عليه • علينا ألاّ ندع ذلك يخفي النتيجة لقاسية المؤلمة التي خلفتها مغامرة (اللجنة الشرقية) في فارس • لقد أسفرت هذه عن خلق مشكلة أقليات أخرى في (بلاد ما بين النهرين) ، وما كانت هذه لتُخيّم أبدا ، لو لم نحاول أن نجعل من الاقليات النصرانية في فارس والقفقاس « مخلب قط » ! لقد صيّر هذا الذي قمنا به في هذا الباب قلب الاتراك صلبا وشدّد من عزمهم على ازالة جميع الاقليات غير التركية ، في تركية ، نهائيا ، وذلك بمعاودة الأخذ بتلكم الطرائق المصطنعة في الذبح والتعذيب والاماتة جوعا وهي التي صيّرت الاتراك في أعين الناس ، مجددا ، في وقت متأخر كسنة ١٩٢٩ ، أشدّ الشعوب الحية فظاظة وغلظا[٣١] (كذا المترجم) •

حقا لم يكن هذا أول خلق ، في باب مشكلات الأقليات الجديدة ، تمّ على أيدي الحلفاء خلال الحرب أو فيما بعدها • لقد انصرفا بكليتنا الى خلق مشكلة من هذا القبيل وذلك بالاشراف على خلق (وطن قومي) لليهود في فلسطين ، أما حكمة ذلك وتبيان الظروف التي اكتنفت خلقـــه فليس مجال البحث فيهما ها هنا • وكان لخلق الحكومة الفرنسية لدولتي : (لبنان الكبير) و (العلويين) وتكتيل اللبنانيين النصارى وتجنيد الأرمن والكرج ، على وجه مستدام ، في الاراضي التي كان لفرنسة الانتداب عليها ، كل اولئك كانت له نتائج متشابهة وان جاءت على مقياس كبير ، وتراءى ان المصير هو أن يقوم ، في المستقبل القريب ، توازن

---

(٣١) راجع : H.A. Giblons: The Case of Kurdistan against Turkey. Princeton N.F. (N.S.D.)

(المؤلف)

قلنا : لو كان (المؤلف) اليوم في الاحياء وسمع بما يقترفه (الصهاينة) في فلسطين العربية الشهيرة ، من آثام وشهد ، فماذا يقول ؟

اما نحن فنرى ان ذلك يبعث في النفس الاسى ولكن لا يثير فينا يأسا ونقول لهذا الصهيوني القذر :

تمهل قليلا لا تغظ أمـــة اذا تحرك فيهـــا الغيظ لا تتمهل
وايديك ان طالت فلا تغترر بها فان يد الايـام منهن اطـــول

[المترجم]

فعّال بين طائفتي النصارى والمسلمين[٣٢] •

بقي أن نذكر ان نفقات (مخيم اللاجئـــين) في بعقوبا ، التي تحملتها اعتمادات الجيش ، كانت ، على التقريب ١٥٠٠٠٠ من الجنيهات ، وذلك من تموز ١٩١٨ حتى كانون الاول ١٩١٩ مددا ، ثم غدت ، بعد ذلك ، ١٠٠٠٠٠ من الجنيهات ، فمجموعها الكلي ثلاثة ملايين من ال (باونات) الاسترلينية ، أو زدْ عليها أيضا ، وذلك باستثناء معاشات الموظفين العسكريين القائمين عليها[٣٣] •

ونقلت ، من اليوم الاول من كانون الثاني ١٩١٩ ، تبعـة جميع الامور المتصلة باللاجئين الى (الادارة المدنية) • ومن طالعي الحسن أن احصل على خدمات العقيد كنليف ـ اوين ليضطلع بالمخيم ويتسلمه من اللواء ايج• ايج• أوستن[٣٤] • ولم يبدّد هذا وقتا اذ اخذ بزمام المبادرة في مشروع حكم ذاتي لشتى الطوائف الموجودة في داخل المخيم ، وقد أثبت ذلك انه ناجح كليا • وفي غضون ستة أشهر جرى خفض في عدد المولجين بشؤون المخيم أصلا ، وهم ٢٠ ضابطا بريطـــانيا و١٢٠ من مراتب البريطانيين الاخرى ، اذ أصبح ذلك ٣ ضباط بريطانيين و ٦ من ضباط الصف فقط • وقام بتنظيم قوة فعّالة من الشرطة ورجال الدفاع في المخيم ، وعندما ذرّ قرن الاضطرابات في منطقة بعقوبا ، في تموز سنة ١٩٢٠ ، لم تصد جماعة من الغوّارة العرب الذين هاجموا المعسكر ، في يوم ما ، حسب ، لكنهم طوردوا ، بعيدا واتساعا على السهل ، من قبل المتطوعين اللاجئين ، وهؤلاء اذ لم يأبهوا للاوامر الصادرة اتخذوا وضـع المهاجم وجمعوا كومة من الجماجم في مقر الحرس •

وكان نقل أكثر من نصف اللاجئين ، في هذا الاوان الى منطقة عقرة ، في الشمال الشرقي من الموصل ، أملا في أن يستطيعوا العودة الى أوطانهم ،

---

(٣٢) راجع : Toynbee ص ٢١ (المؤلف) •

(٣٣) يذكر كنليف ـ اوين الرقم ٥٠٠ الف روبية (المؤلف) •

(٣٤) عندما كنت في (شعبة الاستخبارات) في ســـملا ، سنة ١٩٠٦ ، كان اللواء اوستن اول من شجعني على زيارة فارس والاهتمام الفعال في الامور الفارسية • فاليه ، اذن ، انا مدين بالشكران خصيصا •

(المؤلف)

ينضاف الى هذا أن قد كان ثمة احتمال في توطين ، من لا سبيل الى عودتهم لاي سبب ما ، في مستعمرة رؤي اقامتها في منطقة العمادية ، وجلّ سكانها كانوا من النصارى • ان محصل الفكرة هذه ، وهي من بنات أفكار المقدم ليجمن ، هو ان من اللازم اجلاء الاكراد المسلمين ، الذين ثاروا بتحريض تركي ، مرتين ، وقتلوا الضابطين السياسيين المحليين : النقيب ويلي والملازم مكدونلد ، واعطاء أراضيهم الى الاثوريين • ان الوادي المقصود خصيب حصين واقع ضمن حدود ولاية الموصل المعترف بها ، وهو خاضع لسيطرتنا بدرجة كافية بحيث نستطيع فيه تهيئة الفدان وحب الحصيد والقطعان • وما أن يحل فيه الآثوريون ألا يغدوا على حال من الاكفاء الذاتي ، كما انهم يصبحون قادرين ، لا على حماية أنفسهم حسب، بل على حماية (الهلال الخصيب) الكائن جنوبا • وكان عدد من يجب اجلاؤهم من الاكراد قليلا ، وما كان هناك انعدام في الارضين التي تعطى لهم على الجانب التركي من الحدّ أو في اوديان المتاخمة • كان اصطناع مثل هذا (الحل) في سنة ١٩١٩ يمكننا ، باعتدادنا الدولة المنتدبة المرتقبة على بلاد ما بين النهرين (اقتباسا من رسالة بعثت بها الى وزير الخارجية في آب ١٩١٩) : « من فرصة اسباغ العدل على الطائفة الآثورية بشكل مقبول من قبلهم ومن أفكار الحق والمساواة الاوربية على حد سواء • انها تمكننا أيضا من حلّ واحد من أشد القضايا الدينية والارسيّة في اكردستان اعضالا وتناقضا والتخلص من خطر على السلام في كردستان الشمالية كان شره عظيما ، وانزال العقاب بمن كان عن الهزاهز في العمادية مسؤولا • ان فرصة كهذه لن تسنح كرّة اخرى • » وختمتها بالكلمات التي تلي السطر :

« ان الاجراء المقترح ، ان اتخذ ، سيفسر ، على كل الاحتمالات ، كما فُسِّر اجراء الولايات المحدة الامريكية وفرنسة ، باعتداده يظهر سياسة (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) في محاباة العناصر النصرانية في تركية ، على حساب عنصر المحمديين (بالاحرى المسلمين : المترجم) • ومن المحتمل ان اجراءا كهذا يكون له اثر غير مستحب في المفاوضات الجارية بصدد عقد الصلح مع

تركية . ان علاقاتنا مع الاكراد في المناطق الاخرى ، على ما هي عليه حقا ، لا يمكن الا ان تقاسي من هذا مؤقتا ، ولكن لا الى الحد الذي تفجّر عنده الفعال العدائية الخطرة . »

ان معتقدي لشديد ، على كل حال ، في ان هذه الاعتبارات لا تبرر نبذ المشروع . ان عدة الاكراد الذين سيجرى اجلاؤهم لن تزيد على ٢٠٠٠ اسرة ، وثمة مجال وسيع لهم في المناطق المجاورة . انهم جميعا ، على التقريب ، طرف في الانفجارات الحديثة التي شهدتها « العمادية » ، ولقد محوا جميع الدعاوى التي يُحتجّ بها في أخذ أمرهم بنظر الاعتبار . وعلى كل حال اقترح اعطاؤهم شيئا من التعويض ، كيلا ينوء اجلاؤهم بكلكله عليهم ، من غير أن تكون له ضرورة ، ويزرع بذرة الصعاب القابلة في هذه المنطقة .

وحظى المشروع بمصادقة الحكومة(٣٥) ووضعت خطط أولية بعناية تامة وبعون من الدكتور دبليو أ. ويگرام ، وهو من كانت معلوماته الوثيقة وفطنته الحادة في جميع القضايا المتصلة باللاجئين ذوات قيمة لا تثمن بالنسبة ل (الادارة المدنية) . وأيا كان الامر ، لقد انفجرت ، لسوء الحظ ، مشكلات ذوات خطر ، وكان ذلك بتحريض تركي وفي ظروف سردت قصتها في مكان آخر من (كتابنا) هذا ، وكان ذلك في السليمانية وفي المناطق الكردية الكائنة الى الشمال ـ الشرقي من الموصل . وأبانت السلطات العسكرية عن عجزها في تهيئة النواقل المطلوبة للاجئين من بعقوبا الى الموصل ، أو للحركات العسكرية المختطّة في منطقة العمادية فكانت عقبى ذلك ان المشروع جرى تأجيله المرة تلو المرة الى أن نبذ في أيار سنة ١٩٢٠ بالمرة ، وذلك بالنظر الى مشاغلنا العسكرية في غيرها من الأمكنة . وعندما تراءى في صيف سنة ١٩٢٠ ، ان المبادأة ، على هذه الآساس ، متعذرة ، لذا قوّض المعسكر القائم في بعقوبا

(٣٥) قالت لجنة عصبة الامم المؤلفة بشأن الحد بين تركية والعراق (ص ٨٢) ان الحكومة البريطانية ما كانت راغبة ، في هذا الاوان ، في اتخاذ أي قرار حاسم .

ان هذا غير صحيح فالحكومة البريطانية كانت راغبة ، لكن السلطات المحلية كانت ضعيفة واهنة (المؤلف) .

وارسل الأثوريون الى الجهة الشماليه الشرقية من الموصل ، وسمح للارمن بالاقامة في بغداد والبصرة ، وقد أذن لقلة منهم بالبقاء عندنا . لقد حُشد هؤلاء عند (نهر عمر) ، على شط العرب ، شمالي البصرة . وأخيرا جرت «تصفيتهم» في ظروف اكتنفتها المآسي والصعاب الثقال .

ان ما أسلفناه لك لا يعدو خلاصة جزئية غير تامة للمصاعب التي تخبطت فيها (الادارة المدنية) بسبب وجود هؤلاء اللاجئين في بلاد ما بين النهرين . لقد القوا حملا ثقيلا على عاتق رجال كانوا على حال شغل شاغل ، يصارعون المشكلات المتصلة بالاراضي المحتلة في حاضرها ومستقبلها . لقد كان حملا لا سبيل الى نقله الى جهة أخرى أو الى جعله لا مركزيا . يضاف الى ذلك كله : انهم كانوا يجنحون الى اقلاق الرأي البلدي (المحلي) واثارة القضايا الارسية والدينية الكامنة .

بقي أن نشير ، بايجاز ، الى التطورات الاخرى التي حدثت في ميدان المغامرة الفارسية . فلقد وقع ، في تموز ، انقلاب في باكو ، ما كنا بمسؤولين عنه بأي وجه من الوجوه ، وخلفت الحكم البلشفي «ديكتاتورية قزوين الوسطى»، وهي التي استدعت العون البريطاني للامساك بباكو بازاء البلاشفة والاتراك . وأنفذنا لواء من الجنود البريطانيين اليها ، في آب ، وسعى الـ (جنرال دنسترفيل) الى حمل القوات الروسية والارمنية المحلية ، التي جاءها العون على هذا الوجه ، على التمسك بـ (المدينة) بازاء الاتراك ، وقد جاءتهم تعزيزات أيدة . ولم يُصب في جهوده نجحا . ذلك ان الوحدات الروسية والارمنية ، على حد سواء ، كانت تعدم الضبط والربط وتفتقد النظام ، كما كانت تجهيزاتها ، من المدفعية والعتاد واللباس وتمويلها ، سيئة كلها . وجاء قرار الـ (جنرال مارشل) بالانسحاب الى (انزيلي) فكان سديدا مسدّدا ، وسعى الـ (جنرال دنسترفيل) الى تنفيذه يوم الـ ١٤ من ايلول من غير أن يتكبد خسارا[٣٦] . وكان الانسحاب على غاية من الروعة ، ومرد ذلك الى الدور الذي قام به الضابط الآمر للقوات

(٣٦) راجع The Naval-Review, May 1920.

النظامية الموجودة في الموقع وجنوده ويستأهل ال (كومودورنورس) ثناءا مستطابا خاصا على نصيبه منه •

ووعزت (وزارة الحرب) ، أو لعل الموعز كان (اللجنة الشرقية) ، الى ال (جنرال مارشل) بأن ينزل الضربة الحاطمة بأنابيب النفط في (باكو) قبل الانسحاب[٣٧] • ان ارسال تعليمات كهذه هو أمر نمطي بالنسبة الى الجو الخيالي الذي أحاط المسؤولون عن ادارة حركات في قطعاتنا (قزوين) أنفسهم به في (وايتهول) • يقول ال (جنرال مارشل) : « لم أر باكو أبدا لكنني كنت أعلم ان فيها ٢٠٠٠ من آبار النفط ••• كم من أطنان المتفجرات ذوات قوة تفجير عالية ، كان يُحتاج اليها للنسف ، تلك قضية لم أتدخل بها • ما كان سكان باكو ••• ليقفوا متطلّعين ، على أقل تقدير ، وأيديهم في جيوبهم ، على حين توشك حفنة من الجند البريطاني على نسف قوام حياتهم ويرقى في السماء صُعُدا • » ان اجراءا ناجحا على هذا الأساس لن يفيد شيئا في باب مناهضة دعاوى الجمهوريات السوفيتية المتحدة بازاء الحكومة البريطانية وحلفائها !

وتولّى ، الان ، اللواء طومسن ، وهو من (الفرقة/١٤) امرة القطعات في فارس كلها • « بتعيينه » ــ على ما حرّر ال (جنرال مارشل) ــ اكتسب الوضع أحاسيسي الخاصة شبيهة بأحاسيس ال (جنرال مارشل) تماما • كان ال (جنرال طومسن) أحدث جميع قواد الفرق سنا ، كما وهبه الله ذهنا ثاقبا صافيا خارقا ، كما كان ، ابّان وجوده في (بلاد ما بين النهرين) توّاقا الى متابعة حقائق الوضع السياسي والوقوف على الطرائق التي تصطنعها (الادارة المدنية) والعنت الذي يجبهها • لقد أصبح فعلا (الضابط السياسي الرئيس) بقدر تعلق

---

(٣٧) راجع : Marshall (المؤلف)

وقيل ان هذا القرار صدر بناء على تقرير مفاده ان الاتراك والالمان كانوا متوجهين الى باكو ، فالهجوم العظيم على انكلترة قد خاب وفقد عديد من مناطيد زبلن بسبب عدم امكان الحصول على (زيت التزييت) ، من النوع الذي تحتاجه من رومانية (المؤلف) •

الأمر بمنطقة حركاته ، وعن سبيل الاتصال الشخصي الوثيق مع (الوزير البريطاني في طهران) ومعي ، في بغداد ، سرعان ما جعـل تفصيلات الادارة السياسية والقنصلية ترتكن الى أساس ركين مكين • وفي شخص المقدم سي• بي• ستوكس وجد المشير الكفء المجرب القدير بقدر تعلق الامر بالقضايا السياسية ، وقد استفاد منه الاستفادة الحسنة • وغدت أعماله جمّة : ذلك ان ال (انفلونزا) اجتاحت القطعات التي كانت بامرته ، كما سيطر عميد المـاء نوريس ، باسطول موائم ، على بحر قزوين سيطرة حقة • وكان ال (جنرال مالّيسون) ، قائد (النطاق الفارسي الشرقي) ــ ومقره في (مشهد) ــ يدير دفة حرب محلية في (مرو) ويصطنع لها جزءا من مفرزة الجنود (وحدة همشيرز) العاملة بأوامر ال (جنرال طومسن) في (كرازنو فودزك) •

وفي ال ١٩ من تشرين الثـاني قُدّر ل (الجنرال طومسن) ، مصحوبا بممثلي فرنسة والولايات المتحدة الامريكية وال (جنرال بيجار اكوف) ، دخول (باكو) بغية ضمان اخلائها من قبل الاتراك الذين كانوا بامرة (نوري باشا) وذلك بموجب شروط الهدنة • وامتدت تبعته فشملت (تفليس) أيضا حيث كان يحاول الكرج البلديون والارمن والروس ، البيض والحمر ، مع مؤيدي أحلام أنور باشـا في اقامة (اذربايجان الكبرى) الشاملة أقساما من تركيـة وفارس والقفقاس ، تنفيذ آراء الرئيس ويلسون في باب (تقرير المصير)[*]، على

(*) يلحظ ان « الحلفاء » ربحوا في سنة ١٩١٧ حليفا جـديدا بدخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب ، بجانبهم ، بازاء (الدول المركزية) ، لكنهم خسروا حليفا في (السنة) نفسها ، بقيام الثورة الشيوعية وقيامهم بمفاوضة المانية وعقدهم (الهدنة) معها في ٧ كانون الاول ، وتعثر أمر عقد (مفاوضات الصلح) بين (الدولتين) بسبب مطالبة المانيـة بالاحتفاظ بالاراضى التى احتلتها ، لكن الروس عقدوا (معاهدة الصلح) معها في (بريست ليتوفسك) في ٣ آيار ١٩١٨ •

واهتبل الرئيس ويلسون فرصة تعثر (المفاوضات) التى أشرنا اليهـا فأعلن في ال ٨ من كانون الثاني ١٩١٨ (نقـاطه ال ١٤) الشهيرة ، وكانت الغاية الحقيقية منها اغراء روسية على معاودة الحرب مع المانية ، بجانب (الحلفاء)، لكن ذلك كان أملا خائبا اذ باءت محاولته بالاخفاق •

[المترجم]

حين كان الطليان يفكرون جادّين بقبول الانتداب بغيـة تحقيق حكم أفضـل للمنطقة كلها • كانت دنيـا مصابة بالخَبَال ، فيها كان الرجل العامل في الميدان يجد أن من المستحيل ، في حالة انعدام أوامر صريحة من بلاده ، أو بالاحرى من (اوتيـل ماجستيك في باريس : Hotel Majestic) ، أن يتخذ مسلـكا مسدّدا • وعلى ذلك وضع الـ (جنرال طومسن) ـ كشأن قواته الموجودة عبر القفقاس وعبر قزوين ـ بامرة الـ (جنرال سر جورج منن) ، كما كانت أمور القوة ، من اليوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩١٩ حتى يوم سحبها في خاتمة المطاف ، تصرّف من القسطنطينية • وأيا كان الامر ، بقيت قوة فارس الشمالية ، ومقرها في قزوين بامرة بغداد • وما كانت هذه خاتمة قصة متاعبنا في بلاد ما بين النهرين ، المتاعب الناجمة عن التزاماتنا في فارس • ذلـك انه ، غبّ سنتين تقريبا ، كنا نملك من القوات المحاربة في فارس ، على الطريق الماد من انزبلي الى خانقين ، قوات تفوق عدّة القوات الموجودة في بلاد ما بين النهرين • وما أن ذاب الثلج في نهر الـ (فولكا) الا وجدنا أنفسنا ملتزمين بشن حرب ناشطة على بحر قزوين بازاء البلاشفة الذين أحاطوا بالحامية البريطانية في انزابلي[٣٨] وأسروها ، وكان ذلك خلال الاسبوع الاخير من أيار سنة ١٩٢٠ ، على حين كانت حامية باطوم مهددة بمصير مثله •

وعلى ذلك قررت (الوزارة) تحشيد قواتنا الكائنة في فارس الشمالية ـ الغربية في (قزوين) ، وعلى ذلك كان أول شغل شاغل لـ (القائد العام) يتواقت مع المتاعب المرتقبة التي لا معدى عنها والتي حدثت في الفرات الاوسط في صيف سنة ١٩٢٠[٣٩] ، على حين كان هو وضباطه الاركان الرئيسون غائبين في فارس •

---

(٣٨) راجع : Callwell (2) (المؤلف)

(٣٩) يريد (المؤلف) ـ تجاوز الله عن فرطاته ـ ثورة العراق الكبـرى المشرقة المشرفة التي اندلعت في حزيران سنة ١٩٢٠ • ومن المعلـوم انه كان موقدوها الحكام السياسيين البريطانيين ، وكثير منهم كان في غرّة الصبا وغفلة الحداثة • لقد كان اندلاع الثورة سببا من أسباب اقالة (المؤلف) من منصبه الخطير في العراق ، فلا معدى عن أن يكشف عن مطوى قلبه ومكنون صدره بشأنها ، فما اضمر أحد شيئا الا ظهرت في فلتات كتابته أو على لسانه •

[المترجم]

انه ضمان خط المواصلات الماد بين بغـــداد وكرمنشاه • ستعالج هذه الامور بتفصيل أكثر فيمحل آخر من هذا (الكتاب)، ويكفي أن نشير ، هاهنا، الى العرقلة التي سببتها التزاماتنا العسكرية في فارس لترتيبـــاتنا العسكرية في بلاد ما بين النهرين •

وشجّعت المغامرة الفارسية ـ القفقاسية ، التي كانت اغلبية (الوزارة) ، وعلى رأسها ال (لورد كرزن) ، تعلق أعظم أهمية عليها، الأقليات النصرانية في تركية والقفقاس وفارس الشمالية الغربية على توريط انفسها في صدام مع الاغلبية المسلحة فأسفر عن ذلك تجدّد المذابح ووقوعها في أغوار شقاء لا سبيل الى تصوّر ما هو عليه من رعب راعب •

ومهما تكن الحال ، لزاما علينا توكيد الحقيقة القائلة ان سياستنا في فارس والقفقاس ، وهي السياسة التي أسهبت في بيانها ، في الصفحات الماضيات ، الى حد ما ، كانت ، من البداية الى النهاية ، هي (سياسة لورد كرزن) وليست بسياسة (الوزارة) نفســـها • كان يعارضـــها رئيس أركان الانبراطورية (وان لم تكن معارضة دائبة دوما) ، شأنه كشأن مستر ادوين مونتاكو الذي كان يشغل منصب وزير الدولة لشؤون الهند ، عهد ذاك • وبصـدد آراء مستر ونستن جرجل نقول انه لم ينشر منها الا القليل • وفي مختتم كتابه الخالد الموسوم بـ (الازمة الكونية : The World Crisis) لا تجد اشارة الى الالتزامات البريطانية فيهذه المنطقة ، خلال العهد الذي يتناوله الكتاب المذكور ، ولعلّ ذلك عن عمد • ومهما يكن من أمر ، أظهر ال (لورد رونالدزهي) عمق الهوة بين رأي لورد كرزن ورأي مستر مونتاكو واختلافهما ، انه اختلاف يقول[٤٠] عنه : « خليقا بأن يطرح نفسه عندما كان يراد اتخاذ قرار بشأن قضايا السياسة البريطانية في آسية • »

كتب مستر مونتاكو ، في اليوم السادس من كانون الثاني سنة ١٩١٩ ، الى

---

(٤٠) راجع : Sir Henry Wilson's "Diaries" II, 222
« بينت ان خط : فلسطين ـ الموصل ـ خانقين ـ بروجرد هو الخط الممكن الفذ ، وعلينا تكييف سياستنا بموجبه » (المؤلف) •

لورد كرزن قائلا : « لا يمكنني ان اعتدّ سياسة (اللجنة الشرقية) ، بقدر تعلّق الأمر بفارس ، مرضية ، مالم تكن هناك محاولة أصيلة تُصبّ في سبيل استقرار وضعنا فيها فيرضى الفرس باعادة ثقتهم فينا وباعتدادنا نتوق الى مساعدتهم، لا الى الهيمنة عليهم • لقد حذّرت (اللجنة الشرقية) أكثر من مرة بصدد ما اعانيه من مصاعب ذوات خطر ، وما ساعانيه منها في قابل الايام ، أكثر فأكثر ، وبصدد الحصول على تبرعات من الموارد الهندية لتنفق في فارس • لن اقوم بمحاولة صادقة في المستقبل ان كانت السياسة غير متّفق عليها لا من قبل (وزارة الهند) ، ولا من قبل (الحكومة الهندية) •

كان (الرجلان) ينظران الى القضايا من وجهتي نظر مختلفتين متباعدتين ، كما كانا ، كقطبين متنائيين مزاجا ، وكان ممثلاهما ، على التوالي ، سر برسي كوكس ، في طهران ، وانا ، مساعد سر برسي فيما مضى ، ونائبه في بغداد حاليا • وليست سياستنا في فارس من أمري الا بقدر تفاعلاتها مع السياسة المتّبعة في بلاد ما بين النهرين • ولما كانت هذه التفاعلات تزداد وتتسع وجدت لزاما عليّ أن أعرض آرائي على مستر مونتاكو ، فما كان منه الاّ أن يجعلها ، مرة فمرة ، مادة تحذيراته ، لكن زملاءه في وزارة الخارجية ما كانوا بازائها غُلْف القلوب صُمّ المسامع ، الا قليلا • اما الـ (لورد كرزن) فتلقّاها بضجر مكشوف حقا •

كان وضع (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين) ، بالنسبة الى قضايا ايران سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، ذا عسر خاص • فمن جهة ، كان القيام بدور حاسم في بلاد الرافدين امرا جليا لازما دوما ، وان على نجاحنا فيه أو فشلنا يرتكن وضعنا في بلاد فارس الشمالية ـ الغربية[٤١] • هذا ، ومن الجهة الاخرى ، كان الهدف العام وجود عراق راض مطمئن ، لكن السياسة في

---

(٤١) راجع : General Haldane's despatch, 8.11.20.
Supplement to London Gazette 5.7."

(المؤلف)

فارس كانت تناهض ادراك الهدف هذا • ان خفضا كبيرا جرى في القوات العسكرية في بلاد ما بين النهرين ، خلال سنة **١٩١٦** ، فيسّر نشر ألوية السلام في هذه البلاد كثيرا • لكن السياسة كانت تقضي بابقاء قوات كبيرة في فارس ، لذلك اخرّت زوال الحكم العسكري في العراق • وبالنظر الى الصعوبات التي كنا نتخبّط فيها ، بسبب اخفاق الحلفاء في عقد صلح مع تركية ، تُعتّد معضلة ايران ثانوية الخطر ، لكنها ، اذ سبّبت صداما حادا بين رئيسي : (وزير الدولة لشؤون الهند) وبين (وزير الخارجية) ، جنحت الى أن تبعث في وطننا وفي شؤون بلاد ما بين النهرين وفارس انشطارا ثنائيا • انه ، على ما سأبيّنه بعد هذا ، هو السبب ، الى حد ما ، في الشلل الذي حدث عرضا ، مصادفة واتفاقا ، حين طلب الى الحكومة سنة **١٩١٩** اتخاذ قرار يتناول طبيعه الحكم الذى يجب ان يقام في ولايات : الموصل وبغداد والبصرة •

الفصل التاسع عشر

ابتعاث الموادر البلدية (المحلية) :
ونماء قوة الشرطة والمجندين العرب

ان استنبات البلاد كاستنبات الغابات ، سواء بسواء ، اذ عليك ان تاخذ خسارة ربح عشرين سنة بحسبان ، ثم ترقب ، عن ذلك ، في خاتمة المطاف ، عوضا .ذلك ان الشأن الرئيس ليس الا الاجهاز على أغلب النبت ، باعتداد ذلك أساس ربح عاجل يجنى في السنوات الاولى . لا تكدح ، تحت الارض ، أمدا طويلا ، ذلك ان الامل في العثور على مناجم أمر غير محقق فيها . ان ذلك يصيّر الزراع ، في امور اخرى ، كسالى »

بيكون في « النبات » .

توافق تولّي الـ (جنرال مارشل) القيادة العليا في بلاد ما بين النهرين ، وفي خضم الظروف التي وضّحت في (الفصل السابع عشر) ، من (كتابنا) هذا ، وتواقت مع عهد نماء (الادارة المحلية) في الاراضي المحتلة كلها . لقد كان عهداً سادته السلم عموما . ان السبل التي سرنا عليها ، كانت تُمليها اعتبارات من الضرورات العسكرية ، والحاجة السياسية اقلّ منها . ان ازدياد قوةجيش الاحتلال اطرادا ، وقلة النواقل ، برا وبحرا ، أدّى ، الى نجوم ضرورة ملجئة في باب ابتعاث كل مصدر من مصادر التموين للحاجات العسكرية تماما . وكانت المصادر البلدية التي يتوسم ابتعاثها على خمسة أنواع ، عموماً :

(١) القوة البشرية (٢) الوقود (٣) القوت (٤) البناء ومواد الطرق (٥) النقل المحلي ، وبضمن ذلك السفن النهرية وحيوانات الحمل .

القوة البشرية :

عولجت مشكلة تنظيم القوة البشرية المحلية بتعيين (مدير العمل) ،

باعتداده تابعا لدائرة (مدير الميرة العام) ، وبواسطة (ممثله) في كل مركز عسكري ، كان يُجنّد كل عامل بلدي ، من كل نمط ، لقاء اجور قياسية تطبق على كل درجة من درجات العمل ، الماهر منه وغير الماهر • بذلك ازيل التباري بين دائرة عسكرية وأخرى • واستطاع مساعد مدير الميرة العام : الـ (جنرال ستيورت ورتلي) ، عن سبيل تلكم الدائرة ، أن يفصل في أمر الضرورة النسبية الخاصة بمشاريع عديدة قائمة ، وأن يضمن ، في الوقت نفسه ، عدم سحب العمال من ميادين تشهد ساعات حرجة ، بكميات تلحق بانتاج مواد الطعام ضرراً فيكون ذلك عليها خطرا • وأدركت (دائرة العمل)، وهي بامرة العميد فروست، نجحا لا يبارى • ومكّن تأسيسها من الاستفادة من العمل البلدي على أتم وجه في المناطق الآهلة بالسكان وتخصيص فيالق العمال المنظمة الى مناطق لا يوجد فيها رجال ذوو كفاية جسمانية ، الا على الندرى •

وانفذت سبعة فيالق من العمال السجناء والحمالين خلال سنتي ١٩١٦ و١٩١٧ من قبل حكومة الهند [١] ، بامرة العقيد دبليو• بي• لين ، وهو من

---

(١) تم تشكيلها بموجب البيان الصادر من (دائرة الشؤون الداخلية لحكومة الهند) ، في تشرين الاول سنة ١٩١٦ ، واليك نص البيان :

« اجريت قبل حين تجربة ممتعة في باب تمكين المساجين ، حسني السلوك ، قصيري مدد (الاحكام الصادرة بحقهم) في سجون الهند من فرصة استشعار الندم Locus Penitentiae وذلك عن طريق الغاء (أحكامهم) بشروط استخدامهم كعمال في بلاد ما بين النهرين • لقد نجحت التجربة ، فتقرر الان توسيعها كثيرا • ان القرار مفيد لانه يقلل من الطلب على العمال « الاحرار » ، وهو ، بالنظر الى موسم الرياح الموسمية الحسن ، على غير الوجه المعتاد ، شديد في الهند ، على اكثر من الوجه المعتاد ايضا • ان الشروط جلبت اعدادا كبيرة من المتطوعين من طبقة مساجين افضل ، نزلاء السجون الهندية • لقد درست أحوالهم من قبل السلطات المحلية بعناية واسفرت عن ن فرقا متعددة من العمال والحمالين هى الان بسبيل التشكيل على الوجه المبين ، ومن المحتمل ان يؤلف غيرها ان مست الضرورة الى ذلك • آن تشكيل هذه الفيالق يجرى على غرار تشكيل فيالق العمال « الطلقاء » المستخدمة في بلاد ما بين النهرين حاليا ، والفارق الرئيس بين الصنفين هو انضباط المراتب الهندية هم من الاحراس الذين عرفتهم هذه المراتب وممن تطوعوا لهذا القصد أيضا •• ان المراتب مسجلون

أرهف مَنْ عرفت من الناس حسّا وأطرى جوانح، وقُدّر لي أن ألقاهم طرّا .
لقد اطلق عليهم اسم « فيلق العمال العسكريين الخاضعين للضبط والربط » اصلا ، لكن اسم « فيلق السجن » بقي واطّرد ، وما كان من شيء يستطاع غير قبول الاسم الذي شاع وذاع ، والارتفاع عنه . وثبت صلاح الفيلق للعمل كشأن صلاح « الفيلق الحر » ان لم يكن افضل منه . واستجاب العمال ، عموما ، لدى سنوح الفرصة، للحوافز، ومنها الأجر المنظّم والاعفاء مما تبقّى من مدة (الحكم)، لدى انتهاء مدة واجبهم في بلاد ما بين النهرين ، وهي سنتان ، أمد الحرب نفسها ، وكان ذلك بالنسبة للاغلب الاعم منهم .

ومن انتهت مدة (حكمهم) ، وهم في الميدان يعملون ، نقلوا الى السرايا « الحرة » الملحقة بالفيلق الاصلي ، وبذلك بقوا تحت اشراف ضباطهم ، وزيدت اجورهم . وكان معدل انتاج « فيلق السجن » نحو ٢٠ بالمئة ، وهو افضل من انتــاج الفيلق « الحر » . وعلى الرغم من ان المجرمين بالعادة كانوا يثيرون الصعاب ، بين الفينة والفينة ، بسبب من التنظيم الاخرق المسبّب عن العسر الذي يجيء به ضغط الحرب ، فلا يمكن تهيئة النمط الصالح من احراس السجن وضباطه ، لكن سجل هذه (الفيالق) يبرر تبريراً تاماً القرار المتخذ في الافادة منهم في بلاد ما بين النهرين ، ويوحي بأن شيئا ما يمكن القيام به على هذا الاساس

ومقرون من (الاتباع) وهم يلبسون الملابس ويجهزون بالتجهيزات على ما يلبس ويجهز أفراد فيالق الحمالين والعمال « الطلقاء » تمــاما . ولسبب لا يخفى ، يختلف أمر الضبط والربط المفروض عليهم عما هو عليه بالنسبة لفرق العمال الطلقاء . ستستخدم الفيالق في تحميل السفن النهرية والبحرية وتفريغها ، وفي تكديس مواد المخازن وفي انشاء الطرق والاكواخ، وما شابه ذلك. ومن الطبيعي ان ليس في النية استخدامهم قرب خط النار . ستناط شوءون الفيالق الادارية بالمقدم (لين) وهو مفتش سجون عام خبير . ومما لا ريب فيــه ان نتيجـة التجربة هذه سترقب باهتمام بالغ ، سواء في البلاد هذه أم في غيرها » .
(الموءلف)

في أيام السلم ، وليس ذلك في الهند حصرا[٢] •

وباستثناء (فيالق السجن) ، وعدتها نحو ٨٠٠٠ من المساجين ، فهناك نحو ١٥ فيلقا من فيالق العمل الهندية ، عدة كل منها ١٠٠٠ ، و ١٢ فيلقا من فيالق الحمالين الهندية، تُستخدم في شحن السفن والجنائب والقطارات وتفريغها ، الى ٤٠ فيلقا من فيالق العمل البلدية ، بضمنها وحدات من العرب والاكراد والفرس — وعدتها ٧١٠٠٠ من العمال جميعا — ويستثنى منها العمال المحليون غير المنظمين وعدتهم ٥٠٠٠٠ تقريبا ، وتم تنظيم اسرى الحرب اللائقين بدنيا في خمسة فيالق ، تنضاف اليهم قوة تابعة الى (دائرة أفواج العمال) الذين جيىء بهم من (موريشيوس) و (سيراليون) ، وفيلق من البستانيين جيىء بآحاده من مدراس وفيلق من المساجين العسكريين القائمين بواجب خدمة الخيول والبغال في (القاعدة) •

واجُنّد فيلقا العمل الاولان من ال (بنجاب) للخدمة في (غاليبولي) • وجاء الاول منهما رأساء والثاني من مصر مرورا • وعندما قلنا هل من مزيد؟ منعت الهند التجنيد في ال (بنجاب) وكان ذلك المنع سديدا ، اذ انه السبب في نضوب معين المقاتلة فيها • وبذلت جهود لابتعاث الرغبة والحصول على المجندين في كل (اقليم) و (رآسة) ، فلم تدرك نُجحا ما ، حتى صار الامر الى شعب ال (سونثالي) الذي لا يعدم مزايا ، وان كان في العمل الذي يتطلب ذكاء ، لا فائدة من ورائه ولا جدوى • ان الذي كنا بحاجة اليه لا يعدو فيالق فيها نسبة طيبة من العمال (كالبنائين والحدادين والنجارين الخ) الى بقية من العمال الاذكياء الذين توجد من طرازهم آلاف في كل اقليم • ولم تفرض هيأة أركان الجيش في بلاد ما بين النهرين قيوداً صارمة ، ذلك انها كانت على استعداد لقبول كل منظومة تجود عليها بالرجال وتضمن ان لا يقوموا بالعمل تحت وابل من نار • وكان المعاش ، كشأن شروط الخدمة ، أكثر ما يكون سخاء •

---

(٢) بصدد هذا نوجه انتباه القارىء الى •
Colonel Lane's (Summary)
وراجع ايضا الفصل الموسوم ب « الوضع العسكري في سنة ١٩٢٠ » من هذا الكتاب • (الموءلف)

ولو كان نصف فيلق العمال المرسل من قبل الهند في سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ ميسورا ، في سنة ١٩١٥-١٩١٧ لجُنِّبت القطعات العاملة في بلاد ما بين النهرين كثيرا من الشقاء الذي كتب عليها معــاناته بلا ضرورة الى كثير من التحشّد الشديد في وسائط النقل الذي شهدته (القاعدة) وعلى خطوط المواصلات الذي عرقل كل حركة عسكرية •

ان السبات الذي اطبق على حكومة الهند في مطلع الحرب كان ذا اثر قوي ، بقدر تعلّق الامر بتجهيز فيالق العمال لبلاد ما بين النهرين ، على وجه لا يباريه سبات في أي اتجاه آخر • وما كانت هناك من طلبات عسكرية متصادمة تتطلب التوفيق بينها ، وما كان ثمة جهاز يراد اعداده ولا يمكن الحصول عليه بكمية غير محدودة • كنا ، في بلاد ما بين النهرين ، بأمس الحاجة الى العمال لمقاصد تتعلّق بالحرب رأسا ، على حين كان في الامكان تيسير واجب آحاد قواتنا المحاربة ، وبضمنهم نسبة كبيرة من الهند ، وازالة متاعبهم ، وزيادة كفايتهم القتالية • كانت فرصة عظيمة للهند سانحة ، ذلك ان كان فيها ملايين من الرجال غير اللائقين للخدمة القتالية ، وكان في مكنتها أن تحظى بنصيب أكبر في ميدان حرب وتساعد ، في الوقت نفسه ، الجيش الهندي • كانت الهند ، لكل حسبان ، تتضرّم شوقا الى الحصول على فرصة كهذه ، ومع ذلك كله كان اول من مثّلها في صفوف العمــال الهنود حتى سنة ١٩١٧ ، قبائل الغــابات من امثــال ال (سونثالي) ، ثم مثّلها المحكومون من أبنائها •

والحق سر جون هيويت بكتابه الموسوم : (انطباعات : Impressions) - المنشور سنة ١٩٢٠ - مذكرة ذات خطر دبجتها يراعة ال (جنرال فروست) بشأن قضية العمال في بلاد ما بين النهرين ، خلال الحرب وفيما بعدها • ومن بين جداول أخرى ثمة سلسلة من الاحصائيات المقارنة تتصل بالكفاية النسبية للعمال ، على اختلاف جنسياتهم ، الموجودين في (القاعدة) ، العاملين في ميادين شتى • ويأتي في رأس (القائمة) اسرى الحرب يليهم العمال الفرس فالعمال الهنود والصينيون • ولا مجال للاختيار بين هذه الصنوف الثلاثة الا قليلا •

ولم يستخدم العرب في حمل الاثقال الشداد أبدا ، ذلك ان قد ثبت انهم ليسوا لمثل هذا الواجب كفاة أبدا • وتتجلّى النتيجة بوضوح ، وذلك بقدر تعلّق الامر بالاثر المادي لطقس حار ، في اصلب الشعوب عودا •

وجرت محاولة لاستثمار راسب،سُمّي بالفحم،موجود في (كفري)، لمقاصد عسكرية • لقد كان استعمال هذا الراسب ، على وجه موسّع ، من قبل الاتراك قبل الاستيلاء على بغداد ، وباعتداده وقيداً لسكة حديد بغداد ــ سامرا ولسفنهم التجارية التي كانت تعتمد على الفحم المستورد ، عبر البصرة ، قبلا •

حقا ، لقد مدّوا سكة (ديكوفيل : Decauville) من كفري الى نهر دجلة لهذه الغاية وزادوا من انتاج المنجم من الرقم الذي عرفته أيام ما قبل الحرب ، واعني به ١٥٠ طنا سنويا ، الى الف طن وزيادة • وفي سبيل ذلك حفروا حفرة مفتوحة ، عميقة الغور جدا ، وكانت ، ابّان بلوغنا (كفري) ، مملوءة بالماء جدا • وفحص الراسب نيابة عن (المقرّ العام) في حزيران سنة **١٩١٨** وكان ذلك على يد جيولوجي يعمل في شركة النفط الانكليزية ــ الفارسية • لقد أظهر تقريره ان ليس هناك من شيء يُحصل عليه ، ان أُريد استثمار المنجم • فهذا الذي سُمّي « فحماً » يحتوي على قار صلب (مانحاك) وقيمته (الكالورية) في الحضيض الأوهد ، وكمياته التي لاتزال ميسورة ضئيلة الاهمية • وعلى ذلك نبذت الفكرة وركّزت الجهود على زيادة تجهيزات وقيد الزيت ، شأنه كشأن ال (كيروسين) وال (بترول) من عبادان[٣] •

---

(٣) ان الارقام التى تلى السطر تظهر التنوع السريع في هـذا الاتجاه ، خلال (الحملة) :

نقليات مخازن الفحم المحلية (السفن البحـرية والنهـرية) في عبادان بالاطنـــان :

١٩١٤ : لاشيء ، ١٩١٥ : ١٫٣٠٠ ، ١٩١٦ : ١٥٠٠

١٩١٧ : ٣٨٠٠ ، ١٩١٨ : ١٧٧٠٠

	١٩١٤	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧	١٩١٨
البترول	٣	١٠٠	١٤٠٠	٤٦٠٠	١٨٧٠٠
الكيروسين	٤٠٠	١٦٠٠	٣٩٠٠	٨٦٠٠	١٥٠٠٠
زيت الوقود		٧٨٠٠	١٠١٠٠	٦٠٠٠٠	١١١٦٠٠

(المؤلف)

ما كانت بلاد ، ما بين النهرين ، بطبيعة الحال ، هي المنفذ الفذ ، أو حتى الرئيس ، لمنتجات حقول النفط الفارسية • وازدادت طلبات (وزارة البحرية) ، خلال الحرب ، باطراد ، وألقت تبعات جسيمة، لا على (شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية) حسب ، بل على (جيش الاحتلال) و (الادارة المدنية) أيضا • كان على (الشركة) أن تشتري ، بأسعار الحرب ، آلاف الاطنان من الجوابي والمكاين ، وأن تؤمّن على شحنها في وقت لم يكن النقل بالسفن مسيطرا عليه سيطرة دقيقة فحسب ، لكنه كان نادراً ، الى ابعد مدى ، أيضا • وعلى الرغم من هذا ازدادت قدرة مصفى عبادان خـــلال الحرب[٤] ، خمس مرات ، في أوضاع عسيرة قد تكون معدومة النظير ، بالنسبة الى أي مشروع مشابه قائم في مكان آخر • وقد أُثني الثناء الأجزل على الخدمات التي أسدتها صناعة النفط بعامة ، في ال (برلمان) وفي غيره ، وجاء ذلك على لسان كل من (لوردكرزن) و (لورد لونك) وغيرهما • ويندّ عن الغلو ذكرُ الخدمات التي جاد بها رئيس شركة النفط البريطانية الفارسية : مستر جارلس كرينوي (وقد سما به سلم الرتب بعد ذلك فأصبح لورد كرينوى من النبلاء الاستانبريدجيين) ، وزملاؤه ، على(المادة)التي كانت حمايتها احدى الواجبات الرئيسة التي نيطت بالقوة المرسلةالى البصرة سنة ١٩١٤ ـ وعُدّت في سنة ١٩١٧ قوام حياة حماتها •

وما كانت مصادر عبادان لتنوء بواجبها المشروع الممثّل بتجهيز البترول

---

(٤) عبادان : كميات النفط الخام التي جرت تصفيتها (بملايين الغالونات)

نيسان ١٩١٣ ـ أذار ١٩١٤	٣٨
نيسان ١٩١٤ ـ أذار ١٩١٥	٧٢
نيسان ١٩١٣ ـ أذار ١٩١٤	٧٨
نيسان ١٩١٥ ـ أذار ١٩١٦	٦٥(*)
نيسان ١٩١٦ ـ أذار ١٩١٧	١٣٣
نيسان ١٩١٧ ـ أذار ١٩١٨	٢٢٨
نيسان ١٩١٨ ـ أذار ١٩١٩	٢٦١
نيسان ١٩١٩ ـ أذار ١٩٢٠	٣٠٥

(*) هذا الخفض مسبب عن قطع خط الانابيب على يد العدو •

(المؤلف)

والكيروسين وزيت الوقيد للحاجات العسكرية حسب • ففي خلال السنوات ١٩١٤ - ١٩١٦ القت السلطات العسكرية حملا تنوء تحت وقعه الرواسي ، تقريبا ، قوامه عمل هندسي مختلف ، واثقل عواتق مهندسي الشركة • وجاءت ، و (القوة الاستكشافية) الاصلية ، مجموعة متباينة من السفن الصغيرة ، كان لزاما ان يُصيَّر جلّها على حال من العمل الجاري ويجهّز بما يلزم في عبادان قبل استخدامها • وضعت دروع المدافع وزوّدت بها (البحرية الملكية) للاستفادة منها في القوارب التجارية النهرية •

وتمت السيطرة على السفن الجرّارة والعوّامات المستخدمة في عبادان تلبية للحاجات العسكرية الفاجئة ، كانزال المدافع الضخمة وقاطرات السكة الحديد • وكان الطلب ينهال على مهندسي المصافي دؤوبا ، ذلك انهم كانوا يُستدعون الى البصرة ليسدوا ، في باب «تجفيت» مكاين الطائرات ، عونا •• وتراءى ، خلال سنة ١٩١٦ ، أن ليس في مكنة أي قارب بخاري سريع الجرية في النهر ، أن يعمل ، من غير اشرافهم ، طويلا •

وزيادة في المشكلات دقيقات المخرج التي كانت تعانيها (الشركة) طُلب اليها أن تبني ، تحت اشراف (السادة مهندسي يارّو) ، ما لا يقل عن ١٢ زورقا حربيا من الزوارق ذوات الغاطس القليل • ولقد ارسلت هذه من لندن ، قطعا وأوصالا ، كي يجري تجميعها على شاطي الطين الامامي لشط العرب[٥] • كانت الباخرة الحربية الملكية (فاير فلاي) ، المدوّنة مغامراتها في (كتابنا) هذا ، أول هاته السفن • لقد اكمل بناؤها خلال شهر تشرين الأول سنة ١٩١٥ وغادرت

---

(٥) يشير كوبرت Cobburt الى هذه الزوارق الحربية اذ يقول : « في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، عندما عاد لورد فيشر الى وزارة البحرية اطلق يد السادة يارو في باب تصميم وبناء ٢٤ من الزوارق البخارية ١٢ منها صغيرة عرفت باسم (صنف فلاي) للافادة منها في دجلة و ١٢ اكبر منها سميت باسماء حشرات للعمل في الدانوب • وما ان تم بناء الصغيرة الا شحنت قطعا واوصالا الى خليج فارس ، وكانت كل واحدة منها تحمل مدفعا من عيار ٤ عقدة ومدفعا من عيار ١٢ باونا وآخر من عيار ٦ باونات ومدفعا من عيار باونين (بوم بوم) و ٤ رشاشات مكسيم • ان الغاية منها اصلا هي الاستفادة منها في أعمال شرطية وما كانت دروعها تقي الاطلاقات •• » [المؤلف]

البصرة الى (الجبهة) في اليوم الثاني من تشرين الثاني فوصلت (العزيزية) في اليوم التاسع منه ، أي في وقت تمكنت فيه من المشاركة في الزحف المصيري الاول تلقاء بغداد • واثر طوائح جمّة عادت الى عبادان بعد ان قامت بدور سليم باعتدادها من طائفات تقذف النار !

والقى بناء هاته السفن ثقلا ، يكاد لا يُحتَمل ، على عاتق موظفي المصفى • لقد كانت أيديهم قصيرة ، ذلك ان قد كان من العسير جداً تجنيد المهندسين الكفاة للاعمال التجارية في الخارج ، على حين كانت الاعصاب جميعاً متوترة في الداخل بسبب الرغبة في تضخيم (جيش كچنر) ، أو الحصول على عمال مدنيين كُفاة في الهند للعمل في منطقة كانت تُعتّد عموما « منطقة حرب » وان لم يكن ذلكم الاعتداد من غير سبب سليم • وكان الحصول على المعمل والادوات الاضافية عسيراً ما بعده من اعسار • وأخيرا ، فقدت مخططات بناء عدد من الزوارق الحربية ابان نقلها ، ومرد ذلك الى الاهمال ، ولم يُحصل عليها ثانية الا عن سبيل الصدفة الحسنة ، حيث كانت في حـــوزة ناقلة عسكرية جـــرت بين (تيلبري) و (البصرة) مرتين• وكان شاطيء عبادان الامامي، طوال أشهر، مزروعا بالاجـــزاء المكوّنة لتلكم السفن ، ذلك ان وسائل التصرّف بها كانت معـــدومة كليـــا •

ليس هناك من الشك الا القليل في ان قرار (وزارة البحرية) القاضي بترك بناء هاته الزوارق الحربية الى شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية ، يعاونها على ذلك ناظر البحرية مستر كرانت[٦] ، كان خطلا في التقدير • وعلى الرغم من تركيز جهود وموارد مهندسي (معمل المصفى) وهيأة البناء فيه ، سواء أكانوا بريطانيين أم هنودا ، في هذا العمل خلال سنة ١٩١٥ و١٩١٦ كلا ، وسنة ١٩١٧ جزءاً ، فلقد كان ذلك على حساب أمور أخرى لا تقل عنه اعجالا ، كما كان في الامكان انجاز العمل بأسرع مما انجز لو اوفدت (وزارة البحر) أو (حكومة الهند) هيأة خاصة من العمال ، مزوّدة بالمكاين والآلات اللازمة ، من انكلترة

---

(٦) راجع رسالة سر پرسى ليك المؤرخة في ١٩١١/٤/٣٠ •
(المؤلف)

أو الهند رأسا • ولو وجدت منظومة كهذه من سنة ١٩١٥ فصاعدا لكانت لا تثمن أبدا وذلك بالنسبة لبناء الجنائب والبواخر النهرية ، اذ لم تُعدّ لها العدّة حقا الى حلول سنة ١٩١٧ • وقامت (دائرة النقل المائي الداخلي) بواجبها على أحسن وجه يرتجى • ان انجاز هذا القدر ، في ظروف عسيرة كهذه ، ليعكس الفضل الكبير الذي اسداه (المدير العام : مستر سي• أ• ولپول) والمولج بتصريف شؤون المصفى (مستر آر• جي• نيلسون)[٧] ، ومساعدوه السادة : جي• طومسن وال• اف• بين ، و آر• آر• ديفيدسن ، وغيرهم كثير •

وازدادت صعاب شركةالنفط الانكليزية ـ الفارسية ، فيسنة ١٩١٧ ، أكثر، ومرد ذلك الى أن كثيراً من موظفيها رفضوا تجديد عقودهم وأصرّوا على العودة الى بلادهم لادّاء الخدمة العسكرية البرية والبحرية • ان حوافز اولئك الرجال تستحق الثناء ، انه الشعور الوطني الطبيعي ، تنضاف اليه الرغبة في لقيا ذوي قرباهم وصدقانهم ، وقد كانوا في معزل عنهم منذ اندلعت نار الحرب وتعـالى لهبها • وكان كثير منهم بالعمل مرهقا ، وما كان عدد الذين يعانون من وقع الكدّ الكادّ قليلا ، في طقس أشدّ ما يكون ارهاقا • كان الوضع على أشدّ ما يكون اعسارا • وما كانت لحكومة وطنية صلاحيات قانونية تمارسها في فارس أبدا ، على غرار الصلاحيات التي كانت تمارسها بموجب قوانين الدفاع المعمول بهـا في (المملكة المتّحدة) حقا • كما لم يكن (القائد العام في بلاد ما بين النهرين) قـادرا على أن يمـارس في (الاراضي المحتلـة) الصلاحيات المخـوّلة لـه بموجب (القانون العسكري) بالنسبة للمدنيين البريطانيين والهنود الموجودين في فارس أيضاً • وما كان ال (جنرال مود) ـ وهو من افصح علنا ، مراراً وتكراراً ، عن تقديره للخدمات التي اسدتها (الشركة) واسداها موظفوها الى (القوة) ـ على استعداد للضغط ، المباشر وغير المباشر ، على الاشخاص في حالات كهذه • وقال في معرض مناقشة جرت في الموضوع : « يجب أن يُجعل كل

---

(٧) وبالنظر لخدماتهما المسداة الى (القوة الاستكشافية) منح مستر نيلسون وسام .C.B.E ومستر ولبول وسام .O.B.E •

(المؤلف)

شيء ، ان مست الضرورة ، وكل رجل في (الشركة) مرتديا البزة العسكرية ويصيرها (دائرة عسكرية) • وكانت هيأة أركانه على استعداد ، تواقة لحل كهذا ، ومن نافلة القول أن نبين ان الأخذ به كان يخلق مشكلات أكثر ، بدلا من حل المشكلات القائمة • ذلك انه لا يفضي الى امتعاض الحكومة الفارسية ، وامتعاض الموظفين الفارسين ، وعدتهم ٢٥٠٠٠ ، وهم الذين يقع العبء على عاتقهم في خاتمة المطاف ، فحسب ، لكنه يورط (منظومة الشركة) المعقدة ذات الكفاية ، في فارس ولندن على حد سواء ، في مسعى اداة ادارية صممت لمقاصد مختلفة جدا • وأخيرا وجد الحل فكان ، على حد سواء ، يسيرا وحقا • لقد اصدر سر برسي كوكس في آب سنة ١٩١٧ ، باعتداده القنصل العام ، وبموجب قانون السواحل والجزر الفارسية « نظام معمل العتاد في عبادان » وفيه اعلن : انه لما كان تصريف أعمال (الشركة) في فارس ، على الوجه السليم ، أمرا ذا خطر وطني لذا لن يسمح لاي موظف فيها بترك خدمتها ، وان كان عقده معها منتهيا ، وذلك بلا موافقة (القنصل العام) التحريرية • ولقد قام هذا ، في الوقت نفسه ، بتحديد معاشات كل بريطاني الرعوية ، يعمل في (الشركة) ، ابتداء من تأريخ انتهاء العقود الحالية • كان لهذا (النظام الملكي)[٨] ، الذي صودق عليه من قبل (وزير الدولة للشؤون الخارجية) بالطرق الاصولية ، الاثر المرتجى ، ذلك ان الموظفين ، باستثناء قلة لا يؤبه بها ، اطمأنوا الى هذا الاعتراف الرسمي بخطر العمل الوطني الذي يستخدمون لانجازه ودأبوا على القيام بواجباتهم المرهقة يحدوهم على ذلك روح ولاء •

لقد علموا ان القيام باود (القوة الاستكشافية) والخدمات الحربية الاخرى في الميدان قد يتعرض الى الخطر الجسيم ان تعرقل استخراج منتجات البترول على وجه متزايد مطرد ، لذلك لم يدخروا وسعا ولم يحجموا ولم يضنوا بأي تضحية وتفدية في سبيل ضمان اداء واجبهم مهما حدث (ومن يلزمه العمل تلزمه التضحية) • بهذه الروح تعرض (روبرت لندسى) وتعرض (جيمس

---

(٨) راجع (الملحق) الخاص به في هذا الكتاب •

(المؤلف)

ستيل) الى خطر موت محقّق لدى وقوع حادث ذي خطر ، في تموز سنة١٩١٧، وشهدته محطة ضخ النفط في (تمبي) • نشرت الرواية الرسمية التي تقص بطولة روبرت لندسي، وقد كلفته حياته ووافاه بسببها حمامه، في عدد (لندن غازيت) الصادر يوم ال ٢٣ من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واليك ذلك نصا :

« سُرَّ الملك من منح نوط البرت الذهب اعترافا بالشجاعة الفائقة التي أبداها مستر روبرت لندسي ، ناظر محطة ضخ النفط في تمبي ، التابعة الى شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية ، وكان ذلك يوم التهمت النيران ، في تموز الماضي ، جزءا من المحطة المذكورة ، ومن منح مستر جيمس ستيل ، مساعده ، أيضا ، على ما أبداه من بسالة واخلاص للعمل ، في المناسبة نفسها • »

ففي اليوم التاسع من تموز انفجر صمّام من صمامات خط أنابيب النفط في محطة تمبي العائدة الى شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية • وكان الضغط عند هذه النقطة عينها ٧٠٠ ليبرة على العقدة المربعة ، لذا تصاعد النفط بشكل نافورة عظيمة وانتشر في جميع الجهات وتعالى • لقد حدث الانفجار المذكور ضمن ثلاثين ياردة من افران المراجل المفتوحة المتّقدة ، وكان من الواضح الجلي ان نارا كاسحة مدمرة توشك أن تندلع في ثوان معدودات ، لتشمل المحطة كلها وما يتصل بها ، حيث يسكن ٣٠٠ من الاهلين تقريبا •

وكانت الوسيلة الوحيدة لتفادي الكارثة هي تحويل زيت الوقود عن الافران فاطفاؤها وايقاف المضخات عن العمل وبذلك يقطع دفق الزيت •

« وكان مستر لندسي قرب الافران ، وليس بدٌّ من اختراق الزيت المنهمر ، كأفواه القرب ، ان اريد الوصول اليها ، وعندها يكون المرء بالزيت مشبعا ، عند أبواب تلكم الافران انفسها • ويعني القيام بمثل هذا : الموت الزؤام حقا • لكن مستر لندسي لم يكن خوّاراً متردّدا ، يقدِّم رجلا ويؤخّر اخرى • لقد صرخ مناديا (مساعده مستر ستيل) طالبا اليه قطع المضخات ، ثم اندفع فاخترق الزيت ووفّق الى تسكير[٩] أول حنفية من حنفياته ، والجو ، بألسنة

(٩) سكّر بمعنى سدّ ، ويقال سكّر النهر أى سدّ فاهه •

اللهب يتراقص • وانسحب بعد هذا ، لكنه لقى حتفه من جراء ما لحقه من ضرّ ، بعد سويعات (ورب مصاب ينجلي عن مصائب) •

واستطاع مستر ستل ، في الوقت نفسه ، ان يسدّ معظم المضخات لدى حدوث أول انفلاق • كان في معزل عن جميع الابواب ، لكنه استطاع النجاة من نافذة ، وهو فاقد الحس من اثر الوديقة واليحموم[10] • ثم انه سعى باحثا عن مستر لندسي ، فعثر عليه ، وما أن نقله الا عـاد ليبذل ما في وسـعه في سبيل تحديد الضرر الذي لا معدى عنه • حمداً لجهوده وشكرانا ، ذلك ان دار ضخ جديدة تمّ انقاذها بفضلها • »

لا معدى عن ان يضاف الى هذا جميعا : انني سمعت بهذه الفعال المجيدة الباسلة صدفة ، ابان زيارتي حقول النفط ، اثر أيام قليلة (راجع الفصل ١٦ من الجزء الاول) من (كتابي) هذا • وشعرت أن اعترافا رسميا بها أمر مطلوب يراد ، لذلك دونّت الشهادات اللازمة ، واثر أسابيع قليلة ، قدّمتها ، بواسطة سر جي• ماكمن ، الى (وزارة الداخلية) •

ما كانت السلطات ، في الهند والمملكة المتحدة على حد سواء ، مدركـة الاقتصاد العظيم في الشحن البحري عبر المحيطات ، وفي الموظفين ، في حالة تكييف السفن النهرية في بلاد ما بين النهرين بحيث تتخذّ الزيت ، بدلا من الفحم ، للمراجل وقيدا ، وفي ايلول سنة ١٩١٦ كان يفرّغ ما معدّله ٨٠٠٠ من الاطنان ، في الاقل • وكان ذلك يتم على يد (اسطول ساحل الصين) ، وبواخره جرت السيطرة عليها لهذا القصد خصيصا • كما كان معدل استهلاك الفحم الشهري ، خلال سنة ١٩١٨ ، (٢٥٫٦٦٥) من الاطنان ، يقابله استهلاك شهري لزيت الوقيد لا يزيد على ٩٥٠٠ طن[11] • طبيعي أن تكون نسبة كبيرة من ذلكم (المجموع) لازمة لازية لملء خزانات البواخر ، عابرات المحيطات ،

---

(١٠) اى (شدة الحرارة) و (الدخان) ، على التوالي •

(١١) راجع : Hall, p. 248 وانظر ص ١٥٠ منه • ان اشـــارات المقدم جوشيا وود الى (الموضوع) في مجلس العموم واردة جدا •
راجع (Debates, H.C. 23.7.18) [المؤلف]

لكن الذي حدث ، في وقت متأخر من سنة ١٩١٨ ، هو ان (٢٠٠) سفينة كانت تزوّد بالفحم في العمارة شهريا ، يقابلها ١٣٠ سفينة كانت تزوّد بزيت الوقيد • وفي كوت الامارة ، سنة ١٩١٨ ، كان يزودّ ما مقداره ٤٩٥٠ من أطنان الفحم ، بازاء ٢٠٠٠ من أطنان زيت الوقيد شهريا •

وكان الفحم يجلب من البنغال أيضا ، وكان من نوع رديىء ، نجس الاسم ، جدا • وكان لزاما أن يؤتى به ، عبر الهند ، الى بمبي ، جميعا ، ثم يعانى من جراء شحن السفن به كثيراً • انها سفن لم تصمّم الا لنقل حمل يختلف عنه كثيراً • ولا معدى عن أن تكون نسبة الفقدان الناجم عن النقل من المنجم الى المخزن الكائن ، بالنسبة الى النهر ، صعداً : ١٠ بالمئة في الاقل • وبالنسبة للسعر أيضا ، كان زيت الوقيد ، خلال الحملة كلها ، أرخص من الفحم كثيرا • ولو سير بخطوات أكثر نشاطا ، في الهند وفي انكلترة على حد سواء ، تلقاء استبدال زيت الوقيد بالفحم في السفن النهرية كلها ، لكان التوفير الشهري ، سنة ١٩١٦ ، ٤٠٠٠ من الاطنان ، ولارتفع هذا الرقم الى نحو ١٠٠٠٠ من الاطنان في سنة ١٩١٨ ، وذلك الى ما يعقبه من اقتصاد في العمل ، على ظهر السفينة وعلى السيف ، سواء بسواء •لقد تطلب التصرف بـ ٢٥٠٠٠ من أطنان الفحم شهريا ، من غير أدوات عصرية ، في البصرة ، أولا ، وفي المخازن الكائنة في البلاد صعدا ، ثانيا ، وعلى خمسة تصاريف معزولة ، استخدام قوة من العمال مطـــرّدة العمل ، عدّتهـــا ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ ، وذلك باستثناء الوقّادين •

ولما كانت (سكك حديد بلاد ما بين النهرين) بطيئة بطء (دائرة النقل المائي الداخلي) في باب استبدال الفحم بزيت الوقيد ، عى ان قد كان في الامكان ، أن يصنع ، ها هنا ، أكثر مما صنع حقا •

يسجّل (التأريخ الرسمي)[١٢] ان الفحم ، في حزيران من سنة ١٩١٨ ، استبدل بزيت الوقيد على السكك الحديد وبذلك وفرّ نحو ١٢٥٠٠٠ من أطنان الشحن سنويا •

---

(١٢) الجزء ٤ ص ١٧٤ • (المؤلف) •

لقد كان التأخير في عملية التبديل امراً عجبا ، ذلك ان سكتين من سكك حديد الهند ، ولكل واحدة منهما نهاية خط ، عند كراجي وعند بمبي على التتابع ، كانتا تستهلكان أطنانا كثيرة من زيت الوقيد ، خلال الحرب ، هذا وان ما كان يُسلّم منه في عبادان هو ٣٠٠١٠٠ من الاطنان تقريبا • « ان الحلفاء » ـ على ما قال كرزن ـ « (وهم غير آبهين لخطورة الامر على التخصيص) ـ « طافوا تلقاء النصر على موجة من زيت » • لقد أخفقنا في (بلاد مابين النهرين) اذ لم نستفد من ذلك ، على أفضل وجه ، أعني من أعظم مواردنا البلدية (المحلية) طرّا •

وفي آب ، سنة ١٩١٩ ، قررت (وزارة الحرب) ، اثر مشاورة مع (وزارة البحر) أن تطلب من (شركة النفط الفارسية ـ البريطانية) ارسال (معمل تصفية) صغير الى بغداد لمعالجة الزيت الخام الآتي من حقل (نفط خانه) ـ قرب مندلي ـ وكانت للشركة فيه حقوق ، منحتها لها الحكومة التركية قبل الحرب(١٣) ، بنتيجة تعيين الحد التركي ـ الفارسي • واختير للمصفى موقع كائن عند مقرن دجلة بديالى ، على بعد خمسة أميال من بغداد جنوبا • واستملكت الارضون اللازمة له ، بموجب القانون التركي للمنفعة العامة ، وبتوجيه من الحكومة وتعليماتها رأساً • وشقّ طريق على استعجال ، امتدّ من خانقين الى (نفط خانة) ، وانفقت عليه الشركة ونفذّته سواعد العمال العسكريين وعاونتهم سرية من (وحدة الهندسة) وذلك بغية نقل المادّة المستحاثة(١٤) الى البقعة المختارة للكشف الاولي •

وقبل ان تتبلوّر هذه التطوّرات عن شيء ما ، جاءت (الهدنة) فختمت صفحتها ، شأنها فيها كشأنها مع مشاريع أخرى • ووصل (معمل التصفية) قبيل عقد (الهدنة) لكنه لم ينصب أبدا • وبيعت الارض الى مالكيها الاصليين أخيراً ، بخسران كان مقداره كبيراً • ان الحادث ذو متعة اليوم ، وذلك بقدر

---

(١٣) في اليوم الـ ٢١ من تشرين الثاني ١٩١٨ وفي مأدبة عشاء اقامه مجلس النفط للحلفاء • (الموءلف)

(١٤) في القاموس استحاث الارض : اثارها وطلب ما فيها • (المترجم)

تعلّق الامر باظهار الحاجة الى الاقتصاد في حمولة الاطنان والجهود التي بذلتها السلطات في هذا الباب .

الزراعة : وعلى الرغم من ان الدوائر العسكرية ، على وفق ايضاحنا المقدّم ذكره في باب ادراك قيمة الزيت ، كانت لها وجهة فذة تستغل فيها امكانياتها الى أبعد مدى ، أعني لمقاصد زراعية حصرا[١٥] . لكننا عندما وردنا بغداد وجدنا نحو ٣٠٠ معمل من معامل الضخ التي تدار بالنفط ، قد اهملت لفقدان الوقيد ، ومثلها في الاقاليم كثير . ومنها ما حطّمه الاتراك فغدا حطاما ، ومنه ما فعل به الاعراب فعلة الاتراك أيضا . واتخذ مستر كاربت ، وهو من كان عنوانه « ضابط الواردات الاول » وأصبح الآن مولجا بشؤون دائرة الواردات ببغداد و (بمشروع الابتعاث الزراعي) أيضا - وسنشير اليه لاحقا - خطوات آنية لاسداء المساعدة الى مالكي المضخّات . لقد اقتفيت آثار الاقسام المسروقة منها واعيدت الى اصحابها وطلبت (قطع الغيار) من انكلترا . واتخذت الترتيبات اللازمة لتزويد الـ (كيروسين) بأسعار خاصة ، وارسل المهندسون والبرّادون الى أرجاء البلاد للاصلاح والتعمير واسداء المشورة الى المالكين بشأن مشكلات الصيانة ، وما كانت الصيانة ، عهد ذاك ، أمراً معلوما متعارفا . وجرت محاولة في سبيل الحصول على أجهزة ضخّ اضافية من الهند ، بوساطة (معتمد

---

(١٥) كان الحكم البريطاني في العراق يرى ان يستقر الامن فيه اولا واذا استقر الامن ابتُعثت الزراعة ونشطت التجارة فعم الرخاء الاقتصادي بالتبعية ، وبذلك ينصرف ابناؤه عن الوقوف بوجه الاحتلال البريطاني . وكان سر هنري دوبس - المولج بشؤون الواردات ، واقتصاديات البلاد عموما ، وقد سما به سلم الرتب لاحقا فغدا في العراق مندوبا بريطانيا ساميا - ينفذ سياسة تجعل لرؤساء العشائر وكبار المقطعين ، كل في منطقته ، الكلمة العليا ، انها سياسة اختطها (سر روبرت ساند مان) أحد كبار رجال الاستعباد البريطاني ، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وطبقت في الهند (بلوجستان) اولا . هذا الى ان كثرة النقد المتداول بسبب الانفاق الحربي ، خلق طبقة من أثرياء الحرب الجدد ، من بين المقاولين والتجار الذين ساروا في ركاب الجيش البريطاني وارتبطوا بالحكم البريطاني فأصبحوا دعاته ومادحيه (ويمدح السوق من يربح فيه) .

[المترجم]

الحكومة) وما كانت النتيجة مرضية • وسجّل سر جون هيوت ، الذي أوفدته (وزارة الحرب) في سنة ١٩١٩ للتحقيق في القضايا المالية المختلفة الناجمة بين فرعي الحكومة ، العسكري والمدني ، رأيه القائل « ما دامت القضايا ذوات الصلة بهذه المعاملة قد مضى أوانها وانقضى فليس هناك من أساس يرتكن اليه في تقييد شيء ، على الاعتمادات العسكرية أو المدنية في بلاد ما بين النهرين ، باعتداده دينا وبما يسفر عنه مما يعتدّ دينا • واني لأوكد الرأي بلزوم عدم اللجوء الى أي قدر من ارصدة الجيش الانبراطوري • » كان للحافزّ الذي انصبّ على الارواء بواسطة المضخّات ، في خلال سنة ١٩١٨ ، أثر كبير في التطورات التي شهدتها الايام المقبـــلات • ذلك ان كل سنة تالية شهـــدت زيادة ملحوظة في المضخات المنصوبة على كتفي كل من الفرات ودجلة • ان رقـــم المضخّات العاملات ، في هذا الاوان ، يساوي عشرة أضعاف رقم ما كان منها قبل الحرب عامـــلا •

ولتمكين القارىء من تقدير الاهمية التي تعلقها ، في هذا الاوان ، (وزارة الحرب) وال (جنرال مود) على تطـــوير الارواء والازدراع في الارضين المحتلة[١٧] ، من الضروري ان نعرض ، بشيء من القول ، الى الاوضاع العامة التي سادت صيف سنة ١٩١٧ ، حين اختُط مشروع سنة ١٩١٨ •

ما كانت ثمة سيطرة على (سدّة الهندية) ، وبينا قام الاتراك بشيء من الاستحاثة في سبيل شق قناة ، راضعة من غربي (السدّة) صعداً (اعني قناة بني

---

(١٦) راجع : Hewett, Report, p. 21 (المؤلف)

(١٧) راجع : المصدر السابق والمقال الموسوم ب (الحكم التركى والادارة البريطانية في بلاد ما بين النهرين

Turkish Rule and British Administration in Mesopotamia.

في عدد تشرين الاول سنة ١٩١٩ من المجلة الفصلية :

Quarterly Review الذي دبجته يراعه مستر كاربيت Mr. C.C. Garbett

وراجع أيضا :

« عرض للادارة المدنية في الارض المحتلة :

Review of Civil Administration of the Occupied Trritoris, Cmd. 1061

حسن) الا انهم لم يفعلوا بشأن القنـــاة الشرقية شيئاً ، وهي المســـماة اليوم ال (جورجية) باسم جلالة الملك(*) • وعلى ذلك حُرمت المزروعات في الارضين الكائنة على فرع الهندية للفرات ، أسفل القناة ، والتي كانت تعتمد على فيَنـى الفيض فيما مضى ، من الماء كليا ، وما بقى حاصل ماء في منطقة الهندية أبدا • وشهدت الارضون المحاذية لفرع الحلة ، أحد فرعى الفرات ، المروية بالقنوات من الزراعة قدراً كبيرا ، لكن الحاصل عَدم النضج ، بسبب من تراكم الترنوق(١٨) وندرة درّ السماء الذي كان نزراً قليلا • وغمر الفيضان مدينة كربلاء والارضين الكائنة حولها • هذا وان تخريب سدّ الصقلاوية ، غربي بغداد ، على يد الاتراك قلّل من حجم الماء في الفرات ، لذلك باء بالبوار حاصل الرز المستنّبت في منطقة الشامية :

[وقفت على الفرات وليس تجري — سفـــائنه لنقصان الفـــرات
فلمـا ان ذكرتكِ فاض دمعي — فاجراهن حـــري العاصفات](**)

الكائنة غربى الديوانية الى أبعد مدى • وكانت ثمة مضخّات في منطقة الديوانية لكنها كانت عاطلة عن العمل بسبب فقدان الزيت ، كما ان القِنى كانت مملوءة بالترنوق ، منذ امد بعيد • وتراءى ان هناك حاصلا جيداً في الدغّارة ، لكن « حب الحصيد » كان في أيدي اثنين أو ثلاثة من المضاربين وما كان للبذر أو للطعام ميسورا • وعلى دجلة ، من (سامرا) حتى جوار بغداد ، أتلفت الحركات العسكرية جميـع الحاصلات ، وكانت الحركات تجري والحاصلات في سبيل النضج • وانحبس المطر قرب بغداد ، وما كان هناك من فيضان في دجلـــة طوال ثلاثة فصول متوالية : وكان الاتراك قد أجلوا جميع القبائل القاطنة على

(*) نسبة الى جورج الخامس ، ملك الانكليز عهدئذ !!
[المترجم]

(١٨) الترنوق ، لا الطمى على ما شاع غلطا ، هي الرواسب الطين في النهر ، والطمى هو زيادة الماء •
[المترجم]

(**) اضافة اقتضاها السياق اردنا بها جلاء المعنى واشراقه •
[المترجم]

ضفاف الانهر بين بغداد والكوت ومنعوا الازدراع منعا باتا • كما سيطروا على صدور القنى الرئيسة المتفرّعة من ديالى عن سبيل مدافعهم ، وأتلفت الحركات العسكرية في منطقة بعقوبا حب الحصيد المزروع في فدانات جمّه • وعندما وقعت في ايلول نواظم القنى بايدينا ، شُقّت الطرق ومُدّت السكة الحديد سراعا ، فأصبح لزاما علينا سدّ كثير من الجداول •

وترددت حال القِنَى في كل مكان • وعلى ذلك أصبحت الـ ٤٥ قناة ، الموجودة في منطقة الحلة الغنية ، ابان احتلالنا ، في حالة سيئة يُرثى لها • لقد كانت تسقي ، وهي عاملة ، ما يتراوح بين ٢٤٠٠٠٠ ـ ٢٢٠٠٠ من الافدنة • وكان أغلبها داخلا في الملكية الخاصة ، وما كانت ثمة سيطرة مفروضة ممارسة على الملاّكين بتة • وتركت سبع أقنية ، طوال سنين عـديدة ، عاطلة ومردّ ذلـك الى خلافات لم تحسم قامت بين الملاكين والزرّاع • وتُركت قنـاة ، كانت للحكومة ملكا ، مهملة ، وأخذ الترنوق يتراكم بسوء في البقية •

هذا هو الوضع الذي أفضى الى مشروع الابتعاث الزراعي في تموز ١٩١٧ • كانت المجاعة تنذر الاهلين وتتوعدهم وغدت الاسعار عالية فاجبرت خازني حبّ الحصيد على بيعه • وكان من الضروري توسيع رقعة الاراضي المزروعة بأقصى سـرعة ، وما كان في الامكان الحصول على الزيادة المطلوبة من دون سلفات كبيرة ، نقدا وحبوبا ، الى تطهير الجداول على أوسع وجه واضافة قنى اخرى الى الموجودة منها •

ومردُّ «تدشين» المشروع لسنة ١٩١٨ الى مبادأة مستر سي• سي• گاربيت، المنسوب الى الخدمة المدنية الهندية • لقد خمّنت السلطات العسكرية ما يسدّ حاجة الجيش في المنطقة المتقدّمة بـ ٩٠٠٠٠ من أطنان الحبوب ، والشعير منها بخاصـة ، كمـا كانت الحاجة ماسّة الى ١٥٠٠٠٠ من أطنـان التبن ، وكان مشروع مستر گاربيت يسعى الى اعداد هذه المؤن للجيش بعد سدّ حاجـة الاهلين منها • ورؤي أن يموّل المشروع من اعتمادات الجيش ، اذ ما كانت

هنـاك واردات مدنية لهـذه الغاية ، وكان من الضروري أن يضاف قـدر الى المنطقة المزروعة ، لتلبية الحاجات العسكرية والمدنية ، سواء بسواء •

وخمّن مستر گاربيت مِساحة الاراضي التي يجب استنباتها ، ان اريد تهيئة الحبوب المطلوبة ب : ٦٠٠٠٠ من الفدانات • ومثل هده المساحة من الاراضي لابد أن تنتج ٢٨٠٠٠٠ من أطنان الحبوب • وقام باحتساب ما ينتجه الزرّاع ، لو تركوا وشأنهم ، فأسفر احتسابه عن رقم هو ١٥٠٠٠ من أطنـان حب الحصيد تقريبا ، وان ١٥٠٠٠٠ اخرى منها يجب أن تسلّف لهم • لذا فان المشروع ، بأصله ، يقضي بتزويد ١٥٠٠٠ من أطنان الحبوب بكلفة ٢٥٠٠٠ من الباونات • وخمّن المبلغ اللازم لتطهير الجدول ـ ٢٠٠٠٠ من الباونات ، والمبلغ اللازم للسلفات الزراعية بـ ٣٠٠٠٠ من الباونات • وما احتوى (المشروع)، لدى اختطاطه، أول مرة، أي اعتماد للنواظم الاصلية وهي التي رتّب أمرها على حده • لذا فان مجموع التخمينات هو ٣٠٠٠٠٠ من الباونات ، وفي الامكان استرداده من المالكين والفـلاحين كَمَلاً • واضيف الى هـذا المبلـغ ١٠٠٠٠٠ من الباونات ، بعد ذلك ، لنفقات الموظفين والمكاين والنواقل • وصادقت (وزارة الحرب) عليه نهائيا في ١٦ ايلول ورتّب مستر گاربت (مديرا) له ، ذا تبعات معينة بازاء (المقرّ العام) و (رأس الادارة المدنية) • ونيطت الترتيبات التفصيلية بالحكام السياسيين في جهاز (الادارة المدنية) المعتاد ، الى عون من مؤسسات اضافية صغيرة ، والكل تحت اشراف مستر گاربيت نفسه •

يهدف (المشروع) أصلا الى تهيئة ما ينتج الفوم[١٩] والشعير والتبن ويقتصر على رقاع الارض التي تسقيها قنوات نهر الفرات • واستند تخمينُ رقعـة الارض الميسورة الى خوارط غير صحيحة ، واستندت الادارة عـلى سجلات تركية غير متقنة الى أبعد حد ، كما ان منطقة الفرات كانت غـير

---

(١٩) الفوم على معنى الحنطـة وهي من مفردات (القرآن الـكريم) الشريفة •

ممسوحة الى مدى بعيد • ووجد أن من الضروري ضمّ الاراضي المملوكة من الافراد وأرض الحكومة الى المشروع ، وبذلك تخفض كمية « حب الحصيد » الذي يصبح من الواجب اداؤه الى الحكومة • وعلى ذلك حدّد التنبوء الاخير لحب الحصيد المذكور بـ ٥٠٠٠٠ من الاطنان • ونجمت صعوبات أخرى • ذلك ان اضطرابات القبائل أوقفت العمل على تطهير القنى وذلك بالنسبة الى قناتين من أهم القنوات ودام ذلك لمدة شهر فحال توقف العمل المذكور دون زرع ١٠٠٠٠٠ من الفدانات ، ووجدنا عن ذلك عوضا في مناطق اخرى وبديلا • ذلك ان تقدمنا على (ديالى) صُعُدا مكّننا من مناطق زراعية وسيعة وان الجهود التي صبّها الحكام أعادت العشائر فكانت الى دجلة الرُجعى • وزيد أخيرا تخمين الحب الذي سيغدو للجيش ميسورا بـ ١٧٠٠٠ من الاطنان في بغداد و ١٠٠٠٠ من الاطنان في البصرة فيكون مجموعها ١١٧٠٠٠ كُملاً •

وكنت ، في الوقت نفسه ، خوّلت منح بعض امتيازات تتصل بالواردات الى مقدّمي الشيوخ في منطقة الفرات لقاء تعاونهم ، واتباعا لهذا الترتيب ضمن الشيوخ تهيئة الحبوب اللازمة للمناطق المروّية بقنوات الحلة • وبنتيجة ذلك خُفِّضت كمية الحبوب المسلّفة من ١٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ من الاطنان ، أما الـ ٩٠٠٠ الباقية فكانت القبائل أنفسها هي التي تقوم بتهيئتها من الخزين والاّ كان البيع مصيرها • وطلب الجزء الاكبر من حب الحصيد المرتجى : أعني ٤٠٠٠ من أطنان الشعير و ١٧٠٠ من أطنان الحنطة ، خلال آب وايلول ، من الهند ، واجرى ذلك على يد مدير الواردات البلدية (المحلية) ، ولقد أثنى مستر گاربيت ، في ذلكم الاوان ، على بعد نظره وأزجاه حمدا وشكرانا •

وفي وجهتين اثنتين لم يحققّ المشروع الآمال المعقودة عليه • ذلك ان جانبا من الحنطة الهندية المستوردة لم تجد بالمحصول المرتجى ، فهي لم تكن من النوع الافضل الذي يلائم بلاد ما بين النهرين أبدا ، كما ان مِساحة المنطقة المروّية بالقناتين المتفرعتين من (سدة الهندية) أعني (الجورجية) و (بني حسن)

كانت أقل مما حسبنا كثيرا . وعندما جرى الخَرْص كمّلا ، وجد ان مساحة المنطقة التي كانت تروى ب (قناة بني حسن) : ٢٠٦٣٠ من الفدانات، ومساحة المنطقة المروية ب (الجورجية) ١٤٠٠٠ من الفدانات ـ وذلك ينطوي على نقص ذي خطر ، ان قورن بالتقدير الذي يبلغ رقمه ١٠٠٠٠٠ من الفدانات . ويتراءى ان هذه النتيجة مردودة ، الى ابعد مدى : الى طبيعة الارض التي يجرى ارواؤها ، على وجه منتظم أول مرة ، وهي في كثير من بقاعها ذوات أخاديد عميقة ، لذلك كان ثمة ماء وفير ينساب الى الشقوق ويتلاشى بَددا . ومهما يكن الامر ، ليس هناك من شك الاّ قليلا في ان ما لا يقل عن ١٢٥٠٠٠ من حاصل الربيع يُردّ الى عمليات (المشروع الزراعي) وان استيراد هذه الكمية من الهند ليكلّف مليونين من الباونات تقريبا . وأيا كان الامر ، ان الفوائد التي تجنى من (المشروع) لم تكن مالية ، بوجه رئيس أو كليا . ان سحب هذه الكمية من الحبوب من الهند ، والمجاعة فيها فاغرة فاهها ، تهددّها ، أمر يزيد في مصاعب حكومتها ، وفي الزحام الذي تعانيه سكك الحديد فيها، وذلك في زمان يُحتاج ، ابانه ، الى قضبانها لسد الضرورات البلدية فيها ، ولو لم يؤمن توفير موارد البلاد من القوت كثيرا ، لاصبحت بلاد ما بين النهرين فريسة المجاعة ، على غرار تلك التي اكتسحت الاراضي المجاورة وأعني : فارس وتركية (ولمسّها عسر وعضّها بنابه الدهر !) .

وما كانت الفوائد السياسية التي جُنيت بأقل خطراً ! ذلك ان العربي شهد ، لاول مرة في التأريخ ، (ادارة) تصرف كل جهد في سبيل رعاية منفعته المادية واحياء بلاده . وخلال الزعازع التي نجمت بين أهالي النجف والكوفة وأبو صخير ، في مدى الاشهر الثلاثة الاخيرة من سنة ١٩١٧ ، استطاع النقيب بلفور ، من غير اسناد جند ، الاعتماد على عون الشيوخ المتقدّمين في تلكم الاقاليم الزراعية . « انهم » ـ على ما ذكرت في عرضي لشؤون الادارة لسنة ١٩١٨ » الذين استخدموا في تطهير قنواتهم بمال استدين منا ، برجاء القيام بزرع « حب الحصيد » الذي قدمناه » .

وبدأ مشروع ترعاه حميّة (مستر گاربيت) واقدامه ، واليه ، لذلك ، مرد الفضل العظيم • لقد برّر المشروع الأخذ به تماما • لقد كانت الظروف التي عمل تحت وطأتها يوميا يكتنفها اعسار كبير ، وان الاخطاء القليلة التي ارتكبت هي من النوع الملازم لتصريف شؤون مشروع بهذه الرفعة ، في بلاد[٢٠] غير مبتغثة بالمرة • ومن أسف أن تتردّى صحته ، بسبب من رَهَق العمل ، لذلك رحل مُجازا • واثر استجمام قصير ، الُحق ب (دائرة الهند) حيث قام بعمل ذي قيمة • واصطُفي ، في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ، للعودة الى بغداد بصحبة سر برسي كوكس •

علم الحشرات Entomology **علم الفطريات** Mycology **علم النبات** Botany

كان العمل الذي تضطلع به كل من مؤسسة (R.A.M.C.) و (مصلحة الصحة الهندية I.M.S.) في بلاد ما بين النهرين مرهقا ، لكن كثيرا من البحوث المفيدة المتصلة بالحشرات اجريت على يد قلة من ذوي الميعة في أوقات فراغهم ، ويأتي في المقدّمة منهم النقيب پي• أ• بكستن[٢١] ، وهو الذي يُعتدّ مؤلّفه الموسوم ب (حياة الحيوان في الصحارى) من أروع الكتب المؤلّفة عن (بلاد ما بين النهرين) ، براعة تناول وحسن تأت • وقام النقيب في• ايج• دوسن بسلسلة من التحريات المتصلة بحشرات شتى ، ومنها الجرادة المسماة (أبو دبيلع) و (ثاقبة الرمان) •

وأيا كان الامر ، لم يحظ الموضوع بالعناية السليمة الاّ حين رُتّب الرائد ويمشرست اختصاصياً متفرّغا • لقد كان يجمع بين واجبات اختصاص بالحشرات واختصاص بالفطريات وبالاقتصاد النباتي • ولو أردت أن تقف على

---

(٢٠) راجع : Hewett (المؤلف)

(٢١) راجع ثبت المراجع في نهاية الكتاب للوقوف على مؤلفات هذا (الضابط) الاخرى ، والكتاب الموسوم ب (حيوان العراق ١٩٢٤ :
Survey of Iraq Fauna
(المؤلف)

قيمة ما اسدى فما عليك الا الاطلاع على تقريره السنوي لسنة **١٩١٩-١٩٢٠** فذلك يستَكشف منه • وكان أتي بموظفيه من الهند ، وبضمنهم (راو صاحب راما جاندرا راو[٢٢]) وهو من الهيــأة المحترفة في (الكلية الزراعيــة في كويم باتور) ومستر أ• دت ، وهو من كلكتا ، وبحوثه الاصيلة ذات قيمة علمية ـ عملية حقة •

تحليل التربة :

ان احــدى أشــد المشــكلات خطــرا ، في أي أرض قاحلــة ، أو شبه قاحلة ، هي نجوم الاراضي القلوية ، المِلْح • وفي العراق مساحات شاسعة من الاراضي غير المستنبتة ، تظهر عليها ، ابان الصيف ، طبقة سبخة بيضاء نشاشة • وتوجد في أماكن أخرى بقع من التربة التي تتراءى رطبة ، وهي تحافظ على رطوبتها حتى في وسط الصيف • ان الطبقة السبخة البيضاء هي ، بطبيعة الحال ، أملاح التربة تصاعدت الى وجه الارض بفعل مائها • والماء هذا يتبخر ، على حين تتألف القطع السود الرطبة من(أملاح مِرْطبية : Hygroscope)[٢٣] صعدت فعلت الوجه نفسه • وحتى في حالــة كون هذه الاملاح قليلة نسبيا ، يكون انفلاق الحب في التربة ضعيفا ، والنبت بعد ذلك متعثرا • فكلما ازدادت نسبة الاملاح وغدت هذه التأثيرات ملحوظة أكثر احتيج الى ماء أغزر كي تنضج الحاصلات • وأخيرا ، لو بلغت كميتهــا رقما أعلى ، أصبحت الارض غير صالحة للزراعة أبدا ، واطلق عليها ، عندئذ ، الارض «الملح» ، او « القلوية » عموما •

ومرد تكوين هذه الاملاح عموما الى أسباب مُناخية • ذلك ان التربة المعرضة الى عوامل طبيعية كالمطر والجدب والحرارة والبرودة تتغير طبيعتها الكيمياوية تدريجيا ، فتتكون الاملاح فيها ، خلال هذه العملية ، فلو كان المطر

---

(٢٢) راجع (ثبت المراجع) لهذا الكتاب • [المؤلف]

(٢٣) النسبة الى المرطبة التى تمتص الماء من الهواء •

غـير كاف جعـل الاملاح تنسـاب الى التربة الجوّانيـة ، ومنهـا الى المنـابع والنهيرات ، على العـادة المطّردة ، فالمبزل الرئيس في البـلاد ، وتتجمّع على سطح التربة الفوقانية • ومنها ما هو غذاء للنبت مفيد ، ويمكن أن تمتصـه الخضرة الطبيعية أو الحاصلات ، ومنها ما هو عديم الفائدة وقد يكون مضرّا •

لقد بحثت هذه المشكلات وغيرها التي تشاكلها خلال سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ من قبل جي• اف• ويبستر وهو من كان ، عندنا ، كيمياويا زراعيا ومن قبل مساعده مستر بي• فيزوانات أيضا • ان تقريرهما[٢٤] ليظهر ان خطر خراب مناطق شاسعة بفعل الافراط في الارواء هو ، في بلاد ما بين النهرين ، امر اعظم ممـا توقّعه ويليم ويلكوكس ، وذلك على الرغم من توكيـده المتتابع أهميـة البزل • اظهرت هذه والتقارير المقدّمة من قبل ضباط آخرين ، ومنهم الملازم كوثبي[٢٥] ، ضرورة السير ، بحذر وحيطة ، ان اردنا للصحراء ازدهاراً ، على ما كان لورد كرزن آملا • لكنها اظهرت ان امكانات تربة العراق من وجهة النظر الزراعية محدودة بكمية الماء وعدّة السكان الميسورين للتشبثات الزراعية ، حسب •

حاصل التمر :

يتراءى ان التمور ، من بين جميع حاصلات بلاد ما بين النهرين ، ذات مستقبل أفضل بقدر تعلق الامر بالسعة ، والى أقل مدى بالنسبة الى التحسين ، ان تمر العـراق يحتوي على نسبة كبيرة من السكر الثمين ، وقلّة من الالياف والماء ان قورن بتمر تونس • ان القيمة الحرارية الـ (كالورية) في التمور أعلى من مثيلتها في أي فاكهة أخرى ، ولا تدانيها الا ما في الزبيب • هذا وان قيمتها الغذائية ورخصها النسبي لامران لم يقف عليهما المستهلكون في بريطانيا العظمى على غرار ما حدث في الولايات المتحدة الامريكية • وكانت نتيجة ذلك ان أصبح معدل الاستهلاك السنوي في هذه البلاد أقل من باون واحد للشخص[٢٦] •

---

(٢٤) راجع (ثبت المراجع) في نهاية الكتاب • (المؤلف)
(٢٥) راجع (ثبت المراجع) في نهاية الكتاب • (المؤلف)
(٢٦) راجع (ثبت المراجع) في نهاية الكتاب • (المؤلف)

وفي شخص النقيب دوسن وجدت الرجل الصالح لحق بقدر تعلق الامر بمتابعة البحوث في الامكانات الاقتصادية لبساتين النخل ، واثر جهود استطال امدها ثلاث سنوات وزيادة ، وان تقطّعت ، اصدر الرجل المقدّم ذكره سلسلة من التقارير[٢٧] التي أصبحت اليوم في عداد الخوالد ، وآتت ثمارها الى حد امتلاك شركة ذات مصالح عالمية ، بقدر تعلق الامر بتجرة الفاكهة ، الارضين على شط العرب والقيام بغرس فسائل كثيرة من أفضل الانواع ، تحت اشراف مستر داوسن المباشر • ولقد اجريت تحريات تامة في مشكلة تسويق التمور وفي تحسين طرائق تغليفها ونقلها ، وذلك عن الحكومة العراقية نيابة[٢٨] •

وكان ينظر الى هذه الفاعليات ، وما يماثلها ، خلال سنتي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، نظرة طمأنينة ورضى من قبل كبار المالكين والمزارعين معا • وكان يختلف الى المزارع النموذجية كثيرا • وابدت مديرية الزراعة ، على العموم ، من الحصافة والعطف قدراً برر ، الى حد بعيد ، بحوثها المستغلقة ظاهريا في عيون زبائنها •

لقد اقعدت حوادث سنة ١٩٢٠ فعالياتها ، لكنها لم تجهز عليها كليا • لقد رعتها وقامت بابتعاثها الحكومة العراقية منذ قيامها وبقدر ما تسمح به وسائلها ، وهي نزرة مصرّدة •

تربية الماشية :

وفي خلال سنة ١٩١٩ جرى شيء في باب تحسين جنس الماشية ، فلقد استورد نحو ٣٠٠٠ من رؤوس الابقار والجواميس لمقاصد الملبنة Dairy: و١٤ رأساً من ثيران ايرشر للانسال • وعرضت بعض المواشي الصغيرة المبيع فاقبل عليها المشترون ، وهم من المزارعين ، حالا ، لكن الضغط المالي حال دون ابتعاث هذه الفاعلية ابتعاثا عظيما • ومهما تكن الحال ، ان ابتعاث اجناس الحيوان في بلاد ما بين النهرين على وجـــه مستدام لامر تكتنفه الريب ، ما لم يصبح

---

(٢٧) راجع (ثبت المراجع) في نهاية الكتاب • (الموءلف)

(٢٨) راجع : Forester : الموءلف)

الزراع على استعداد لعلف حيواناتهم بسخاء ، بأكثر مما الفه القوم ، واعتادوا عليه ، اليوم •

ان الجنس الاعتيادي من الضأن في بلاد ما بين النهرين الرسوبية هـــو النوع ذو الالية السمينة المعروف في فارس والهند باسم (دمبه) •

والصوف من أهم المنتجات الاقتصادية المهمة في بلاد ما بين النهـرين ، وانتاجه بخس الكلفة ، وفي الازمان السوية يحظى بسوق عتيدة • والاغنام في ولاية الموصل هي من أنواع مختلفة عن أغنام بغداد • ان أنواعهـــا الرئيسة هي : (١) ضأن أبيض ذو أرجل ضخمة ، ذو وجه أسمر ، واقدامه باللون نفسه • وللذكور منه قرون طويلة معقوفة على غرار ما لضأن الجبل الاسكتلندي ذي الوجه الاسود • ان لهذا الخروف صوفاً خشناً نوعما يكسي اقدامه وليس هو بالجيد اللحم • (٢) ضأن صغير الجرم أسود الوجه ذو انف طويل وثمة خصلة من صوف أسمر اللون بين اذنيه • انه نوع من الخرفان الصغار وجيد جدا ، قصير وله جزّة حسنة كثيفة جداً وينتج لحماً طيباً •

وفي الارضين المحيطة بمدينة الموصل تلال من حجر الجير ومروج نضرة ومساحات شاسعة فيها للخراف مراع ممتازة • وليس من جنس الضأن الاسود والاسمر في ولاية الموصل الا القليل ، ومن هذه الناحية هناك تباين ملحوظ

---

(٢٩) يقر تجار الصوف ومصدروه ببغـــداد ثلاثة أنواع متمايزة منـــه في بلاد ما بين النهرين ، هي : العربي والعواسي والكرادي •

فالعربي يطلق على صوف الاغنام التي يمتلكها الاعراب في سهول العراق • انه فاضل بالنسبة الى العواسي والكرادي مفضول ويمكن مقارنته بأجود أنواع الصوف الهندي والصيني ، وصوف ساحل افريقية الشمالي وبضمنه المصري ، وهذا الصوف يصدر الى برادفورد •

العواسي : وهو صوف يجز من انواع الاغنام التي يمتلكها بالدرجة الاولى الاعراب القاطنون في المنطقة الكائنة بين الموصل وحلب • ويقال ان نوع الضأن هذا هو هجين من العربي والكردي أو الكرادي •

الكرادي : انه أسم تجاري لصوف الاغنام الكردية التي تربى في شمال الموصل وغربها ، على التلال الكردية • ومن حيث اللـــون يشبه هـــذا النوع العواسي • (المؤلف)

بينها وبين الولايتين الجنوبيتين حيث يسود فيهما الجنس الاسود والاسمر عموما • ان طول الشعرة في العراق حسن ، وتراءى جلياً أن شيئاً ما يجب أن يتخذ في باب تحسين الانسال والاكثار من العناية بالمعالجة •

وكانت ثمة بداية في هذا الاتجاه حين استوردت اكباش مختارة من (بلوجستان) ، لكن النتيجة ، لاسباب طبيعية ، كانت مخيبة للامل • وما سمحت مواردنا المالية بأن نمضي بالامر الى أكثر مما مضينا به ، كما لم يتم شيء ما ، بقدر ما اتصل بعلمي ، في السنين اللاحقة • ولعل السبب يمكن الوقوف عليه في مذكرة العقيد آر• جي• دي• كريهه عن الموضوع ، واليك منها مقتطفا :

« على من ينشد تحسين جنس الاغنام العربية الا ينسى ان الانماط الحالية وجدت منذ سنين لا تحصى عدداً ، وانها قد تكيفت ، على وفق الاوضاع الراهنة مطلقا • فان كان هذا الذي يرتجى هو انتاج صوف أبيض ، فان الاحتمالات تدل على ان الحصول عليه امر ممكن ، ولكن على حساب فقدان أغلب الصفات الاخرى المرغوب فيها ومنها التفوق في النعومة والمتانة والتموج واللمعان الخ •• ان مرد الالوان الفائقة في هذا الصوف الى عملية طبيعية تنصب على وقاية الالوان • فلو انتج صوف أبيض ، من غير اللون العراقي ، كان له أثر في حيوية النوع ، ولو ترك مدة من زمان ، عاد الى لونه الاصلي ، وزال • ووردت مقترحات من بعض الجهات بشأن تحسين الاجناس البلدية ومنها ادخال الدم المرينى Merino من استراليا • ويتراءى انه ، قبل القيام بتجربة كهذه ، من الأصوب أن يبذل شيء في باب التحسين عن طريق اصطفاء الانواع الاصلية • ليس من المحتمل جدا العثور على نوع يفضل هذا المسمى بـ (عرابي) ، بقدر تعلق الامر بانتاج الصوف ، وذلك في أي قسم من أقسام العالم حيث اوضاع المناخ تشبه أوضاعه السائدة في العراق •• »

ان تنظيم العمل وتجهيز منتجات البترول والحبوب لم يكونا ، بأي وجه ، النواحي الفذة التي تعاونت فيها الدوائر العسكرية والمدنية

تعاونا منسجما منصبا على ابتعاث الموارد البلدية في (بلاد ما بين النهرين) • لقد تم تأسيس معامل الالبان العسكرية في المراكز الكبيرة جميعاً ، وكانت الغاية منها تجهيز الحليب و (القيمر) والزبدة الى المستشفيات ، (وانتهى) الى أن تعثر المرضات على سمكة صغيرة ، في قعر كوب من حليب ، شرب مريض ما فيه حتى الثمالة • ونظّمت مراعي العشب في العمارة وفي غيرها لتسوم[30] فيها الماشية وتقتات عليها • وقام النقيب عزرا في الحلة ، بادارة مزرعة تربية دجاج ، بمقياس كبير جداً ، فاصاب نجحا ولبّى الطلبات الواقعة على الدجاج والبيض معاً • وكان لدى عزرا في نيسان سنة ١٩١٨ وهو يبتعث الـ (فتاس Vataces الرائع)[31] نحو ٢٠٠٠٠ من الطيور على اختلافها ويُعنى بها وتتراوح أعمارها بين يوم واحد الى أعمار الدجاجات التي تبيض • وكانت هذه تطعم من نخالة الحبوب التي تجمع لاعطائها للجيش ، وبذلك ما كانت تكلّف بقدر تعلق الامر باقامة اودها ، شيئا[32] •

وما كانت جميع مشاريع (دائرة الموارد البلدية) ، وهي عديدة ، حسنة الطالع على حد سواء ، ذلك ان بعضها اخفق بسبب من انعدام العمال الماهرين ، واخفقت أخرى لفقدان المواد الخام المناسبة ، لكن المشاريع التي باءت بالفشل بسبب من انعدام الخبرة بين صفوف الجيشين البريطاني والهندي ، في سنة ١٩١٨ ، كانت قليلة • وجرت محاولة لدبغ آلاف مؤلّفة من الجلود محليا ، وهي التي مرّت من أيدي من في (دائرة التموين) شهريا ، فلم يوفق في دبغها لانعدام اليد العاملة في الدرجة الاولى • ولم يوفق معمل اقيم لتزويد

---

(٣٠) السوم هو الرعي ، على ما ورد في التنزيل العزيز •
[المترجم]

(٣١) راجع : Gibbon VIII, 11,

(٣٢) راجع : Marshall, p. 299 and Younghusband, p. 301
والاخير يذكر ان دجاج العراق الاسفل يشاهد في الاحيان قادرا على السباحة في الانهار صعدا ، وعلى غرار البط يغرف بقوادمه أحيانا •
(المؤلف)

المستشفى ومحلات التنظيف والكوي الاخرى الا جزئيا • ولم يتبلّور مشروع تخمير البيرة ، وكان الطلب عليها يلبي بالاستيراد من اليابان ، لكنه لم يكن كافيا • ومردّ عدم تبلور مشروعها الى انعدام الماء الصالح • وفشل مشروع صنع المربّى المعروفة بـ (مارمليد : Marmalade) من البرتقال الوفير في بعقوبا ، واني لاعتقد ان ذلك مسبّب من استحالة الحصول على المعمل المطلوب لتهيئة المقوّمات الضرورية لفطور انكليزي بمقياس كبير • وكان الجيش راغباً في اخذ ١٠٠ طن شهريا ، لكن الحصول على الاوعيـــة كان متعذراً ، كمـــا لم يكن في الامكان ارتجال صنعها •

وانهالت انتقادات كثيرة على ما كانت (دائرة الموارد البلدية) تقـــوم به وما كانت كلها ظالمة • وكان مرد جزء منها الى ذلكم الحماس الخطل الذي غمر الخليطة المتنافرة ، نوعما ، من عناصرها ، والى التي كان مبعثها عزيزة حب الدعاية ، وهي ليست مسرة محبورة دوما والتي كانت مصدر ايحاء لواحد ، في الاقـــل ، يدخل (الحلة) من « شارع اوكنور » أو من « زقاق لين » ومن « سطيحة ديكسن » الى « ساحة الموارد » • لقد كان القـرَى ، في الاحيان ، مبالغاً فيه كثيرا ، كما كانت تكال الوعود المتصلة بالمؤن فوراً ، وكان يردّ الفضـــل في المحصول الطيب الى (الله ذي الفضل العظيم) جزءاً والى الزرّاع الكادين جزءاً ، وهو أمرٌ لم يكن في تنبؤات الدائرة الاّ في المقام الهين ، واهن الشأن • وعلى الرغم من ذلك نمت الدائرة عموما ، وكان نماؤها تحت اشراف الـ (جنرال مارشل) الذي كان يرقب ذلك بعين الصقر ، التوّاق اواله ، وغدت جـــزءاً لا يتجزأ من (الجهاز العسكري)[٣٣] ذا قيمـــة • لقـــد جادت على (الادارة المدنية) اعتنافاً وعلى سبيل الصدفة ، بخدمات على حظ كبير من خطر ، وذلك

(٣٣) راجع : Repington, I, 599, II, 135
بصدد الرسائل التى حررها الـ (جنرال مود) عن الموضوع • وكتب هذا عن الدائرة بتاريخ ٧ نيسان ١٩١٧ : « ان شخصية كبيرة تديرها واني لاتطلع الى نتائج كبيرة » • (المؤلف)

عن سبيل معاودة الازدهار الزراعي ، كما ضمنت الا ّ تلحق المبالغ المصروفة في البلاد على المشتريات البلدية الا ّ أقل ّ ضر مستطاع بالاهلين عموما •

المهندسون العسكريون :

لا معدى عن التنويه بفاعليات (دائرة الاشغال العسكرية) وهي التي كان لزاما اعتمادها على ما تنتج البلاد من طابوق ومونة في اكساء الطرق وتبليطها • لقد جعلوا (خارك) و (بوشهر) و (الكويت) تحت الطلب ، بالنسبة للحجر ، وجاء الرمل من (خورالله) ، ومن (خور موسى) ووردت مئات الاطنان من صدف جيد ، ان تم حرقه ، جاد بكلس ممتاز جداً ، ومُد ّ خط سكة حديد الى (جبل سنام) فتم الحصول على كميات كبيرة من الحجر ، لخلط السمنت ولمقاصد السكة الحديد ، من هذا المصدر • ومن ششتر جاءت مونة الجبس ، ومن جبل حمرين ، في مرحلة متأخرة ، جيىء بالجبس • وجلب القير بكميات كبيرة من (هيت) الى بغداد واصطُنع في مقاصد البناء وفي التبليط • ومن هيت أيضا جيىء بكميات من (حجر الكلس) وحرق فانتج مونة تصطنع في البناء وفي البنى[٣٤] أحيانا • وما كان الحصى بمفتقد كثيراً ، ذلك ان قد كان يؤتى به من عقيقة دجلة القديمة ، قرب سميكة وبلد ، ومن ديالى ، قرب جبل حمرين • وكانت العقبة الرئيسة في الحصول على الطابوق • وما كان انتاج (الكور) البلدية جيداً أبداً ، وغدا حاله اسوأ من ذي قبل تحت وطأة ظروف الحرب • وندُر العمل وأصبح غاليا ، وتضاعفت أجوره ، على أساس القطعة ، في (كور الطابوق) الكائنة فوق كرمة علي ، شمالي البصرة • ثم سمت الاجور الى ضعفين مضاعفين ، فثلاثة أضعاف حتى غدا الاطفال يحصلون على أجور الراشدين من الرجال فيما قبل الحرب • وهُرعت جموع اسر من

---

(٣٤) في مدة الاشهر الاربعة المنتهية في ١ تشرين الاول ١٩١٨ انتج القير والكلس في (هيت) لمقاصد عسكرية ، وكان ذلك بمعدل ٤ـ٥ الاف من الاطنان شهريا على التعاقب •

راجع رسالة الـ (جنرال مارشل) الموءرخة في ١/١٠/١٩١٨ •
[المؤلف]

الاهوار لتصنع الطابوق ، فكانت عقبى ذلك ان غدت أسعار القصب ، وهو في البصرة الوقيد الوحيد لصنع الطابوق ، على درجة لا تُطاق • وسادت مثل هذه الحال في بغداد ، بُعيد وصولنا • ولم تتلكأ (دائرة الاشغال العامة) اذ بنت للطابوق كوراً ، صممتها بحيث تستخدم النفط وقيداً ، والبخار ضاغطا • ولاول مرة في التأريخ انتج الطابوق من النمط الانكليزي المستطيل ، في بغداد ، وفي غيرها أيضا ، بكميات كبيرة ، ومما لاشك فيه ان الاثاريين في مقبل الايام سيدهشون منها ومن وجود أكداس كبيرة من قناني البيرة اليابانية متزامنتين متواقتتين • وفي الاغلب الاعم ، سيتفتت الطابوق ويغدو ترابا ، ذلك ان الابنية المستدامة التي شيدت به كانت قليلة ، لكن القناني لا تفنى • وفي خلال الحرب استورد نحو ٥٠ مليون قنينة ، على الاقل ، وفي الامكان ان تُرصف بها دجلة من بغداد الى الفاو ، وكانت تتجمع أكداساً مكدّسة في كل موقع عسكري ، وموقع ستر عسكري ، لتشكلّ ما قدّر له ان يكون اعظم نصب تذكاري للحرب العظمى في العراق •

ليس هناك الا القليل من السجلات الرسمية ، أو لعلها مفقودة بالمرّة ، تتصل بفعال (فيلق المهندسين الملكيين) في (دائرة الاشغال العسكرية) في بلاد ما بين النهرين ، باعتداد ان تلكم الفعال متمايزة عن فعال دوائر (الارواء) و (الميناء) و (استصلاح الانهر) و (دائرة السكة الحديد) التابعة ل (دائرة اشغال المدينة) المؤسسة رسميا في سنة ١٩١٩ • لكن أي سرد لابتعاث بلاد ما بين النهرين في مدة الحرب لن يكون كاملا من غير التنويه بحيوية العاملين فيها وبسالتهم ، سواء أكان ذلك في أثناء تصريفهم واجباتهم العسكرية المحضة أم في القيام بالاشغال التي اريد من ورائها تلبية الضرورات العسكرية رأسا أو الحاجات المدنية التي جاءت في اعقابها •

وفي كانون الاول سنة ١٩١٨ وصل الدكتور ايج• آر• ايج هول ، المنسوب الى (المتحفة البريطانية) للقيام بتنقيبات آثارية ، نيابة عن (الادارة المدنية) ، وعلى وفق (بيان) صدر عن (القائد العام) يط به الاشراف على

شؤون العاديات • وقام باستحاثة في (اور) ، وعنها خلف ما هو اشدّ المدونات طلاوة ، وطراءة تنقيب[٣٥] • زار بابل ونفرّ ، واسدى لنا عونا ثمينا في وضع (التعليمات) ، التي قهرت الدهر وانصبّت على السيطرة على تجارة العاديات والبحث الآثاري • واعاره (سر جورج مكمن) مئين قليلة من أسرى الحرب الاتراك ، فانتفع بهم انتفاعا حسنا •

الشرطة :

كان خلق منظومة ، لخصّنا امرها في فصلنا هذا ، حتى في سنة **١٩١٩** ، أمراً مستحيلا ، لو لم تتُخذ الاجراءات ، في الوقت نفسه ، وتنصّب على الحفاظ على الامن العام ، في المدن الكبرى وفي المناطق الريفية على حد سواء • لقد تلاشى (النظام التركي) وذهبت ريحه تماماً ، وما كان هذا (النظام) على حظ من كفاية في يوم ما ، ولم يكن يطبق حقا ، منذ اندلاع لهب الحرب ، الا في بغداد حصرا • وعلى ذلك أصبح من الضروري أن يُبدأ مجدّدا • وعاد العقيد گريگسن الى الهند ، اثر تمتعه باجازة قصيرة الأمد ، ليضطلع بتبعات جديدة مرهقة ميدانها الحد الشمالي الغربي وال (بنجاب) • لقد شرع بتشكيل قوة الشرطة على آساس متقنة رصينة وجندّ فيها ضباطاً كفاة بغية تصريف شؤونها في المراكز على اختلافها • وحلّ محله ، في خلال سنة **١٩١٨** ، نائبه : المقدم ايج• سي• پرسكوت وهو ضابط في الجيش الهنـــدي ، ذو خبرة شرطيـــة خاصة • وما من اصطفاء يفضل هذا ، ذلك انه من افضل الاداريين الذين عرفتهم بلاد ما بين النهرين ، غير منازع وغير مدافع • كان الرجل يتحلّى بعبقرية تفصل في اخلاق الناس (لا يعرف الورد من لم يعرف الصدرا) ، وتبعث الولاء ، وتدرّب العرب على اشغال مناصب ذوات تَبِعة في الجهاز الرسمي الهرمي • انه ، في تأريخ تحرير هذه السطور (**١٩٣١**) ، لا يزال (مفتش الشرطة العام) ولديه

---

(٣٥) راجع :

H.R.H. Hall: A Season's Work at Ur, 1930.

وقد فارق الدنيا في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ •

(المؤلف)

قوة شرطية درّب كلّ آحدها تحت اشرافه المباشر ، تقريبا .

ان المبدأ الذي اصطُنع ، خلال (الحملة) كان يقضي بتنظيم قوة شرطية ، مرتدية البزّة وخاضعة للضبط والربط في المدن الوسيعة واثر احتلالها من قبل الجيش توّا . وترك امر الحفاظ على النظام في الاقاليم والبليدات الصغار ، وعلى خط المواصلات ، من الجهة الاخرى ، الى (حكام الاقاليم) الذين اعــدّوا (المجندين البلديين الـ « ليفي ») لهذه الغـاية . وعلى ذلك تركت الشرطة النظامية حرّة كي تنمو تحت اشراف ضباط مجرّبين، مباشرة، فغدت قوة من رجال مدربين يسودهم ضبط وربط . ومن هؤلاء استحدث في السنين التوالي ، وعلى وفق متطلّبات الظرف ، النواة اللازمة لمن عرفوا (بضباط المحطّات : Station House Officers) المدربين ، والـ (كونستبلات : Constables) للبلديات الصغار ، وممثلوها هم الذين الحوّا على (الادارة) ، خلال الاسابيع القليلة من الاحتلال العسكري ، على تهيئة مفرزة شرطة ، كانوا راغبين في دفع معاش ما لقاء ما تسدي من خدمات .

وفي خلال السنين الثلاث ، أو الاربع الاولى ، كان يستمدّ جميع ضباط الشرطة الكبار تقريبا من منتسبي (دائرة الشرطة الهندية) سواء أكانوا بريطانيين أم كانوا هنودا . ولدى احتلال ولاية بغداد اضيف الى (القوة) عدد من الجنود البريطانيين الذين كانت لهم خبرة شرطية اكتسبوها في (المملكة المتحدة) ، واستخدموا كمعلمين شطرا وكضباط مراكز شطرا . واصابت التجربة نجحا رائعا وان لم تخلُ من هنات أيضا . ان المزاج السليم والغبطة والانفة النابعة من النفس العفة ، وسيعة الفضاء المتمنّعة ، هي الصفات التي يتسّم بها شرطي لندن ، أو شرطي الاقاليم ، وهي التي حببتّه ، منذ طالعة الامر ، الى الطبقات كافة . اعتاد العرب على ارهاب الشرطة التركية وضربها ، وهي التي كانت تدعـــم معاشاتها الشحيحة ، نسبيا ، برشاوى قليلة ، لذلك رأى العرب ، من قاطني المدن الوسيعة وقاطني الارياف ، في هؤلاء الرجال تجسيداً قيّما للنظام الجديد الافضل الذي وعدهم به الـ (جنرال مود) . ونبذ الجنود العرب لباسهم النومي طوعا واتخــذوا

(السراويل الخاكي القصيرة) واللفّافات عنه بديلا • كان هذا عند وصول (القوة الاستكشافية) أول مرة ، مبعث جذل ممزوج بنفرة ، ذلك ان الركب العربية العارية تراءت ، في سنة ١٩١٤ ، غير لائقة بالرجال ، وعلى غرار عدم لياقة الملابس القصيرة بامراة،على ما كنا نراه في انكلتره • كان رجال الشرطة العربية ، ابان قيامها بواجبها ، وعند الاستعراض ، تقلّد ، الى ابعد حدّ وبكل جد ، نبرات زملائهم البريطانيين واشاراتهم و (لهم وجهة هم مولوها الى الناس) • لقد نالوا الجزاء العاجل الاوفى ، وكان ذلك الاحترام الذي اسبغه عليهم المجتمع مُمثـلا •

كانت النتيجة المباشرة لهذه البداية المطمئنة ان غدا في الامكان ، سنة ١٩١٩ ، تجنيد العرب من أسر طيبة وتربية كافة ، لاشغال المناصب الرفيعة المتصلة بالتدريب،باعتدادهم ضباط شرطة،ولقد أُسِّست(مدرسةتدريب المفوضين)، وكان يدرس فيها القانون وتعليمات الشرطة ، الى التدريب وركوب الخيل ، وما الى ذلك • لقد ثبت ان هذا الابتعاث هو نقطة تحول في نماء منظومة الشرطة • لم يكن للشرطة التركية اسم طيب ، وما كان الرجال المنتسبون الى اسر طيبة ، تليدة الشرف ، اثيلة المجد ، ينخرطون في (خدمتها) ، كما لم يكن من صالح الرأي ، عموما ، استخدام الاشخاص الذين استخدمهم الاتراك فيما مضى • وجرّب استخدام مفرزة صغيرة من شرطة الصومال مدربة تدريبا بريطانيا وجيء بها من عدن ، الى قليل من الشرطة المصرية أيضا لكنهم ما كانوا يبعثون على الطمأنينة والرضى • والى سنة ١٩١٨ كانت جميع الهيأة الموجّهة في (القوة) من البريطانيين تقريبا ، ومنذ سنة ١٩١٩ أخذ العنصر العربي يلج المسلك ويحمل تبعات • ومنذ سنة ١٩٢٠ أخذت (القوة) تصطنع العربية في امساك سجلاتها وفي مخابراتها ، كما ظهر محقّقو الشرطة العرب في المحاكم ، من غير أن يكون أحد سنداً لهم أو ظهيرا ، واستُطيع ، لاول مرة ، خفض عدد عرفاء الشرطة البريطانيين واحلال العرب محلهم •

كانت (دائرة التحقيقات الجنائية) التي اقيم كيانها على آساس هندية في

سنة ١٩١٧ ، واسست لها فروع في البصرة وبغداد ، تضمّ (مكتب طبع الاصابع) ودائرة جوازات السفر ، والبلاد مدينة الى فاعلياتها كثيرا •

وعندما كنا نحتل ، في سنة ١٩١٦ ، ولاية البصرة ، حسب ، كان مجموع قوة الشرطة : ٤٠٠ ، وفي سنة ١٩١٧ ، وفي اعقاب احتلال بغداد أصبحت عدّة (القوة) : ٥٢٠ وما ان عقدت الهدنة ، في سنة ١٩١٨ ، الا اصبح الرقم هذا ١٤٣٠ • وفي خلال ١٩١٩ تمّ الاستلاء على الموصل ، وزوّدت بقوة من الشرطة النظامية فارتفع مجموع (القوة) في العراق الى ٢٠٠٠ وفي خلال سنة ١٩٢٠ اضيفت الى واجباتها واجبات فازدادت عدتها حتى بلغت ٢٦٣٨ •

ان من ابرز ملامح (ثورة سنة ١٩٢٠) الولاء الذي أظهرته الشرطة في كل بقعة ، ذلك انه لم تقدّم ولا استقالة واحدة ، ولم تظهر رغبة ما ، من قبل الضباط أو الافراد ، دالة على التخلّي عن واجب الحفاظ على النظام في الاقاليم التي نيطت تبعاتها بهم[٣٦] • وما كانت روح (يد الله مع الجماعة : esprit de corps) في دائرة ما تفوق الروح التي لحظت فيها أو كانت النتائج تدعو ، بأكثر ، الى الطمأنينة والرضى • لذلك ليس مما يدعو الى الدهش أو يثير عجبا أن يطلب من العقيد بريسكوت زيادة فاعليات الدائرة ، في سنة مستقبلة ، كثيرا • وبنتيجة هذا بلغت عدة (القوة) في نهاية سنة ١٩٢٠

---

(٣٦) ليس هذا بالامر العجب ، اذ من الطبيعي الا يجعل البريطانيون المحتلون ، اوانئذ ، في (الشرطة) التى كانت طوع بنانهم الا من كان لهم ذلكم الولي الحميم • أن هذا يفسر اعجاب (المؤلف) بهم ، وهو اعجاب يكاد يبلغ حدّ الوله : (حسن في كل عين ما تحبّ !) • ولقد دلّت الوقائع على ان كثيرا ممن بداؤوا حياتهم المسلكية في الشرطة ، اصفار اليدين من المال ، معسري الرزق ، غدوا ، بعد امد قصر ، بسبب من احتجان المال السحت ، في عداد الموسرين ، وهذا يفسر لم وقفوا في صف المستعبدين لبريطانيين ، أبان ثورة العشرين المشرقة المشرّفة ، وبازاء أبناء جلدتهم الثوار الغرّ الميامين • نسوا — يا ترى ! — ان الاستعباد (ظلوم غشوم للمواثيق ناقض !) ، وانه اعطى موثقه بتحرير العراق ووعده لكنه أخذ يصلي من يريد ذلك لبلاده حقا ، لا ظاهرا ، نارا موصدة •

[المترجم]

ضعفين وزيادة : ٦٠٠٠ تقريبا ، وثمة مدير عام عربي على رأسها • وبلغت عدتها في سنة ١٩٣٠ نحو ٦٨٠٠ ، بضمنهم ٤٠ من المديرين العرب ، ومن مساعدي المديرين ، و ١٨٣ من المفوضين العــرب ، ونحو ٦٥٠٠ من أفــراد الشـــرطة •

ان الجهاز الذي شرع يعمل في سنة ١٩١٥ وتوسّع في السنين التوالي لا يزال اليوم عاملا بدقة ، على الآساس التي اختُطت له سنة ١٩١٧ تقريبا ، اعني حين تركّز في بغداد أول مرة • واستطاعت الدائرة أن تلج عهدا من التعاون الحميم مع الادارات المماثلة في الهنـــد وفلسطين وفارس وسورية وتركية ، وكانت لذلك نتائج تبعث على اشدّ ما يكون من الطمأنينة والرضى ، وفي العراق نفسه ، كان ذلك عادة ، وان لم يكن مطّردا ، طليقا من تدخـــل الرؤســـاء السياسيين •

ومن العدل ان نستخلص من هذه الحقائق ما يلي السطر :

١ ـ ان قرار ادخال نظام الشرطة الهندية والحفاظ عليـــه ، بدلا من النظام التركي أو المصري ، كان صائبا سديدا •

٢ ـ وان مردّ النجح الذي ادركته الدائرة الى هذا (القرار) عينـــه والى ان الدائرة أسست ووجِّهت دوما من قبل ضباط شرطة محترفين لا هواة • لقد نجح اولئك الضباط ، حتى وقت متأخر ، في الحيلولة دون أن تصبح القوة وسيلة تجارب في الادارة ، سواء اكان ذلك من قبل الادارة البريطانية الاولى أم من قبل الادارة العربية الحالية •

وان لدى (دائرة الشرطة الهندية) سببا وجيهاً للفخر بسجل خدمة آحادها في العراق ، وهم الذين لم ينجحوا في نقل ما هو صالح للعراق من نظام الشرطة الهندية حسب ، لكنهم سعوا جاهدين في تعريب هذا النظام من رأسه حتى قعره ، وفي سبيل اتقان لغة التخاطب والكتابة في البلاد ، ناقرها ومألوفها ، الى انهم احاطوا باحكام القانون الجديد خُبرا واكتسبوا ، في خلال ذلك ، احترام الحكومة والاهالي ، على التتابع ، وشكرهم •

والى ذلك ، يجب الا يذهبن عن البال ان ضباط الشرطة البريطانيين ، الذين اوفدوا من الهند ، لم يكن اجتباؤهم لتحقيق مقاصد أيام السلم ، بخاصة • بل على النقيض من ذلك ، انهم في الاغلب الاعم سُلبوا ، على تكرّه واجتواء ، من حكومة بلدية ، منهوكة القوى خلال أيام الحرب ، أو سُحبوا ، وهم يحتجّون، من كتائب المشاة الهندية التي كانوا الحقوا بها من هيأة الضباط الاحتياط في الجيش الهندي •

وفي سجل (الشرطة العراقية) تقع على مثال حسن ، وان لم يكن مثلا موحّدا على غرار الذي أسسه الموظفون البريطانيون ، وذلك من غير فقدان العرق البريطاني في الخدمة العامة والاستقامة الفردية • ان الجهاز ، في وقت تحرير هذه السطور ، أكثر تحررا من الفساد والافساد ، ومن الاتهام بسوء الاستعمال، بالنسبة الى أي بلاد شرقية أعرفها • حمدا الى انفة الفرد الشرطي العربي الدائبة وشكرا • انه من عُرف بالاقتدار على الاضطلاع بواجبه ان مُكّن من أجر يقيم به اوده (وان كان ثمة مجال لتحسين مباشر في هذا الاتجاه) ، ومن الدعم الرسمي والتدريب المنهجي ، بوجه يفوق اقتدارا أي جنس غربي، شريطة أن يكون « في منأى عن الاشفاق والمحاباة والتحيز والتأثر » •

وحتى نهاية سنة ١٩١٩ تسلّمنا في بلاد ما بين النهرين ، من الهند ، جماعة عدّتها ١٥٠٠٠ من اسارى الحرب ، من أصل عراقي ، مقرّنين بالاصفاد ، وبضمنهم نحو ١٠٠٠ من الموظفين الاتراك ، عسكريين ومدنيين ، وأطلقنا سراحهم • وبلغت عدة من كانوا في غيابة السجن : ٧٠٠ ، على حين كانوا ، في كانون الاول سنة ١٩١٨ : ٨٦٠ ، وكلهم ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم المدنية على وفق مقتضيات القانون الاصولية وذلك فيما خلا ١٢ رجلا حبسوا حبسا رادعا لارتكاب كل منهم جرائم العنف أو السلب على الطرق العامة ، تحت ظروف حالت دون محاكمتهم من قبل المحاكم السوّية أو جعلت ذلك غير مرغوب فيها ، ومن هذه الظروف ارهاب الشهود أو قتلهم • ونفت (الادارة المدنية) ١٢ رجلا فقط ، وذلك منذ عقد (الهدنة) وكلهم من

الموظفين الاتراك ، ومن الإرس التركي حصرا •

ان هـذه الارقام ، المستمدّة من السجل الرسمي ، لتظهر بوجه كاف واف ، حالة النظام العام السائد في هذا العهـد ، وهي باعثـة على الطمأنينة والرضى ، كما انها تكشف عن أقصى درجات القصد الذي أظهرته الشرطة وهي تمارس صلاحياتها •

انها تبين ، أيضا ، ان المزاعم التي أطلقها في سورية ضـباط بريطانيون وانصبت على قسوة (الادارة في العراق) خلال هذا العهد ، لا أساس لها •

ومع (تنظيم الشرطة) في الحواضر اتخذت اجراءات ، متزامنة متوافقة ، في سبيل تزويد الضباط السياسيين في الاقاليم قوة مسلحة يرتكنون اليهـا في اشاعة النظام واستتبابه ، وفي ضمان سلامة شبكة الطرق والمواصلات النهرية ، والقاء القبض ، عند الضرورة ، على من تسوّل له نفسه الجموح امر تعكير الأمن والسكينة •

واتخذت الاجراءات الاولى (راجع الفصل الخامس من الكتاب لتجـد القول فيه منفسحا) في سنة ١٩١٥ ، حين جُندّت (الشبانة) للقيـام بواجب الدورية على ضفاف الفرات ودجلة ولمنع القرصنة • وغبّ سنتين شُكّلت قوة من الخيالة بامرة المقدّم جي• اف• ايـدي وعرفت باسم (كشّافة المنتفق) واخضعت الى اشراف عسكري مقرّه في الناصرية فقامت بفعال قيمة • وعنـدما اضيفت تبعة (ولاية بغداد) الى تَبِعاتها ، شُكّلت (شبانة بلدية) من قبل كل من الحكام السياسيين ، وقام المقدّم سون بتجنيدهم وادارتهم على وفق نظام خاص به فنجمت قوة من الخيالة الكردية الكفاة أعادت الأمن الى نصـابه في أحرج لحظة • ومهما يكن الأمر ، سرعان ما تجلّى ان من الضروري وجود نظـام أكثر مركزية ، ان أريد ضمان تزويد البندقيات والعتاد والتجهيزات على وجه أشدّ انتظاما ، والتنسيق في شـروط الخدمة وهو أمر ضروري في تجنّب المشاعر السيئة والضغينة • ان مثل تلكم المشاعر لبطيئة النماء ، ذلك ان الشعور البلدي (المحلي) كان أبدا ، ولم يكن في الامكان الاصرار على ارتداء البزّة

الرسمية الا بعد مضي زمان ما على عقد (الهدنة) •

ان كـــون (الشبانة) ، و (المجنّدين : ليقي) من بعـــدهم ، في الاغلب الاعمّ ، من العشائريين،لذا فهم ذوو مزايا وذوو هنات،على حد سواء • لم يحاول الاتراك تجنيد أبناء العشائر في خدمة الحكومة ، وان قيامنا بذلك لدليل على روح جديدة • لقد جنح ذلك الى ايهان سلطة الشيوخ على عشائرهم ، وفقدانهم بعض أفضل رجالهم ، وهدم ذلكم الحدّ المتين ، ظاهر الركانة ، القائم بين أبناء القبائل ـ وهو أمر ضروري أولي في قيام الوحدة الوطنية ـ وتكوين نواة جيش متطوّع • هذا ومن الجهة الاخرى دلّ ، بوجه لاحب ، وعلى وجـه محتمل أيضا ، على ان ناموس (نفوذ) الشيوخ ، عند الطوارىء ، والرأي العام العشائري ، قد ينسفا ولاء المجنّدين ، خـــلال أيام (الادارة) الاولى • ومع ذلك ، وعندما ذرّ قرن الاضطرابات والهزاهز ، لم يفرّ أيّ من المجندين العرب في ولايتي البصرة وبغداد أو (ولّوا على أدبارهم نفورا) ، فيما خلا آحاد (شهربان) التي تقاذفتها الريب (ولا تكن لصغير الأمر مكترثا) اذ كانوا تماما بامرة ضابط بريطاني • وفي (ولاية الموصل) حيث لم تكن أقدامنا ، بعدُ ، راسخة أبدا ، كان الوضع يختلف عن هذا الوضع تماما • ذلك ان انتهاج المجنّدين (ليقي) : « في كل من العمادية وتلّعفر» كان كيدا ، لكن انتهاجهم فيراوندوز وكوي وأربيل والسليمانية كان حسنا • وعمل ضباط المجندين تحت وطـأة مصاعب جسيمة ، وما كان لديهم ، بعدُ ، الناموس التقليدي الذي عرف به الضباط البريطانيون العسكريون في الهند • ومع ذلك ، وعلى الرغم من ان العرب ، بطبعهم مشاكسو الضبط والربط ، لكنهم أبدوا احتراما أصيلا وتعلقا وثيقا بكثير من الضباط من أمثال : (بويل) و (ماك وينّي)[٣٧] في الحله ، (ليتلديل) في أربيل ، و (فيتزگبن) و (ماكانت) و (بوند)[٣٨] في السليمانية ،

(٣٧) رحل عن الدنيا الفانية في الخامس من تشرين الاول سنة ١٩٢٣ •
(المؤلف)

(٣٨) قتل الثلاثة في كردستان الجنوبية فى سنة ١٩٢٢ •
(المؤلف)

و (گوان) في الموصل، و (باكر) في قلعة صالح ، وغيرهم كثير استطاعوا اثبات ما هم عليه من فَوَق معنوي ومادي ، بطـــرائق استطاع رجالهم الى فهمها سبيلا • وعندما قاد هؤلاء الرجالَ ضباطُهم الى النصر المبين ، مرة ومرة أخرى ، أخذوا يسيرون في أعقابهم ونفوسهم تطفح شجاعة وتصميما •

وكانت هناك ثلاثة مصادر يُستْمدّ منها الضباطُ العرب ، هي :

١ ـ الضباط السابقون والموظفون المـــدنيون الذين سبقت لهم في (الحكومة التركية خدمة) •

٢ ـ ذوو قربى الشيوخ المتقدمين •

٣ ـ المراتب •

وكان الصنف الاول ذا قيمة ومردّ ذلك الى ما نال من تربية واحساس بالضبط والربط ، والى معلوماته العسكرية الماضية في بعض الحالات • لـكن الظاهر انهم ما كانوا ليؤثروا في جنودهم الا لماما •

أما الصنف الثاني فكان ذا نفع كبير في منـاطق الشيوخ أنفسهم ، وما كانت اناطة الامْرة بهم ، على جنود ، جيء بهم من قبائل منافسة ، بالأمر الممكن ، الاّ على الندرى •

وثبت ان الصنف الثالث هو على العموم أكثر الاصناف فائدة • ذلك ان من اختير منه كان على حظ من تربية عموما ، يتحسّس الضبط والربط ، لذا قلّت الضرورة الملجئة الى النفوذ الشخصي والقبلي ، وشرع بترقية المراتب وسيعا • وكان لكل صنف مزاياه ، وما كان هناك من واجب أعسر ، يواجه ضـباط المجندين الـ (ليفي) ، من الاصطفاء السديد[٣٩] •

بلغ عـــدد الشبانة في بلاد ما بين النهرين في نهـــاية سنة ١٩١٧ نحو ١٥٠٠ ، منهم ١٠٠٠ في ولاية بغداد • وبلغ العدد في كانون الاول سنة ١٩١٨ ،

---

(٣٩) راجع : عرض للادارة المدنية : ١٩١٨ ، ١٩٢٠

Review of Civil Administration (1918-1920)

(المؤلف)

نحو ٢٠٠٠ ، وفي نيسان سنة ١٩٢٠ كان هناك نحو ٤٨٠٠ ، منهم ٨٠٠ من الأكراد والبقية من العرب وبعض الفرس ، وقد تبيّن انهم عنصر مفيد •

لا بد ان القارىء قد استخلص من صفحات هذا الكتاب : ان عربي بلاد ما بين النهرين ليس ممن يستطاع حكمه بيسر أو السيطرة عليه بسهولة ، كما انه ليس من الهين تشكيل حكومة تلائم متطلباته ، وأقل من ذلك بالنسبة الى رغباته • ويجب أن نتذكّر ، على الرغـــم من ذلك ، ان جلّ هؤلاء كانوا يرتدون بزّات (الليفي) عندما ذرّ قرن الاضطرابات في تموز سنة ١٩٢٠ ، وانهم قاتلوا ببسالة بازاء مواطنيهم[٤٠] وفي جانب النظام والقانون (كذا : المترجم)• وقد كانت ضحاياهم ١٠٠ وزيادة • وقلّد خمسة من الضباط العرب والأكراد وعشرة من المراتب أنواط الشجاعة والاخلاص للواجب في الميدان ، ابان تلكم الحركات • واني لن أتردد فأقول ان اخلاص الليفي والشرطة الى (الادارة المدنية) جاد بأكثر مما جاد به أي عامل فذّ آخر في باب منع انتشار الحـــال الفوضى ، في خلال تلك الفترة عينها •

لقد كفّرهم الناس في الشوارع جهارا ، ومنع عنهم الطعام في الاســواق والشراب في المقاهي وكانت الكؤوس التي يشربون منها تكسر علنا • كما كانت النسوة يتجمّعن حول الثكنات ويصرخن مناديات أزواجهن وأبناءهن للخروج وحمايتهن • ان الانخراط في صفوف (الليفي) كان يعني الخزي والعار أو حتى القتل • لقد درّبوا كجنود يعملون في قوة سيّارة ، لذلك وجدوا أنفسهم في خضمّ سلسلة من الحصارات ــ في (أبو صخير) وفي (الديوانية) وفي (الحلة) وفي (الخضر) وفي (الكوفة) و (رواندوز) وغيرها • وتراءى ان قضية البريطانيين

---

(٤٠) هل الاقتتال مع ابناء جلدتهم بسالة وهل الدفاع عن مصالح المستعبد البريطاني يعنى الوقوف بجانب النظام والقانون !؟ كان عليهم ان ينضموا الى صفوف اخوانهم الثوار ليسددوا (سهما الى قلب العدو سديدا) ، ويخرجـــوا المحتل الطامع من بلادهم وصدق الشريف الرضى اذ قال :

اذا عربي لم يكن مثل سيفه ۞ مضاء على الاعــداء انكره الجـدّ

[المترجم]

خاسرة يائسة ، وان من المحقق ان الحكومة الجديدة ، مهما يكن شكلها ، لن تشعر بأي شيء ، أو بشعور واهن ان وجد ، بازاء هؤلاء القوم •

ومع ذلك بقيت الاكثرية موالية (بقلب على الضراء كالحجر الصلد) • ان النظر في أصل الولاء الذي شاع بدرجات متساوية في دائرة الشـــرطة ، وبعض الدوائر المدنية ، يستأهل مجالا أوسع مما أستطيع أن أفرده له ، ها هنا ، ولعل لبعض التأملات في هذا الباب حظا من امتاع •

ان الولاء تعبير نسبي ، لكنه شيء يفهمه الناس طرا • يقول فيلسوف أمريكي : « في الولاء ، بتعريفه الصحيح ، تمام القانون الخلقي السجيح »[٤١] لكن ، لو تغيّر أساس الحياة المادي سريعا أو لو تبدّل خلق المنظمة الاجتماعية بفتح خارجي ، لتعكّر انســـــجام المؤسسات وحــدث الصـــــدام بين الولاء والواجب[٤٢] • هذا ، على وجه التحديد ، ما حدث في العراق وفي كثير من البلدان فيما بعد الحرب • ان العربي والكردي والفارسي ، غير المتعلّم ، يستشعر الولاء العميق بازاء اسرته وقبيلته ، وان ولاءه ارادي ، عملي ، شامل لا يفارقه حتى الرمق الاخير • وليس هو بعاطفي أولا ، وانه على العموم في معزل عن الاعجاب والعاطفـة بالنسبة للافراد • ان الاضطرابات التي حدثت سنة ١٩٢٠ (كذا : المترجم) كانت ، أساسا ، صدامَ ولاء بولاء ــ ولاء بازاء أوامر علماء الدين، والشيوخ ، وهم قليلو الاحترام وفي الغـــالب مزدرون علانية ــ وولاء بازاء الروابط الرسمية وأيمان أُقسمت على تكرّه •

ومن بين الوف القتلى العـرب الذي جـادوا بأرواحهـم ، خـلال تلكم

---

(٤١) راجع :

Royce: The Philosophy of Loyalty. 1928
(المؤلف)

(٤٢) راجع :

Col, G.H.D. "Loyalties",
paper read to Aristotelian Society on
1st March 1926
(المؤلف)

الاضطرابات ، قليل ، ان وجد حقا ، من كان له مطمح شخصي يريد تحقيقه • ان ولاءهم ، مهما كان من أمر الخطل في توجيهه ، جاد على فلسفتهم الحياتية بالوحدة والاستقرار • لكن أفراد الـ (ليفي) الذين استطالت مدة اتصالهم المباشرة بالضباط البريطانيين ونواب الضباط ، وعملوا في امرتهم الى حين ، وجدوا في هذا المسلك الجديد موطن الولاء الحق ، وكانوا على ستعداد لنبذ روابطهم الاسرية والقبلية بأسرع من جفاء القضية التي التزموا بها • وهذا حق بالنسبة الى مسلك الشرطة أيضا • لست أعرف قوة في التأريخ ، حديثة التدريب رفيعته ، كهذه القوة اليافعة التي لم يمر على تأسيسها أكثر من أشهر ودهمتها المغريات التي لا يمكن أن تثبت القوة البشرية بازائها • للرائد بويل ، ضابط التفتيش في قوة الليفي العربية ، من آذار سنة **١٩١٨** حتى سنة **١٩٢٢** ، ولضباطه ، أن يتيهوا فخرا بمثل سجلها • لقد خلقوا قوةالليفي خلقا فأصبحت تحت نفوذهم حصرا • وأكبر من هذا الفضل يجب أن يرد الى الافراد ، ذلك ان احترامي لسكان العراق يرتكن الى المعلومات التي حصلت عليها خلال تلكم الايام السود ، والى الشجاعة المعنوية التي أظهرها العرب والاكراد ممن عملوا في (الادارة المدنية) حيناً من الدهر •

الفصل العشرون

نمـاء (الادارة المدنية)

في خـلال سنة ١٩١٨*

ما جواب « الانبريالى » المحدث عن سوءال مثل هذا : الى اين ذاهب أنت يا ترى ؟! لا أرى ان سـوءالا كهـذا ، لو وجّـه الى الفرنسي أو الروسى أو الالمانى ، أو حتى الى الايطالى ، يصبح ، بقدر تعلّق الامر بالاجابة عنه ، أشدّ حرجا وأكثر خطرا مما لو وجّه الى الروماني القـديم ، وأريد أن يحري عنـه جوابا . ان جواب كل منهم لن يخرج عن أنه كان ينوى تمدين رعاياه الغرباء ، شريطة الاّ يكون ذلك على حساب ارخاء قبضتـه المحكمة عليهم ابدا . ولكن ما جواب الانبريالى المتقدم في العالم ـ الانكليزى ـ يا ترى ؟ سيملكه الدهش فلن يحر جوابا قاطعا اذ ، هو ، في الحق ، يجاهد لادراك مثلين اعليين ، يجنحان الى أن يهدم بعضهما بعضا ـ واعنى بهما : مثل (الحكم الصالح) الاعلى ، المنطوى على ان يكون له الفوق دواما ، ومثل (الحكم الذاتى) الاعلى ، المنطوى على تخليه عن مقامه العلى ، كليا أو جزئيا . يضاف الى هذا انه ليعلم ، على الرغم من هذا النمط الانكلو ـ سكسونى ألمتمايز المعتم المنزلق ، ان ألانبراطورية يجب أنْ ترتكن الى أحدى قاعدتين اثنتين : احتلال عسكرى وسيع أو الى مبدأ القومية . انه لن يستطيع ، في الحالات جميعا ، اعمال فكره للوصول الى : أى الاساسين أفضل » ..

كرومر في كتابه : الانبريالية ، قديما وحديثا ١٩١٠
Cromer: Ancient & Modern Imperialism, 1910.

(*) مراجع الفصل :

Sir Percy Cox (in Lady Bell's Letters of Gertrude Bell); Review of the Civil Administration in the Occupied Territories of Al 'Iraq, 1918 (Cmd. 1061); Review of Civil Administration of Mesopotamia 1920, Administration Reports (for list see Bibliography, Official, Mesopotamia); Hewett, Marshall, Lyall, Hay, Official History, Woodyatt.

(المؤلف)

وتواقت مع الحوادث الجسام التي شهدتها الحلبة العسكرية ، ومع الفاعليات التي جئنا على وصفها في (الفصل السابق) ، وهي شتى ، شروع جهاز (الادارة المدنية) ، في خلال سنة ١٩١٨ ، بالرص والتبلور في ولاية بغداد ، وباشتداد ساعده في (ولاية البصرة) وهي التي بقيت حتى نهاية تلك السنة (وحدة ادارية) يوجهها مستر هويل ، وهو من خلفني باعتدادي (مساعد المفوض المدني) • وفي كانون الاول ١٩١٧ قام سر پرسي كوكس بجولة في منطقة الفرات الاوسط كي يسدي النصح الى القائد العام بشأن نقاط شتى تتصل بوضع مفرزات فيها ، تلبية للضرورات الادارية وبعثا على الطمأنينة والرضى • واتخذ الاجراء اللازم ، قبل نهاية السنة ، اذ أرسلت حاميات الى نقاط ذوات خطر ، طبق (توصياته) عموما •

كنا نتوق ، ولعل ذلك كان في غير لزوم ، الى تجنب وضع الحاميات العسكرية في مدينتي : النجف وكربلاء ، وهما مدينتان يعلي من شأنهما المسلمون الشيعة[1] في الهند وفارس معا • حقا ان الاتراك وضعوا حاميات فيهما في مدة الحرب كلها • وسرعان ما تجلى لنا ان العناصر الخارجة عن القانون (كذا ، والاصح أن يقال الثائرة على الاحتلال البريطاني البغيض ـ المترجم) في المدينتين المذكورتين ، والنجف منهما بخاصة ، كانت تستفزها الدعاية التركية ويثيرها المال الالماني فتخلق الصعاب لنا في طول مناطق الفرات الاوسط وعرضها : وأيا كان الأمر كان من الخطر ، بالنسبة الينا ، أن نزعم بأننا قادرون على القيام بما قام به الاتراك بثبات ، باعتداد انبراطوريتهم الاسلامية ، ومن غير اثارة التحيز والحزازات ، لذلك تجنبنا اتخاذ أي اجراء عسكري حتى آخر لحظة مستطاعة • وفي الحق اوحي الينا اننا ملزمون بموجب (المنشور) الصادر في اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩١٤[2] ، بعدم وضع حاميات في المدينتين

---

(١) لاوجه لتخصيص أعلاء شأن (العتبات الاسلامية المقدسة) بطائفة من المسلمين دون الطوائف الاخرى ، فجميعهم يعلون من شأنها ، لكنها (عقلية الاستعباد) الجديد تلتزم بالمبدأ الخبيث القديم : (فرق تسد) •
(المترجم)

(٢) راجع : Appendix, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917.
(المؤلف)

المذكورتين • ومهما يكن من امر ، ما كانت الحجة هذه ناهضة ، ذلك ان (المنشور) صيغ بعبارات عامة ولو فسّر حرفيا لاعتدّ مطبقا لا على النجف وكربلاء حصرا ، بل على الكاظمين وسامرا وبغداد ، بله ان نذكر (بيت المقدس) ، ولقد عفا مجرى الحوادث عليه ، لأمد طويل ، فغدا ، على الورق ، حبرا •

وشهدت النجف ، في تشرين الاول سنة **١٩١٧** نجوم اضطراب ، أول مرة[٣] ، وكان ذلك بما يتصل بقضايا الحصار[٤] • واثر زيارة سر پرسي

---

(٣) انظر : Loyalties Chapter XV. (المؤلف)

(٤) قبل كل شيء يجب ان نقرر ان القبائل العراقية ، العربية منها والكردية وغيرها لم تخضع للدولة العثمانية ، في الغالب الاعم ، الا خضوعا شكليا أو جزئيا ، وهذا يفسر خروجها على (الدولة) المذكورة ، وقد دأب ذلك بالنسبة للاحتلال الانكليزي والدوله المستعبدة الجديدة •

ومن المتعالم المتعارف عليه أن هاته القبائل ، بطبعها ، تكره السلطة **اطلاقا ، فكيف بسلطة اجنبية ؟!**

وكانت الحكومة البريطانية عينت ، اثر اختلال النجف ، ممثـــلا لها فيها هو (حميد خان بن أسد خان) أحد سكانها وجعلت في امرته مجندين من الاكراد الفيلية (الشبانة على ما كانوا يعرفون في هاتيك الايام) ، كما انها فرضت على المدينة المقدسة حصارا واتهمت أحد متقدميها المسمى **(الشيخ عطية ابو كلل) بخرقه والاتجار مع الاتراك في مواد حرمت** الاتجار بها واعني بها : الزئبق والقلاى ، وتألفت فى النجف (جمعيــة النهضة الاسلامية) للسعى الى انقاذ العراق من الاحتلال البريطـــانى البغيض وأخذت تدعو الى ذلك بوساطة أعضائها من رجال الدين وكانت مضارب القبائل القاطنة حول النجف ميادين لدعوتها • ثم أن الجمعية المذكورة اتصلت بالجيش العثمانى – بحكم الرابطة الدينية مع آحاده – **المقاتل على ضفتى الفرت الشمالي ومع الحاكم العسكري التركي المسمى** (أحمد اوراق – رح) أيضا • وهذه (اوليات) الاضطراب الذى يشير اليه (المؤلف) وسننتهز كل نهزة قابلة مناسبة للتعليق على مجرى الوقائع تفصيـــــلا •

خليق بنا ، ها هنا ، أن نذكر أن (ثورة النجف) هذه ان هــي الا صدى (معركة الشعيبة) ، ولقد استفاد الاتراك منها لانها ساعدتهــم في الحرب التى كانت تتلظى في شــمال العــراق ، بينهــم وبين الجيش البريطانى ، كما أن ثورة النجــــف هى الشرارة التى أطلقت (ثورة العشرين) فيما بعد • ان القضاء على (ثورة النجف في سنة ١٩١٨) **آخر نشوب (ثورة العشرين) الى حزيران سنة ١٩٢٠ •**

(المترجم)

كوكس المنطقة ، في كانون الأول سنة ١٩١٧ ، انفذت قلّه من الجند ، في اوائل شهر كانون الثاني الى الكوفة ، وهي على بعد خمسة اميال ، شرقي النجف • لقد حملت قلّة" عدّتهم من النجفيين على الايقان باننا نعاني من وطأة الحال في اماكن أخرى • واصليت دورية خيالة من الاسوار ناراً ، وتعرضت طائرة حلّقت فوق المدينة الى رمي شديد • وهوجمت دوائر الحكومة في النجف فاضطر (اغا حميد خان) ومرؤوسوه من الموظفين ـ وكلهم من العراقيين ـ على الفرار الى الكوفة • وكانت العقوبة : ٥٠٠٠٠ روبية و٥٠٠ من البندقيات مقرونة بتسليم القائدين : الحاج عطيه أبو كلل وكريم بن الحاج سعيد ، وولّى الاخير ، على كل حال ، فرارا • لقد جمع الشيوخ المتندّمون مبلغ الغرامة ، كما احتجنوا قسما منها لانفسهم ، وذلك من السكان المتقدمين البُرءاء من المشاركة في الاضطراب ، كما سلّموا ٥٠٠ من البندقيات غير الصالحات • وحلّ في الكوفة ، في الوقت نفسه ، فوج من الجند ، كما حلت مفرزة في الثكنات خارج أسوار النجف •

وفي اليوم الاول من شباط اوفد النقيب مارشل من قبل سر پرسي كوكس الى النجف ليغدو مساعدا للنقيب بلفور المنسوب الى (الخدمة المدنية السودانية) والذي نيط به (لواء الشامية) منذ تشرين الاول سنة ١٩١٧ • ان النقيب مارشل هو الذي وصفه (كاندلر) ، في موضع ما بـ « واحد من اصلح الناس واعقلهم » وهو الاليق للنهوض بواجبه العسير على وجه فذّ • كان يتكلم الفارسية بطلاقة وشغل لمدة عشرة اشهر منصب (مساعد الحاكم السياسي) في المدينة الشيعية (كذا : المترجم) والعتبة المقدّسة : الكاظمين وتمتع فيها باحترام عام واجلال • كان يأمل العودة الى انكلترة في صيف سنة ١٩١٨ كي يتزوّج ، لكن ما ان عرض عليه منصب (النجف) الاّ تخلّى عن شأنه الشخصي لحين من زمان كي يضطلع بعمل ذي تبعة جسيمة • وهكذا انصرف بكليته الى ذلك الواجب يصرّفه بفطنة متوثبة مستجيبة على عجل ، حببته الى رجال الدين البلديين سريعا • انه من جاء اليهم بـ (وثائق اعتماد) ، من اخوانهم في الكاظمية ، من طبقة عالية •

وفي أوائل آذار ، والوضع قد تحسّن ظاهرا ، سحب فوج الجند ، وإن لم يكن ذلك من غير امتعاض خبره وأفصح عنه رسميا (بلفور) و (مارشل) معا • ودارت اشاعات حول اندحارنا المتوقّع وعودة الاتراك وحفلت بتفصيلات غنية فعلمنا ، مما خبرنا ، انها على صلة بوكالات خارجة • واذ الشمس في افق الشروق واقبه ، باليوم ال ١٩ من آذار ، حصل نفر من النجفيين المتنكّرين بزي (شبانة) على السماح لهم بدخول (خان عطية) ، وما أن تخلّصوا من الديدبان الا أجهزوا على التاعس مارشل وجرحوا (ضابط العمل) الذي كان معه جرحا بليغا • واستطاع الحارس ال (پنجابي) أن يطرد الثوار ووصل (النقيب بلفور)[٥] من الكوفة ودخل المدينة • وعلى الرغم من أن النار التي انهالت عليه كانت شديدة لكنه وفّق الى الاتيان بنصف قوة الشرطة ، وقد صرع اثنان منها في السوق • ولجأت البقية الباقية منها واستجارت بدار السيد مهدي السيد سلمان • ولو أمسك النجفيون أيديهم ، أياما قليلة ، لما وقع مقتل النقيب مارشل وما جاء في أعقابه من حركات ، ذلك ان قد أسّرت[٦] كل القوة

---

(٥) **كان هذا يسمى ب (حاكم لواء الشامية والنجف)ويقيم في الكوفة ،** وما أن بلغ النجف الا وضع خطة تفرض الحصار عليها ، وجاء لواء ال **(جنرال ساندرس) لتنفيذها • وكان اشغل شاطىء الفرات عند** الكوفة وخاناتها ودورها المطلة على النهر وشرع يحفر الخنادق ويرفع المتاريس وينصب الاسلاك الشائكة • وللنجف ، على ما هو معروف ، سور قديم فيه رتاجات قام (اللواء) المذكور باغلاقها على أهل المدينة كما وضع عليها الاحراس ، ليقطع القوت والماء عن ثوارها ، لكن لسان حالهم كان :

اذا قيل هذا مشرب قلت : قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ودام الحصار ٥٠ يوما ، وحاول الثوار النجفيون فكه فلم يوفقوا • ثم ان المدفعية البريطانية أخذت ترمى المدينة بقذائفها ، وتسندها القنابر اليدوية ، وحلقت فوقها الطائرات فاضطر الثوار الى الاذعان ، وكيفما كان الامر لا تنس أن التكافوء فى قوة النار والحديد كان مفقودا ، وقبض على قادة الثوار الذين تمالأوا على قتل مارشل المقدم ذكره •

(المترجم)

(٦) راجع الفصل ١٧ من الكتاب • **(المؤلف)**

التركية في الرمادي ، على الفرات ، بعد اسبوع من ذلـــك أي بيوم ال ٢٦ من آذار .

وجاء فعل ال (جنرال مارشل) كلمح بالبصر ، اذ فرض الحصار عـــلى بليدة النجف وجرى ذلك على يد لواء كان بامرة ال (جنرال ساندرس) ، كما تم اعلان الشروط التي تلي السطر :

أ ـ تسليم بعض الاشخاص الذين عرفوا بأنهم قادة الحركة ، وبزعم مفاده انهم كانوا بين المهاجمين ، على أن يتم تسليمهم من غير قيد أو شرط .

ب ـ غرامة قدرها ١٠٠٠ بندقية .

ج ـ غرامة نقدية مقدارها : ٠٠٠ ٥٠ روبية .

د ـ نفي ١٠٠ شخص الى الهند باعتدادهم أُسارى حرب .

هـ ـ وحتى تنفيذ الشروط المقدّم ذكرها يفرض الحصار على البليـدة ويقطع عنها الماء والطعام(٧) .

كانت ساعة العسرة في تأريخ (الادارة المدنية) ، ذلك ان فرض هـذه الشروط ان هو الا تحدٍ للعناصر المتعصّبة المتزمتة في طول بلاد ما بين النهرين وعرضها . انه توكيد لحقنا وواجبنا وديننا في أن نحكم من غير أن نأبه ملاطفين الى ادعاءات النَفْج التي تدور على السنة من نصبوا أنفسهم في المدينة هيأة حكام عليها تلقائيا (كذا : المترجم) ، كما وقع في أيديهم الروحانيون الذين كانوا في الغالب ذوي نوايا طيبة ، في هذا الاوان ، تجاهنا ، لا حول لهم ولا قوة أبدا . وبلغ التوتر أشدّه ، وكان يُشفق من رجّع غير مُسْتحب في بعض الجهات . وزاد العنصر السُنّي في بغداد من صعابنا حين أفصحوا عن جذلهم بجهرة ، ومرد ذلك الى اضطرارنا ، فوقوعنا في الشبكة المسمومة . واتّصل الروحانيون في فارس

(٧) حنانيك يا رب ! هذا هو الاستعباد البريطاني ، على الحقيقة وان أدعى انه جاء العراق « محررا » « منقذا » ! (انه غشوم ظلوم للمواثيق ناقض) حقا ، (لكنه القول يجري حين يبتعث) « دوما ، والدلائل والبينات على ما نقول تفوت الاحصاء كثرة » .

(المترجم)

والعراق بأقرب (حاكم سياسي) وأبـــدوا مخاوفهم من نجوم استنكار عام ، وعرضوا طلبات ضخمة تتصل بالرأفة أو اقتراحات تنصب على « الوساطة » . وحملت (الحكومة الفارسية) على أن تفصح الى (الوزير البريطـــاني) عن مخاوفها ، اذ قد تستثار ، بالاخبار المتناهية ، المشاعر الدينية الفارسية ، استثارة خطرة • وحاولت (الرقابة العسكرية) قمعها ، لكن ال (جنرال مارشل) أمر « بنشرها وصبّ اللعنات عليها • » وحاصر الوسطاء مكتبي ببغداد ومعهـم اقتراحات غير معتمدة ل « حلّ سلمي » • ووصلتنا رسائل غفل من الامضاءات تنذر بالقتل وتقدم بالوعيد • كما جاءت من (حكومة الهند) و (وزارة الهند) برقيات تخفي توترا عصبيا غير طبيعي وتشفق من العقبى المحتملة التي تختبي في اعقاب هذه الاجراءات الصارمة • لكن سر پرسي كوكس وحده ، وهو من دأبت على اطلاعه تماما ، التزم جانب الصمت المشجّع السديد •

وباليوم السابع من نيسان استولى لواء ال (جنرال ساندرس)(٨) على تلول تسيطر على البليدة واخليت البقية البـــاقية من موظفي الحكومة في النجف • وباليوم الرابع من أيار سلـّم جميع الاشخاص ذوي الخطر أنفسهم ، واعلن ان الحصار قد أتى على نهايته • ولم تطلق على البليدة ، خلال هذه الحركات ، اطلاقة واحدة ، وجرى الحفاظ على اتصال حميم مع (المجتهد الاعظم) السيد كاظم اليزدي •

وشكّلت في (الكوفة) محكمة عسكرية لمحاكمة المعتدين (كذا : المترجم)• وأسفرت جلسات تلكم المحكمة ومرافعاتها عن الحكم على ١١ منهم بالاعدام ، وبالسجن على تسعة ، لمدد تتراوح من ست سنوات الى مدى الحياة (المؤبّد) • وكان بضمن الذين حكم عليهم بالاعدام بعض القـادة الروحانيين الرئيسين في البليدة ، وكانت البينة عليهم قائمة متوافرة تدعمها مستندات غنية(٩) ، وهي مستندات ، كانت في حيازة الضباط الالمان الذين اسروا على الفرات ، وأظهرت

---

(٨) راجـع : Woodyatt, p. 305. (المؤلف)

(٩) راجع الفصل ١٧ من الكتاب • (المؤلف)

بجلاء أن التحريضات على قتل الموظفين البريطانيين ، ها هنا وفي فارس ، مدعومة بمغريات النقد الوفير ، كانت جزءاً من خطة الحملة الالمانية[١٠] . وفي النجف وضعت خطط تنصب على قتل جميع (الحكام السياسيين) في هذا الجوار ولم تخفق الا لأن مؤامرة (كذا : والصحيح ثورة : المترجم) النجف قامت على استعجال . كان اعلان أحكام الاعدام منطلقا جديدا لدفق سيل من الرسائل والبرقيات جاء من جهات عديدة تهيب بي أن أشير على (القائد العام) بتبديل الاحكام الصادرة على الشيوخ وقادة الحركات واعدام الشخصين اللذين قتلا (النقيب مارشل) حقا ، فقط . واستغيث بالشرعة الاسلامية التي تمنع اعدام أكثر من شخص واحد بسبب ارتكاب جريمة قتل واحدة ، وجاءت وفود من (السادة) و (الملالي) و (العلماء الصغار) تحثّ على الأخذ بالرأفة وتتنبأ بانفجارات محزنة واستنكارات عامة ان نفذت الاحكام حقا . واتخذ (بلفور) ، وهو من تقع عليه تبعة ادارة الاقليم ، موقفا صلبا ضد الرأفة ، وقبلت وجهة نظره ، شأني في ذلك كشأن ال (جنرال مارشل) سواء بسواء . وهكذا تم تنفيذ حكم الاعدام في الكوفة علنا ، في ال ١١ رجلا ، وكان ذلك باليوم ال ٢٥ من أيار والصبح يتبلّج .

وكانت العُقبى مدهشة و (دراماتيكية) معا . اذ بعد سويعات من تنفيذ الاعدام أقام (كليدار النجف) حفلة استقبال في بيته الكائن في سُرّة البليده . وحضرت الحفلة مصحوبا بكل من (بلفور) و (كرين هاوس) والأخير من جئت به من (ششتر) ، حيث انجح[١١] في عمل ممتاز ، ليكون ل (مارشل) خلفا . عبّر ال (كليدار) ، في حضور الوجهاء الاعلياء الباقين وكثير من العلماء عن رضاء أهل البليدة ، الذي لايحدّ ، من انقاذهم من أيدي الاشرار (كذا : المترجم) وعن أمله الصادق بأن تندمج ادارة (النجف) بالادارات الاخرى في (بلاد ما بين النهرين) وأضاف انه يرجو منا تحقيق المطمح الأثير لدى أهلها وهو : أن

---

(١٠) راجع : Marshall, p. 291.

(١١) انجح للمرء ونجح للامر . (المترجم)

يحصلوا على ماء يدفق من الفرات[١٢] • وأنهى خطابه بتقديم (سيف تشريف) الى (بلفور) « كي يدافع ، في مقبل الايام على ما فعل في ماضيها ، عن حريات المدينة وسكانها » (كذا : المترجم) • كما قدّم لي ، في الوقت نفسه ، خاتما ضخما من ذهب وعصا من فضة ، كرمز ، على حدّ قوله ، دال على رغبة أهل النجف بأن تبقى رتاجات[١٣] البليدة وقلوب أهلهـــا منصفقة لمثلي (الادارة المدنية) مفتوحة • وكان أبقى رغبته في هذا الاهداء سرا ، اذ ان كثيرين كانوا يشفقون من ان بعض القادة قد يفلتوا من العقاب في آخر لحظة •

كان لتنفيذ أحكام الاعدام[١٤] ، وخبره يتطاير الى الناس ، أثر عميق في طول (بلاد ما بين النهرين) وعرضها ، وبين القبائل خصوصا • وكانت عدّة ما وصلني من تعبيرات عن الحمد والانفراج ، بسبب ما آل اليه الأمر ، أكثر من رجاءات الرأفة التي تناهت اليّ قبلا • وكان الأثر في النجف حسنا كليا ، كما قوّضت قوة الجماعتين المتباريتين المتنافستين في البليدة ـ أعني ال (زكرت)

(١٢) أدى (القائد العام) زيارة رسميـة الى النجف ، غب اسبوعـين اثنين ووعد بأن هذا الامر سينال العناية فورا • وأوفى بالوعد المذكور لفائدة أهل البليدة والوطنيين معا • (المؤلف)

(١٣) الرتاج ، بكسر الراء الباب الكبير المغلق وعليه باب صغير أو البـاب الكبير اطلاقا • (المترجم)

(١٤) كان ذلك عند الصبح بيوم الثلاثاء الموافق ٢٠ ايار ١٩١٨ وبمحضر من عدد من الشيوخ وسراة القوم ، والذين تم اعدامهم لان قانون الاستعباد الغاشم هو الذى جرمهم ، هم : كريم الحاج سعد وأحمد الحاج سعد ومحسن الحاج سعد وعبد ال الحاج سعد - المدعو بسعيد - والحاج نجم البقال وكاظم صبي وجودي ناجي ومحسن البو غنيم وعباس علي الرماحى وعلوان على الرماحى ومجيد الحاج دعيبل • أما المعتقلون الذين لم تتوافر الادلة ضدهم فلقد سيق ٧٥ منهم بالزوارق الى المسـيب صعدا واحتجزوا فيها ، ثم أرسلوا الى بغداد ، والى البصرة نزلا ومنهـا الى الهند انتهاءا •

وفي الهند وضعوا في - معتقل سمربور - ، شمالى الهند ، حيث عوملوا معاملة قاسية فظة • والحـق بهم آخـرون حتى بلغت عـدة المعتقلـين ١٢٢ وكان من بينهم - عطية أبو الكلل ـ الذى ورد أسمه على لسـان (المؤلف) غير مرة • (المترجم)

وال (شمرت) ، ومنذ هذا الزمان لم تعد النجف ، كرة أخرى ، مصدر قلق خطير ، بالنسبة الى حكومة البلاد أبدا • وفصل (بلفور) الى وطنه بعد هذه الحوادث مجازا ، فخلفه في منصبه (رونلد وينكيت) المنسوب الى (الخدمة المدينة الهندية) ونجل (سر ريجنالد وينكيت) ، وتحت ظله سار (التنظيم) و (الابتعاث الاداري) خطوات في طول (لواء الشامية) وعرضه • وركّزت في النجف قوة شرطة نظامية ، ورتّب موظفون عرب في (الشُعَب) المسمّاة : أم البعرور وأبو صخير وهور الدخن والمشخاب والغمّاس ، وصُبّت محاولة في سبيل ابتعاث مشاريع الارواء ، على وجه هيّن ، وفي سبيل بناء الطرق •

وتقبلت القبائل النظام الجديد ، وهي فرحة جذلى ، قبولا حسنا ، وأظهرت استعدادها التام لنبذ ولائها لرؤسائها والتعامل مع الموظفين الدنيين رأسا وذلك بقدر تعلق الأمر بأمور الواردات والشؤون الاخرى • وبان هذا الميل ، خلال سنة ١٩١٨ ، على درجات شتى ، في كل من أقاليم بلاد ما بين النهرين ، لذا غدا احدى المشكلات الرئيسة التي كانت تجبهنا ، ذلك انه أثار قضية شكل حكومة العراق القابل برمتها • أعلينا أن نرمي الى شكل « بيروقراطي » من أشكال الادارة ، على غرار ما هو جار في تركية ومصر ، ويتضمّن سيطرة مباشرة تفرضها حكومة مركزية ، واستبدال التحالف القبائلي الايد بوحدات قبائلية أصغر ، أو بوحدات من فروع القبائل ، وذلك كمقدمة الى احلال الفردية في الارض بدلا من الملكية المشاعة • أو ، أيكون مرمانا الحفاظ على سلطة الرؤساء القبائليين وتقويتها ، شريطة اخضاعها الى تحفّظات موائمة ملائمة ، وصيرورتهم وكلاء عن الحكومة وممثليها الرسميين ، كل منهم ضمن منطقته ؟ كانت السياسة الأخيرة ، لعدم وجود ما يفضُلها ، هي المقرّرة المعمول بها ، في ولاية البصرة ، وفي لواء المنتفق خصوصا • أمن سداد الرأي تطبيقها في ولاية بغداد يا ترى ؟ وكان لكل من السياستين أنصار ، واتفق على أن يكون التعامل مع القبائل الرحالة عن طريق قادتها الذين اصطفتهم بأنفسها • وما كانت أيدينا ، بطبيعة الحال ، طليقة كليا ، ذلك ان الاتراك ، قبل نحو ٥٠ سنة ، كانوا اتخذوا إجراءات

لنقض أيد القبائل الكبيرة القاطنة في منطقة الشامية ، عن سبيل اعطاء جزء من أراضيها الى جماعات قبائلية صغيرة والى (السادة) • وقام رؤساء تلكم القبائل الصغيرة ، بدورهم ، بتقسيم الارضين المعطاة لهم بين رؤساء اسرهم ، محتفظين بجزء منها لأنفسهم حسب • ان لرؤساء الأسر الاصلاء ، المعروفين اليوم بال (سراكيل)، الحقوق التي كانت لرؤسائهم أنفسها ، وذلك بالنسبة لأراضيهم • لذا فهذا النمط من التملك لا يعدو أن يكون اجارة ، وشرطها دفع ما للحكومة ومقداره خمسا الحاصل الكلي سنويا • ان عدم دفع هذا المبلغ أو الاحجام عن استغلال الارض يخوّل الحكومة انهاء الاجارة • وفي الحق ان الحكومة لا تتدّخل ، الاّ على الندرى ، وان الشيخ أو السيد هو المالك حقا[١٥] •

وكانت شروط ملكية الأرض مختلفة في كل لواء وذلك على وفق درجة سيطرة الاتراك الحقة فيه وطبقا لعادات السكان واعرافهم • وليس في الامكان وضع قواعد عامة ، وما كان مستطاعا ، الى أن حلّت سنة ١٩١٩ ، الحصول على معلومات تستند الى أرقام تمكن الادارة ، بوساطة (مفوّض الواردات) ، من الافصاح ، بأي درجة من الايقان ، عن حقوق الحكومة ، ورؤساء العشائر والمالكين ، أصحاب (العُقر) والمستغلّين في المناطق، على اختلافها • وبنماء المعلومات الرسمية ووفرتها ، نجم الاعتقاد بأن نقض النظام العشائري هو أمر ضروري للتقدم المنتظم ، وذلك أيا كان نمط الحكومة التي ستشكل في مقبل الايام • وانعكس هذا المعتقد في التغيّرات الوظيفية المتدرجّة في منظومة الادارة خلال سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، وهو اليوم ، ومنذ ذلك التأريخ ، ملحوظ بأكثر •

وفي جنوبي النجف ، في السماوة الكائنة على الفرات نُزُلا ، كانت الشخصية المتقدّمة هي شخصية (السيد طفّار) وهو صديق قديم ، لكن العشائر كانت عسيرة القياد خصيصا • لقد تفتت هذه العشائر فغدت فروعا صغارا تطوّح بها الثارات وتجعل أمرها فرطا ، وكلها كانت تجد في تنهاب السفن وتسلابها ما يقيم

---

(١٥) راجـــع : Report of Administration for 1918, p. 73.
(المؤلف)

أودها . هذا من جهة ، اذ ما كان ثمة شيخ قوي يُستطاع اصطناع عونه ، ومن جهة أخرى كان ينظر كل (شويخ) وعشائري الى نشر رواق النظام واقامة حكومة مستقرة كارها . ومنـــذ برهة مبكرة في حرب السماوة تقسّم القوم عصبتين، كان زعيم احدى (العصبتين) جانحا بهواه الى الأتراك والآخر جانحا بهواه الى البريطانيين[١٦] ، وهو من قاسى بالسبب هـذا أكثر من احتجاز في (معسكر عجمي) الكائن في الصحراء قريبا . وكان اطلق سراحه وسمح له بأن يعود ، اثر سقوط بغداد ، الى السماوة . ومن غير عون يسدى له ، ما كان في مقدوره أن يمدّ رواق النظـــام لذلك صارت الامور من سيء الى ما هو أسوأ . وتحدّت (قبيلة بني حجيم) السلطات كلها ، وجرت محاولة لاختطافه . وكان لزاما أن يعاقب المعتدون الاشدّ سوءا بنقض ابراجهم الطين (المفاتيل : المترجم) :

[فأصبحوا في ذلك اليوم العَسِـر كأنهم أعجاز نخل منقعر][*]

وساد الهدوء المنطقة وسرعان ما اعيد فتح سبل التجارة .

وعلى الفرات ، فوق الرمادي ، مكّن ما أدركه (سر هاري بروكنك) من نجاحات (الادارة المدنية)، قبل نهاية السنة، مايلي: اذ أخضعت قبيلة الدليم كلها الى سيطرة نفاذة واتصلت بالعناصر العشائرية القاطنـة حـول (عانة) وبضمنهـا (العكيدات) . ثم نجـمت لنا صلات وثيقة بـ (عنزة) وكان رئيسها الشيخ الهرم : فهد بك الهذّال .

وكان الوضع السياسي في هذا الجزء من (بلاد ما بين النهرين) ذا تعقيد خاص . كان علينا أن نتعامل في آن واحد ، مع قبائل رعوية محضة ترتكن في قوام حياتها الى قطعان من الاغنام والابل ، ومع قبائل رحالة شطرا ، ومستقرة شطرا ، الى جماعات متوطنة لا تنتظم على أساس قبيلي الا جزئيا ، وأخيرا مع

(١٦) راجع الفصل الخامس عشر من الكتاب .

(المؤلف)

(*) اضافة منا اقتضاها (السياق) اردنا بها جلاء المعنى واشراق المبنى .
(المترجم)

سكان مدن متعلمين نسبيا • وعموما ما كانت العناصر الرحّالة المحضة على التعامل بعسيرة ، ذلك اننا كنا نمنح كبار الشيوخ منحا ، على غرار ما كان يفعل الاتراك قبلا ، فيتعهّدوا بالحفاظ على السلام على طول حدودنا • وما كان من شيء جديد حتى الآن ، بقدر تعلّق الامر بالعلاقات بين سكان القفر ومستوطني الارضين ، ورغبة في تلبية ضرورات الحرب الطارئة اضطررنا الى طلب المعونة من رؤساء القبائل الرحّالة ، ضد أعدائنا ، سواء أكانوا أتراكا أم كانوا قبائل معادية ، وتعاونهم في الحفاظ على الحصار التجاري[١٧] •

كان منع وصول البضاعة الى العدو ، بلا شك مريب ، من أثقل الضرورات التي حملناها بسبب من أحوال الحرب • وعلى الرغم من المساعي التي بذلت الى أقصى حد ، لم ينجز ذلك تماما ، فأسعار البضائع العالية في الارضين التركية ، سواء أكانت على ضفتي (النهرين) أم في سوّرية ، كانت مغرية على الاسترباح العظيم لذلك اندحرت أمامها قوة الثبات والاقدام فينا • صحيح ان الحصار البرّاني جاد علينا بنفع طارىء ، فالى منع القبائل المعادية من الحصول على أكثر مما هو معتدل من وسائل المعيشة ــ اذ انه حتى هــذه المرحلة انجز القصد المرتجى منه ــ مكننا من تزويد القبائل الرحالة التي هربت من الطغيان التركي ونشدت اللجوء الى حافات أراضينا • وعلى ذلك ، ما أن لم تستطع ، في شتاء سنة ١٩١٨ــ١٩١٩ ، قبيلة عنزة[١٨] القاطنة على الجانب الغربي لبادية الشام الحصول على القوت الا جاءت الينا بأعداد كبيرة جدا بحيث كنا نطعم : ١٠٠ ٠٠٠ من البدو في زمان ما • وكان شح مواد الطعام في العراق عظيما ، بحيث كان مصير جلّ

(١٧) أي الحصار الذى فرضه المستعبد البريطانى كى يخضع ، بالاجاعة ، بني جلدتهم ، ولا شك ان الذين سيعانون من ويلاته ، بالدرجة الاولى ، هم الطبقات المسكينة ذوات المتربة الدنيا ، وهو ذرو مما كان المحتلون ذوو العقلية الجهول والنفس الطامعة يعمدون اليه : (الا ساء ما كانوا يفعلون) • (المترجم)

(١٨) الجد الاعلى لهذه القبيلة (وائل) وابنه (بشر) ولقبه هذال وبيت الرآسة اسمه (عمارات ابن هذال) ، وفرعا في القبيله في العراق هما (الجبل) و (الدهامشة) ، وتبلغ عدة (عنزة) في العراق نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة • (المترجم)

هؤلاء الموت جوعا • وحاصل الأمر : ان لم يعطنا المهاجرون ، في الحق ، عونا عسكريا ما فانهم لم يكونوا يسدون منه لاعدائنا شيئا ، ابان توانيهم معنا • وكيفما كان الأمر ، ليس من قول يورد في صالح الحصار الجوّاني ، أعني الحصار الذي فرض داخل العراق ، فيما خلا انه كان ، في تلكم الظروف ، أمرا لا معدى عنه ضروريا • لقد عرقل دفق التجارة ، فارتفعت بذلك الاسعار ، وعليه تقع تبعة نسبة كبيرة من الجرائم الخفيفة المرتكبة في الاراضي المحتلّة • والغي بمجرد أن سمحت بذلك الاعتبارات العسكرية •

ومن حسن الحظ ، بقدر تعلق الامر بالحفاظ على مصلحة بلاد ما بين النهرين ، اننا لم نتبع السياسة المتسّمة بالرؤية في مطارح البصر القصير ، التي كانت (وزارة الحرب) تصرّ جادة علينا باتباعها ، ونعني بها توزيع السلاح والمال على السواد الاعظم من الناس أملا في تشجيعهم ، بذلك ، على الهجوم على الاتراك • وايا كان الامر لقد عانينا من الافراط في توزيع البندقيات والعتاد على قوات العرب المتعاونة معنا على جناح الـ (جنرال اللنبي) • ان بندقيات ، كهذه ، كانت تستباع في بلاد ما بين النهرين خلال مديدة من تسليمها على الجانب الآخر من بلاد العرب • وبالنسبة للعتاد كان يتراءى ان تجهيزه لا نهاية له وما له من فواق ، في صناديق مملوءة غالبا ، وكنا ، على غرار البندقيات ، قادرين على استكناهها ، باعتدادها قد مرّت من أيدي (القوة المصرية) • وكانت كميات كبيرة تسرق من (حملة بلاد ما بين النهرين الاستكشافية) نفسها أو ممن يقف ضدها •

وكان اشتداد السيطرة على مناطق الفرات وقيام صلات بيننا وبين (شمر الجرباء)[19] ، متزامتين متواقتين ، والقبيلة الاخيرة كبيرة تجوب الارضين الممتدة من نقطة لا تبعد عن بغداد شمالا حتى نصيبين صُعُدا • ان أعداداً من هؤلاء

---

(١٩) اصل القبيلة في نجد ، وشمر نجد هي (شمر الجبل)،وسميت بذلك لانها كانت تقيم اعتيادا في جبلي (أجا) و (سلمى) • ومن شمر قبائل انضمت فتكونت (شمر الجرباء) والتي هاجرت الى العراق قبل نحو ٥٠٠ سنة والشام • وديرة شمر الجرباء العراقية أراضى الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات • وديرة شمر طوقة العراقية بين سلمان باك والكوت • وشمر من اولى القبائل الرحالة التي بدأت تستوطن • (المترجم)

القبائليين تنزل ، خلال الشتاء ، الى المراعي الدافئة الكائنة جنوبي بغداد اعتيادا ، ولقد مثلوا بيننا الى حد بضع آلاف خيمة ، في خريف سنة ١٩١٧ ، ولما لم يكن ثمة نطاق عسكري قوي بين الفرات ودجلة ينـــاط به واجب الرمي على مرأى البصر ، ينهال على من يتقرب منه ، لذا لم يكن في مقدور أية قوة أن تحول دون هجرة قبائلية كهذه ابدا • واعتمدت المراعي والقوت والمنح الى (شمر الجرباء) وهي التي تصرف بسداد ، وما أن ازف الوقت الا عادت الى الشمال باستثناء قلة من آحادها • وهناك ، عودا على بدء ، عاودت قَسَمها اللبق الى الاتراك ، وما كانت تستطيع أقل من ذلك حقا ـ لكن العون الذي تعهدت به الى اسيادها الشرعيين لم يكن ذا طبيعة تضرّ بنا • وفي نهاية السنة كنا نحتل الجانب الاعظم من المنطقة التي تجوب فيها ، وعلى الرغم من انها دأبت على حالها المستدام ، حال الاضطراب ، لا يقتفى لها على أثر ، لكنها لم تكن مصدر قلق خطير ، سواء أكان ذلك بالنسبة الى السلطات العسكرية أم (الادارة المدنية) •

وعلى خط الدليم كانت المشكلات التي جبهتنا مختلفة عمّا تقدّم وصفه وكان السكان القاطنون جنوبي جبل حمرين من العرب الصرحاء ، لكن النظام القبائلي ، في الاغلب الاعم ، كان موجودا اسماً ، حسب • وكان المزارعون ، بالدرجة الاولى ، من المستوطنين ، يسكنون قرى راكبـــة متون القنى ، رواضـع ديالى • وكانت الارضون ، غالبا ، في أيدي كبار الملاك القاطنين بغـــداد ، وثمة مناطق شاسعة موقوفة ، يتصرف بها (نقيب بغداد) شطرا ، و (ادارة الاوقاف) شطرا • وتركت ارضون واسعة خلال سنة ١٩١٧ بورا ، ومردّ ذلك الى القيود العسكرية والى أن الاتراك كانوا يحتلون صدور القنوات خلال فصلي الربيـــع والصيف ويحتلون جرية الماء نُزُلا • ومهما تكن الحال ، تراكم الترنوق الطـــامّ ، في حالات عديدة ، فأساء كثيرا ، ومردّ ذلك الى الاهمال في السنين المواضي ، وكانت الحرب بالنسبة اليه ضغثا على ابالة أيضا • وكان نهر ديالى في العادة خفيضا ، لذلك غدا الماء وشلاً قليلا • وبذلت (دائرة الارواء) جهودا جاهدة مجهدة لتحسين الامور وأصابت الى درجة ما انجاحا ، لكن العمل لم يكن وفيرا ، لذا كان كل من الزرّاع

والمُلاّك ينظرون الى جهودها ، وانهم منها (لفي شك مريب)

[جلّ ما بي اني أرى الماء عند ما أخذ المالح الاجاجي (جلّه)]

وكانت غايتنا توفير كمية معتدلة من المـــاء لاوسع رقعة أرضية مستطاعة • وخفض الكمية الميسورة لزراعة الرُز[٢٠] ورفع كمية ما يجهز منه لاستنبات الحنطة والشعير • يبلغ ما يتطلبه استنبات طن الرز من الماء أربعة أضعاف مايتطلبه استنبات طن من الحنطة أو الشعير منه • طبيعي ان الرز هو أكثر المحاصيل الثلاثة قيمة ، لكن في الامكان استيراده بأيسر من استيراد الحنطة •

وبذر كثير من حب « الحصيد » المستورد ، لكن النتـــائج لم تكن ذوات جدوى نافعة ، وكتب (الجراد) خاتمة (القصة) ! وكان ا طلب على الخضراوات عظيما ، وبلغت أسعار پرتقال بعقوبا ، وهو لپرتقال يافا ند وكفاء ، حدا عاليـــا جدا • وحتى بساتين النخل (ولا يُستنبت شجر الفاكهة في بلاد مابين النهرين الا تحت باسقات النخل) عانت من ندرة العمل الناجمة عن الحرب • لقد تُرك الشجر ، من دون تشذيب ، ولم تستحث الارض، طوال ثلاث سنوات أو أربع ، وعلى ذلك تكاثرت الحشرات الضارة أضعافا مضاعفة •

ولم يقم المُلاّك ، في الاغلب الاعم ، الا بالقليل ، أو لعلهم لم يقوموا بأي شيء بتة ، وذلك بقدر تعلق الأمر بتشجيع الكُفّار[٢١] ، أو مساعدة (الادارة المدنية) لاعادة (المنطقة) الى ما كانت عليه من خصب وبركة • هذا وان وجـود جنود كُثر ، طوال السنة ، ألقى أعباءاً ثقالا على عـــواتق (الحكام السياسيين المحليين) ، وان كان ذلكم الوجود ، في استتباب الأمن والسكينة ، سببا • ومدّت

(٢٠) الرز نبات حولى معروف واللفظ معرب ، وليس بعربي الاصل ونسترجح أنه من أصل طليانى •

(المترجم)

(٢١) أي : الزرّاع ، على ما ورد في التنزيل العزيز (كمثل غيث اعجب الكُفّار نباتُه) وقيل في تفسير ذلك ان الكفار من الكفر وهو التغطيـــة ، اي تغطية (حب الحصيد) •

(المترجم)

الطرق العسكرية فوق القِنَي ، على قناطر ، ما كانت تسمح بجريان ماء كثير ، خلالها ، أبدا ، كما ان القرويين كانوا يغمرون الحقول التي كان الجيش يطالب بحق المرور منها • وكانت حال القرى الصحية ، على صحة الجيش ، خطرا ، كما كان الضباط الاطباء يهدّدون سكينة القرى • ووفد ال (تيفوس) بمجيء اللاجئين من فارس ، واجتاحت الهيضة ال (كوليرا) مهروت ، وفي ايلول سبّبت الوافدة العالمية ال (انفلونزا) وفيات كثيرة •

ولو صدفنا عن هذه العقبات ، وعن غيرها ، فان عملا كثيرا تم انجازه ، وجرى تقدّم حسن في باب جمع سَدى (حكومة مدنية منتظمة) ولُحمتها ، وكان ذلك على أيدي (الحكام السياسيين) في (المنطقة) ، وأخص بالذكر منهم (المقدم بارّيث) ، المنسوب الى (دائرة بمبي السياسية) وخلفه (مستر ال• اف• نالدر) المنسوب الى (الخدمة المدنية السودانية) ، يعاونه على ذلك كل من : النقيب ووكر والنقيب ريكلي ، واللازم مكدونلد والنقيب لويد والنقيب جاردين • ولقي الحكام السياسيون المقدّم ذكرهم ، خـــلال السنتين المتتاليتين ، حتوفهم جميعا وهلك (ووكر) في الموصل بذات الجنب ، في تشرين الثاني سنة ١٩١٩ • وقتل ريكلي في شهربان ، في آب سنة ١٩٢٠ ، شأنه كشأن مكدونلد الذي قتله الاكراد في العمادية في تموز سنة ١٩١٩ • ان كلا من (لويد) و (جاردين) ، في زمن تحرير هذا (الكتاب) ، يشغل منصب (مفتش اداري) في (وزارة الداخلية العراقية) ، كما ان (بارّيت) و (نالــدر) يشــغلان منصبين خطــيرين في حكومتيهما • ان (لواء ديالى)[٢٢] لمدين كثيرا (كذا : المترجم) الى ما قام به هؤلاء الرجال الذين لقوا ، وهم يقومون بعملهم الرائد ، خــلال السنين ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، رهقــا وألمــاً وجيعا •

لم يخضع (لواء خانقين) الى أي نمط من أنماط (الادارة المدنية) حتى

---

(٢٢) محافظة ديالى اليوم – وكان يطلق عليه (متصرفية طريق خراسان) قديما • و (لواء خانقين) على ما كان عليه في عهد الاحتلال البريطاني الزائل ، وخانقين اليوم قضاء بالاسم نفسه ومن أقضية (محافظة ديالى) •
(المترجم)

كانون الاول من سنة ١٩١٧ ، حين ، احتلته القطعات البريطانية ، أول مرة •
لقد اكتسح الاقليم ، على التناوب ، الجيشان الروسي والتركي ، لكن النـــاس صبوا النكير المنكر على الروس حصرا • وباغفال رجاءات صادقة تقدّم بهـا سر پرسي كوكس، رفض ال(جنرال مود) النظر في أمر القيام بتقدّم مافي هذا الاتجاه، خلال صيف سنة ١٩١٧ وترك المنطقة تحت رحمة المفرزة الروسية التي كانت بامرة ال (جنرال باراتوف) • لقد ذاق السكان مرارة الشقاء الذي حل بهم في أعقاب الاحتلال الروسي المعادي في سنة ١٩١٦ ، لكنهم كانوا على ايقان تائق من ان الامور ستكون في سنة ١٩١٧ مختلفة وان الروس الذين كانوا ، في هذا الاوان ، يتعاونون معنا في بلاد ما بين النهرين كحلفاء ، سيعاملونهم باكبار • لكنهم لم ينخدعوا عاجلا •

« لقد تفجّر شعور عظيـــم » ـ على ما حرّر سر پرسي كوكس[٢٣] ـ « بسبب انتهاجهم ، وفقدنا ، خلال ذلك على عجل ، ناموسنا والعطف علينا من قبل أرس[٢٤] كان لنا وليا دوما • طبيعي أن للاعتبارات العسكرية المقام الاسنى ، لكن هذا الاحتلال الروسي خلّف لنا تركة أربكتنا خلال زمان طويل مقبـل • وبعد شهرين اثنين انسحب الروس فأكمل الترك الدمار في المنطقة ، وذلك اثر احتلالها من قبلهم توا • ولم نتمكن من الامساك بزمام الامور فيها الا في كانون الاول من سنة ١٩١٨ • وما أن تسنّى لنا هذا الآن وجدنا (المدينة) على حال من الشقاء الذي ما بعده من شقاء ، ذلك ان الاتراك خلفوه ، لدى انسحابهم ، بين مخالب المرض والموت جوعا ، وهذان العدوان اللدودان هما اللذان جابها عمل (الادارة) • لقد نيط ذلك بالمقـــدّم سون ، وهو ، الى شخصيته الرائعـــة القوية جدا ، كان مالكا المزية النادرة ، أوانئذ ، وأعني بها المعلومات الطلقة باللغة الكردية • لقد عمل خالصا مخلصا في سبيل اداء هذا لواجب طوال شـهور ، فكان ثمة نماء يتناسب تناسبا طرديا مع الانجاح رأسا • اذ ما أن تناهى الى مسمع

---

(٢٣) راجع : Bell II, p. 513.
(المؤلف)

(٢٤) في الاصل race ، وهو عند العامة في العراق (الرس) • [المترجم]

الأكراد القاطنين على جانبي الحدّ ان العون آت من السلطات البريطانية لا ريب فيه ... الاّ تدفقوا من الجبال نزلا ، وقد عضّهم الجوع القتّال بأنيابه وانتابهم ال (تيفوس) ، فاعيدوا الى حال من الصحة ببطء ، ومنهم من جاءه الحق وتخطّفه الموت في معسكراتنا ومستشفياتنا . »

وفي الحق ان (سون) هو من أكثر الرجال المتمايزين الذين قدّر لي أن ألقاهم . كان رجلا عليما ، ذا معلومات من الطراز الاول باللغتين الفارسية والكردية ولهجاتهما وكان ممن فهم ، بعمق ، عقلية الشعوب التي عاش بين ظهرانيها ، وعمل ، قبل الحرب ، سنين طوالا . لقد اعتنق المذهب الشيعي في سنة ١٩٠٥ بجهرة ، وكان ذلك بعد أن زوّد نفسه ، على وجه شامل منقّى ، بمعلومات تتصل بتفصيلات الشعائر الدينية والمعتقدات التي تلتزم بها طائفة الشيعة ، بحيث استطاع المشاركة ، ومرد الفضل في ذلك له ، في نقاش ديني مع الروحانيين . اتخذ السبيل الى فارس أولا ، كي يعمل ، في سنة ١٩٠٢ ، في (المصرف الانبراطوري الفارسي) فسبّبت له عواطفه الفارسية، قبل مضي زمان طويل، صداما عنيفا مع (السلطات القنصلية الروسية) في كرمنشاه ، حيث كان يعمل باعتداده (مدير فرع) في سنة ١٩٠٢ . واستقال في سنة ١٩٠٧ ، وما كانت استقالته عن رغبة ، واثر زورة قصيرة أدّاها الى انكلترة ، رحل عنها ، متنكرا باسم (ميرزا غلام حسين شيرازي) ، في رحلة طويلة خلل بلاد ما بين النهرين وكردستان . لقد سجّل تجاربه في كتاب[٢٥] ، هو لو نظر الى مزاياه باعتداد

---

(٢٥)
Soane, E.B. Through Mesopotamia and Kurdistan in Disquise 1912, (second edition 1926).

[المؤلف]

وهو الكتاب الذى نقلناه الى العربية وقدّمنا له وحققناه ، وعلقنا عليه ونشرناها بسنة ١٩٧٠ باسم :

(رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان) وهو في الحق من (أدب الرحلات الاصيل) لا تبلى جدته ولا تزايله الطلاوة ، والحلاوة ، ولا يفارقه الالق ، **ان عاود الانسان قراءته ، ما كر عليه الجديدان .** [المترجم]

راجع أيضا :

Bibliography. C.A.S.F. 1923, Part II. (المؤلف)

التوق البشري ، والملاحظة الشخصية ، والسحر الادبي من أمثل ما ألف في أدبيات الرحلة الشرقية الوفيرة » ، لا فوق لأي كتاب آخر منها عليه • وفي سنة ١٩٠٩ التحق بهيأة موظفي شـــركة النفط الانكليزية ـ الفارسية ونيطت به عمليات الاستحاثة (التنقيب) في (جياسرغ) قرب قصر شيرين ، حيث لوحظت صفاته فيها فرتب نائب قنصل بريطاني شرف في سنة ١٩١٣ • وتعلم التركية في هذا الصقع ، والتقط شيئا من العربية ، وكان يكتب بالفرنسية ويتكلمها بطلاقة • كان رجلا قصـــيرا مملوء الجسم ذا ملامح حادة وعينين سوداوين نفاذتين كما كان ذا قوة ، لم يكن غيره ، من خبرته ، مالكها ، أو الى درجة تقربها ـ قوة الهيمنة على من يتصل بهم ، وذلك عن سبيل شخصية حادة • ان طبعه طبع جبار ، وان معرفته بالطبيعـــة البشرية ، هما السلاحان الاساسيان في لأمته • ولقـــد سيطر بفرديته على أرس يتألف من آحاد خارجة عن القانون ، وعمد الى اللعب على مشاعرهم ـ على النبيلة منها ، على التقريب ، دوما ـ وعلى فخرهم الأرسي ، وعلى شرفهم الشخصي • كان يزدري اثارة الوله عن سبيل الذهب ، على ما جرى خلال الحرب في بلاد العرب الغربية ، ذلك انه كان يعلم يقينا ان البشر لا يدأبون على الاستجابة لمثل هذا الحافز طويلا ، وهو ما يجب اصطناعه متزايدا ، وانه ليأتي بالخذلان يجري في أعقابه قصصا • وما كان ليجود بالهبات والعطايا ، وكان يوزع المشاهرات[٢٦] بيد مغلولة الى عنقه ، غير باسطها كل البسط ، وبمقياس كفـاء لحاجات المتسلم المباشرة حسب • وخـــدم الاكراد بولاء لا يجودون به على رؤسائهم الا على الندرى ، وأطـــاعه قادتهم ، اذ كان (مخوف السطوة شـــديد الوطأة) فكانوا يشفقون منــه ويعجبون به معـا ، ولأنهم ، عن سبيل الطـاعة ، حسب ، كانوا يستطيعون ممارسة سلطتهم على بني جلدتهم • ان شهوة القوة ، من بين الحوافز طرأ ، هي ، بين المجتمعات غير المتعلمة ، الاشد ايدا • ان خلقه لينعكس في مرآة تصرفه الضاري المتحدي تقريبا • هذا وان صوته الهادي لا ينطبق ،

(٢٦) الرواتب ، على ما شاع في عصـــرنا ، وأصـل الراتب في التأريخ الاسلامي لمواد الطعام وعدتها ، والمشاهرة من العامي الفصيح عندنا •
(المترجم)

، مع لسانه الذرب ، السليط في الغالب • انه يمتلك هبة من روح السخرية ، لكنه كان الى صدقانه مخلصا ، ولا رأفة عنده لخصومه ، سواء بسواء • وعلى غرار (ليجمن) ، ولا شبه بينهما ، فيما عدا هذا الذي ذكرناه ، الا قليلا ، كان وهنه يكمن في انكاره (السلطة) وامتناعه من التوافق مع ما ليس يعتد بخطل ، من متطلبات الجهاز الرسمي • وما كان ثمة موظف في (الادارة المدنية) ليملك يراعا[٢٧] طيعا سيالا كمثله ، ومن كانوا يصطنعون (القلم) من موظفيها كانوا قُلّ وليسوا بكثر • وعندما ورد (تقرير) طال على انتظاره سالف الأمد ، واستجابة ل (تأكيدات) مكررة ، وجد انه كتب بلغة تكاد تكون عن التمرّد على الرؤساء معبّرة ، فكان لزاما اخضاعه الى الرقابة قبل امراره • كان ، على مثل هذا ، ل (ليجمن) نظيرا • وكنت أعمد الى أن أرسل اليهما نسخة منقحة من جهودهما الادبية مشفوعة برجاء استبدالها بالأصل المحفوظ في أضابيرهما ، وذلك من غير شيء مقلق آخر • كان الرهق الواقع على عاتق الضباط السياسيين ، ـ وأخص بالذكر منهم من كان في المناطق المحتلة ، في الزمن الاقرب ، ثاويا ، كبيرا الى حد يعبر عن انفجارات المزاج التي تحدث بين الفينة والفينة • وعلى غرار جميع الضباط السياسيين الذين كانوا يشغلون مناصب ذوات تبعة كانا يعملان بفكر مستقل ومن غير أن يأبها كليا الى النفس ، وكل ذلك في سبيل تحقيق غاية عامة حصرا • ما كان الوقت وقت اصرار على الاصول الظاهرة في الحياة الرسمية •

واصيب (سون) في نيسان سنة **١٩١٨** بالسل (وقد ثبت انه كان ، في خاتمة الأمر ، قتالا)[٢٨] ، ورحل باجازة مرضية أمدها ٦ أشهر الى استرالية • وخلفه في منصبه ، لحين من زمان ، المقدّم گولدسمث ، وهو ضابط مقتدر ،

---

(٢٧) اليراع هو القصب أصلا ، وفي الكتابة اطلق على القلم (يراع) • (المترجم)

(٢٨) قضى نحبه في البحر باليوم ال ٢٤ من شباط سنة ١٩٢٣ • (المؤلف)

ساحرة أخلاقه على وجه خارق • واصيب بالمرض الوبيل نفسه وحان حينه بعد سنين[٢٩] •

كلنا يأمل مدّاً في الاجل والمنـايا هي آفات الأمل !

وكان مساعدا (سون) الرئيسان في (مندلي) و (فزلرباط) على التوالي : النقيب هي ـ وقد التحق بالدائرة السياسية الهندية بخرة ـ والنقيب ريد ـ وقد التحق بالخدمة المدنية الخاصة بالمستعمرات البريطانية ، وهو ، لدى تحرير هذه (السطور) في نايجيريا • ان كلا منهما مرجو الغدّ على وجه خارق للعادة • انهما ، على ما يخيّل لي ، سيكونان في طليعة من يقرّ الدين الذي هما مدينان به الى أول مدرّس درّسهما (علم السياسة) •

وكان العمل الاداري في (لواء خانقين) ، على العموم ، جاريا على آساس شبيهة بما في الاقسام الاخرى من الاراضي المحتلّة • وما كانت هناك من مشكلات خطيرة ذوات صلة بالقنوات ، ذلك ان الاراضي التي تروى ، فيما خلا مندلي ، لا أهمية لها ، غير ذات جدوى • وصيّر انتشار حالات المجاعة في طول الصقع وعرضه ، وفي المناطق المجاورة أيضا ، الحفاظ على الأمن والسكينة أمرا عسيرا • واصطنع (سون) اجراءات نشطة فعّالة ليبقي الطرق مفتوحة ، وليضمن استتبات ما يزوّد من (حب الحصيد) حقا • وقام بتشكيل قوة عدّتها ٢٠٠ كردي وجعلهم بامرة زعمائهم أعني محمود بك ديلو ومحمد بك سوراميري وابراهيم بك ديلو وقادر أغا باجلاني • وما أن أنجز ذلك الا تقدّم الى نزع سلاح الاخرى ، وهي جولة من جولات القوة لم يوفّق أي ضابط سياسي الى انجازها في مناطق اخرى • وكان اولئك الجند الاكراد غير النظاميين ممن قام النقيب گيرد بتشكيلهم وهم القوة البلدية الوحيدة التي شاركت في (الحركات الفعلية) ضد الاتراك • وكانوا ملحقين ، تحت اشراف المقدم

---

(٢٩) قضى في البحر نحبه ، قرب السويس ، بيوم الـ ٣١ من أيار سنة ١٩٢٤ •

(المؤلف)

گولدسمث لا بامرته ، برتل ، وكانوا يتحركون في نيسان ١٩١٨ بالنسبة الى نهر سيروان[٣٠] ، صعُدا ، وهم بامرة العقيد اندرهل ، فأسدوا ، لانفسهم ، في ذلكم الظرف فضلا ، شأنه كشأن الظروف الاخرى[٣١] .

وكانت العلاقات بالعشائر الفارسية الرُحّل عسيرة دقيقة . لقد أدى سلب الروس قطعانها ، في حالات كثيرة الى زوالها ، لذا لم يبق لديهم ما يبذلونه ان أرادوا الحصول على القوت ، وكان هذا غالي السعر نكدا . وغدا غزوهم أعراب بلاد ما بين النهرين ، ممن واتاهم الحظ أكثر ، السبيل الوحيد ، بالنسبة لكثيرين ، الى حماية أنفسهم وأسرهم من الموت جوعا .

وكان وكلاء العدو ناشطين بين صفوف القبائل ووجدوا بين السنجابيين مجندين راغبين . وهوجمت قوافلنا ، شأنها كشأن المساحات المأهولة الكائنة ضمن منطقة احتلالنا ، وبذلك اضيفت مشكلات الى مشكلاتنا . وقام العقيد كينين الضابط السياسي الاقدم في فارس بتنظيم جماعة مضادة من القبائل « الصديقة » ، فدارت رحى (معركة عوان : Pitched-battle) جرح فيها الزعيم السنجابي : علي أكبر خان . ثم رفرف لواء السلام على الارض حينا من زمان . وقام (المقر العام) ببغداد بتعقيب النجح الذي أدرك ، وباقتراح قدمه (كينين) ، أصدر أمرا الى (مدير العمل) بتشكيل ما لا يقل عن خمسة فيالق من العمال في (المنطقة) . وسرعان ما جرى تجنيدهم ، وجلهم من الفرس ، كما كان القسم الاعظم منهم من أبناء القبائل . أما وقد جرى تجنيدهم على الوجه هذا ، لذا لم يعتريهم وجل أو خجل عندما أخذوا بالحفر أول مرة في حيواتهم . واغري المختارون والشيوخ على الخدمة بعنوان (سر فلاح) ، وبهذه الصفة

---

(٣٠) هو القسم الاعلى من نهر ديالى ، وفرعه الرئيس ينبع في الشرق ، قرب أسد أباد ، وهو خانق (مضيق) على الطريق المادّ بين كرمنشاه وهمدان . وما ان يدخل أراضي العراق ألا يلتقي بنهر تانجارو (نهر التاج) الاتي من وادي السليمانية وشهرزور ، ثم انه يكون الحد الاداري بين كركوك والسليمانية على الجهة اليمنى وخانقين على الجهة اليسرى وعندما يجاور جبل حمرين يطلق عليه اسم ديالى . (المترجم)

(٣١) راجع : Moberly, IV, p. 152 n. (المؤلف)

مارسوا على الجماعات المنفصلة نوعا من السيطرة • وجاء اثر ذلك السلام توا فانقطع انتسلاب على الطرق العامة تقريبا وتناقصت قضايا لسرقة ونهب الماشية ، وانخفضت جرائم العنف حتى بلغت نسبا معتادة • وغدت في نهاية السنة مساحات شاسعة من الاراضي مزدرعة ، كما صيّر مدّ خط السكة الحديد الى (قزل رباط) أسعار الطعام معقولة •

وكان في مقدمة ما يجب القيام به من أعمال في (خانقين) اصلاح عمارة القنطرة الحجر التي تعلو (نهر الوند)[٣٢] ـ وهي وتيجة على حظ من خطر في خط مواصلاتنا مع ايران ـ ثم معاودة بناء (البليدة) نفسها • لقد نقض الاتراك والروس مئات من الدور ، وكان ذلك ، في الغالب ، لهوا ولعبا • واهتبل (سون) الفرصة حين فتح شارعا وسيعا شجيرا يخترق (البليدة) وبساتين النخل التي بجوارها • لقد كان مهندسا ماهرا بالاضافة الى صفاته الاخرى ، لذلك لم ينتظر حتى تقدم (دائرة الاشغال) فتصلح من عمارة القنطرة ، وقد كانت على حال خطرة •

ولم يقم الاتراك باصلاح عمارتها فيما قبل الحرب ، ذلك لانها لم تكن من أموال الدولة غير المنقولة اذ انها بنيت ، باعتدادها من أعمال البرّ ، من قبل تاجر تبريزي قبل نحو ٣٠ سنة كي يصطنعها الزوّار المسافرون الى كربلاء والنجف • انها ، اليوم ، تنوء تحت الشاحنات والمدافع الثقيلة وتكاد تنقضّ لدى وصولنا • ولم يبدد (سون) وقتا اذ جاء بالبنائين الماهرين للقيام بالاصلاحات الوقتية • ثم قامت سرية شغل عسكرية ، بعد ذلك ، بالاضطلاع بالعمل فأكملت ما تمّ منه وكان حسنا • وفضلا عن هذه المشاغل كان على الحكام السياسيين المولجين بشؤون (اللواء) القيام بما يتطلبه سيل من اللاجئين الآشوريين ،

(٣٢) نهر الوند أحد فروع ديالى يمر بخانقين ينساب اليها من ايران واسمه محرّف عن (حلوان) ـ على ما ورد في كتب البلدانيين العرب الاقدمين • يشطر النهر خانقين الى شطرين ويسمى الشطر الشرقي منها (حاجى قزه)• ونسترجح ان (القنطرة) تعود الى عهود ما قبل الاسلام وقد ذكرها ياقوت فى (معجمه) فقال انها موءلّفة من ٢٤ طاقا ، كل طاق : عشرون ذراعا وان الطريق من بغداد الى خراسان يمر فوقها ويوءدى الى قصر شيرين •
(المترجم)

وعدّتهم ٤٠٠٠٠ ، كانوا على الطريق المادّ من فارس الى بعقوبا ، وبوافدات متعاقبة من الامراض حصدت أرواح كثيرة من بين السكان ، نصف الجياع ، القاطنين على جانبي الحدود .

لواء كركوك : في ال ٢٦ من نيسان ــ على ما ذكرنا في الفصل الموسوم ب (الحركات العسكرية في بلاد ما بين النهرين منذ وفاة الجنرال مود حتى الهدنة) ــ صدر توجيه من (هيأة الاركان الانبراطورية) الى ال (جنرال مارشل) يقضي بالاستيلاء على كركوك ، وما أن يتم ذلك الا عليه أن يحتل السليمانية . ودخلنا كركوك يوم السابع من أيار . وصحب (بلارد) القطعات ، وبموجب أمر من (المقر العام) اتخذ الاجراءات التي اعتاد عليها بنتيجة خبرة طويلة اذ اتصل بزعماء القبائل كي يضمن الهدوء والسكينة في المدينة ويزيل الشقاء أو بعبارة أخرى : انقاذ السفينة من المصير المحتوم . لم يقترح عليّ (المقر العام) في ذلكم الاوان ، كما لم يقترح (الآمر) العامل في الموقع على (بلارد) بأن الاحتلال لن يكون مستداما . وبعد أيام قليلة طرت اليها للبحث في الوسائل التي نستطيع أن نعالج بها ، على الوجه الافضل ، كثيرا من المشكلات العاجلة الناجمة من الزحف ، وأن نجنّد عطف القبائل الكردية وحسن نيتها ، لا للوقوف بازاء الاتراك ، وانما لحماية خط المواصلات وللمعاونة على جلب المؤن من اللحم وهو المنتوج البلدي الفذّ .

ورحّب السكان باحتلالنا (كذا : المترجم) وكانوا قد سقطوا في هوة الشقاء وعلى الوجه الذي لا يقل عمّا مُني به أهل خانقين قبل ستة أشهر . وكانت الارضون المجاورة تعدم المؤن كليا وما كان هناك من حنطة أبدا . لقد كان شحّ اللحم الى درجة قضت بذبح النعاج في فصل الولادة . وشهد النصارى كنيستهم[٣٣] ، وهي بناية فذّة من طراز القرن الرابع ، تنسف ، والدوائر

(٣٣) هذا فعل بربري لا مبرر له لاي اعتبار عسكري ، ذلك ان الكنيسة لم تتخذ مخزنا ، على ما اتخذ (باب بغداد القديم ــ باب الطلّسم) ثم نقض لدى مغادرة الاتراك (المدينة) . وتسلمت احتجاجا برقيا موجزا ، لكنه كان بليغا قدمه رجل الدين البلدي يبدأ بعبارة : "Ut quid, deus" وكانت الاشارة الى المزمار ال ٧٤ . [المؤلف]

العامة الرئيسة تنهب وتهدم على يد الاتراك المنسحبين • ورهقت اليهود ذلّه وسلبوا ، وهم يلقون ، غالبا ، العذاب ، كما نُهب كل غال لديهم ، يستطاع نقله ، وثمين • ورتب توزيع مجاني للطعام تدعمه تبرعات طوعية كبيرة جادت بها القطعات ، وهي التي كانت جرايتها قد خفّضت الى النصف • وقوبلت عطيتها هذه بالرضى ، ولكن ، جريا على القاعدة المطّردة ، من غير امارة تدل على الحمد والشكران •

ووردت رسائل من قبيلة (هماوند) تقدّم فيها كل عون لنا ، وعُقد اجتماع للوجهاء في السليمانية تقرر فيه اقامة حكومة كردية مؤقتة على رأسها الشيخ محمود (رحمه الله : المترجم) كي تتخذ وجهة مواليه بازاء القوات البريطانية • وكتب الشيخ محمود نفسه « نيابة عن الشعب الكردي القاطن على كل من جانبي الحد » يقدّم تسليم أزمة الحكم الينا أو أن يقوم ، باعتداده ممثلا لنا ، بالاضطلاع به تحت حماية العلم البريطاني المجيد (كذا : المترجم) • قال : ان أهالي كردستان قد سرّوا من النجح الذي أصبناه وانهم ، وقد تحرّروا من الطغيان التركي على يد قطعاتنا الباسلة ، ليتطلّعون الى الازدهار تحت حكمنا ، على ما ازدهر العراق ، سواء بسواء (كذا : المترجم) • ثم انه ختم قوله راجيا أن يُعطى الضمان الكافي بألاّ يُسمح ، تحت وطأة أي ظرف ، للسلطة التركية بأن تعود الى كردستان كرّة اخرى(٣٤) •

---

(٣٤) نسترجح انها كانت مناورة (تكتيكية) بارعة من قبل الزعيم الكردي الثائر الشيخ محمود الحفيد (رح) فهو أراد ضمان عدم عودة الحكم العثماني الى كردستان ، وتنصيب نفسه على رأس حكم كردستاني ذاتي تمهيدا للانقضاض على الحكم البريطاني البغيض وازالته • لكن الانكليز كانوا يريدون مصانعة الاكراد حتى حين ، فالاغلبية الساحقة منهم كانت تقطن ما كان يدعى ب (ولاية الموصل) وكانت للانكليز مطامع فيها عبّر عنها لويد جورج فى البرلمان البريطانى (آذار سنة ١٩٢٠) حين قال : « ان الموصل بلاد ذات امكانيات عظيمة اذ فيها ترسبات نفط عظيمة •• وهى تملك أغنى الموارد الطبيعية التى يمكن أن يملكها أى بلد فى العالم » • كما أن ولاية الموصل كانت بنظر البريطانيين تضمن السيطرة على كردستان أيضا ، أما تركية فكانت تريد ولاية الموصل التى عقدت (الهدنة) وهى بيدها لضمان سيادتها على القسم العثمانى من كردستان • [المترجم]

وكان القرار القاضي بمغادرة كركوك اتخذ لتوه ، لذلك اضطررت على أن اجيب بأننا سنغادر ذلكم الجوار ابان الصيف ، لكنني آمل بأن نعود سريعا • وقبلت مقترح الشيخ محمود القاضي بأن يعمل باعتداده ممثلا لنا ، ان استطاع الى مثل هذا سبيلا ، وحررت (منشورا عاما) في هذا الصدد حقا • وقبل أن يصبح نشرُه مستطاعا ، احتل الاتراك (كركوك) ، ثم انهم ، بعد قليل ، أنفذوا مفرزة قوية الى (السليمانية) التي كانت خاضعة للاحكام العرفية • واودع (الشيخ محمود) السجن ، كما سجن من الوجهاء من لم يستطع الهروب ، أو فرضت عليهم الغرامة • لقد رانت على الجميع السخرية • وما أن تمّ هذا الاّ أظهر الاتراك لينا سياسيا بالنسبة للقادة الاكراد ، فلقد اطلق سراح محمود (يريد الشيخ محمود الحفيد – طيب الله ذكراه : المترجم) وسمح له بالعودة الى بيته ، وكان المال يتدفّق على المجنّدين العشائريين ، وكانت أثمان المؤن اللازمة للجيش تدفع نقدا •

ونسب الاتراك (انسحابنا) الى موقف (جيوش الحلفاء) في فرنسة ، وكان ، في ذلك الاوان ، حرجا ، واعتدّ مقدّمة لاخلاء بلاد ما بين النهرين • واستغلت قصة Perifidious Albion التي تسخر من خوض ارسانا المعارك على أنفذ وجه •

« حمل الارمن » – على ما جاء في صحيفة ما – « بوعود مزيّفة على الاقتتال مع (جيوش الله) وخذلوا ، وذهبت ريحهم ثم تفرقوا أباديد • وقع الآشوريون من (وان) و (ارمية) في الفخّ نفسه ، وكان اغراؤهم بقليل من الذهب وبوعود تقديم السلاح ، وما وفيّ بها أبدا • لقد محوا من الوجود أيضا وثمة بقية تاعسة من الارامل واليتامى تتخذ الى خانقين ، اليوم ، سبيلا • لقد أدرك الروس ، أعداؤنا فيما مضى ، ان انكلترة غررّت بهم ، وانهم تركوا ميدان القتال الى حيث الحرية والدستور • ان الايرلنديين الذين أراق موفدوهم الدماء في سبيل انكلترة في أرجاء العالم طرا قد ثاروا في خاتمة المطاف • وفي فارس استولت القوات التركية على (ميانه) و (بيجار) و (سنه) وكلها مراكز

كردية ، وستطرد الانكليز من أرض فارس قريبا ، بعد أن دنّسوها بأقدامهم أمدا طويلا • وفي بلاد ما بين النهرين هناك جندي انكليزي واحد بازاء كل ٢٠ من الجنود الهنود الجاهلين ، وهؤلاء التاعسون البائسون سيتلقّون درسهم قريبا • ان معسكرات السجن في تركية مملوءة بالبريطانيين والهنود الاسارى • سيتخلّى البريطانيون عنكم عندما يحلو لهم ذلك ، وعلى غرار ما تخلّوا عن الآخرين • لا تنخدعوا أن يد الحكومة التركية لطويلة • وبعون من المانية ، سنطرد هؤلاء الكفرة وعبيدهم السود • وسيُعطى من أظهر الولاء الارض ويحظى بتشريف ، وسيقتصّ من الخونة وسيكون الثأر منهم مروّعا • »

كان الحق في هذه (الكراسة) وفي مثيلاتها كافيا لاقلاق أثبت الناس جنانا ولم تصب جهودنا في سبيل تشكيل مجنّدين أكراد ، خلال الصيف ، نجحا • وسعى الاتراك ، من الجهة الاخرى ، الى تشكيل قوة جسيمة من الخيـــالة الاكراد للقيام بحركات ضدنا في فارس • ولم يبق من يناصب الترك العـــداء الذي لا يريم الاّ الاكراد الذين يحلّون في جبـــال هورامان ، لـكن هؤلاء ما كانوا يتكاتبون معنا •

كان كل الناس يقفون على ناموس (الادارة البريطانية) في باب الانسانيـة (كـــذا : المترجم) ورعايتهـــا السكان عموما • وكانت القسوة البربرية التي اصطنعها الاتراك ، اثر سقوط (كوت الامارة) ، بحق الاهلين الذين ساعدونا ، طوعا أو قسرا ، أمرا شائعا أيضا ، وقد علم الناس انها معروفة لدينا ، لم يمر بخاطرهم ، ولم يخطر لي أو لـ (بلارد) ، بأننا سننسحب من كركوك مخذولين ، الاّ أن كان ذلك تحت وطأة أقسى ضغط تفرضه الضرورة العسكرية • وورد في (التأريخ الرسمي) على وفق ما يوائم الظرف : « قبل الانسحاب أخلي نحو ١٦٠٠ من السكان الذين كانوا يخشون عـــودة الترك ، باعتدادهم لاجئين ، وكان ذلك بطلب منهم • واتخذت الاكثرية سبيلها الى البصرة في خاتمة المطاف يذيعون في طريقهم قصة التذبذب البريطاني أو ما هو أسوأ من ذلك أيضا • ووقع الاكراد ، الذين لم يكونوا ضدنا ، فريسة للريب والشكوك كرة اخرى •»

لقد تجلّى لهم ان تطمينات العون التي اعطيت من قبل بعض الضباط غير ذوي التبعة جزافا ، والتي انطوى عليها التقدّم الحذر الذي قام به (بلارد) في (كركوك) ، و (لونگريك)[٣٥] في (كفري) ، هو من هذا الذي لا يعتمد عليه . تراءى لهم اننا نصطنع اللعبة الروسية في اتخاذ أبناء القبائل «مخلب قط» . وكان قادتهم ، وبضمنهم رؤساء الهماوند ، سائرين على الطريق الماد الى كركوك ، عندما جرى الانسحاب ، لذلك قفلوا الى أوطانهم ، يتميّزون غيظا . لقد شعروا انهم خذلوا من قبلنا ، ذلك انهم اغروا على أن يظهروا أيديهم الى أعدائهم الاتراك ، فتركوا في العراء . ولم يغفر لنا الهماوند بخاصة ، وبقوا ، بعد ذلك ، معادين لنا طوال سنوات عديدة مقبلة . »

بغداد : ومضت سنة ١٩١٨ وانقضت رخاء ، داخل أسوار مدينة بغداد . وكان أهلها يزدهرون ويعلون علوا كبيرا . وسُرّت طبقة التجار حين شهدت الطريق المادّ الى فارس يفتح كرّة اخرى ، والبضائع تجلب على دجلة صُعُدا . وحفّزت المبالغ الجسيمة المنفقة من قبل الجيش على العمال البلديين والمؤن المحلية نهم الجنود البريطانيين والهنود المنصبّ على مواد الطعام التي ما كانت حوانيت الميدان قادرة على تجهيزها ، وهو نهم لا سبيل الى اشباعه أبدا . وازدهرت حال المُلاّك أيضا ، فحمدا الى أسعار مواد الطعام العالية وشكرانا . واستحال تجنيد الكتاب العرب لمقاصد (الادارة المدنية) تقريبا ، ذلك ان كان لأي شخص بلدي ذي كفاية سديدة ضمان العمل في سوق بمورد يفوق ما كنا قادرين على ان نمكنّه منه وذلك من غير ارباك الاساس الكلي للمشاهرات التي تدفع في البلاد كلها . وكنا مضطرين على الدأب على استخدام الكتاب الهنود باجور قياسية ثبتت في الهند ، وما خاب رجاؤنا في تزويدهم أبدا ، هذا وان من ارسل من الرجال كانوا ذوي مؤهلات عالية جميعا . ولم يأسف أي شخص على ضرورة استقدام

---

(٣٥) موءلف كتاب رصين علمي موسوم ب (اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث : Four Centuries of Modern Iraq) .

(المؤلف)

الكتاب الهنود أكثر مني ، ذلك اني ادركت ان الطلب سيقع على استبدالهم بالعرب قبل أن يمضي زمان مديد على عقد (الهدنة) ، ولا معدى عن تلبيته ، ولو كان ذلك على أساس الاقتصاد • ذلك ان كلفة الكتاب العرب ، أيام السلم ، تقل عن كلفة الهنود • وأيا كان الامر ، ما كان لنا خيار ، في مثل هذا الاوان ، الا استخدام نسبة كبيرة من الكتاب الهنود حتى في الاقليم • ومهما تكن الحال اتخذنا الاجراءات اللازمة لطبع جميع الاوامر الحكومية والقرطاسية باللغتين العربية والانكليزية وذلك بغية تيسير التغيير ان حان أوانه •

وصب ، خلال شهر أيار ، جهـد عظيم في طول (الاراضي المحتلة) وعرضها لاستيفاء التبرعات ل (الصليب الاحمر) ، واقيم مهرجان في ال ٢٤ من الشهر المذكور لهذه الغاية ، دُعي اليه عدد كبير من وجهاء القوم، في المراكز الرئيسة جميعا ، للقيا القادة العسكريين • وعلى الرغم من انه لم يلزم أحد بالتبرع ، فلقد كان ريع ما جاد به أهل البلاد ••• ٤٠ من الجنيهات (٥ الكاك روبية) تقريبا • ودعوت سراة بغداد لمقابلة ال (لورد ويلنكدن) وال (ليدي ويلنكدن) وكانا بسبيل زيارة يؤديانها الى بمبي • وما كنت أعلم أكان علي أن أعجب بكياستهما في معاملة ذلكم الحفل الخليط المتألف من ممثلي المصالح القبائلية والتجارية والدينية والملاك ، أو تلك المجاملة وامتلاك النفس على ما تجلتا في الضيوف الذين تحدثت اليهم ال (ليدي ويلنكدن) باللغة الهندستانية • ذلك انها كانت ، بالنسبة لاغلبهم ، أول تجربة في التحدث الى سيدة أوربية ، لكن جلهم تصرف وكأنه اعتاد على حضور الحفلات البستانية طوال عمره مددا •

وبعد حفلة الاستقبال اقيم حفل عام ألقى فيه ال (جنرال مارشل) خطابا وعد فيه رفع القيود العسكرية الثقيلة بأسرع وقت مستطاع ، وذكر الجمع المحتشد قائلا : لعل الوطأة التي نزلت بسكان بلاد ما بين النهرين كانت أقل مما نزل بسكان أي بلد محارب آخر • ان النجح الذي أصيب في هذا شجعنا على معاودة التجربة على مقياس كبير ، وفي اليوم السابع عشر من ايلول دعي رؤساء القبائل المقدمون ، من كل رجا من أرجاء (الاراضي المحتلة) لمقابلة

(القائد العام) ، فصافح كل واحد منهم ، بدوره ، وتبادل التحايا والاستفسارات الودية مع الرؤساء المتقدمين في كل منطقة بوساطة (الحكام السياسيين) الذين صحبوهم • وطبعت كراسة ، وزعت على وجه متسع ، ضمّت صورا شمسية لكل (شيخ) حضر الحفلة • وألقى ال (جنرال مارشل) خطابا كرّة اخرى ، عبّر فيه عن آماله بأن تصبح (بغداد) ، قريبا ، عاصمة (بلاد ما بين النهرين) ومركز التعليم العالي للبلاد كلها • وأشار الى خصب الارض والى اعتقاده بأنها ـ تحت ظل حكومة مستقرة ـ ستعود الى ما كانت عليه من ازدهار ان توفّرت لها مشاريع الارواء وعندها ستزدهر البلاد وتعلو في الدنيا علوا كبيرا • وخلّبت ملاحظاته قلوب الناس • هذا وان الاحتفال بالشيوخ ، وما صحبه من حفاوة ، أشاع في نفوسهم طمأنينة ، ورضى عظيما •

وما كدنا نبلغ بغداد في آذار سنة ١٩١٧ الا ذُكّر سر برسي كوكس من جهات متنفّذة شتى ، في النجف وكربلاء ، بأن « وقفية اِوَدَه »[٣٦] لم توزّع منذ اندلاع لهب الحرب ، والتمس منه اتخاذ الخطوات اللازمة للدأب على توزيعها بواسطة القنصل البريطاني العام ، على غرار ما كان في أيام السلم جاريا ••

ويرجع عهد هذه (الوقفية) الى سنة ١٨٢٥ ، فحين نشوب ازمة مالية منبعثة عن الحرب في (بورما) قبل ال (لورد امهرست) ـ وكان في ذلك الاوان : حاكم الهند العام ـ قرضا من (ملك أوَدَه) ، مقداره ١٠ ملايين روبية • وما كان رأس المال ليدفع ابدا ، وكانت الفائدة ٥ بالمئة تصطنعها حكومة الهند في ادامة المقاصد المعنية ومنها منح بعض الاشخاص والطبقات في كربلاء

---

(٣٦) اعلمنا من لا نتّهم حديثه ان أميرة هندية من القرن التاسع عشر تدعى (اوده) حبست ما لا على العتبات المقدسة فيالنجف وكربلاء ، وان ريع (الوقفية) هذه كان يوزّع بواسطة القنصل البريطاني العـام في بغداد • واهتبل لانكليز الفرصة فكان المال يوزع على الضالعين في ركابهم ، كما انهم شكّلوا لجنة لتوزيعها من قبل (أدعياء العلم) لذلك اطلق عليهم اسم (علماء الاوفيس) أي عملاء الدائرة البريطانية •

[المترجم]

والنجف عطايا • ليس من الضروري ها هنا ، ان نذكر ، ولو على سبيل الايجاز ، الاختلاطات العديدة التي نجمت بآخرة مسببة عن غموض (المستندات) التي ضمنت فيها النصوص ، وعن شك الاتراك في ان المدفوعات كانت تهدف الى مقاصد هدّامة ، الى أسباب أخر • ونجتزىء اذ نقول : ان التوزيع السنوي لمثل هذا المبلغ الجسيم ، في هذه المدن ، جنح الى اجتذاب عدد من الرعايا البريطانيين ـ الهنود الى هناك ، من غير ان يستثير ضاري الحسد • ووقع واجب اتخاذ الترتيبات اللازمة ، في الدرجة الاولى ، على عاتق (نواب محمد حسين خان) • لقد اثبت انه رجل حصيف سديد الرأي الى رؤساء (الادارة المدنية) على تتابعهم ، وسعى الى ان يقوم بالتوزيع ، بين حين وحين ، بأقل ما يمكن من الصدام • وتجلّى التقدم في القضايا البلدية ، في كل جهة ، وعلى اساس ارضى الاهلين كليا • وتحسّنت اسالة الماء في المدينة ووسّعت الطرق ودفعت التعويضات الى من نقض الاتراك بيوتهم ، ترقباً لشق (جادّه خليل باشا) وهي التي بدّل اسمها الى (الشارع الجديد) • وشيد جسر آخر عبر دجلة • وكانت المستشفيات المدنية على حال شغل ، والامراض الوافدة يعالج امرها على آساس سديدة • وثمة جريدة عربية أخذت بالصدور • واخذت « الشرطة المدنية » بعون من (الميتربوليتان) ، وهم قُلّ ، تزداد كفاية دأبا ، ينضاف الى ذلك انها كانت تجند من بين أهل المدينة حصرا • وكان القوت عزيزاً لكنه كان أرخص من مصر وتركية سعرا ، وأكثر من فارس رخصا • وحيل دون عوز شديد عن سبيل المنح ، وكانت مبالغها من واردات البلاد نفسها ، وعن سبيل مخصصات غلاء المعيشة ، التي كانت تصرف الى الموظفين العثمانيين السابقين وعن سبيل مشاهرات التقاعد التي كان يتقاضاها الموظفون الاتراك السابقون ، على وفق التعليمات التركية ، لقاء خدمتهم في العراق ، وأخيرا عن سبيل الاعانات التي كانت تدفع الى عوائل اسرى الحرب والمنفيين • كان هذا (النظام)، ومردّه الى مايمليه الروح الانساني لا الى الضرورة

السياسية ، مقبولا لدى كل مذهب ، وقد جرى تطبيقه بعناية ولم يتطرق اليه الفساد في يوم ما •

طبيعي ان تكون (الادارة البلدية) بعيدة عن درجة التمام كثيرا ، ولكنها لم تكن تكلف مبلغا جسيما • ومما لا سبيل الى نكرانه انها كانت عند الناس اثيرة ، وعلى حظ من كفاية • على هذه الأساس التي وضعت سنة ١٩١٨ بُني (الجهاز) الذي لا يزال عاملا ، اليوم ، باستثناء قليل من التغييرات •

كانت أقاليم البصرة والقرنة والعمارة ، والى مدى محدود ، منطقة المنتفق ، في نهاية سنة ١٩١٨ ، تخضع الى (الادارة البريطانية) منذ اربع سنوات خلت • وانبعثت الادارة على آساس سديدة متقنة ، وكانت خاضعة لاشراف خبير يمثله مستر ايفلن هويل « رديف الحاكم الملكي العام » • وكان « الحكام السياسيون » المواجون بشؤونها في الالوية رجالا ذوى كفاية تامة • ولم يطرأ تغيير بين صفوفهم الا قليلا وكانوا يعرفون كل واحد من المُلاك وكل زعيم ذى خطر ، كما كان هؤلاء الناس يعرفونهم أيضا • وكانت الواردات تنثال انثيالا حسنا وبأقل صدام مستطاع • وكان تسجيل الاراضي (الطابو) يعمل بكفاية فيُسرّ لذلك الملاّك وأصحاب البيوت • وانتهى عهد (الحصار) وانقضى حقا • ولم يعد في بعث الاهتياج سببا • وكانت (قوة الشرطة) ، بامرة مستر كريكسن ومساعديه الاكفاء — وهم جميعا رجال ذوو خبرة سابقة في هذا المسلك — منظّمة تنظيما حسنا ، مسيطرة على الوضع تماما • وعلى الرغم من استفحال الجرائم ، لكنها كانت تعزى الى السكان المستقرّين — وهم مطيعو القانون ومسالمون عموما — بأقل من عزوها الى ذلكم العدد الكبير من المهاجرين الذين جاؤوا من فارس وموانىء الخليج الفارسي (العربي : المترجم) ، والى اللاجئين من كوكوك وفارس ، والطفيليين الذين جذبتهم الامال في جمع المال عن طريق يسير في البصرة • وكانت السيطرة الحقة على حركات الناس غير المرغوب فيهم أمرا مستحيلا ، ذلك ان حدنا كانت يساير حدّ فارس مسافة ٦٠ ميلا •

وكان في مقدور صحاح الجسوم من الرجال ، على اختلاف اعمارهم ، وذوى الاخلاق الحسنة الحصول على عمل في (فيلق العمال) وبذلك يخلّصوا انفسهم من سيطرة الشرطة . وانتشرت المخيّمات العسكرية في منطقة مساحتها ٩٠ ميلا مربعا . واستخدم رجال ينتمون الى ١٢ من الارساس البشرية في شتى الدوائر العسكرية ، وكان من اليسير الحصول على شارات الدوائر هذه . وسال النقد رخاءاً ، وكان يعثر في كل مخيم على اناس سُذّج يقعون فريسة الى المحتالين الذين يستغلون ثقة الناس لمنفعتهم الخاصة . وظهر نظراء بلديون لمن في قصة (السجين الاسباني) و (خديعة الآجرة الذهب) . وكان الافيـــون يبهرج (يهرّب بلغة العصر : المترجم) من الهند بحرية ويوزّع في المخيمات . وجرت محاولة انصبّت على استيراد ال (كوكائين) من مصر ، لذلك شغلت به (دائرة التحقيقات الجنائية) كثيرا . وقليل من الاوربيين من شـارك في هــذه التجارات المحرّمة ، ولم يحجم رجال السفن عن جني المال عن هذا السبيل (ومن طلب جلب ومن جال نال) . وعثر على سيدة اوربية واحدة ، في الاقل ، كان يرعاها ربان محترم جدا من ربابنة سفينة تجارية وهي ترتدي لباساً فيه مئات من جيوب صغيرة اعـــدت ، بلا ريب ، لاخفـــاء العقاقير الممنوعة . وصحب احتجاجها ، وهي تُفتّش ، غضب مزمجر .(*)

وكان ، في ميدان الصحة ، عمل كثير مرغوب في انجازه ، ذلك ان وجود سكان تزيد عـــدّتهم بنحو ١٠٠ الف نسمة تقريبا على عدة اولئك الذين كانوا ، قبل الحرب ، في المنطقة نفسها ، صيّر اعداد وسائل حفظ الصحة أمراً متعذّرا وكان من اليسير ايجاد مواقع ملائمة للمعسكرات ، وعولجت مشـــكلة اسالة الماء بحزم ، ووسعت المسارات القديمة وشُقّت طرق جديدة ، لـكن اشق الجهود لم تكن لتلبي الحاجات الآنية . وكان مردّ ٥ بالمئة من الوفيات في البصرة والعشار ، خلال السنة ، الى البرداء (ملاريا) ، واستفحل مرض الجدري ، وتفشّى الطاعون كرة أخرى ، وفي ايلول اجتاحت المنطقة ال (انفلونزا) .

(*) راجع : Loyalties, Chapters XII, XVI.

(المؤلف)

وكان معدل الوفيات الشهري ، لحين من الزمن ، أكثر من ١٠٠ بال ١٠٠٠ سنويا •

ان الحماس الذي غمر قلوب ضباط (الادارة المدنية) والفعّاليات الحركية في الدوائر العسكرية وترقّي الغضارة ، الناجمة عن انفاق المال من قبل الجيش على الاشغال العامة الضرورية بكثرة ، كل اولئك كان له اعمق الاثر في مظهر قادة الرأي العام • وتمّ تأسيس مجلس بلدي والغي عنوان الحاكم العسكري في نهاية السنة واستبدل بعنوان (المفوض البلدي) ، وأول من شغله كان موظفا منسوبا الى سلك الخدمة الهندية ، وهو شخصية بارزة • ان التجار والملاكين ، وهم من العرب بالدرجة الاولى ، وفي صفوفهم عدد من اليهود والنصارى ، كانوا ، في الاغلب الاعم ، اناس طوّفوا وارتحلوا : فلقد زاروا بمبي وكراجي والقاهرة والاسكندرية ، وكان يتأججّ فيهم حماس لانبعاث البصرة على أسس يستأهلها موقعُها الجغرافي • اذ جلّهم كان يؤكد رغبتهم المثلة فيما جاء على لسان (جون ستيورت مل) في « الحاكم ذي الروح الاصلاحي » • لقد اوضحوا لي حين زرت البصرة ، بعيد الهدنة ، انهم ينظرون الى اتجاه الطبقة المنوّرة في بغداد نظرة الشك ، وانهم لا يتعاطفون والملك حسين ، ولا يأبهون به ولا بالحزب الشريفي أيضا • ان هواهم مع ابن سعود ، وكان معتمده في البصرة : عبداللطيف باشا المنديل ، وهو كأخيه عبدالوهاب باشا ، رجل ذو مقدرة صادقة • لقد كانوا يتطلعون الى مستقبل للعرب على اساس من ادارة انكليزية عربية (كذا : المترجم) وانهم لعلى استعداد لان يلعبوا فيها دورا مهما شريطة ان تبقى البصرة « محمية بريطانية » (كذا : المترجم) أو على غرار ما كانت عليه « مصر الآن » • لكنهم بيّنوا انهم لن يقوموا باجراء سافر قبل ان نعلن سياستنا • وحين كنت قنصلا في المحمّرة ، قبل الحرب ، وخلال مدة ثوائي في البصرة ، وقد استطال ثلاث سنوات ، من كانون الاول ١٩١٤ حتى تشرين الاول ١٩١٧ ، كثرت مقابلاتي لهؤلاء الناس ، وكانت ملاقاتي ودية مع العديد منهم • انهم على ما ورد في (تقرير مستر غوردن ووكر الاداري).

لسنة ١٩١٨ نصا : « رجال فخر وشمائل ، يحتلون مراكز نفوذ ومقاما مرموقا على غرار السادة المتطلعين في التأريخ الانكليزي . ان فلاحيهم طوع ارادتهم ، لكنهم اليوم يظهرون روحا تنمّ عن شيء من استقلال ولدت من طبيعة عملهم في (فيالق العمل) التابعة للجيش في القاهرة ... انهم رجال على حظ قليل من التعليم ... لكنهم ... متسامحون منصفون ... تعتلج في نفوسهم مشاعر كثيرة تتفجّر عن الانماط الانكليزية الفضلى . ان أولادهم ، سيكوّنون ، ان نالوا تعليما رصينا ، مجتمعا من السادة العرب ورجال الاعمال ، وسيكون ذلك عاملا ذا خطر كبير في ابتعاث البلاد سياسيا ... عانت طبقة المُلاّك ، بطبيعة الحال ، كثـــيرا من تسخير العمال والسفن النهـــرية في خدمات الجيش ، وقد نفّرت الاساليب الخشنة التي تفرضها الضرورة العسكرية كثيرا من الرجال الذين كانوا أصدقاء البريطانيين والمعجبين بهم قبلا . لكنهم ، على كل حال ، أظهروا تعقّلا ، وكان عندهم في ضباط (الادارة المدنية) بينة على طبيعة المعاملة الرسمية والعلاقة الارسية التي تخفّف من كزازة أية أساليب عسكرية . »

شهدت سنة ١٩١٨ (حكاما سياسيين)، يعيّنون في كل من (السماوة) و(الشطرة) و (قلعة سكر) ، والواردات تنال انتيـــالا حسنا ، والامن والسكينة تبعثان على الرضى ، بأكثر من أي وقت مضى ، على ما تستوعبه الذاكرة الحية استيعابا . وكمقدمة لتخمين جديد للواردات ، جرى احتساب نخل (سوق الشيوخ) حقا ، ومن دون أن يثير ذلك اعتراضا . وجُنّد نحو ١٥٠٠ من الـ (ليفي) العرب (الشبانة) في اللواء ، وجعل مقرهم في نحو ١٢ نقطة ذات خطر . وكانت الحامية العسكرية في هذا (اللواء) ، وهو أكثر ألوية العراق قلقا وتململا ، مؤلّفة من فوج هندي ضعيف ، ورعيل خيالة .

ان مفرزة بهذا الحجم غير ذات جدوى حقة ان اريد الحفاظ على الأمن والسكينة ، ذلك انها ليست بقادرة على حماية السكة الحديد ، وليس لها قيمة لغايات تأديبية . انها لا تكاد تستطيع الدفاع عن معسكرها الخاص ، ولن تكون قادرة على تأمين أية مواصلات . كنت أفضل لواءا قويا وعـــددا من الزواريق

المسلحة ، أو أن لا يكون ثمة شيء موجودا أبدا ، وبهذا أحطت (الاركان العامة) خُبْرا • ومهما يكن من أمر ، لقد تقرر الحفاظ عليها ، ومردّ ذلك ، في الدرجة الاولى ، الى انها ورثت مقرّا حسنا ووسائل راحة عديدة ، ومنها (ماكنة ثلج) و (معمل توليد الكهرباء) ، من القوة الكبيرة التي كانت تستقر في سنة ١٩١٧ ها هنا •

وكانت فاعليات (دائرة الارواء) مبعث الزهـو والرضا ، بالنسـبة الى القبائل جميعا • ذلك ان مساحات شاسعة من الاراضي ، التي كانت لمدة طويلة بورا ، أخذ الفدان يداعبها ، كما طهّرت كثير من القنى الوسيعة تطهيرا ، وكانت في مقدمة القبائل التي نالت نفعا قبيلتا (خفاجة) و (الازيرج) وهما قبيلتان كانت أراضيهما في بزايز القنوات القديمة التي لم تحصل على حصة عادلة من الماء الا في الفصول الاستثنائية • ألزمت القبيلتان على الهجرة فيما مضى ، وعلى اقامة أودهما بسبيل اصطناع العنف أو نهبا وسلبا • لقد أثارتا عجب أفضل أصدقائهما عندما عادتا الى الزراعة ، حين سنحت الفرصة لهما • لقد حظت (الخميسيّة) الكائنة على حافة (الهور الغربية) بقناة جديدة ، ومردّ الفضل في ذلك الى جهود أول حاكم سياسي عليها : (النقيب مارس) ، وعندها ولجت عهدا من الازدهار جديدا •

ولعلّ أعظم تغيير طـــرأ كان بسبيل حفر مجرى ماء عميق ، عبر بحيرة الحمّار • ان عظمة (المشروع) وجدّته ملأتا أبناء القبائل عجبا ، كما ان منظر الكراكات الضخمة ، وهي عاملة ، ملأ نفوسهم رُعْبا • لقد أوحى شق نهر ، عرضه ١٦٠ قدما ، وعمقه ١١ قدما ، وطوله ٢٥ ميلا ، على يد البريطانيين في غضون ١٢ شهرا ، وتيسيرا لهم وتسهيلا ، والى ذوي العقول الساذجة ، اتجاها تفكيريا جديدا مفيدا • وما كان (مشروع بحيرة الحمّار) بجديد ، ذلك انه كان

يتّبع بخطوطه الوسيعة مخططات (ناصر باشا)[٣٧] وهو مؤسس الناصرية ، وقد سُميت باسمه • كما ان امكاناته فهمت من قبل (أهل الاهوار) تماما ، وعليهم كان يجود ، لو اكمل ، بالراحة والازدهار • كان (المشروع) يتألف من ثلاثة مشاريع منفصلة عن بعضها بعضا :

١) القنال المطهّر الكامل الماد من (بني حسن) الى (بني سعيد) •

٢) اقامة سدة مستدامة عند النهاية الجنوبية للقنال تعلو مستوى أعلى فيضان ، فوق التراب المحفور من القنال المطهّر •

٣) بناء سد الغبيشية ــ الجبايش الواقي •

كان تصميمه ينصبّ على تحويل هور منعزل الى احدى المساحات الزراعية الغنية التي تستنبت الحنطة في بلاد ما بين النهرين • وبتخمين غير متقن كان في الامكان استصلاح نحو ٥٠٠٠٠٠ إكر من الاراضي • لكنه لم يتم أبدا ، ذلك ان العمل اوقف فيه بعيد عقد (الهدنة) ، في شباط سنة ١٩١٩ ، وفي غضون سنتين فقط ، بقيت قطع طويلة قليلة من ضفاف الطين الناجمة من الماء المتبطّح الذاهب بددا لتدّل على ما كان ، ولتوحي بما يجب أن يكون •

ولو عُولجّ به الأمر باعتداده مشروع استصلاح حسب ، لما وفّى بنفقات اقامته الباهظة ، وقد قدّرت رسميا بمبلغ الا يصدّق ، أعني ٣ ملايين من الپاونات وباعتداده اجراءا عسكريا يؤمن المواصلات مع الناصرية نهرا ، لا مبرر له كليا ، لو أخذ بنظر الاعتبار اليسر الذي يتّسم به بناء سكة حديد عبر

---

(٣٧) لاهمية أراضي (المنتفق) واضطراب ألاحوال فيها واقتتال العشائر رأى الوالي المصلح الشهير : مدحت باشا أن يشيد في (اللواء) مركزا للحكومة ، فاستشار زعيم آل سعدون ، عهد ذاك ، (السيد ناصر باشا السيد راشد) فاختار له موقع (الناصرية) الحالي ، واستقدم المهندس البلجيكي (جول تلي) لتشييدها ، وأول حجر وضع في بناء دار الحكومة كان في سنة ١٢٨٦ للهجرة المباركة وقد اختطت المدينة مستقيمة الشوارع • وسيعتها نسبيا • وقد تولاها ، بعده ، ولده (فالح باشا) ، فابن عمه (فهد باشا) ثم تتابع على حكمها متصرفو الاتراك ، وكان آخرهم (حمزة بك) ، وبزمنه احتلها البريطانيون •

[المترجم]

الصحراء والوقت الذي يتطلّبه اكمال الشق وهو ، بالاضافة الى ذلك ، ممكن الحفاظ عليه ، عن سبيل الكري المستدام ، لمدة ٦ أشهر سنويا . وعلى كل حال، كان من المؤسف أن يشهد المرء نبذ مشروع صرف عليه ذلك القدر من العمل والمال والحماس فذهب بددا مهدورا .

ولم يقف الآن رئيس قبلي واحد في هذا الصقع ، وأعني به (بدر الرّميض) من (بني مالك) موقف المعادي المعاند المكابر ، وكان ذلك خلال السنة مددا . وأنفذت حملات تأديبية ، فكانت غير ذات جدوى . ووقعت التطمينات القائلة بأنه سيعامل معاملة شريفة ، بصرف النظر عن آثامه الماضية ، في اذن صماء غير سميعة . لقد بقي ملتزما بحكامه السابقين لا يخامره ندم ، ورفض دفع الضرائب وتحدّانا عموما . وكانت خيامه كهفا بلديا على غرار كهف ادلاّم Adullam [٣٨] ، وان وجوده قائما يعتد لسلطاننا تحدّيا . ولم ينزل عند المصير المحتوم الا في أوائل سنة ١٩١٩ فقدّم طاعته[٣٩] .

وكان لـ (لواء المنتفق) نصيبه التام من الصعوبات الادارية ، وليس في مكنتي حتى أن ألمع اليها هاهنا . ذلك انه لم يستخدم العرب بأكثر حرية في الاعمال اليومية للادارة بأكثر مما استخدموا فيه جهرا ، وحمداً الى الصفات الخاصة التي اتّسم به الحاكم السياسي المقدّم ديكسن وشكرا ، ذلك ان معلوماته عن الناس ولغتهم،سواءبسواء ، مضافةالىصبره وسلوكهالسجيح،كل اولئك مكّنه من استمالة كثير من المترددّين . كان ينوب عنه ، بمقدرة ، مساعدوه البريطانيون ، وبضمنهم برترام توماس ، وهو من غدا بعد هذا لسلطان (مسقط) مستشارا ماليا ، وقام بعض أعمال باهرة في ميدان استكشاف صحراء بلاد العرب الجنوبية المجهولة ، فالنقيب ديجبرن وهومن توظّف ، بعد ذلك، فيالحكومة العربية . انه الذيمسك ، أيضا،

---

(٣٨) ورد ذكره في سفر الخليقة ٣٨/١ . وفي التأريخ البريطاني (١٨٦٦) كان يدل على المنشق من حزب الاحرار .

[المترجم]

(٣٩) راجع :
Bertram Thomas, Alarms & Excursions in Arabia, 1931.
(المؤلف)

بزمام ولاء كثير من الزعماء البلديين والتجار ، ومن بينهم يمكن ذكر أسماء : الشيخ خيون العبيد[٤٠] والشيخ فرهود المغشغش وثامر بك لسعدون والشيخ حميد (من الخميسية) وكاظم الحاج حسن الحمداني ، ورشدي افندي ، وابراهيم العماري والسيد يوسف البعّاج • ان مجرد ذكر أسمائهم ليبعث السرور ، اذ انه يعيد الى الذهن ذكريات محبّبة •

وعن لواء القرنة ، خلال سنة ١٩١٨ ، لا حاجة لان يذكر الا القليل ذلك ان التقدم فيه كان دائبا ، وان عرقلته الطلبات الثقيلة المنصبّة على العمال الذين يعملون على السكك الحديد والسداد ، وجائحة ال (انفلونزا) ، والحشرات الضارة التي دهمت النخل ، بسبب الاهمال الاضطراري للزراعة خلال السنين المنصرمة • لقد كان العمل ، المنجز في كل دائرة ، ذا طبيعة تبشيرية • كان أهل الاهوار ، وقد وصفت طبائعهم بكثير من عمق النظر والسحر الادبي من قبل النقيب هجكوك وزوجه في كتابيهما الموسوم ب (الحاج ريكان) ، من بين سكان بلاد ما بين النهرين طرّا ، أقلّهم تعليما ، ان لم يكونوا ، بأي وجه من الوجوه، اقلّهم ذكاء • لقد تطلّب جعلهم يدركون فضائل العمل الدائب ، صبراً كبيرا ، شأنه كشأن الافادة من المال الذي كسب ، وكان كسبه امراً يسيراً • كانت فكرة الانخراط في مسلك (الشبانة) ـ باعتداده قوة الشرطة البلدية ، في أول الامر ، مستكرهة من قبلهم جميعا ، كما كان احتمال دعوتهم الى الخدمة في خارج المنطقة يبعث في صدورهم رعبا راعبا • كانوا يتوقون الى أن يقودهم الضباط البريطانيون ويفضلونهم في ذلك على العرب • وما كان احدهم ليقبل بارتداء السراويل ال (خاكي) القصيرة ، شأنها كشأن لفّافات السيقان • وما كان ذلك لاسباب عاطفية أو اشفاقا من السخرية حسب ، ذلك ان في الاراضي المغموزة بالمياه ،

---

(٤٠) مما يجدر ذكره بصدد هذا (الشيخ) أنّ بقرب الشطرة الواقعة في منطقة (مضاربه) مقبرة دفن فيها من عينتهم (الحكومة العثمانية) قائممقامين فيها بعد ان قتلوا على التوالى فقرر الاتراك عدم تعيين قائممقام فيها ووكلوا أمرها اليه •

[المترجم]

كمثل أراضي القرنة ، على المرء ان يخوض حتى الصدر عبر قنوات ، وعلى مسافات ياردات قليلة • ان السراويل القصيرة واللفافات تجعل التقدم في مثل هذه الاراضي أمراً مستحيلا : لقد قبلوا ، عن ذلك بديلا ، (دشاديش) طويلة (فُصلت على غرار الجبّة المصرية ، وقميص النوم •)

وغبّ خمس سنوات وجدت الحرس الواقف على باب (المقيمية البريطانية في بغداد) مؤلفاً من سرية رشيقة من جنود الـ (ليفي) الذين جاؤوا من القرنة وقلعة صالح • ان تدريبهم الناجح كان ، الى حد كبير ، من انجاز الملازم اس• في• باكر ، وهو من قاد ، منذ طالعة الامر ، مجندي (ليفي) قلعة صالح ـ القرنة • ولقد لوحظت الضرورة نفسها ، بقدر تعلق الامر باشاعة الثقة ، وباعتدادها بالمقدّمة في بعث آراء جديدة ، في الدوائر الاخرى • لقد نجح التعليم ما دام المعلمون من الرجـال البلـــديين ، حسب • وكان صيت المستشفيات الطيّب ، على القطع ، نسبياً ، وفي الحق كان حصرا ، ومردّ ذلك الى الصيت الحسن الذي كان يتمتع به الجرائحي المدني ، وهو من كان سمح له ، بعد زمان ، بأن يُجري عمليات على الرجال والنساء والاطفال ، وهو ما لم يكن ليسمح به ، قبل الحرب ، الا على الندرى وحتى في بغداد والبصرة أيضاً •

وسعى الشيخ اگباشي ، اوگباشي على ما كان يعرف به عموماً ، الى ان يسير ، مع الازمان ، مصاحبا ، ولقد شهدته سنة ١٩١٩ مغمورا بامتيازاته بأكثر مما كان عليه في سنة ١٩١٤ ، لكنه كان يهتم بالمستقبل أيضا ، وكلما كنا نلتقي كان يطلب مني امارة عن (سياستنا) تصريحا •

وحظى لواء العمارة فكان سعيداً بحكامه السياسيين خلال سنة ١٩١٩ ، وعلى غرار السنين المواضي (كذا : المترجم) • لقد اقعد المرض المقدم مكنزي ، عن العمل ، وهو من انجز كثيرا خلال مدة اضطلاعه بواجبات وظيفته التي استطالت ١٨ شهرا ، وانصبت منجزاته على وضع الاساس الرصينة • وكان خلفه الكفء مارس ـ الذي غدا بآخره لـ (الكلية الجامعة) في كولومبو رئيسـ

اداريا حصيفا ، وعالما ، سواء بسواء • وكان شيوخ اللواء رجالا متعقّلين غالباً وعلى حال موسرة ، ذوي غرائز كثيرة يتّسم بها سادة الارياف الاثرياء • كانوا يرتكنون ، في أغلب الحالات الى (الادارة المدنية) رأسا ، وذلك بقدر تعلّق الامر بالمناصب التي يشغلونها • كانوا يدركون ان هناك واجبات تقف بازاء الحكام السياسيين في قمع الجرائم المرتكبة ضد النظام العام • وكان الشيوخ المقدّمون في قبيلة (البو محمد) : محمد العريبي ، ومجيد[٤١] عصمان وفالح الصيهود ـ والاخير شخصية عالية الشأن رفيعة ، يملك قوة ابيه اللامع ومكره • لقد كان هؤلاء على حال ولاء وعون دائبين • وكان شيوخ (بني لام)[٤٢] ـ جوي ، وقمندار وابو ريشه وشبيب وفالح يقومون بواجبهم على ما كان يحلو لهم • ومن بينهم جميعا يمثل في خاطري (جوي) لاحبا جدا ـ انه ماكر يعجل في قوله وفعله لكنه يرتبط بالحكام السياسيين ارتباطاً اصيلا • كان يعرفهم جيداً وكان يستطيع أن يرتكن اليهم دوما • انهم : لچمن ومكفرسن ومكنزي • كان بكل واحد من الناس حفيا فيما خلا (والي بشتيكوه) ، ذلك انه كان لسلالته أكثر من منازل • ومهما تكن نظرتنا الى هنات (جوي) ، وهي كثر ، ما كان ولاؤه موضع تساؤل • ولا يمكن أن يورد القول نفسه على (غضبان البنية) وهو اكره الشخصيات وامكر الناس الذين كان علينا ان نتعامل معهم طرّا •

وكان الشيوخ على حال رفه رافهة ، وشارك الاتباع سادتهم في ذلكم الطالع الحسن • كانت هناك سوق عتيدة لكل حاصل ، وصبّت (الادارة) جهودها كلها في سبيل حسم المنازعات القديمة ، سواء أكانت قبائلية أم كانت شخصية •

---

(٤١) لعله يريد (مجيد الخليفة) ، وموطن (البو محمد) على فروع الكحلاء والمجر الكبير في (محافظة ميسان) •

[المترجم]

(٤٢) ومواطن بني لام شمالي مدينة العمارة في ناحية الشيخ سعد وقضاء علي الغربي • والشيخ غضبان البنية عرف بوقوفه ، غالبا ، بازاء (الاحتلال البريطاني) • و (الحكم العثماني) من قبل • و [المؤلف] ، كعادة بني جلدته ، يطري من تعاون مع (الاحتلال البريطاني) ويزرى بمن وقف بوجهه بطبيعة الحال • (المترجم)

وما ان حلّت نهاية السنة الاّ لم تبق ثارات دموية من غير ان تحسيم ، واخذ الجهاز الذي صمّمه مستر دوبس لحل المنازعات الجديدة ، حلا فورياً اجباريا ، يعمل عملا حسنا : لم يبق للشيوخ ولع في ادامة الشحناء ، وسرعان ما نبذ اتباعهم عادة كانوا ، على اطراد ، ضحاياها حصرا • كانت ثورة اخلاقية ، وعلى وجه ما روحية ، وبقيت قائمة تحت ظل (الحكومة العربية) التي ورثت (الجهاز) الذي مكّن منها وقام بالحفاظ عليها شمولا •

وبسقوط بغداد لم تعد القضايا السياسية تثير اهتمام مقدّمي الشيوخ ومزارعيهم • لقد انصرفت افكارهم الى زراعتهم كرّة أخرى ، وما ان ادرك ذلك (مكنزي) الاّ نظّم ـ بمعاونة مساعده (بيرسن) ـ وهو من قتلته قبيلة گويان في اذار التالي ـ معرضا زراعيا ـ وهو على ما احسب اول معرض من نوعه اقيم في بلاد ما بين النهرين ، وما قام مثله فيها أبدا • كان ناجحا على وجه منقطع النظير والقرين ، وكنا نأمل تشجيع قيام امثاله في العراق ، سنة ١٩٢٠ ، لكن الارادة الالهية شاءت غير ذلك (ولا مردّ لمشيئته ـ المترجم) •

كان الظل الوحيد الذي اطبق على (اللواء) ، خلال السنة ، نفيُ نحو ١٨ رجلا ، على وفق أوامر (المقر العام) ، وكان من بينهم من هو ذو مقام حسن ، كما كان غير هؤلاء من المغمورين ، لا مقام لهم ، أثبتت المستندات التي عُثر عليها (وطمأنت شعبة الاستخبارات) بأنهم كانوا على اتصال منظم بالاتراك • بذلت أفضل ما في وسعي لحمل (المقر العام) على أن ينفض يديه من هذا الامر ، لكن التوفيق لم يحالفني • لم يشر احد جاداً بان وجود هؤلاء الرجال في العمارة يعرّض مركزنا السياسي أو العسكري ، بأي وجه من الوجوه الى خطر ما ، كما ان قيمة المعلومات التي يستطيعون ارسالها الى الاتراك ، في هذه المرحلة من مراحل (الحملة) ، كانت هازلة ، والى ذلك كان عليّ أن أتأمل في الوضع الذي ينجم عن عودتهم عند انتهاء الافعال العدائية • وعلى ما يقول (كلوزويج : Clausewiz) : « لا يمكن فصل الحرب من التواصل السياسي » • ان كل واحد منهم قد يكون عدوا كامنا ، وليس ل (الادارة

المدنية) من سلاح ماض تصطنعه في مناهضة نفوذهم • وكانت عدة من نُفي ، خلال الحملة ، ٦٠٠ من المواطنين العرب • لقد شهّر ببعضهم « المخبرون »[٤٣] وظهرت أسماء غيرهم في المراسلات التي عثر عليها • ان العطف المزعوم مقرونا بالولاء لقضية رعايا العدو ، والافصاح عن احاسيس تمالىء الاتراك علنا ، كل أولئك كان يعتد ، من الاسباب المتينة للنفي •

لعل من بين ال ٦٠٠ لم يكن « الخطرون » ، بالمعنى العسكري ، يزيدون على ١٢ رجلا ، حين النفي ، ويمكن القول باطمئنان ان وجود البقية في بلاد ما بين النهرين في ذلكم الوقت لم يكن ذا اهمية عسكرية ، على أي وجه ، لكن نسبة منهم عُدت حقا في عداد الخطرين عندما قفل آحادها راجعين • لم يمكنوا ، الا على الندرى ، من فرصة الاجابة عن الاتهامات التي وجّهت اليهم ، ولم يلق القبض الاّ على القلة منهم في بيوتهم ، ولقد انتزعوا من اسرهم من غير تحذير •• ولدى عودتهم في سنة ١٩١٨ استعادوا ، وما كان ذلك غير طبيعي ـ قدرا من الحرية التي كان يتمتع بها الاهلون للتنفيس عن شكاواهم والافصاح عن انهم الضحايا الابرار • لقد عانى بعضهم من خسران فادح من جرّاء القاء القبض عليهم ، ومنهم من فقدوا زوجاتهم ، أو وجدوا أنفسهم على وجه من الوجوه متهافتين • حقا لقد دفعت (الادارة المدنية) مخصصات معيشة الى أسرٍ أملقت اثر نفي من كان يكسب لها الخبز والى اسرى الحرب أيضا ، وما كان عدد من جاء يفصح عن الجهد ويشكر قليلا •• كان مالاً انفق على وجه حسن ، فانقص من حجم الشعور السيء الذي صحب النفي • ان الذين كانوا ، من بين المنفيين ، على حال يسر نسبيا ، ويملكون النفوذ لذلك ، هم الذين أفصحوا عن مكنون أنفسهم على أمرّ وجه وقاموا بالضرر الأشد •

لن احاول وصف الفروع المتعددة الاخرى المتصلة بالفاعلية الادارية والتي شرع بها أو ابتعثت خلال سنة ١٩١٨ ، ومنها ما سيشار اليه في (الفصل ٢٣) •

---

(٤٣) ان اردت الوقوف على بحث ممتع عن الموضوع • راجع :
Compton Mackenzie: Gallipoli Memories, 1929.
(المؤلف)

فبتوجيه من سر ادگار بونام ـ كارتر ابتعثت الدائرة القضائية على وجه رصين ، وهو ما قبله الرأي العربي العام الشاعر بالتبعة • واستطاعت (دائرة المعارف)[٤٤] أن تبدأ بداية حسنة في (الولايتين) على آساس وضعها ال (ميجر بومن) المنسوب الى (الخدمة التعليمية المصرية) وهو الذي أصبح مدير المعــارف في فلسطين بأخرة • وتولى مستر كوك أمر دائرة الاوقاف التي كانت موشكة على الافلاس ، فقام بتطهيرها وبعث الحياة بها واستمرت على الافادة منه حتى سنة ١٩٣٠ بوصفه مستشارا • ونمت الشرطة باطراد ، وذلك على النظام الذي شرحناه بايجاز في (الفصل السابق) ، مكتسبة الثقةالعامة فيوقت قصير ملحوظ• شكرا لجهود العقيد بريسكوت وحمدا ، ولمن كان له سندا أيدا وظهيرا من أمثال كونز وويلكنس وغيرهما من الرجال الصالحين الصادقين •

ان هذه الدوائر ، وعديدا غيرها ، مما بدأت تعمل سنة ١٩١٨ ، لاتزال دائبة على ذلك بكفايات مماثلة في الحكومة العراقية • وكانت دائرة الري والزراعة ، والبرق والبريد ، والاشغال العامة والمساحة والمينـاء لا تزال منظّمة باعتدادها وحـدات عسكرية ، لـكنها كانت تتوجـه تدريجيا بحيث يسهل نقل السيطرة العسكرية منها الى الايدي المدنية عندما يحين الوقت • لقد وجدت الضـــباط المسؤولين في (المقرّ العام) ، وأخص بالذكر منهم الجنرال ستيوارت وورتلي والجنرال ريدي ، شديدي التوق الى التعاون في مثل هذه القضايا ، وذلك بقدر

(٤٤) كانت (دائرة المعارف) ، ابان ايام (الاحتلال) ملحقة بمن كان يدعى (السكرتير المالى) • وكان هذا يرى في المعلمين العراقيين (طبقة تنظر الى من في السماء ليجزيها على صنيعها الجـــزاء الاوفى) • وقد علّق (ناظر المعارف : بومن) على ذلك بقوله : « هذا صحيح بالنسبة الى كل من يعمل في ميدان التعليم ، لكنني لا ارى سببا يحمل على ارجاء الجـزاء الدنيـوي لحـين الحصول على الجزاء الاخروى » • وكان للمعارف (مجلس استشارى) ، وكان أعضاؤه الاولون : الحاج علي الالوسي والعلامة محمود شكري الالوسي والشاعر جميل صدقي الزهاوى والاب انستاس مارى الكرملي وحمدى بك بابان وجعفر جلبي الحـاج داود ، و (ناظر المعارف) رئيسـه • ومـن أشــهر من تولى شوءون المعارف في عهد الاحتلال : (ليونيل سميث) الذى جاء ضابطا عسكريا ثم عين على النجف حاكما سياسيا وهو من المتخرجين في جامعـــة اوكسفورد الشهيرة • [المترجم]

ما تسمح به الاعتبارات العسكرية ، وبالنظر الى الحاجات المــــدنية في الحال والاستقبال •

وبقدر ما يستشف من الخطب العـــامة التي القيت في (البرلمان) ومن المخابرات الرسمية التي تناهت الينـــا من (وزارة الهند) خـــلال السنة ، نالت التطورات التي وصفناها فيما مضى موافقة الحكومة وخالص رضاها • صرح لورد روبرت سيسل ، بوصفه الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ، في (البرلمان)[٤٥] : « ان تقدما يدعو الى الطمأنينة جدا أنجزته الادارة السياسية في بلاد ما بين النهرين فأنقذت البلاد من حالة الخراب اتي هوت اليها تحت حكم الاتراك » ، ثم اتبع ذلك بخلاصة موجزة عن فعالياتنا الادارية •

ولم يثر شك ، في أي وقت خلال السنة ، بشأن نوايانا القابلة عن العراق • لقد قدمت الى العالم نقاط ويلسون الـ ١٤ في الثامن من كانون الثاني سنة ١٩١٨• وجاء في النقطة الثانية عشرة منها : « ان القوميات التي هي الآن تحت حكم الاتراك يجب أن تضمن لها حياة لا ريب فيها وفرصة مطلقة للنماء الذاتي • » • ان هذه العبارة قرئت مقرونة بعبارات جاءت على لسان الناطقين بلسان دول الحلفاء لتدل على أهدافهم الحربيـــة التي لا تنطوي على الرغبة في الحـاق الاراضي التركية • لقد تراءت لي انهـــا لا تتفق مع التصريحات السابقــة وارهاصات السياسة التي توصلت وسر برسي كوكس اليها ، وعلى سبيل المثـــال اتفاقيــة سايكس ـ بيكو • وفي ساعة عجلى استفسرت ببرقية عن الاهمية التي تعلق ، ان وجدت حقا ، على الوصية الـ ١٢ ، وعن وجهــة نظـر الحكومة ، ان رغبت القوميات في حكم ذاتي تحت سلطان الترك • وجوابا عن ذلك اشير علي بمراجعة التعليمات المعطاة في آب سنة ١٩١٧[٤٣] : « يجب أن لا تثار قضايا ادارية وسيعة

---

(٤٥) راجع :

Debates H.C. 23.1.18.

(المؤلف)

(٤٦) راجع :

Loyalties, Chapter XV and p. 165 n.

(المؤلف)

قابلة للجدل • » وهكذا منيت بخيبة أمل فلم أتخذ خطوات اخر الى ما بعـــد الهدنة حين سألت (وزارة الهند) ، ما رأيها في خبء المستقبل • لقد كنت زعيما ، ولعلي كنت في ذلك مصيبا ، ان لسان النبوءة كان عييا ، فشكوكهم كانت اعظم من شكوكنا • لقد كان واجبنا ـ باعتدادنا العاملين في الميدان ـ واضحا ، وهو أن نمضي قدما ، وعلى أفضل ما نستطيع لنخلق من حطام الحرب للادارة المدنية نظاما ، على حاجات أبناء العراق منطبقا ، حتى اذا ما نشر السلم أروقته فيهـــا استطاع هؤلاء الابناء أن يبحثوا ، من دون خيبة ، عن مصيرهم الملائم ، يتخذون اليه سبيلا •

الفصل الحـادي والعشرون
المبـاحثات السياسية
تشرين الثاني ١٩١٨ ايــــار ١٩١٩

مذكرة تصديرية

قبس من تأريخ (مؤتمر الصلح في باريس) المحرر من قبل « ايج • دبليو • تي • تمبرلي » ج ٦ ، ١٩٢٤ ، ص ١٨٠

« لدى بدء المفاوضات في سبيل معاهدة الصلح ، لم تعد مشكلة العراق مشكلة ادارية محلية ، ولكنها غدت جزءاً من مشكلة سياسية عالمية •

قد يتراءى ذلك حقا ، أمرا أشير اليه في التصريح البريطاني ـ الفرنسي الصادر باليوم السابع من تشرين الثاني ١٩١٨ والذي يقرر ان هدف البريطانيين والفرنسيين في الشرق هو اقامة حكومات وطنية وتشكيل ادارات تستمد سلطاتها من مبادرة السكان الاصلاء واختيارهم المطلق ، والاعتراف بهذه الحكومات بمجرد تأسيسها على الوجه الفعال • لقد كانت (سورية) و (الحجاز) هما المقصودتين بهذا ، في الدرجة الاولى ، لكنه كان يطبق من قبل العراقيين بطبيعة الحال ، على بلاد ما بين النهرين • وتواقت ذلك تماما مع نجوم نظرية الانتداب •

في المخطط العام الذي قام بوضعه الـ (جنرال سمطس) الذي يتناول الاخذ بـ (نظام الانتداب) لم يكن هناك اي شيء يبين ان (عمله) لن يكون الا (بطيئا) وغير باهظ التكاليف • ما كانت للمحادثات التي دارت حول شكل الانتـداب الذي سيطبق على العراق الا الاثر القليل في مجرى الحوادث فيه ، كما لم يكن تأثير هذه الحوادث فيه الا قليلا ايضا • هذا ولم يحدث أي تقدم في باب تعيين الانتدابات أو تخطيطها الى ان حل شهر أيار ١٩١٩ ، وبعده تأجلت قضيـــة الانتدابات على البلدان التي كانت ضمن الانبراطورية العثمانية كلها الى صدور قرار الولايات المتحدة • لم يقبل الانتداب على العراق من قبل بريطانية رسميا حتى ايار سنة ١٩٢٠ • ومهما يكن الامر ان التأخير في اعلانه واكثر من ذلك تأخير التوقيع على معاهدة الصلح مع تركية ، كان أمرا لا معدى عنه وكانت له نتائج فاجعة بالنسبة للعراق •

○◉○

نحن ، من دون بني الانسان نقوم بالاحسان ، وليس ذلك بحسبان النفع ، ولكن عن ثقة بالحرية وبروح تتسم بالصراحة وتنأى عن الاشفاق •

بيركليس : خطاب التأبين
(ثاسيديدس / ٢ – ٤١)
ترجمة : جويت

○⊙○

هناك اعتباران اثنان لا معدى عن ان يرتكن العقل اليهما في ساعة النصر المبين • ان التأريخ كله ، والتجارب كلها ، واخطاء التفكير جميعا يجمعها (الاعتباران) لتلقي علينا على حد سواء • انهما يمثلان حقائق قاطعة وانهما لواضحان الى حد لا ارى في نفسي الشجاعة الكافية لان اذكرهما في (المجلس) ان الاول منهما هو :

– « لا يجرفنكم النصر الى الحد الذي تطلبون فيه ، أو تأخذون أكثر مما هو حق أو حصيف • »

والثاني منهما هو :

– لا تعمدوا الى حل جيشكم حتى تحصلوا على شروطكم » •

ان افضل جمع في العالم طرا هو الجمع بين القوة والمرحمة • واسوأ جمع في العالم طرا هو الجمع بين الوهن والكفاح •

مستر ونستن جرجل في خطاب القاه أمام مجلس العموم في اليوم الثالث من اذار ١٩١٩

○ ⊙ ○

أعلنت من غير تأخير ، خاتمة النصر ، التي انتهت بها الحرب مع تركية ، وذلك من قبل (القائد العام) وسمعها جمع من متقدمي القوم ببغداد استدعوا على استعجال • ووزع خطابه ، بالعربية وبالانكليزية على حد سواء ، بسعة في طول الاراضي المحتلة وعرضها • وبعد أن أشار الى (منشور الجنرال مود) استمر الـ (جنرال مارشل) يقول :

« بقدر تعلق الأمر بميدان الحركات هذا ، لقد جاءت خاتمة الحرب ، ونحن ، الان ، في موقف نستطيع فيه أن نظهر ان وعودنا التي كيلت لكم غالبا يجب الحفاظ على أول فرصة مستطاعة لتحقيقها ، وباعتداد الافصاح عن نوايانا الحسنة المنبثقة عن صدق راهن ، اني معلن ما يلي :

١ – سيسمح لاسرى الحرب ، بخلاف من هم يحملون الجنسية التركية والذين هم محتجزون ، الان ، في الهند ، بالعودة الى بيوتهم •

٢ ـ وفي ضمن حدود الاراضي المحتلّة ستشيع حرية التجارة وسترخي قيود الحصار .

٣ ـ سيكون هناك ارخاء مماثل بالنسبة للقيود المفروضة على الحركة الشخصية.

٤ ـ سيعاود السماح بنقل الجثث للدفن في كربلاء والنجف وذلك تحت شروط ملائمة .

٥ ـ ستفتح السبل المفضية الى العتبات المقدسة كرة أخرى وذلك بالنسبة للزيارات المنظّمة .

٦ ـ سيمنح المستخدمون الدائميون في (الادارة المدنية) ، من بين الاهلين ، والذين لا يخدمون حقا في صفوف الجيش والذين قاموا بعمل طيب ، منحة تعادل راتب شهر واحد .

٧ ـ سيطلق سراح مساجين مختارين من بين الذين تضمهم السجون المدنية .

٨ ـ سيوزع الطعام واللباس على فقراء بغداد وغيرها من المدن وسيعلن عن تخفيف ثانوي في الانظمة القائمة .

وختاما ، أرجوكم أن تؤمنوا ان ما سبّبه وجود الجيش بين ظهرانيكم من تذمّر وازعاج كان أمرا لا معدى عنه ، وانه لم يكن نابعا من نوايانا لكنها الضرورة العسكرية ، واني لأعدكم باسم صاحب الجلالة الملك ـ الانبراطور[1] بأنني سأزيل ، بالسرعة المستطاعة ، كل سبب يبعث الشكوى » .

لقد حررّت هذا البيان بنفسي ، من غير أن اراجع (حكومة صاحب الجلالة) وقبل أن تصلنا أية بادرة تتصل بنواياها . انه ليفيد اظهار الخطوط العامة التي نأمل السير عليها ، وأعني بذلك اعادة الاوضاع السوية الى ما كانت عليه ، بأسرع ما يستطاع ، حتى يصدر (تصريح) يتعلق بالسياسة القابلة .

وباليوم الثامن من تشرين الثاني نشر في باريس ، ولندن ، ونيويورك ،

---

(١) يريد بذلك (ملكه) عندما كان يحمل لقب ملك بريطانية العظمى وانبراطور الهند والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار .

[المترجم]

والقاهرة ، التصريح التالي . وأبرقت اليّ (وزارة الهند) بجهرة النص الفرنسي في اليوم نفسه ، مشفوعا بتعليمات تقضي بأن يعمّم على أوسع وجه مستطاع :

« ان الغاية التي تتطلع اليها فرنسة وبريطانية العظمى من وراء الحرب ، التي شُنّت في الشرق والتي فجّرها مطمح الالمان ، هي : تحرير شعوبها على وجه تام قاطع ، الشعوب التي اضطهدها الاتراك ، واقامة حكومات وطنية وادارات تستمد سلطانها من مبادأة سكانها الاصلاء واختيارهم الطليق .

وتحقيقا لهذه النوايا اتفقت فرنسة وبريطانية العظمى على تشجيع اقامة الحكومات الأصيلة واداراتها ومدّ يد العون اليها في كل من سورية وبلاد ما بين النهرين ، وهما اللتان حرّرتا من قبل (الحلفاء) حقا ، وفي البلدان التي تسعيان الى تحقيق تحريرها ، والاعتراف بالأخيرة بمجرد تأسيسه حقا . انهما أبعد ما تكونان عن فرض أي نظام معين على هاته الارضين ، وليس عندهما ما تعنيان به الا ضمان العمل الودي للحكومات والادارات فيها ، عن سبيل ما ستجودان به من دعم وعون فعال ، شريطة أن تكون تلكم الحكومات والادارات قد اختيرت بارادتها الطليقة . ان دور (الحكومتين المتحالفتين) في الاراضي المحرّرة هو : ضمان العدل النزيه للجميع ، وتيسير الابتعاث الاقتصادي ببعث التشبث الاصيل وتشجيعه ونشر التعليم ووضع حد الى الانقسام الذي استغلته السياسة التركية أمدا طويلا » .

ان هذه الوثيقة التي انبثقت عن عبقرية (الرئيس ويلسون)[٢] العقائدية غيّرت من وجهة النظر السياسي تغيرا عميقا . لقد اعتدها السوريون والعرب ، صوابا كان ذلك أم ضلة ، حالة محل نصوص (اتفاقية سايكس ـ بيكو) ، أو مكيّفة لها في الاقل ، وهي الاتفاقية التي نشرها البلاشفة في تشرين الثاني ١٩١٧

---

(٢) شاع في الجرائد العربية الصادرة في مصر وغيرها أن الرئيس ويلسون أفصح عن رأي بشأن (بلاد ما بين النهرين) محصله أنها يجب أن تعتدّ احدى البلدان المستعدة لتقرير المصير الذاتي (راجع تمبرلي ص ١٨١) . لقد أيد مستر هنري وايت هذا المعتد في حوار جرى بيني وبينه وأضاف الى ذلك ، على كل حال ، « انه لا يعدو قضية شكل » .

[المؤلف]

واعيد نشر ترجمتها في الـ (مانجستر كارديان) في كانون الثاني ١٩١٨ ، وغبّ أسابيع قليلة نشرتها الجرائد العربية الرئيسة الصادرة في مصر و (الحبل المتين) الصادرة في كلكته • كان جليا ان ليس في النص الحرفي لـ (التصريح) ما يناقض التزام الحلفاء ، على وجه قاطع ، لشروط (الاتفاقية) ، لكن الحقيقة القائلة بأن اصدار بيان كهذا ، في نيويورك والقاهرة وفي لندن وباريس ، على وجه متواقت ، كان يعتد برهانا ايجابيا على النية المنصبة على دعم التصريحات السابقة ان لم يكن حلولها محلها • ان الوعد الصادر بأن على الاهلين الاصلاء ممارسة حق (تقرير المصير) بالنسبة الى شكل الحكومة الوطنية التي يعيشون تحت ظلها ، وان ذلك كان يعتد ، وما كان ذلك غير طبيعي ، منطويا أيضا على أن يكونوا أحرارا في اختيار اما فرنسة أو انكلترة لتكون الدولة المنتدبة ، أو انهم يرغبون في أن تُقيَّد حريتهم من قبل أي نمط من أنماط الانتداب •

لم يصيّر أي شيء في الوضع السياسي لسورية والعراق اصدار تصريح كهذا أمرا ضروريا • وكان في مكنة فرنسة وبريطانية ، من غير أن يقيدهما تصريح كهذا ، الاتفاق بشأن مجالات مصالحهما ، فالتقـدم الى منح الاهلين الاصلاء المؤسسات التي يحسب انها تحقق الاهداف المضمّنة في (التصريح) ، والذي لم يأخذ بنظر الاعتبار وجود أقليات مهمة في (الولايات) ، وهي ثلاث ولايات ، وأعني بها : الآشوريين والاكراد كشأن الانقسامات العميقة الموجودة بين سكان سورية وفلسطين • ينضاف الى ذلك ان (البيان) لما يكن مطابقا لتصريح بلفور الصادر في تشرين الثاني ١٩١٧ المتعلق بالوطن القومي لليهود في فلسطين •

كان نشره غلطة فاجعة ، ولقد القيت جريرته من قبل الرئيس ويلسون على (الحلفاء) • لقد شجع نجوم آمال ومطامح بين ظهراني الارمن والآشوريين والكلدان والنصارى السوريين ، ولم يقم الحلفاء كما لم تقم الولايات المتحدة بأي شيء يدفع بها قدما • كما لم تقم هذه الدول في السنوات المتأخرة بتخفيف العقوبة التي عانى الارمن منهـا بسبب ثقتهم بالنصرانية والولايات المتحـدة الامريكية • انهم ليقولون الحق بشـأن الاخيرة ان ردّدوا ما قاله (بيرون :

BYRON) : « لا تثق بالحرية الى الفرنكيين[3] ، اذ لهـــم ملك يشتري ويبيع • »

وأبرقت (وزارة الهند) بعد أيام قليلة تقول أن مؤتمرا بين الحلفـــاء وشيك الانعقاد تمهيـدا لمفاوضات الصلح • ومن المحتمل أن يبحث في القضايا العربية وسيكون ممثل للملك حسين حاضرا فيه • ولقد أُمرت بأن أبرق بأية نقاط تؤثر في (بلاد ما بين النهرين) تشغل بال ممثلي الحكومة البريطانية • وكان أن أجبت بعد ٢٤ ساعة بما يلي السطر :

« لا أكـــون قائما بواجبي ان لم ادوّن ، أولا ، اعتقادي بأن التصريح الانكليزي ـ الفرنسي الصادر في الـ ٨ من تشرين الثاني ، بقدر تعلّقه ببلاد ما بين النهرين ، يورّطنـــا في مصاعب عظيمة ، عظمة التطمينات المبكّرة التي أعطاها سر هنري مكمهون الى (شريف مكة) •

لممثلي (حكومة صاحب الجلالة) العاملين في الميدان استغلال الوضع على أفضل وجه ، أعني الوضع الذي خلقه (التصريح) • وعلى ما تعلم (الحكومة) أنا قائم بذلك ، وما لم ينسخ الاخـير أو يكيّف عن سبيل بيان يصـــدره (مؤتمر الصلح) فاني أتوقع ، في السنين المقبلات ، بأن نجبه بديلات من تجنّب الروح والتمسّك بحرف هـذا (التصريح) أو اقامة نمط من (الحكومة) يناقض التقدّم المنظمّ ويربك بوجه خطير جهود الدول الاوربية المنصبّة على ادخال مؤسسات مستقرة في (الشرق الاوسط) •

ان (التصريح) هاهنا يورطّنا في خيانات دبلوماطيقية ، نجحنا حتى هذا الاوان في تجنّبها ويضع سلاحا ماضيا في يد من هم أقل الناس صلاحا للسيطرة على مقدّرات الامة •

اني لأوكد الانعدام الكلي للصلات السياسية والأرسية أو غيرها بين بلاد

---

(٣) في الاصل FRANKS وهم قبائل جرمانية حتلت فرنسة في القرن السادس بعد الميلاد •

[المترجم]

ما بين النهرين وبقية بلاد العرب (كذا : المترجم)[٤] .

« فان اريدت معالجة وضع هذه البلاد في المستقبل ، على الوجه الناجح ، فاني لعلى ثقة من وجوب القيـام بذلك في معزل عن المشكلات العربيـة في أي مكان آخر .

« ان عرب بلاد ما بين النهرين لن يتسامحوا في أن يكون للعرب الاجانب (كذا : المترجم) ما يقولونه في شؤونهم ، سواء أجاء هؤلاء من سورية أم جاؤوا من الحجاز . وفي الواقع انهم لا يثقون بالطائفتين ولا يحبونهما . انالوحدة الوطنية تعني عندهم وحدة بلاد ما بين النهرين ، وليست الوحدة مع سورية أو الحجاز . لذلك فهم ينكرون ، أيضا ، ادخال مؤسسات اجتماعية أو ادارية وطرائق ذوات مذاق هندي .

ان العربي السوي ، بخلاف حفنة من محترفي السياسة البغداديين ، يرى المستقبل باعتداد ذلك معاملة عادلة وتقدما ماديا وأخلاقياً تحت ظل بريطـانية العظمى، وانه ذو نظر لاحب كافٍ ليدرك انه سيضيع ، لا يكسب ، من وراء الوحدة الوطنية ، ان تخلينا عن السيطرة النفّاذة . انه سيتعلم بأســرع من تعلّم الهندي ، لكنه لا يزال متخلّفا عنه في ميدان التعليم والتجربة .

وبصـرف النظر عن هـذا ، ان العنصر العشـائري مصـدر دائب للانشقاق ولقلق عــام خطـير . كما اننـا لسنا قادرين على تجاهـل الازدراء المتبــادل والتحاسد الموجود بين أهل المدن وأبناء العشائر .

وبدعم من خبرة الحكام السياسيين الذين في امرتي ، اني قادر على أن

---

(٤) هذه بعينها روح الاستعباد البريطاني يفصح عنها لسان ممثـله الفذ في عراق هاتيك الايام ، (مؤلف الكتاب) . ان الخيال المريض يجعل (عراقنا) في معزل عن (الوطن العربي الاكبر) ، وقد أستهواه . كما ان جعله (محمية بريطانية) لم يطبق على تفكيره فحسب بل غدا عنده (حقيقة ماثلة)، لكن عبء السنوات التاليات وثورات العراق ، في الشمال والوسط والجنوب ، لقّنت (الانبراطورية العجوز) دروسا (وصرف الدهر نعم المؤدب) فذهبت أحلامها وتلاشت آمالها وتحرر العراق وجعل (الوحدة الكبرى) هدفا أساسيا .
[المترجم]

اصرح مطمئنا بأن البلاد ، على وجه العموم ، لا ترقب ولا ترغب في نظام جارف كهذا قوامه الاستقلال ، على ما هو مضمن ، ان لم يكن مصرحا به وضوحا ، في (التصريح البريطاني - الفرنسي) .

ان العرب راضون باحتلالنا (كذا : المترجم) واز عنصر غير المحمديين يتمسكون به باعتداده محققا آمال أجيال عديدة . هذا وان العالم طرا يقر بأن واجبنا ونفعنا السني هو في اقامة (محمية فعالة) وادخال نمط من الحكومة يمكن من ابتعاث البلاد ، التي لا تزال ، على الرغم من انصرام قرون ، واسطة العقد في الشرق الاوسط .

فلو سمحنا لانفسنا بالانحراف عن هذا (المسار) ، بفعل الالفاظ السياسية الخالبة ، لكان معنى ذلك ان جنودنا قاتلوا وماتوا من غير طائل ولا جدوى

وان الكنز الذي جدنا بـه على هـذه البلاد قـد ذهب ، في نظر العالم وشعوب الشرق الاوسط بددا ، اذ ما جئنا لدحر المانية حصرا .

لذلك فاني أعرض بأن أفضل سبيل لنا هو أن نعلن ان بلاد ما بين النهرين ستكون (محمية بريطانية) ، تمنح تحت ظلها الارساس والطبقات جميعا وحالا أقصى درجة مستطاعة من الحرية والحكم الذاتي على ما يطابق نمط تلكم الحكومة الآمنة الصالحة التي تنشدها الشعوب طرا ، ولا يزال عدد من تستمتع بها ، اليوم ، قليلا . ان خصائصنا القومية ومجرى سياستنا في هذه البلاد ، خلال الاربع سنوات المنصرمة ، تجود بأفضل ضمان على اننا لن نفشل هنا على ما فشلنا في الهند بقدر تعلق الامر ببذل كل محاولة في سبيل نشر التعليم واشاعة المؤسسات التي تعرفها الدول التقدمية وتشجيع نمء « الدولة العراقية » المنفردة » .

وفي برقيات أبرقتها على انفراد سجلت آرائي بشأن نقاط خاصة معينة ، على ما يلي السطر :

الدين العثماني العام

لا يحتمل الحفاظ على ادارة منعزلة للقيام على خدمة هـذا (الدين) .

وأياً كان الامر علينا ، زعما ، قبول تبعة دفع مبالغ أدركنا مقدارها قبل الحرب وذلك من الاراضي التي قُدّر لنا احتلالها ، لكن من الواجب ألاّ يطلب منا تخصيص واردات معينة لهذا القصد كما ان علينا الاحتفاظ ، على ما نراه صوابا ، بتسديد ذلكم القسم من الدين المضمون بالواردات العراقية •

انحصار التبغ ال (ريجي)

وان واردات التبغ خُصِّصت الى (ادارة الدين العام) ، القائمة باستيفاء هذه الواردات • اذ جرى ذلك عن سبيل مزرعة اعطيت الى ال (ريچى) ، وهي شركة بأيدي الالمان والنمساويين في الدرجة الاولى • كانت ال (ريچى) تدفع الى (الدين العام) قرابة مليون جنيه سنويا لجباية الواردات من التبغ في الانبراطورية العثمانية طرا وكان تجني من جراء ذلك أرباحا عظاما •

أعرض : اننا يجب أن نعارض أية محاولة تنصبّ على معاودة اقامتها في أي اقليم نحتله • ان هذا ضروري ضرورة قبول الفقرة السابقة •

سكة حديد بغداد

يجب نقل جميع ممتلكاتها في (بلاد ما بين النهرين) الى دولة العراق ، حتى يتم نقلها الى (شركة سكة حديد) تؤلّف بعد هذا ، ان كان ذلك يرتجى•

تسليم الوثائق والمستندات

على الحكومة التركية أن تسلّم الى الادارة العراقية الوثائق والمستندات والسجلات المتعلقة بالادارات المدنية والعسكرية والقضائية في الاراضي التي انفصلت عنها •

الادارة النهرية

يجب اعتبار البواخر العاملة في دجلة ، التي تملكها (الشركة) واستحوذ عليها ، كشأن أرصدتها جميعا ، من ممتلكات الدولة التركية ، وعلى ذلك يجب أن تنتقل الى الدولة العراقية •

التقاعد

ستضطلع الدولة العراقية بالتبعة المالية بقدر تعلّق الامر بدفع رواتب التقاعد، على وفق مقياس ما قبل الحرب، الى الموظفين السابقين للحكومة التركية الزائلة، ممن جعلوا العراق لهم مستقراً . يجب قصر الالتزام على ذلك الجزء الذي اكتسب عن الخدمة في العراق . قد يكون من الافضل عدم ذكر هذا، لكن الجانب الآخر قد يثيره .

مناهج الاجانب بموجب الامتيازات الاجنبية

ان اقيمت (محمية بريطانية) في العراق وجب انهاء أمر (الامتيازات الاجنبية).

الحد التركي – الفارسي

يجب ابرام قضية الحدّ الذي وضعته (لجنة الحدود) في سنة ١٩١٤، وأعني به الحد المادّ من الفاو حتى (ارارراط)، وأن نعيّن بأنه أصبح ملزماً بالنسبة الى الدول التي يُبين لها حدودها . ان قسم الحدّ القريب من (كوتر: Kotur) يجب أن يكون على وفق ما أوصى به أعضاء اللجنة الروس والبريطانيون .

الامتيازات

تلغى جميع الامتيازات، الفعلية أو المرتقبة، التي منحتها الحكومة التركية في الدولة العراقية، أولا، وتصبح باطلة، أعني: النفط والتراموايات الكهربائية وما اليها، شريطة أن نلتزم النظر، في الحالات المشار اليها، بدفع تعويضات على ما نراه صوابا، حصراً . ان انحصار التبغ ال (ريجي) يدخل في هذا الباب، شأنه كشأن أية امتيازات خاصة يستمتع بها المصْرِف الانبراطوري العثماني وشركة البواخر النهرية في الفرات ودجلة .

السيادة

على الحكومة التركية، وهي تتخلّى عن السيادة الدنيوية على العراق، أن تتخلّى، في الوقت نفسه، عن كل دعوى تنصب على السيادة الروحية، وأعني بذلك عن وظائف (شيخ الاسلام) فيما قبل الحرب .

وتناولت البرقيات الاخرى قضية العفو والحرية الدينية واختيار الجنسية.

وبقدر تعلق الامر بصقع الخليج الفارسي (بالاحرى العربي - المترجم) ألحفت على وضع نص في (معاهدات الصلح) يقضي بالاعتراف باستقلال (نجد)، بعبارات لا تقل وضوحا عن العبارات التي اصطنعت مع الملك حسين والحجاز. واقترحت أن توضع جميع المعاهدات المعقودة مع مشيخات (الخليج) كافة أمام (مؤتمر الصلح) مشفوعة بما يعبر عن وضعنا الفعلي، بقدر تعلق الأمر بتطويف العوّامات في (الخليج) وتنويره، وبصدد (مسقط) و (نقل الاسلحة).

وختمت مذكّرا (حكومة صاحب الجلالة) : بأنه في خلال الاشهر القليلة القابلة، سيجرى تبادل آلاف من اسرى الحرب وسيعودون الى (بلاد ما بين النهرين) ومعهم بضع مئين من الموظفين الاتراك السابقين، وغيرهم من الشعب العربي، الذين كانت فعالهم المناوئة للبريطانيين السبب في القاء القبض عليهم. ولن يكون وصولهم مصدر ارباك قليل، لذا يجب أن تُحبيه (المشكلة)، هذه ،وان أي انعدام في تحديد وضعنا، وسياستنا، وأهدافنا في بلاد ما بين النهرين، خلال مدة معاودة البناء، سيضيف الى مصاعبنا شيئا ادا.

وبعد أيام قليلة أرسلت (وزارة الهند) مقترحا، وصلها من مصدر غير رسمي، بشأن حل شامل لمشكلة العرب في بلاد العرب. تضمن هذا اعترافا بملك الحجاز (سلطاناً) على بلاد العرب (وبضمنها نجد وباستثناء عمان زعماً) وذلك فيما خلا : (١) بلاد ما بين النهرين السفلى من البصرة الى عانة والزاب الاكبر و (٢) بلاد ما بين النهرين العليا، وبضمنها الموصل، واورفه، وديار بكر و (٣) سورية وبضمنها فلسطين. تكون الدول هذه، وهي ثلاث دول، تحت حكم (عبدالله) و (زيد) و (فيصل) : أبناء الملك حسين وهو من لن يكون ذا مقام في الدول المذكورة، فيما خلا الاعتراف به في (خطبة الجمعة) على المؤمنين (خليفة). وطلب اليّ أن أبرق أفكاري المعتبرة بأقل تأخير مستطاع. وأجبت في اليوم التالي بأني اعتدّ المشروع هذا غير عملي كليا.

وألحفت القول ، على ما فعل سر برسي كوكس في سنة ١٩١٧ ، بأن تُعتمد ولايات : البصرة وبغداد والموصل وحدة منفردة لمقاصد الادارة وأن تكون خاضعة الى سيطرة بريطانية فعالة(٥) • لقد استنكرت أية محاولة من قبلنا تنصب على مس قضية إقحام اسم الملك حسين في (الخطبة) أو فرض أية اسرة حاكمة على العراق ، في مثل هذه المرحلة ، أو أي نمط من أنماط الحكومة • ان تأسيس اسرة لهو ، في كل حالة ، قضية خطيرة ، وأشد خطرا من انتخاب (رئيس جمهورية) • ان الأمثلة التي تقدّمها الاسر الحاكمة في فارس ، وتركية ، وافغانستان لم تكن مشجّعة • وختمت بالعبارات التالية:

« كان الشعب ، خلال الايام القليلة المنصرمة ، يتدبّر معنى التصريح الانكليزي ـ الفرنسي ، الصادر باليوم الثامن من تشرين الثاني ، وبدأ أثرُه المحتمل في مستقبل البلاد يدرك • لقد مُسح الرأي المثقف مسحا وسيعا وقد اثير اهتمام ، فكان عظيما •

لم اخوّل ، حتى الان ، صلاحية الوقوف على الرأي العام ، في طول البلاد وعرضها ، ولست بقادر على أن أتكلم بايقان في هذا الموضوع حتى أقوم بما ذكرت •

ان الرأي المثقف ، بقدر ما يستطاع سبره في بغداد ، ضمن التحديدات التي ألمعنا اليها سابقا ، ليقتفي الخطوط التالية :

١) يرفض الجميع فكرة اعادة الحكم التركي •

٢) وتنبذ أيضا فكرة قيام دولة عربية من غير مشورة ، أو معونة ، أو سيطرة بريطانية •

---

(٥) يتبين من ذلك كله ان سياسة الحاكم الملكي البريطاني العام في العراق ـ (مؤلف الكتاب) كانت تتجاهل أماني الشعب العراقى فى قيام حكم وطنى وهي السياسة التي أودت به حين تقرر استبداله بسر برسى كوكس ليجرب سياسة اخرى لا تثير الشعب على بريطانية • ومن تقاليد بريطانية انها تبدل الاشخاص عندما تريد تبديل السياسة •

[المترجم]

٣) لا يرغب أحد في الالتحاق بالشكل الذي تجريه الحكومة البريطانية •
٤) يعتد الجميع قيام دولة عربية تحت ظل ملك عربي ، وبضمن ذلك البصرة وبغداد والموصل ، (الحلّ المثالي) •
٥) يرغب الجميع ، بالاجماع ، في وجود مندوب سام بريطاني ومستشارين في وزارات الدولة العربية كافة ، وفي طول البلاد وعرضها •
٦) يرغب الجميع في أن يكون أول شاغل لذلكم (المنصب) هو سر برسي كوكس • ان هذا الشعور ، بقدر ما أعرفه شخصيا ، هو السائد في العراق كله ، وفي النجف وكربلاء خصيصا ، كشأن الارياف أيضا ، وحيث لاسمه وزن ثقيل جدا •
٧ - يتفق الجميع على استمزاج رأي البلاد قبل اتخاذ أي قرار يصار اليه حقا ، وأن يرتكن ذلك الى فهم واضح يطمئن اليه أهل البلاد أنفسهم ، أعني ان سيعلن عن (محمية) في الوقت المناسب ، وان الادارة العسكرية الراهنة ستستمر • اني لعلى استعداد لترتيب ذلك على الوجه الذي ينسجم مع الرأي المثقف ولا ينافي أمر استتبات الأمن العام • لا أشك في أن ثقتنا ستبررها النتائج •
٨) لم يُتّفق على (الامير) الذي سيجري اختياره •

وبعد البحث في نوايا أصحاب الأسماء العديدة(*) ، المقدّمة على وجه غير رسمي ، قلت : ان المعلومات ، المتيسّرة لديّ ، تدل على ان ابنا من أبناء الملك حسين « يحظى بالقبول ، في بغداد ، على أوسع وجه ، ولعله يُستقبل ، في أماكن اخرى ، استقبالا حسنا ، ومن قبل شيعة (بلاد ما بين النهرين) خصيصا ، وذلك بالنظر الى سماحة آراء الملك حسين الدينية ، المعروفة جدا • وعلى كل حال ، أضفت : اني لارتاب في أمر التأثير المباشر لاقامة عرش « شريفي » ، وذلك بسبب موقف (الملك حسين) من (ابن سعود) ، ولأسباب أُخر • (بلغني ان فيصلا مرشح لسورية ، وليس لبلاد ما بين النهرين) •

(*) وكلهم اليوم (سنة ١٩٣٠) في عداد الراحلين عن هذه الدار [المؤلف]•

وختمت قولي بما يلي :

لم يُبحث في أمر «بديل محتمل» ببغداد ، ولو خوّلت تقديم اقتراح بشأنه فلعله يحظى بالقبول المباشر فيها وربما يحظى بقبول أكثر ، في المناطق الريفية، وأقصد تعيين سر پرسي كوكس (مندوبا ساميا) للسنوات الخمس الاولى ، من غير أمير عربي ، أو أي رئيس دولة آخر ، وأن يُعيّن وزراء عرب يسندهم مستشارون بريطانيون • هـــذا واني لآمل ، من الصميم ، أن يُتَّخذ هـــذا السبيل ، ان كان منسجما مع سياستنا القوميــة السلمية ، والنظام العام لشؤون بلاد العرب •

ان اتخاذه ينقذ الحكومة ، والناس في بلاد ما بين النهرين ، كشأن انقاذ ممثلي (صاحب الجلالة البريطانية) العاملين في الميدان ، من غير اصطناع قرار غير نضيج مُبْتَسَر •

ان الافكار التي يرتكن اليها (التصريح الانكليزي الفرنسي) ، بالنسبة الى سكان هذه البلاد ، لجديدة غريبة ، وبالنسبة الى الشيوخ هي على حال مريجة فوضى تماما • بقي عليهم أن يسمعوا عن واجبات الحرية ويدركوا التبعـــات الأُخر • يجب أن تكون هناك فسحة من التوســع لتترسخ ، خلالها ، أساس (الحكومة الوطنية) ، وتتلقى الطبقــة المفكرة شيئا من التعليــم المتّصل بادارة شؤونها ، ولتسنح لها الفرصة لارسال النظر فيما وراء أسوار (المدينة) ، اذ لذلك فائدة عظمى للبلاد كلها •

تحت ظل مثل هذا الاشراف يغدو (تقرير المصـــير) عملية مستدامة ، وليس برغبة مترسِّبة ، ضائعة بين مسالك مبهمة ، غير مفهومة الا فهما ناقصا •

وفي برقية ارسلت بعد أيام قليلة أفصحت عن الرأي القائل بأن مما لا لبس فيه ولا غموض أن أي اختيار يجب أن يكون من قبل (الأقلية) ، وذلك الى حين تبلّور الرأي السياسي • ذلك ان مجتهدي النجف وكربلاء سيناهضون أي مرشح محتمل • وختمت ذلك كله بما يلي :

« ان تعيين أي أمير ، في الوقت الحاضر ، غير عملي ، وغـــير مستحب ،

ولست أدري ان كان مثل هذا التعيين يعتد أمرا لازبا لازما ، بالنسبة الى (التصريح الانكليزي الفرنسي) الصادر باليوم الثامن من تشرين الثاني • فان كان ذلك كذلك ، فاني أتوقع أن يكون نهج (حكومة صاحب الجلالة) الذي اختارته في هذه البلاد شائكا[6] •

لقد ثبت ، بالحرف الواحد تقريبا ، البرقيات السابقة لانها تدل على اننا نستعد للعمل في (بلاد ما بين النهرين) ، منذ طالعة الأمر ، على آساس « حرة تامة • ولو قرئت رخاء بعد مضي ١٢ سنة لتجلى انها تعدم الدقة والوضوح وانها نظرية غير عملية • » ومهما تكن الحال ، كان من الواجب ألا يذهبن عن البال ان الظروف كانت تتطلب الاجابة الفورية عن برقيات تطلب ابداء الرأي في قضايا على حظ من خطر كبير ، ولم تكن لتحظى بدرس رسمي فيما قبل (الهدنة) ، بل كان عدم التشجيع الصارم ملازما لها • صير تأخر البريد ، خلال الحرب ، أية محاولة تنصب على تبادل الرأي في موضوعات مهمة جارية أمرا غير ذي جدوى[7] • وبالنظر لخطر الغواصات لم تصلنا من الرسائل الرسمية في بلاد ما بين النهرين الا القليل ، لذلك كنا نجهل تماما اتجاه الرأي الرسمي في القضايا التي تعالج • وبعد (الهدنة) كانت السياسة الخارجية ل (حكومة صاحب الجلالة) تصرف في پاريس ، حيث كان (مؤتمر الصلح) معقودا ، ومن لندن في آن واحد •

ولعل مما كان يحاربه (اثناسيوس Athnasius)[8] ، نفسه ، تحديد مجالات القضايا نسبيا ، ولاحبا ، أي تحديد ما لوزارة الهند ، وما لوزارة

---

(٦) بناء على طلب (مس گرترود بل) المقدم باليوم الثامن من كانون الاول ١٩١٨ وجوابا عن برقية خاصة اعلمت (مستر مونتاگو) انها تتفق وما ورد في هذه (البرقية) كشأن جميع البرقيات المرسلة حتى الان [المؤلف] •

(٧) كانت المواصلات مع البصرة لا تزال تتخذ النهر سبيلا • وكانت الرسائل المبردة من انكلترة الى بغداد تستغرق ما لا يقل عن شهر ، وفي الغالب اكثر ، حتى تصل [المؤلف] •

(٨) اثناسينوس [٢٩٨؟ - ٣٧٣] هو احد الاباء الكنائسيين ، وفطرك للاسكندرية [المؤلف] •

الخارجية ، وما لحكومة الهند ، وما ل (المكتب العربي) في القاهرة ، اذ كان واجب (الاخير) هو تنسيق السياسة العربية • لقد سيطر عليه ، في وقت مبكر ، أنصارُ « سياسة » ترمي الى فرض الملك حسين واسرته على بلاد العرب كلها • ولم يُبد (مديروه) ، في أي وقت من الاوقات ، رغبة في النظر الى مشكلات العراق من أية زاوية • أما نحن الذين كنا في العراق فقد كنا نرى ان وجود (المكتب العربي) سببٌ في الارتباك ، لا مصدر نفع يُرتجى • ان قرب القاهرة من باريس ولندن مكّن أنصار السياسة الهاشمية ، وهم ممن لا تؤودهم تبعات ادارية ، من فَوَق على ممثلي الحكومة البريطانية المعتمدين في العراق والخليج الفارسي (بالاحرى العربي : المترجم) • كما غدا بعض المتحمّسين للعرب أشدّ ايمانا بالعرب من العرب أنفسهم • كانوا يذهبون الى : ان كانت ترتيباتنا مع فرنسة لا تتفق ومطالب العرب فأسوأ سوء هو لفرنسة •

في مثل هذه الاوضاع جرت محادثات بشأن مستقبل العراق • وبصدد تقدير الفوائد الجوهرية المتوخاة من السياسات التي كانت تذود عنها بغداد لا محيص عن اعطاء الاهمية اللازمة لشدة المعارضة الدائرة حول الفكرة القائلة بأن دولة العراق واحدة موحّدة ، وهي فكرة تناهض من قبل بعض الضباط البريطانيين العاملين في سورية • والى اننا ، في العراق ، حُملنا على الاعتقاد ، حتى يوم (الهدنة) ، بأن السياسة التي تصطنعها كلٌ من حكومتي انكلترة وفرنسة ، في الشرق الاوسط ، تنطوي على المبادىء والطرائق التي انتهجها الـ (لورد كرومر) في مصر[٩] ، وانها بشيء من التكييف المناسب ، تحظى بالقبول هاهنا ، وفي (وطننا) • هذا ويجب أن نتذكّر أيضا ان (عصبة الامم) لم تكن قد وجدت بعدُ ، وان (نظام الانتداب) لم يُبتدع بعدُ ، أيضا • كانت (خزانة كتبي) تزخر بالسوابق التأريخية ، وبنصوص (بروتوكولات) ومعاهدات وقوانين •

---

(٩) راجع : « تى • اى • لورنس T.E Lawrence ، في الـ (اوبزرفر Observer) العدد الصادر في ٨ آب ١٩٢٠ « انها لعبة اطفال كان يلعبها رجل نظيف في بلاد ما بين النهرين ، ان جاءت على غرار لعبة كرومر في مصر ، وليس على غرار (مصر المحمية) [المؤلف] •

ومثل في خاطري نوع من (محميّة) قد تنمو قبل زمان قصير ، فتصبح دولة عربية متكاملة على مستوى ال (دومنيون) ، تحت (التاج البريطاني) • أما (البديل) عن ذلك فدويلة مستقلة ، نفوسها أقلّ من ثلاثة ملايين نسمة ، وما كان في العراق من (المسؤولين) من يدفع عنها ، وتراءت هذه خطوة على حال فوضى تقريبا ، وشيئا فاسدا • لقد تصفّحت ، مشوقا ، جريدة ال (تايمس : Times) والمناقشات البرلمانية والجرائد الفرنسية والدوريات التي أعارني اياها القنصل الفرنسي ، وأنا آمل بأن أجد ما يدلّني على نوايا (الحلفاء) الحقة • كان كل شيء ينمّ عن ان الفرنسيين في سورية ، والانكليز في العراق ، ينوون خلق (محميات) ولا يريدون الالتزام بالتصريح الانكليزي ـ الفرنسي حرفيا •

وانبثاقا من المخابرات التي سلف القول عليها ، تسلمت من (وزارة الهند)، باليوم ال ٣٠ من تشرين الثاني التعليمات التالية :

« ان الغاية من التصريح الانكليزي ـ الفرنسي ، بالدرجة الاولى ، هي ايضاح الوضع القائم في سورية والذي خلقه ارتياب العرب بالنوايا الفرنسية • يجب أن يفهم الجميع ان (مؤتمر الصلح) سيحسم وضع الاقطار العربية كلها • لقد نُصّ في (التصريح) ، في الوقت نفسه ، على ان (حكومة صاحب الجلالة) ستساعد ، باعتداد ذلك جزءا من (سياستها) ، على تأسيس حكومات وطنية في المناطق المحرّرة ، وانها لا تنوي فرض حكومات يأباها الاهلون • اننا نتوق الى أن نشهد في (بلاد ما بين النهرين) أقوى الحكومات وأشدّها رسوخا ، طبق الشرطين المذكورين • وبغية ادراك هذا (القصد) اننا على استعداد لتقديم المعونة البريطانية اللازمة وبضمنها (جيش الاحتلال) •

ومما لا ريب فيه ان من الضروري اقامة جهاز اشراف بريطاني ، بمقياس كبير ، بادىء ذي بدء ، والحفاظ على زمام السيطرة ، في ميدان العلاقات الخارجية، بيد بريطانية حصرا • على اننا لا ننشد القيام بمحاولة ضمّ البلاد ، وبالقدر الذي يتراءى في هذا الحين الاعلان عن اقامة (محمية) • يجب أن نقيس الوضع بمقياس وضع مصر فيما قبل الحرب ، وباستثناء « الامتيازات الاجنبية » •

يجب أن تسترشدوا في اقامة تلكم (الادارة) وتصرّفاتكم الرسمية بالمبادىء التي سبق القول عليها ، ويجب أن يتيسّر لكم ارضاء أصدقاءنا الذين لا نروم التخلّي عنهم ، كما لا نروم عرقلة العمل الممتاز الذي قمنا به حتى يوم الناس هذا .

هذا واننا لننشد ، في الوقت نفسه ، اقامة أفضل نوع من أنواع الحكم ، واننا لنسرّ من الحصول على أي نوع من (المساعدة) و (المشورة) تقدّمان من قبل مستشاريكم بشأن هذه النقطة . واننا نتوق ، على وجه أخص ، الى أن تقدّموا لنا «كشفا» بآراء الاهلين في شتّى المناطق الدائرة حول النقاط المحدّدة التالية :

١) أيميلون الى قيام حكومة عربية واحدة ، تحت الهيمنة البريطانية تمتد من حدود (ولاية الموصل) الشمالية حتى الخليج الفارسي (بالاحرى « العربي » : المترجم) ؟
٢) وفي مثل هذه الحال أيرون تنصيب رئيس عربي على هذه الدولة الجديدة ؟
٣) فان كان ذلك كذلك ، من هو هذا الذي يفضلونه رئيسا لها ؟

هذا واننا لنرى ان من المهم جدا الوقوف عى ما يُعبّر تعبيرا أصيلا عن الرأي العام البلدي بصدد هذه النقاط ، على (رأي) من هذا الطراز الذي يُستطاع أذاعته في الدنيا كلها ، باعتداده تعبيرا نزيها مخلصا صادرا عما يستقرّ فيأعماق نفوس أهالي بلاد ما بين النهرين طرّا.وفي اليوم نفسه قمتُ باعمام نسخة (البرقية) ، والمخابرات المتعلّقة بها على (الحكام السياسيين) المولجين بشؤون الوحدات الادارية التسع ، التي كانت الاراضي المحتلّة (وبضمنها ولاية الموصل ، تنقسم بموجبها ، في هذا الاوان) ، مشفوعة بتعليمات مفصّلة بشأن اجراء (استفتاء) .

لم تكن الفكرة القائلة بأن تبديل (السيادة) يجب أن يسبقه تحرٍ مثل هذا ، وهو يعني ، بمدلوله العام اجراء انتخاب عام من قبل الذكور ، بفكرة جديدة . لقد ألحقت (افينون) و (سافوي) و (نيس) بفرنسة سنة ١٧٩١ - ٣ ، اثر استفتاء ، كما جرى الاستفتاء في ايطالية ، مرات عديدة ، بين سنة ١٨٤٨

و ١٨٧٠ • وعلى ذلك حُسمت قضية (شلوزويج) سنة ١٨٦٦ واعطيت الجزائر الايونية الى اليونان من قبل بريطانية العظمى ، وكان ذلك اثر تصويت جرى في المجلس التشريعي ، وبشيء من التكييف ، خاص بانتخاب الراشدين ، تحت اشراف مستر غلادستن ، بوصفه معتمدا ساميا خاصا • لكن (الفكرة) كانت جديدة بالنسبة الى آسية حسب ، هذا وان السوابق الذي ذكرت ، الى سابقة النرويج سنة ١٩٠٥ ، لم تقدّم مرشدا عمليا الينا ، بقدر تعلق الأمر بالدأب على القيام بمثل هذا الواجب الدقيق • لم ترد أجوبة محدّدة من جميع المراكز الاّ عند نهاية كانون الثاني •

لخصّ (الحاكم السياسي) في البصرة الرائد ميك الرأي السائد فيها بالكلمات التالية (٢١ كانون الاول) :

« تقرّ الاغلبية الحاجة الى فترة تدريب يجب أن تكون فيها ، لزاما ، سيطرة بريطانية • وتستنكر الاقلية فكرة الحكومة الاجنبية • ولو أخذنا معدل الشعور المختلط الذي يسود الطوائف والقوميات المختلفة في البصرة لوقفنا على طلب باستمرار (ادارة بريطانية) سمحة ، تجاري الشعور الوطني ، تحت ظل (مفوض سام بريطاني) ومن دون أمير عربي • ان الدولة العراقية يجب أن تضم (ولاية الموصل)»[١٠] • وكان تقرير المقدّم ليچمن (المؤرّخ باليوم الـ ٢٢

---

(١٠) وايا كان الامر ، سمعت ، في الوقت نفسه ، من صديقي القس فان ايس ، المنسوب الى بعثة [الكنيسة البرسبتيرية التبشيرية الامريكية] في البصرة ان المجرى الرئيس للرأي العام في البصرة قام بازائنا في نحو زمان الهدنة • وحتى ذلكم الحين كان يجمع على الميل الى ادارة بريطانية شاملة لكن صبر القادة كان قد نفد بسبب نماء الجهاز العسكري المستدام ، والميناء والمعسكرات والمخازن وما اشبه ذلك • كما ان بعض الضباط البريطانيين الذين كانوا يتعاملون معهم اصيبوا برهق ايضا وذلك نتيجة عمل دائب استطال اربع سنين واكتنفته ظروف غير مريحة جدا ، وكانوا لا يتخلون عنه الا من خلال ساعات المرض • لقد توترت الاعصاب فعانت من جراء ذلك الادارة ، وكان الرأي في البصرة ، على كل حال ، يناهض سيطرة بغداد على العراق • ومن الناس من كان يميل الى عودة الاتراك وما كان احد يحبذ قيام حكومة عربية مركزها : بغداد [المؤلف] •

من كانون الاول) الدائر حول اتجاه سكان (ولاية الموصل) أكثر دقة ، واليك ذلك :

١) تحبّذ جميع طوائف النصارى السيطرة البريطانية المباشرة ، ومن بينها الكلدان والكاثوليك ، وهم ، على ميلهم الى فرنسة قبلا ، قد غيّروا رأيهم الآن اشفاقا من فكرة الحكم العربي • ومن القصص التي يرويها اللاجئون القادمون من حلب ان العلم العربي يرفرف هناك ، وان العرب يحكمون (المدينة) ولا يحكمها البريطانيون ، وهذه القصص بعثت شعورا يكاد يعقد اللسان ويستولي على الجنان •

٢) طفتُ في منطقة يزيدية سنجار فوجدت شعور الفزع يسود فيها بسبب وجود معتمد (الشريف) في دير الزور • لقد قدّموا طلبا رسميا بألاّ يعطى منصب حكومي في منطقتهم الى (مسلم) •

٣) ان نصف السكان ، في الاقل ، هم من الاكراد الذين يشغلون ثلثي (اللواء)• انهم ضد العرب بقوة •

٤) أما رأي سكان الارياف فهو : اننا ان حررناهم من تركية فعلينا أن نحررهم من المُلاّك وطغيانهم • ان الملاّك هم الطبقة الوحيدة التي تميل الى حكومة عربية •

وفي هذا الوقت ، عينه ، زرت (كوت العمارة) و (العمارة) و (القرنة) و (البصرة) جوّا كي احصل ، عن سبيل الاتصال الشخصي ، على فكرة تتّصل باتجاه متقدمي العرب في كل (لواء) منها •

لقد لخصّت ، في برقية ارسلتها الى (مستر موتتاكيو) ، اراء شيوخ العمارة والقرنة (بتأريخ الـ ٢٢ من كانون الاول) ، وذلك على الوجه التالي :

« يجب ان تتّحد ولايتا البصرة والموصل مع ولاية بغداد • ان وضع (الحكام السياسيين البريطانيين) سيبقى على ما هو عليه الآن • ان العلاقات بينهم وبين الشيوخ والعلاقات بين الشيوخ وبين قبائلهم تبقى من غير تغيير • ان القوم يضيفون الى ذلك انهم لن يقبلوا بالفرنسيين ولا بالامريكان، ويستتبع هذا محادثات

طويلة عن احتمال وجود امير عربي • ان الرأي العام بصدد هذه القضية هو : انه سائغ من الوجهة النظرية ، أما من الناحية العملية فلم يُعثر على مرشح لائق بعدُ • لقد كانت هنتاك محادثات طليقة بشأن المرشّح ، ابن شريف مكة ، لكنهم رفضوه ، على القطع •

وفي اليوم نفسه ، وتجاهلا للقرار المتّخذ في العمارة ، اتفق شيوخ القرنة على النتيجة نفسها وقدموا مستندات خطية بهذا الشأن • من العسير أن يُسْبَر الرأي العام في البصرة • ومهما تكن الحال ، دخل (الحاكم السياسي) في نقاش حر صريح جدا بشأن الموضوع مع الشخصيات البارزة وحرّر اراءها الشخصية على انفراد • ان الرأي يجمع على تحبيذ الادارة البريطانية المباشرة ، مشفوعة بغاية قصوى ، وعلى غرار ما تعرفه الهند ، هي تدريب العرب على فن الحكم • هناك رغبة عامة في ان يرى العنصر العربي مشجّعا عاملا في الحكومة • انهم يعتدون تعيين (أمير) أمرا يوائم الشعور العربي ، لكنه ايجاد أمر لا سبيل اليه، ذلك ان الشيعة لا تقبل بمرشح سني ، والعكس بالعكس • »

واعدت ترجمات للتصريحات العديدة والمستندات الاخرى المتصلة ب «تقرير المصير » في امكنة أخرى من العراق وطبعت لارسالها الى باريس ولندن ، مشفوعة بتصاوير المستندات الاصلية •

وكان فحواها العام يرسم الى (حكومة صاحب الجلالة) برقيا ، آنا فآنا • وكانت الآنسة گرترود بل ، بوصفها سكرتيرة للشؤون الشرقية ، تُعني بالاوراق المتعلّقة بالموضوع • وفي اليوم الـ ٢٢ من شباط اتمّت اعداد مذكرة الى (وزارة الهند) تناولت القضية كلها ، واني لن استميح عذرا لتثبيتها نصا[١١] ، ولم احذف منها الا بعض اشارات شخصية لا علاقة لها بالموضوع مباشرة •

ان الفقرة التي ختمت مذكرتها تستأهل ، على كل حال ، الاعادة هنا ، وانها على ما يلي السطر : ليسمح ببعض اراء قليلة في الختام • ان الوقت المعطى لقليل ، لذلك كان من العسير اثارة ضجيج وعجيج ، بله الاسى والكيد ، وباكثر

(١١) انظر [الملحق الثالث] من هذا الكتاب [المؤلف] •

مما بعثه التصريح في بغداد والتحري عن ارادة الناس التي جاءت في اعقابه •
ان التحــــري الوحيـــد الـــذي يستأهل الـــذكر في ضـــوء الخبـــرة المكتسبة ، وبالنسبة لهذه المقاييس ، انها اصطنعت لاعتبارات دوليـــة غريبـــة عن العـــــراق • لا ريب في قيـــام حـــزب وطني مشـــبع بمطـــامح ، آجلا كان ام آجلا ، وبنتيجة ماجريات الامور الاخيرة ولد سريعا • انه لهـذا مبتسر وذلك واضح من عدم حصوله على التأييد من العناصر المستقرة في المجتمع • لقد روّعوا ، على النقيض من ذلك ، من التعاون الاوثق مع الادارة البريطانية • ان طلبهم الاسناد منا خلال تلك الايام المضطربة لا يمكن ان ينسى ، سواء من قبلهم ام من قبلنا • كما ان من شارك منا في (الملحمة) لاينسى الاسناد الذيحصلنا عليه من (النقيب) ومن السيد كاظم اليزدي • ان قيمة درويش ، كقيمة مجتهد ، محدودة • اذ لن يتقدم أحد منهما ليوضع اسمه في القوائم ، ولن يتحمل أحد منهما النقد وخطره، اللذين يأتيان في اعقاب ما يقوم به الحزبي ، لكن الحكمة وفصل الخطاب اللذين ينطلقان من شفتي أحدهما سرا ، وبلغة تتراءى غـير محددّة لنا ، هما ، عبر عقود من السنين القابلات ، على حظ كبير من قيمة وثقل في ميزان الرأي العام في بلاد ما بين النهرين ، وهو ميزان غير سليم •

وكانت نتيجة التحريات هذه ان الاغلبية لا تصبوا الى تغيير في نظام الحكم ، وان اقلية كبيرة كانت تميل الى امير عربي تحت الارشاد البريطاني وسيطرته ، وان أي اسم اقترحناه ، لم يحظ بالقبول حتى من قبل أقلية صغيرة •ولا يخامرني الا شك قليل في انني لو استطعت ان اعلن النظام البديل المقدّم في تشرين الثاني والقاضي بتعيين مندوب سام بريطاني لمدة خمس سنوات ، ومعه وزراء عرب يسندهم مستشارون بريطانيون ، لحظى ذلك بالقبول الواسع والرضى ، ولعبّد الطريق أمام أمير عربي أو ملك ينصب في مرحلة متأخرة • ومهما يكن من امر ، كانت الحكومة تشعر بأنها غير قادرة على تخويلي اصدار بيان مباشر ما[12]

(١٢) « ابرقت حول هذا الموضوع الى لندن في اليوم الثالث من شباط قائلا « ان الرأي العام العربي يجمع على معارضة الظهور ، باي معنى كان » كمسيطر عليه من قبل الهند ، وهو يأمل ان يكون تحت وأيت هول (كذا ! المترجم) التمس اصدار بيان ينفي هذا الخبر • [المؤلف]

فيما خلا تكذيب ما ورد في جريدة (ديلي ميل) من ان الهند تأمل ان تكون على العراق منتدبة • وعلى كل حال ، وافقوا على مقترحي ، القاضي بان تتخذ مس كرترود بيل الطريق الى انكلترة وتوضّح الوضع في العراق على وجه أكثر تفصيلا مما يمكن أن يوضّح برقياً • ان تعليقاتها ، المعاصرة للمقترح ، ضمّتها رسالتاها المرسلتان الى والدها والمؤرختان بتأريخ ال ١٧ وال ٣١ من كانون الثاني ، وقد وردتا في كتابها الموسوم (رسائل : Letters) كاملة •

وبيد التكريم تسلّمت يوم ال ١٦ من شباط البرقية التالية من مستر مونتاگو :

« تقدر حكومة صاحب الجلالة العناية والدقة اللتين عالجت بهما نواحي الواجب الدقيق المناط بك ، لكنها لن تتخذ أي اجراء ، ان استطاعت الى ذلك سبيلا ، حتى تصل مس بيل وتشرح الأمر شرحا تاما • هذا وفي الوقت نفسه يسر الحكومة ان تبرق لها خلاصة دستور الدولة العربية ، أو جماعات الدول ، الذي تقترحه على أساس رغبات السكان ، وعلى ما تفصح عنه برقياتك ، وعن ضرورة السيطرة البريطانية بشكل لا لبس فيه ولا شك • ان التصريح الانكليزي ــ الفرنسي يلزمنا بتصريف شؤون ادارة اصيلة ، وعلينا ان نتمسك بذلك نصا وروحا • يجب ان يكون هدفنا دستورا مرنا يمنح الاسهام التام لجميع عناصر السكان ، ويعترف بالخصائص البلدية (المحلية) بشكل يؤمّن مشاركة العرب ، بمرور الزمن ، في الحكومة وادارة البلاد حقا ويحول دون ان تصبح القومية العربية معارضة للسيطرة البريطانية[١٣] • يجب الاّ تكون هذه الآراء الضخمة عائقا في سبيل ايجاد حل لمعضلة عسيرة معسرة جدا ، ولتكن وسيلة لايضاح ما يدور في ذهننا • »

وما ان تسلّمت هذه البرقية الا حررت جوابا على شكل مسوّدة جرى اعمامها يوم ال ٢٠ من شباط على كل من سر بونم كارتر ومستر هويل وعلى جميع

(١٣) القومية العربية معناها التحرر والاستقلال ، والسيطرة البريطانية معناها : الاستعباد والاحتلال ، فكيف يمكن التوفيق بين الشتيتين والمتناقضين؟! هذا هو منطق الاستعباد ، وهو واضح البطلان لانه يصور الامور حسبما توحي له الاهواء ! (المترجم)

الحكام السياسيين المولجين بشؤون الالوية ، بغية الوقوف على ارائهم • وقبل ان تصل اجوبتهم اليّ تسلّمت تعليمات بالشخوص الى باريس لاجراء محادثات شخصية تتصل بالقضايا المهمة المثارة انفسها •

وغادرت الى دمشق ، جواً ، وكان ذلك على ظهر طائرة من طراز (دي• اج ٤) ، وهي قديمة ، يقودها الربان النقيب نتال ، وتحرسها طائرة قديمة قدمها ، يقودها الربان الرائد بويد وفيها النقيب لابريك مراقبا • انها ثاني مرة يُحاول فيها عبور الصحراء جوا ، ذلك ان المحاولة الاولى جرت قبل شهور وبواسطة طائرة من طراز هندلـــي ــ بيج • وكادت المحلولة تنتهي بكارثة تقريبا : لقـد اضطر نتال ان يهبط بالطائرة بسبب خلل في ماكنتها وكان ذلك على أرض رديئة جدا ، واقعة في غربي (تدمر) ، لقد اصيب أحد مخفّفات الصدمة shock absorber بعطب • واستطعنا ان نحلق في الجو مرة اخرى ، على الرغم من ترنح الطائرة وترجرجها بشكل مزعج على الارض الوعرة ، وقبل ان تطفل الشمس ويصطبغ الافق بلون الغسق وصلنا دمشق حيث اضطرنا المطر على الثواء فيها حتى اليوم الـ ٢٨ من الشهر • وكانت باحة (فندق قصر الشام) مغمورة بالمياه التي علوها ثلاث أقدام ، أما المطار فكان بحرا من طين • وعندما أقلعنا الى (الرملة) ، كان الجو لا يزال ملبدا بالغيوم • واضطر (نتال) على الهبوط مرة أخرى بسبب خلل الماكنة • وما كنا لنعلم اين كنا انذاك ؟ لكننا استطعنا ان نجد حقلا على الحدور فوق بحيرة طبرية ، نزلنا فيه ، وهبط بويد بجانبنا • ولدى الفحص وجد ان جوزة الانفلاق splitnut على ســاق صمــام المدخــل inlet valve stem قد انكسرت ، ولم يكن ثمة مجال لاصلاح العطب ، لذلك قام بويد بنقلي الى طائرته والعودة الى رفاقه • وثبت ان التحليق كان أمرا عسيرا فعجلات الطائرة كانت غائرة في الارض الرخوة حتى الجذع axle ، واستدعينا العرب البلديين الذين تكأكأوا بأعداد كبيرة • وبعد تعالـي الصراخ مدة ساعة استطعنا زحزحة الطائرة الى قطعة أرض أكثر صلابة • وهبطنا بعد ساعة في طولكرم طلبا للبترول • وكانت الارض رخوة لذلك اكبينا على مناخيرنا ،

ونقلتني عجلة الى رام الله حيث ارسلت بطائرة ، عبر القنطرة ، الى القاهرة • وفي اليوم التالي نقلت الى بورسعيد جوا لاركب باخرة البريد المسافرة ، وكان ان وصلت باريس يوم ال ٢٠ من آذار • وقام الرائد بويد والنقيب نتال ولا بريك بالعودة من القاهرة على ظهر طائرة من طراز (دي•في/٩) بعد أسابيع قليلة • وغادروا دمشق الى بغداد يوم ال ١٩ من اذار ، وكانت الريح رخاء فقطعوا مسافة الرحلة وهي ٥٠٠ ميل بأربع ساعات و١٠ دقائق ، واعتد ذلك في حينه رقما قياسيا عالميا •

وسرّني أن أجد سر ارثر هرتزل ، من وزارة الهند ، في (اوتيل ماجستيك) وكان هناك خبراء بشؤون بلاد العرب الغربية ، من عسكريين ومدنيين، لكن لم يكن لدى احد منهم معلومات من الطراز الاول فيما خلا (مس بيل) ، معلومات تتصل بالعراق ، أو نجد ، أو فارس حقا • لقد أنكر أحد «الخبراء» صراحة حتى وجود أكثرية شيعية في العراق ، واعتدّ ذلك من وحي خيالي• لقد كانت لهذا الخبير سمعة دولية ، لذلك وجدت ، كشأن مس بيل ، ان من المستحيل ان نجعل العسكريين ، أو بعثة وزارة الخارجية ، يثقون من ان الاكراد في ولاية الموصل كثيرون وان من المحتمل ان يكونوا مصدر متاعب ، وان ابن السعود قوة يجب ان يحسب لها حساب جدي ، أو ان مشكلاتنا لا يمكن ان تحلّ على الخطوط التي اقترحت من قبل رجال (المكتب العربي) المتحمسين لسورية •

وحظيت بمقابلة مستر بلفور ، ومستر لويد جورج ، ومستر مونتاكيو ولخّصت لهم مشكلة العراق كما اراها • وقد ارسلت أيضا لمقابلة سر هنري ويلسون فوجدته ، حتى في مثل ذلك الوقت ، شاكا في امكان ايجاد القوات اللازمة للفترة الانتقالية في العراق ، الا عن سبيل انسحاب كلي من (قزوين) وفارس •

وكان الضباط الآخرون في (البعثة العسكرية) أكثر تفاؤلا ، وحُملت على الموافقة على توسيع حدود ولاية الموصل ، والدولة العربية القابلة ، لتضم ، لا (دير الزور) حسب ، وكنا نحتلها آنذاك ــ وانما جميع المنطقة الكائنة غربي

الفرات ، وشمالا حتى (بيريجيك) ، وهي منطقة تضم : ديار بكر واورفة ونصيبين وجزيرة ابن عمر • وصرف النظر في ذلك الوقت بعينه عن قضية كردستان وذلك باقتراح محصله قيامنا بتأسيس دويلات كردية مستقلة في كردستان الجنوبية تحت نوع من الارشاد البريطاني والهيمنة • لقد وجدت ان من العسير الحصول على فكرة واضحة عمّا يراد ، غير ما هو مضمّن في برقية (وزارة الهند) التي رويناها فيما سلف • لقد أكّد مستر مونتاكيو الوزير المسؤول عن العراق ان لي ان اتقدّم بمقترحات محدّدة • وكان يشفق من انني لن احصل ، من باريس ، في سبيل اعدادها ، الا على القليل من الارشاد، لكنه كان يذهب الى ان لورد كرزن ، الذي كان في وزارة الخارجية في لندن ، يميل الى وضع سياسة ما وانه على تنفيذها ، لقادر ، او على اية حال ان يبحث في اية خطط يشعر بامكان تقديمها ، ولعله يوافق عليها • وغادرت باريس الى لندن ، حيث عرضت على لورد كرزن الوضع في العراق ، على ما استوعبه ، ورجوته ان يقوم بما في مكنته لاعود الى العراق ومعي خطة مقرّرة استطيع ان ابني عليها سياسة مقبولة أسترشد بها • وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق على أن اقدم مقترحاتي الى اللجنة المشتركة ، بين الدوائر ، والتي تعنى بالشؤون الشرقية ويرأسها اللورد كرزن نفسه • وبمقترح منه حظيت بمقابلة جلالة الملك يوم الـ ١٤ من نيسان • واليك قبساً من البيان الرسمي الذي صدر بعد أيام قليلة :

« اعرب صاحب الجلالة عن سروره لدى سماعه عمّا اتخذ من اجراءات بشأن اصلاح ما خربّته الحرب في المناطق التي كانت تحتلها تركية حتى وقت قريب ، ورعاية بلاد ما بين النهرين والاخذ بيدها قدما ، على العموم ، بمعاودة ريّها وتحسين وسائل المواصلات فيها ، وتهيئة العون الطبي في المدن الكبرى والاخذ بناصر التعليم في مؤسسات اصيلة واتخاذ اللسان العربي لذلك سبيلا • لقد اعرب جلالته عن ثقته بمستقبل بلاد ما بين النهرين وازدهارها ، بالروح التقدمية التي

تشيع في سكانها[١٤] » .

لُخّصت من قبلي المقترحات التي عرضت عـلى (اللجنة الشرقية) ، لدراستها ، وكانت على الوجه الذي يلي السطر :

« في دراسة قضية بلاد ما بين النهرين افترض ما يلي :

« (١) لن يكون هناك أمير عربي ، بل مفوض سام بريطاني .

(٢) يضم « العراق ولاية الموصل ، ودير الزور شانهما كشأن اجـزاء كردستان التي هي اليـوم جزء من ولاية الموصل ، والتي لن تضم الى الدولة الارمنية في قابل الايام ، أي : حوض الزاب الاعلى كله . ان هذا ضروري لضمّ الآثوريين اليها .

(٣) ان السيطرة البريطانية التي يعبر عنها بالكلمة ستكون ، في التطبيق ، حقة وستضمن بابقاء قوات جوية وبرية كافية ، يجرى توزيعها باعتداد قدرتها على اسداء العون اللازم الى القوة المدنية بغية الحفاظ على الامن والطمأنينة .

(٤) يُعطى العون المالي البريطاني الوافي الى الدولة العراقية في مراحـل حياتها الاولى ، عن طريق مضمون بوارداتهـا أولا ، ثم بالسماح ل (الادارة المدنية) بتطوير الممتلكات العسكرية الفائضة كالسكك الحديد ، والجسور ، وأحواض السفن ، ومعامل الكهرباء الخ ، بتقييم بخس . لقـد جهزت هذه البلاد في بعض النواحي واديرت شؤونها ، خلال الحرب ، على مقياس خارج عن نطاق قدرتنا ، لا سبيل الى الالتزام به ابان السلم . وبتولي أمر امثـال هـذه الممتلكات وامتلاكها بتقييم بخس ، وادارتها على أرخص كلفة مستطاعة ، نستطيع تجنّب الاضطراب المالي وما يأتي في أعقابه من ترجرج سياسي .

---

(١٤) ومن ذلك تعمير مدينة الكوت التي أضر بها الحصار البريطاني نفسه ، وفتح طرق ومد سكك حديد، لمصلحة الاحتلال البريطاني قبل كل شيء ، كما ان الاهتمام بالرعاية الصحية كان (يهدف) ، قبل كل شيء ، الى حماية الجيش المحتل من الامراض واضعاف قدرته الحربية .

[المترجم]

وبعد التسليم جدلا بما مضى ذكره ، اقترح ما يلي[١٥] :

(١) يحكم العراق من قبل مفوض سام (كذا : المترجم) ، على رأس أربعة مفوضين يحكمون مناطقه ، على الوجه التالي :

البصرة : وتضم ولاية البصرة السابقة باستثناء الكوت .

بغداد : وتضم ولاية بغداد السابقة ، باستثناء ألوية الفرات .

الفرات : وتضم ألوية الفرات من عانه الى السماوة (وهما بضمنها) بالاضافة الى مدينتي النجف وكربلاء .

الموصل : الولاية السابقة كلها ، والمناطق الكائنة شمالي ولاية الموصل التي لاتضمها دولة ارمينية الجديدة . ويتضح القول عموما ان حدود الاخيرة الكائنة شمالي الموصل يجب ان تكون مقسم الماء Watershed بين بحيرة وان والزاب الاعلى . ان هذا يضع الآشوريين في العراق ، على ما هم اليه راغبون . ان منح الاكراد شكلا من أشكال الاستقلال الذاتي ، أمر يُفضَّل تركه الينا ، وأن لا يوضع امره بين ايدي مؤتمر الصلح ان استطعنا الى ذلك سبيلا .

فان منحت كردستان وضعا مستقلا وجب ان تكون فيها خمسة الوية .

(٢) ان المجالس الادارية في الالوية الوارد ذكرها في برقيتي المؤرخة بتأريخ ١٠ تشرين الثاني ، يجب أن يستفاد منها الى أتم وجه باعتدادها هيئات استشارية ناصحة ، غير تشريعية ، انها لن تكون الاقل تأثيرا ذلك ان : (المستشير معان

---

(١٥) المؤلف من ذلك الفريق الانكليزي الذي كان يسعى الى «تهنيد العراق» وجعل ولايتي بغداد والبصرة جزءا من الهند خاضعتين لاشراف « امارة بومبي » فيها يدلك على ذلك البدء بالاخذ بالنظم الهندية كاستعمال العملة الهندية والقوانين التجارية — ومنها قانون الشركات الذي بقي نافذا في العراق حتى الغائه ، وكان يطلق عليه قانون الشركات الهندي . لكن هذا الفريق خاب مسعاه وتغلب عليه فريق آخر يرى توحيد ولايات العراق الثلاث وجعلها تحت الانتداب البريطاني ثم اقامة « حكومة ظاهرها عربي ومخبرها بريطاني » — على ما حدث في العهد الملكي الدابر ، فهذا الفريق كان يرى في ذلك ما يصرف اهل العراق عن مقاومة النفوذ البريطاني ويقضي على الدعوة الى عودة الاتراك او الاستقلال التام .

[المترجم]

والمستشار مؤتمن) • ان التجارب أوحت بأن الهيئات المنتخبة لا توائم الأوضاع الراهنـة •

(٣) تشكل المجالس الادارية في الاقاليم المذكورة من أعضاء تنتخبهم مجالس الالوية انتخابا حرا • ان المجالس الاخيرة هيئات منتخبة • تكون لمجالس الاقاليم سلطات كبيرة ، لكنها يجب ألاّ تضطلع بالتشريع في الوقت الحاضر •

هذا واني لارى ان الطلب المشروع في الاشتراك الفعال في الحكم الحق لا يحقق على أفضل وجه عن طـريق تشكيل مجالس تشريعية مركزية ، أو استشارية ، لكن ذلك يتمّ عن طريق اصطفاء رجال عرب من ارومة طيبـة ، ومتعلمين على وجه حسن ، عراقيين بالمولد ، وتعيينهم ، منذ طالعة الأمر ، في مراكز ذوات تبعات تنفيذية وادارية •

★ ★ ★

واستنادا الى السياسة التي لخصّناها فيما مضى ، أقترح أن يعين في كل حالة موظفون عرب مختارون كحكام في كل من الموصل وبغداد والبصرة والعمارة ويعيّن مع كل منهم موظف بريطاني منتقى على وجه خاص ، ذو مقدرة وعلى حظ من خلق ، باعتداده مفوضا بلديا ومشاورا • ان هاتين الصفتين تمكناه من الهيمنة على الشؤون المالية والاجهـاز على العجز الذي ليس عنـه محيص في المراحل الاولى •

اني لأشعر شعورا تاما بما يعتور المقترحات السابقة من هنات ونقصان • لقد وضعت على أساس من أن تبوأ العرب الاعمال الادارية ، قالاً وحالا ، منذ بداية الأمر ، يُمكّننا من تعبئة تعاونهم المخلص ، والحيلولة دون صيرورة نظام آخذ بالنماء شيئا متقنا الى أبعد حد ، بحيث يشقّ عليهم ادارته بنجاح •

ان المشكلة التي نجبهها ، وعلى غرار مشكلات كثيرة اخرى ، ناجمة من وضعنا في العالم الشرقي ، عسيرة الحل الى حد كبير • ان عدم الرضى سياسيا ، وهو مصاحب لنا دواما ، سيزداد ، واذا ما عـاد الوطنيون العرب الى بغـداد فسيتذمرون ، ويتمرمرون ، ان لم يطمئنوا •

ان هذه المصاعب كامنة في الوضع الذي حصله جيشنا لنا في الشـــرق ، فيجب أن لا تكون هذه عقبة في طريقنا • »

وتناولت السياسة الاقتصادية بشيء من التفصيل في مذكرة مستقلة • وفي اليوم ال ٢٢ من أيار كتبت في هذا الموضوع الى سر ارثر هرتزل ما يلي :

« ان أردنا أن نصيب في سياستنا العربية نجحا ، ومهما كانت ختاما ، فعلينا أن نبتعث الروابط الاقتصادية والعملية مبكرا ، وأن نرسم سياستنا التجـــارية باعتداد ذلك هدفا ، بالاتصال بسورية ومصر بوساطة السكة الحديد ، وبالاتصال البريدي السريع ، وبالبرقيات المرسلة بثمن بخس ، وبكثرة الانتاج الفكري والجامعات الراقيـــة والمـدارس في سورية وبغـداد ومصر ، كل اولئـــك ، عـــلى ما أرى ، يمكننا من أن نعمل شيئا • وبدون هذه الروابط المتينـــة أخشى اننا لا نستطيع الى الاجهاز على الاقليمية العربية سبيلا •

ومهما تكن الحال ، ان هذه القضايا ، وفي مثل هذه اللحظة بعينها ،ليست، الا قليلة الشأن بالنسبة الي ، ذلك ان واجبي اليومي مرتبط أوثق الارتبـــاط بتصريف شؤون الحرب ، لذلك ليس عندي كثير وقت للتفكير في التجلي من القضايا وجسيماتها • كما ليس لدي وقت لتعقيبها •

وحاولت في ذلكم الاوان أن أدفع بهذه الآراء الى مرحلة اخرى ، وأكدت على (حكومة صاحب الجلالة) ، لدى معالجة القضايا السياسية ، بأن لا تغفل عن الاهمية السامية لتحسين مواصلات العراق مع بقية أجزاء العالم •

وكان أن كتبت : « هنـــاك في سورية خط قياسي يمتد من طرابلس الى حمص وحماه ودمشق وحلب والاسكندرونة وما وراءها • وفي العراق لدينـــا خط بالعرض القياسي يمتد من بغداد شمالا الى تكريت وشـرقاط • ان هـذا الخط مفيد لنا بالنسبة لمقصد واحد ، وأعني به باعتداده جزءا من خط ذي عرض قياسي يمتد من بغداد ، عَبْر تكريت والبو كمال وتدمر ، الى دمشق وحلب ومنها الى مصر ، عبر حيفا ، وعبر القسطنطينية الى أوربة • فان وصلت الموصل بالبحر المتوسط ، وجب أن يكون ذلك عبر نصيبين ، وفي مثل هذه الحال يجب

اخضـــاع الاعتبارات السوقيـــة (الاستراتيجية) والسياسية الى الضـروريات الاقتصادية • ان ايصال الموصل ببغداد يجب أن يكون عبر كفري وكركوك واربيل • ويفضل أن يمدّ هذا الخط على أساس القياس المتري • انه سيكون عوناً على ابتعاث كردستان الجنوبية ، والمنطقة الغنية في اذربايجان الفارسية ، ويمكن من أن تنفتح لطريق سيارات عبر رواندوز حتى اورمية • اني لأعرف هذا الطريق شخصيا واني لواثق من انه لن يبعث مصاعب لا سبيل الى اجتيازها •

فلو قُدِّر لبلاد العرب الاتحادية أن تقوم ، وجب أن تكون عقبى مواصلات محسّنة • ولو وصلت بغداد بدمشق مباشرة ، لاتّحد مركزا الحضارة العربية والفكر العربي • ان منتوجات سورية والعراق يكمل بعضها بعضا • وان الروابط بين الطبقات العالية في الحاضرتين ، بقـدر تعلق الأمر بالاسر والارس ، وثيقة جدا • ان الطبقة المنوّرة في سورية أرقى تعليما من نظيرتها في العراق ، وهي اكثر ميعة ونشاطا • هذا وان طقس دمشق وحلب أقل قسوة من طقس بغداد•

« اني لشاعر بأن اتفاقية سايكس ــ بيكو عقبة ، لكني على ثقة من ان في القضايا التي من هذا القبيل يجب أن تكون الاسباب الاقتصادية ، ان كانت واردة رصينة ، فوق الاعتبارات العارضة ، نسبيا ، السوقية منها والسياسية • لذلك فاني ألحّ على وجوب اجراء التحرّي في سياسة السكة الحديد القـابلة ، جملة ، وبأقصى ما يكون سرعة ، ومن قبل هيأة خبراء أكفـــاء لهم المعلومات المتصـــلة بالأوضاع القائمة في العراق وسورية • ان مثل هؤلاء الرجال ميسورون في الوقت الحاضر ولكنهم سيتفرقون في الارض ، قبل أمد طويل ، بسبب من التسريح • »

ووضع لورد كرزن هذه (المذكرة) جانبا وعليها ملاحظة تقول بأن مثل هذه التأملات المتعة مبتسرة ، وعلى ذلك فهي عديمة الفائدة • لقـــد كان يُعنى ، كشأن الوزارة ، بالنظام السياسي والاداري العام على ما لخصّ سابقا •

واثر مناقشات جمة أقرته اللجنة المؤلفة من رجال الدوائر المعنية بالشؤون الشرقية (والتي حلت محل اللجنة الشرقية التابعة لوزارة الحرب ، بعد الهدنة) • وبُعيد وصولي بغداد وردت عليّ برقية تشير الى انه نال موافقة الحكومة ، التي

حمل اليّ ثناؤها على جهود (الادارة المـــدنية) مضمّناً في خطاب صـادر عن (وزارة الهند) ومؤرخ بتأريخ الـ ٦ من حزيران سنة ١٩١٩ :

أرسلت لك موافقة حكومة صاحب الجلالة على المقترحات المتعلقة بادارة ما بين النهرين ، التي قدمتها بكتابك المؤرخ بتأريخ ٦ نيسان المنصرم ، ببرقيـــة وزير الخارجية المؤرخة باليوم الـ ٩ من أيار ١٩١٩ •

ان الاجراءات المقترحة من قبلك هي ، بالضرورة ، وقتية الصبغة ، لـكنها تحدّد مرحلة ذات خطر في سبيل اقامة شكل معيّن من أشكال الادارة في البلاد المحتلة • ان اقراره نهائيا منوط بعقد اتفاقية الصلح مع تركية ، والقرار النهائي الذي يتخذه (مؤتمر الصلح) في باريس •

« يرغب وزير الخارجية في اهتبال الفرصة ليحمل اليك ، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، شعوره المنصبّ على العناية الملحوظة والمقدرة التي أبديتها والضباط الذين يعملون في امرتك ، في سبيل حـلّ المشكلة العسيرة الدقيقة ، وهو ما دعيت الى النظر فيه •

« ان الجهاز السياسي في بلاد ما بين النهرين ، بادارة اللواء سر برسي كوكس القديرة ، أولا ، ثم بادارتك ثانيا ، نهض دوما بالواجب بحماس ،وقد كان ذلك مدعاة الاعجاب كما كان النجاح حليفه • كان على ضباط هذا الجهاز أن يعملوا تحت أوضاع غير مشجّعة في الغـــالب وفي ظروف محفوفة بكثير من المتاعب ، وفي بعض الاحيان ، تنطوي على خطر شخصي جسيم • لـكن الخطر والصعوبة كانا عاملي تحفيز الى جهود متزايدة تبـــذل في تصريف واجباتهم • انهم سيجدون الجزاء الاوفى في الدلائل التي ستلوح لهم في كل جهة وبالنسبة الى النتائج التي أسفرت عنها جهودهم في سبيل الصالح العـــام • لكن حكومة صاحب الجلالة التي كانت ترقب منذ البداية سير الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين بعناية وثيقة لن تدع الفرصـــة تفلت من دون أن ترجو منـــك قبول تقديرها الصميم وشكرها ، لك ذلك بالذات والى جميع من يعمل في امرتك ، وترجوك أن تنقل ذلك اليهم • »

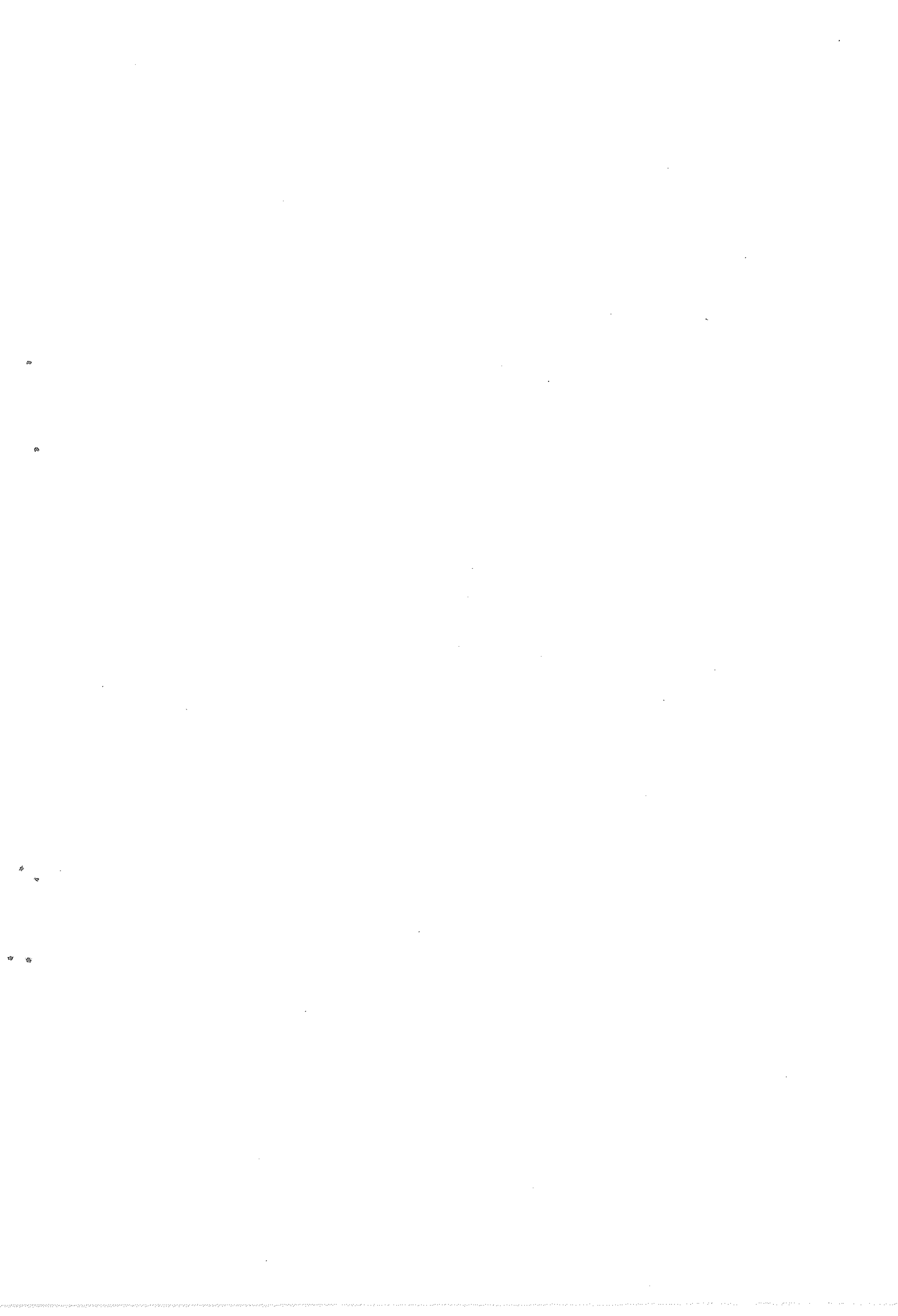
وفي النسخ التي ارسلت الى الحكام السياسيين في بلاد ما بين النهرين جميعا أوردت (٢٤ تموز) ما يلي :

ان القادة العامين ، على التعاقب ، أعربوا فيرسائلهمالسياسية عن طمأنينتهم ورضاهم عن أعمال هذه (الدائرة) ، لكن سر جورج ماكمن رغب اليّ في أن أعرب لكم في الكتاب المرفق تثمينه الشخصي لعملها بوجه خاص .

والى تشكرات القائد العام يضيف سر برسي كوكس تشكراته الخاصة ويطلب اليّ أن تقفوا على مقدار الاهتمام العميق الذي لا يزال يرقب به مجرى الحوادث .

واني لمسرور لاهتبل هذه الفرصة وأعرب لكم عن شعور الرضى الشامل لجميع أعضاء (الادارة المدنية) والتقدير لاخلاصهم واحساسهم السامي باداء الواجب وهو ما أظهروه طوال اضطلاعي بمنصبي الحالي . »

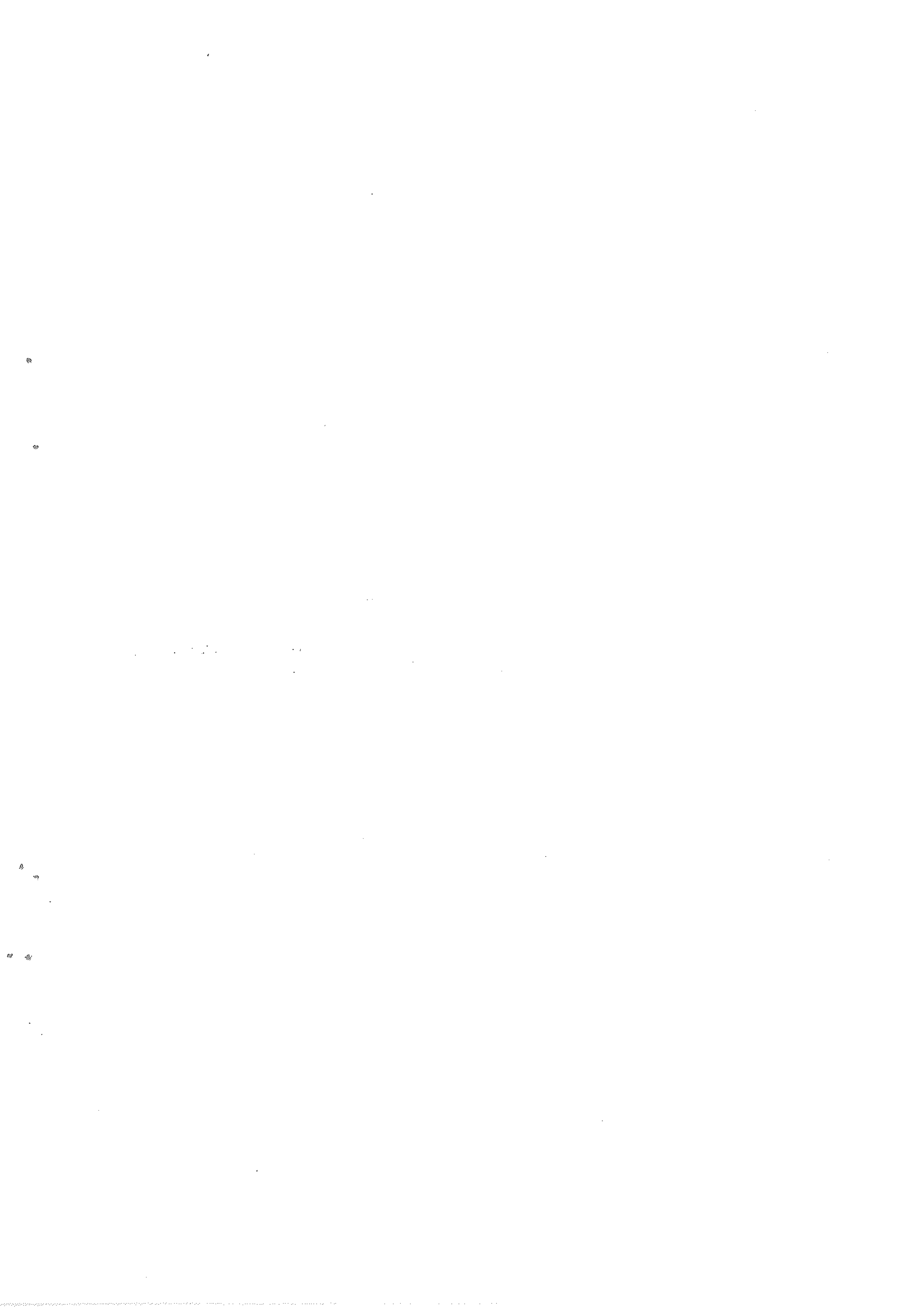
ان المخابرات السابقة تحدد مرحلة مهمة من مراحل ابتعاث جنين دولة العراق ، ولو لم تنجم الحوادث ، الخارجة عنارادةالعراق، والتيصيّرتفيحكم المستحيل ، على ما سأبينه الآن ، السير قُدما في هذا الاتجاه أو ، في الحق ، في أي اتجاه ، لكانت المرحلة مرحلة حاسمة .



ملحقا (الـكتاب)

١ ـ مقدمة (الجزء الثاني) بقلم (المؤلف)

٢ ـ صــور



الملحق الاول

مقدمة (الجزء الثاني)

بقلم : (المؤلف)

« ... لقد دعيتم الى هناك لانقاذ أمة ـ بل لانقاذ أمم . لقد كان عندكم خير شعب من عالم النصارى حقا . ولقد نيط بكم أمره وأنتم تتخذون اليه سبيلا . وكان أن سلّم اليكم زمام تلكم الشعوب بهدوء وسلام . لقد جعلتم ، وجعلنا جميعا ، نملك الامر دون منازع . وبنعمة الله وآلائه غدا اعداؤنا على حال من يأس قانت ، شذر مذر . والآن : **لنرتع بسلام ونضمن مصالحنا ، وهذا ما كنا نصبوا اليه فيما مضى ، بعد ان كانت حالنا فوضى وغدونا مدعاة احتقار الاجانب الذين يحلون بين ظهرانينا ، ويفاوضون في شؤون تتصل بساداتهم** دوما ! فلو رمي بمثل هذه الشعوب ، عن سبيل مثل تلكم الفعال ، حال فوضى واشتجار ، وغدت تتخبط في لجج من الدماء والخراب والصعاب ـ بسبب من أننا لا نروم الاستقرار حين نقدر عليه ، وحين يجعله الله على طرف الثمام من **أيدينا ـ فتكأكأ الكل علينا .. ونناى عن كل المصالح المعروفة والعامة ..** آنئذ ، سيحاسبنا الله على ما نحن صانعون ؟ »

ومن خطاب كروموبل

الذي القاه يوم ١٢ من ايلول سنة ١٦٥٤

○ ○ ○

سعيت في (الجزء الاول) من هذا (الكتاب) الى ان اضع بين يدي القارىء سردا شاملا للعوامل البارزة التي نشطت في كل من الحلبتين : السياسية والعسكرية ، فأسفر عنها الاستيلاء على بغداد ، فاحتلال ولايتها . ويهدف هذا (الجزء) من (كتابي) الى تدوين الوقائع المتعاقبة التي خاضتها جيوشنا منتصرة وعلى رأسها الجنرال مارشل الى أن أصبحنا ، عند عقد الهدنة أو بعيدها ، نملك ولاية الموصل ونتحمل تبعة عسكرية عظمى في فارس وبلاد بحر قزوين وتركستان الروسية . ان التطورات السياسية وما جاء في أعقاب تلكم المنجزات من معوقات ، بحثت كلها فيه بشيء من تفصيل .

ولقد وجدت ان من المستحيل ان أجعل تدويني قائما على أساس من وحدة البناء وعلى ما يجب أن ينهض به سرد تأريخي لحوادث العراق وشؤون بريطانية

العظمى في الشرق في مثل هذه الحقبة العصيبة • وكان من المعسور الالتزام بالتعانق الزمني الدقيق ، أو أن يعرض على القارئ تحليل يرضاه ، بقدر تعلق الامر بالارتكاسات البلدية الناجمة بازاء ما حدث في البلدان الاخرى • ما كانت الامور في العراق ، خلال هذا الوقت ، متأثرة برغبات السكان أو فعالهم ، أو بمشيئة ممثلي بريطانية في العراق أو فعالهم ، وكل ذلك باقل مما كان للحوادث من أثر في اوربة وسورية وفارس وتركية أيضا ، انها حوادث معتاصة كانت تند عن سلطان الحكومات كليا •

وكانت الحركة القومية ، ومعينها سورية ، ذات جوانب متعددة • فالتضحية في سبيل الوطن والعمل من أجله شجرة تزدهر بما هو مختلف شكوله وألوانه ، وذلك تبعا لاختلاف التربة وتعاقب الاجيال ، وان ثمرتها لمرة المذاق أحيانا • وما كانت هذه بأمر مهم في العراق خلال هذه الحقبة الزمنية • لم تكن فكرة قيام دولة عربية مستقلة متحدة بغريبة عن الاقلية المنورة فيها ، ولكن فكرة قيام شعب مستقل في العراق لم تكن قد نضجت تماما • ذلك ان البلاد كانت تعدم الانسجام او التجانس ، سواء أكان جغرافيا أم اقتصاديا أم ارسيا •

وكانت الميول الانفصالية في البصرة قوية ، كما كان الامل في الحفاظ على ولايتي بغداد والبصرة منسجمتين متحدتين في حكم ذاتي ضعيفا من دون الواردات التي يؤمل الحصول عليها من مصادر اقتصادية تملكها ولاية الموصل • على أن ثلاثة أرباع السكان الموصليين لم يكونوا من العرب ، وان خمسة أثمانهم من الاكراد ، وثمنهم من النصارى واليزيدية • وثبت ان المشكلة الكردية متعذرة الحل • وكانت القبائل متناجزة متنابذة ، ولم تكن لدى رؤسائها سياسة موحدة ، ابناؤها لا يتفقون الا على معارضة اي شكل من اشكال الحكومة يخضعهم الى هيمنة العرب • وكانت الطوائف الكلدانية والآشورية قليلة العدد ، كما كان من العسير المعسر شمولهم بالعدل وايجاد المقام المناسب لهم في المكان المرتجى • والآشوريون ، على وجه أخص ، كانوا يستأهلون عناية خاصة • لقد كان لهم دور مشرف لعبوه بجانب الحلفاء خلال الحرب ، وبرهنوا على أنهم رجال وغى من الطراز الاول • لقد جرى تنظيمهم من قبل السلطات الحربية البريطانية في أفواج ، واعتدوا قوة تقوم بحفظ الامن والنظام بين ظهراني الاكراد • وكان وطن الآشوريين بيد الاتراك ، وهم اعداؤهم الألداء ، أو بيد قبائل كردية لا يمكن ان تزاح عنه الا بقوة صاخبة • انهم من سكنة التلال ، ولا يمكن أن يحتفظوا بصحة موفورة في السهول ولو كانت مؤاتية الظروف • وخابت محاولات استبدالهم أيضا • وكانت الطوائف الكلدانية وغيرها من النصارى اقل فحولة • لقد كان هواها الطبيعي مع بني جلدتها في سوريا ، والامل في ان تكون تحت الانتداب الفرنسي امر تهفوا اليه قلوبها كثيرا • وكان الاعراب السذج في ولايتي البصرة وبغداد واقعين تحت تأثير علماء النجف وكربلاء ــ وهم جبابرة روحانيون طموحهم الرئيس قيادة ثورة في سبيل التحرر •

وكانت الحكومة القائمة في انكلترة معنية بمشكلات معتاصة ، مالية

وسياسية ، هي على اشد ما تكون عسرا ، وسواء أكانت في داخل البلاد ام في خارجها • وما كانت الصحف تتسدي أي توجيه مفيد في هذا الباب ، كما لم ينطلق من رجال الاعلام الا بصيص ضعيف من بابة العاطفة ونشر لواء السلام • لقد كسبت الامبراطورية البريطانية الحرب ، وان في كل أمر غاية ، لكنها ، على ما يبدو ، فقدت الايمان برسالتها والتمسك بألتزاماتها ، ومما يفرضه عليها واجبها وصالحها الذاتي ، على حد سواء : أقامة مبادىء السلطة والحكم الصالح وهي التي تعلي من شأنها ، والى أن يتأصل ذلك وتكون السلطة لاهل البلاد • كنت أشعر ـ وعلى ما أشعر به الآن ـ شعورا عميقا بأن مصلحة شعوب الشرق الاوسط ، والهند ، ترتكن الى مواجهتنا تبعتنا • وكنت على ثقة من اننا ستتغلب على مشكلاتنا الاقتصادية ، والى الحد الذي بلغناه في الافادة من الفرص التي سنحت لنا • ان معتقداتي العميقة كانت ، بكل تواضع ، هي المعتقدات التي عبّر عنها كروموبل حين قال : « اننا لشعب ذو طابع إلهي •• لذا وجب ألا يبزّ أي حديث حديثه ، سواء من حيث المظهر أم من حيث المخبر • »

تراءى لي ان « تطبيق مبدأ تقرير المصير » في بلدان العرب أمر لا ينفق ومصالح أهلها ابدا • فان أريد من ورائه تمكين الدولة المنتدبة من ممارسة السيطرة (على غرار ما حدث في سورية) ، روحا لا شكلا ، والرغبة في مسايرة آراء الرئيس ويلسون ، فان ذلك غير ذي جدوى ولا يستأهل الديمومة (كذا : المترجم) ولو اريد أن يكون ذلك حقا ، من الجهة الاخرى ، فانه لامر لا يستطاع الى تطبيقه سبيلا ! ذلك انه ينطوي على الجرائم التي تجعله منفسخا ويتلاشى ! لم تكن هناك من (سلطة ذات كفاية) لتمارس السلطان الاقصى ، انها من أسوأ الحروب الدياركية(*) على أسوأ صورها • ان العراق بحاجة الى رأس مال ينفق على الطرق ، والسكك الحديد ، والري والاشغال العامة ، ولا سبيل الى الحصول عليه ، في ظل الانتداب . وعند فقدان ضمان (خزانة) ، أو موارد وافية ميسورة تضمن ذلك • ان العراق ليحتاج الى مستشارين خبيرين ، ولو أخذ بنظام الانتداب ، وليس من المحتمل أن يحصل على أفضلهم في ظله ـ وذلك بسبب انعدام الديمومة في العمل والمستقبل ـ أو لان مشورتهم تكون ذات جدوى باعتداد ان آخر الدواء هو الكي • ان أساس الحياة المنتظمة ، على ما عرفها العراق قد اهتزت بفعل أربع سنوات من سني الحرب • وان أول مبدأ يجب أن يستقر في الناس فيه هو : مبدأ السلطان • ومن العسير ان يصار اليه في ظل حكم الانتداب •

وكان من الواضح الجلي ان قبول مبدأ الانتداب ، على الشكل المقترح ، يعقبه توا الالحاف بطلب حرية تامة والانعتاق من أي شكل من أشكال العبودية ،

(*) في الاصل Diarchy ويراد به ضرب من الحكم فيه السلطان الاعظم منـاط بشخصين ، وعلى ما حدث في انكلترة عندما ولي الحكم فيها « ويليم وماري » • [المترجم]

واني لاعتقد ان العراق ليس بأهل لها (كذا : المترجم)(**) « وليس ذلك بسبب انعدام الاداريين ذوي الكفاية أو فقدان الشعور الوطني ، حسب ، بل لاسباب اقتصادية على الوجه الوسيع • ان وضعه الجغرافي وتاريخه المتفسخ الطـــويل ، وانحطاط سمعة منتوجاته في الاسواق العالمية ، كل اولئك تدل الى النفع الذي قد يجنيه من وراء الارتباط بحكومة عظيمة متقدمة •

لقد بذلت قصارى جهدي ، على كل حال ، في ســـــبيل تحقيق قرارات « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » ، والاسترشاد بروح تعليماتها • ولقـد شعرت بأسى عندما لم تدرك نتيجتها المعايير والمثل العالية التي كنا نصبوا اليها جميعا ، (ومتى صحت المقدمات ، حقت النتائج : المترجم) •

« ففي الهند » ـ على ما كتب اللورد كرزن سنة ١٩٢١ ـ « كان يعمـــل في أمرتي أناس ممتازون • ان روح العمل كانت مختلفة • فكل فرد فيها كان يقوم بعمل ما • » ولو أردنا تطبيق هذه العبارات على حال (الادارة المدنية) في العراق خلال الفترة الزمنية التي يتناولها هـــذا (الكتاب) بعينها ، فاني لاقيد اصالة عن نفسي ونيابة عن سر برسي كوكس ، ان لم يكن ثمـــة فرق جوهري ، في أي وقت من الاوقات ، بين أهدافنا المحلية وبين طرائقنا الا لماما • ان (الادارة المدنية) كانت مشبعة بروح وحدة القصد منا : ان لم تكن ألوحدة هذه في الوسيلة دوما ، وهذه أسدت خدمة ٣٠ سنة ، لقاء السنوات الثلاث القاهرة التي مرت على (الادارة) المشار اليها •

لقد وسّع المجـــال لسرد فاعليات الدوائر ، ولعـــل ذلك كان بأكثر مما تستأهل باعتداد قيمتها الحقة • وقد يكون مرد ذلك الى فقدان وجود سرد كامل

(**) في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ كتب مراقب على حظ كبير من كفـاية وذو خبرة مكتسبة من خدمة ادارية مثقلة بالتبعة في العراق ما يلي السطر :

هناك مصاعب تجبه على حد سواء فروع الادارة العراقية جميعا • انهـــا ناجمة من عوامل مستدامة تقريبا ، ولا يمكن ان يقدرها من لا يعرف البلاد حقا ، ومن يعرفها لا ينيلها تقديرا تاما • ويتراءى لي أن من أهم العوامل التي اومأت اليها هو ان طبقة الحكم صغيرة • ولن اذهب الى ان هناك في التأريخ اية دولة مماثلة ذات حكومة تمثيلية على الطراز الحديث ، لا يزيد عدد من يؤبه به من سـكانها على مئتين او ثلثمائة في الحد الاقصى • حقا انها حكومة قلة (اولگاركيه) مغلقة لكنها من دون خبرة ادارية ، ومن دون التربية اللازمة لخدمة العامة وتقاليدها •• وبدون ذلك كله ، على ما يعن لي ، لم تستطع أية واحدة من الاوليكاركيات ان تحكم وتصيب في حكمها نجحا •

وثمة عامل آخر هو فقدان الروح الوطنية الحقة • وليس هذا بعجيب على ما يفصح عنه تاريخ البلاد • لكنه يدل على أن أساس جميع الحكومات التمثيلية هو أن يقر الفرد فيها بأن صالح المجتمع بعامة هو صالحه الذاتي، بخاصة • فالحياة تعادل ، والمرء بنفسه قليل ، وهو مفقود فيها ، حتى بابسط اشكاله الاولية •

(المؤلف)

في أي مكان يمكن بلوغه • وللسبب عينه ، قيدت بشيء من تفصيل المراسلات التي دارت بشأن شكل الدستور الواجب سنّه في ظل الانتداب ، واقتبست بحرية من المخابرات الرسمية ذوات الصلة بموضوعه • لقد آمنت أن من الصالح العام تيسير الاطلاع على الحقائق الضرورية المتصلة بوجهات نظر « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » وميولها ، ووجهات نظر ممثليها المحليين وميولهم ، وذلك في الوقت الذي ما زالت فيه الحوادث التي بعثتها ماثلة في اذهان الناس ، غضة طرية • ان دراسة التفاعلات المتبادلة ، والاعتمادات المتبادلة ، لا تزال في مهد الطفولة ، ولا يعلم احد ما ستكون عليه الخاتمة •

وأكثر من ذلك ، لقد كتبت ما كتبت ولي قصد معيّن محدد هو ازالة بعض أوجه اللبس في أهداف (الادارة المدنية) وطرائقها ، وعلى ما كانت عليه خلال الحرب وما بعدها • ان سوء الفهم واللبس بعثا كثيرا من الانتقادات التي ترددت في البرلمان ، وفي الصحافة ، وفي غيرها ، وشارك فيها خلق كبير ، ومنهم من يستأهل ان يعار اذنا واعية بسبب من خبرته المكتسبة في ميادين شتى • ومن تضاعيف الحوادث المقيدة هنا ، تجد ان اتجاهات بعض من تعاونت معهم تتعارض في الاحيان وآرائي ، ولقد حملت بعض المتفرجين ، بين حين وحين ، على ان يفسروا نواياي تفسيرا خاطئا • وعلى كل حال ، ولمثل هذا السبب حسب ، لن يكون واجب تحرير هذا الجزء من كتابي يسيرا مقبولا • ولما كان عرضي للحقائق شيئا يحتمل الجدل والنقاش فلي ان اضيف الى ما سبق اني حاولت ان اكون عادلا بالنسبة الى جهتي القضية ، ولم أقرر شيئا لم أبذل الجهد الجهيد في سبيل تحقيقه وتقريره •

وعندما فتح سر برسي كوكس صفحة (الحكومة العربية) في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ ، ولو كانت الظروف غير الظروف لكنت له في ذلك عونا ، (على اني، منذ طالعة أمرها ، كنت أصر على ان يكون هو ، ان آمن ، مشرفا على مصيرها) • ختمت صفحة (الادارة المدنية) اذ امتصتها حكومة البلاد الوطنية • على أن الملك فيصلا ، ووزراءه المسؤولين ، لا يجهلون كل الجهل فضل أولئك الضباط البريطانيين في باب انقاذ القبائليين والمزارعين من براثن تقاليد أكل الدهر عليها وشرب • ان الجهد الصابر المستأني الذي صبه الضباط السياسيون الجلداء في الصحارى والاهوار ، وشجاعتهم تلقاء المصاعب الجسام والاخطار التي أحاقت بهم من كل جانب واخلاصهم الفذ لمصلحة العراق(***) ، كل اولئك كان من الاسباب التي وضعت أساس الدولة الجديدة • ان كثيرا ممن لم يكن همه سنة ١٩٢٠ الا القتل والتخريب يتلذذ اليوم بذكرياته ، وان تقاليد أولئك الانكليز

(***) هذا من المدح الفضفاض الذي يكيله (المؤلف) بلا حساب ، والذي حداه على هذا انه كان على رأس (الادارة المدنية) على حين ان كثيرا منهم كان على الضد مما جاء في أقواله ، وقد أصفقت كلمة النقدة على أن تصرفات بعضهم الطائشة هي التي اطلقت شرارة (ثورة العشرين المجيدة) •

[المترجم]

الاجرياء ستبقى على الدهر ، حتى يعفو على اسمائهم النسيان وتمحى من الذاكرة الانسانية ، أو على ما قال بركليس :

« لقد اوكلوا الى الامل فرصتهم من السعادة وهي مجهولة ، لكنهم نلقاء الموت صمموا على الاعتماد على أنفسهم حسب ، وما ان حان الوقت الا عقدوا النية على المقاومة ومعاناة ما يأتي في أعقاب ذلك . انهم لم يريدوا أن يولوا الادبار فينجوا بحيواتهم . لقد كان هروبهم من كلمة العار والشنار ليس غير . ولقد ثبتت أقدامهم في ميدان الوغى ، وما كانَ ذلك خوفا أو شفاقا ، وانما في سبيل المجد ما كانوا يفعلون . لقد رحلوا في لحظة من لحظات الزمان بعد ان بلغوا القمة واوفوا على الذروة من الطالع الحسن . لا يحتاج الاحياء الى أكبر من هذه الروح البطولية أو ان يتوقوا اليها ، وان نشدوا ما هو أقل من هذا خطرا . على ان قيمة هذه الروح يجب ان لا يعبر عنها بالكلم . لم تخلدها مدونات على أعمدة وألواح في بلادهم حسب ، ولكن في بلدان غريبة اخرىاهم فيها ذكرى غير مدونة عطرة . انها منقوشة في القلوب وليست في حجر . اجعلوهم المثل العالي المحتذى وأكبروا فيهم الشجاعة ، سبيل الحرية ، والحرية سبيل السعادة ، ولا تأبهوا لما تجيء به الحرب من اخطار . »

ولقد سعيت في هذا (الجزء) من (كتابي) الى أن أصف الدور الـذي لعبته (بريطانية العظمى) في العراق خلال أيام الحرب ، وما بعدها توا . ان من كان في الميدان كان يعمل من دون بصيرة ، أو هو كالاعمى ، لا يعرف من الحال شيئا ، لكنه كان يشعر دوما ان أهل العراق ، عربا وأكرادا وآشوريين ، لن يتوجهوا الى بريطانية العظمى ، لتؤمن لهم سلاما وأمنا ، الى زمن لا حد له ولا منتهى .

وهذا كله في وقت تناط فيه تبعة تطبيق احكام القانون بغيرهم ، شـأنه كشأن توزيع العدل وجباية الضرائب ، وانها لسياسة نشين الطرفين ولا معدى عن ان تمنى بالاخفاق في يوم من الايام . ان مملكة تقوم في العراق ، أو في غيره ، وكينة مكينة ، يجب ان تستند دوما الى اخلاق حكامها وقوة الوشائج الاجتماعية التي تربط سكانها ، وطمأنينة رعاياها ، وان الطريق الذي جعلنا أهـل العراق يسلكونه وعر شائك منحدر . ولقد صير قادتهم المرحلة الاولى على هذا الطريق عسيرة معسرة لانهم أرادوها سريعة مسرعة .

وعلى غرار ما أشار اليه سر ارنست مين Sir Ernest Maine بصدد الهند : « لا يمكن لشعب بريطانية أن يتجنب قيامه بواجب معاودة البناء على أساس من مبادئه الخاصة ، فذلك سبيل الخراب » ان فكرة اقامة حكـومة عربية اليوم على أساس من نموذج بلدي محسن لن تراود الا عقل من يحتطب في ليل من الاوهام الخطرة ، ولعل السبب في خطرها ان الايمان بها شائع ذائع .

ذلك ان بلادا تعرضت ، لحين من الـدهر ، الى افـكار الغرب واتصلت بالفكر الغربي ، لا يمكن ان تكون حالها على ما كانت عليه فيما مضى . يجب ان

تكون الاساس غربية ، لا شرقية ، ما لم يسفك دم وتكون الحال فوضى فتمحى تقاليد الغرب من الوجود محوا •

لكننا عـــلى ما ذهب اليـــه (جورج ميريدث : George Meredith) « يجب ان نتطلع الى مستقبل البشرية الصالح بايمان ويقين ، وبقـدرة) : على الاعتبار بوجهات التاريخ الجاري من دون أن تعمي العواطف بصيرتنا أو تجعلنا حيارى لا نستبين سبيلنا جليا • علينا ان نعلم ان لنا نهاية واحدة ، سواء أكنا عقلاء أم غـلف القلوب جهلاء ، أحرارا أم عبيدا ، أو كنا في انبراطوريات رصينة أم على حالات فوضى ، لذا وجب ان نعمل ، وان طالت الايام واتصل العمر ، عملا يذكره لنا أخلافنا ، وبنتيجته يحكم التاريخ في محكمته الخاصة ، لنا أو علينا ، لو عملنا صادقين مخلصين فذلك خير كله • » وان الله تعالى يؤتي الملك من يشاء ويمنع الملك ممن يشاء »(****) •

يوم القديس جورج ١٩٣٠

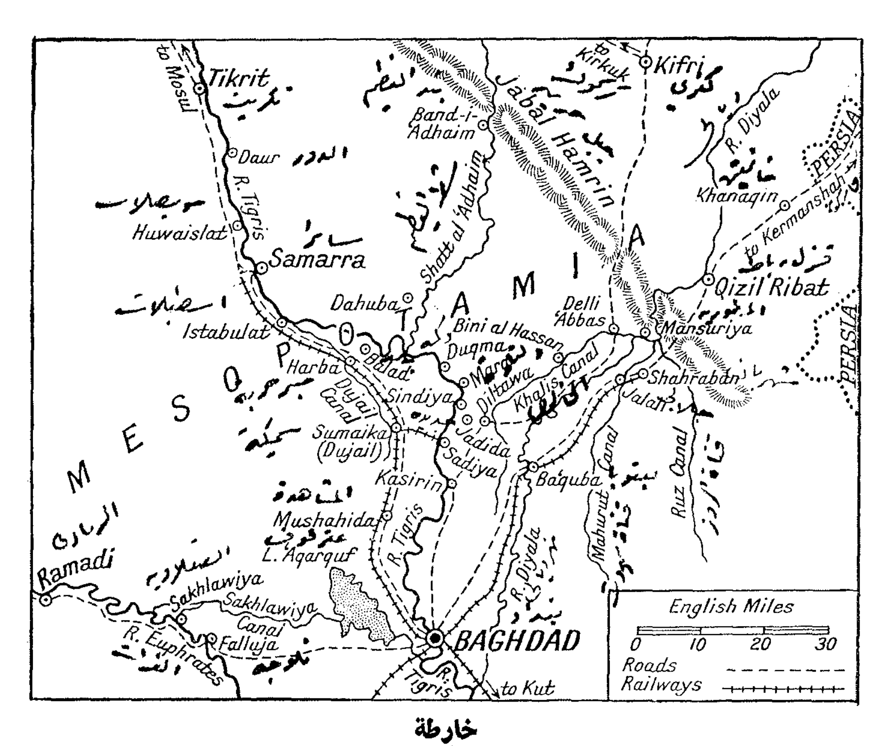
(****) اضافة منا يقتضيها السياق اردنا بها توضيح المعنى والاشراق •
[المترجم]


Aliwayzi

الملحق الثـاني

صـور ...

الحوطة : ثبتنا ما في (الكتاب الاصل) من صور واضفنا اليها
ما يوضح تعليقاتنا عليه في (الكتاب المترجم)

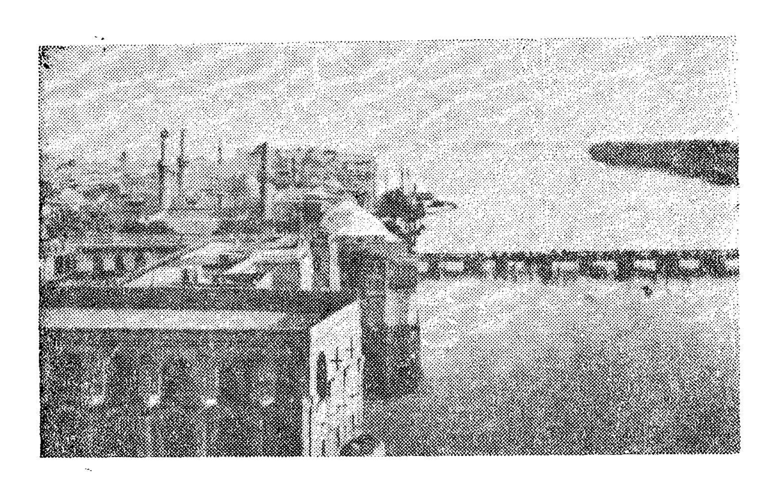


خارطة

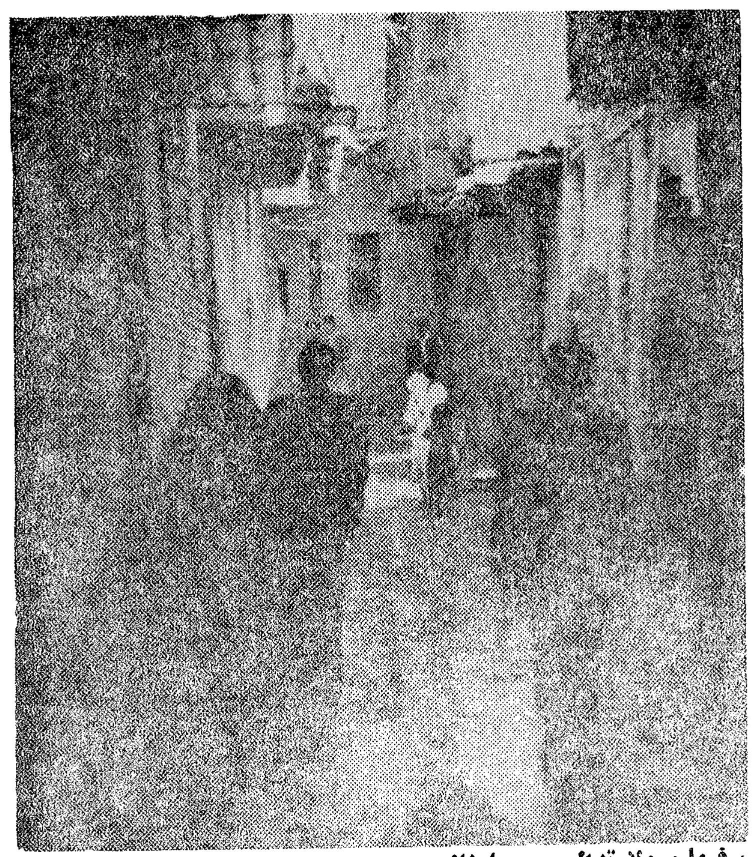
المنطقة الكائنة شمالي بغداد

زحفت عليها القوات البريطانية بعد احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧

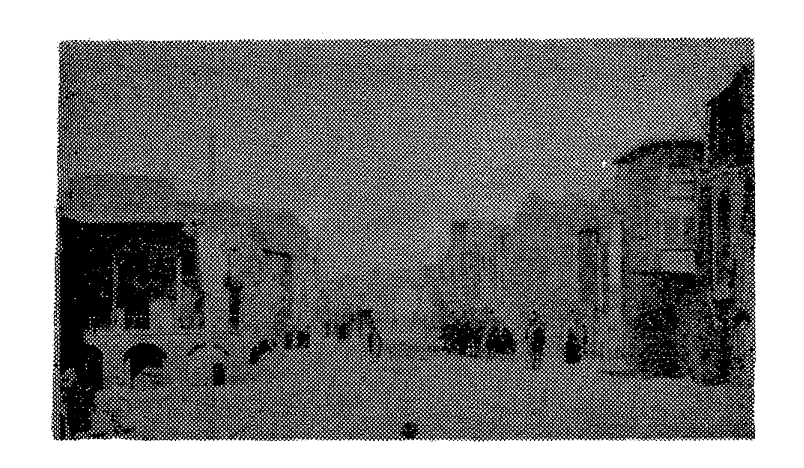


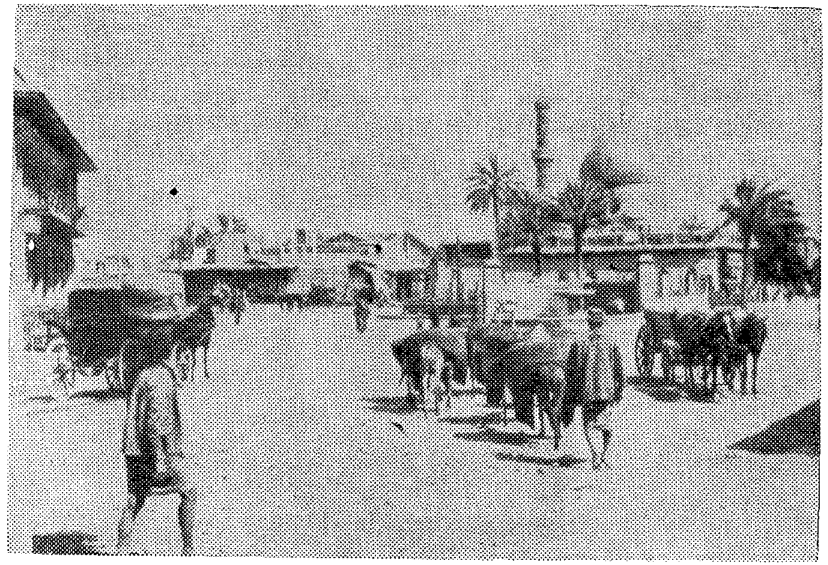


بغداد (أخت الدهر وينبوع الفخر)
أيام (الاحتلال البريطاني البغيض الزائل)



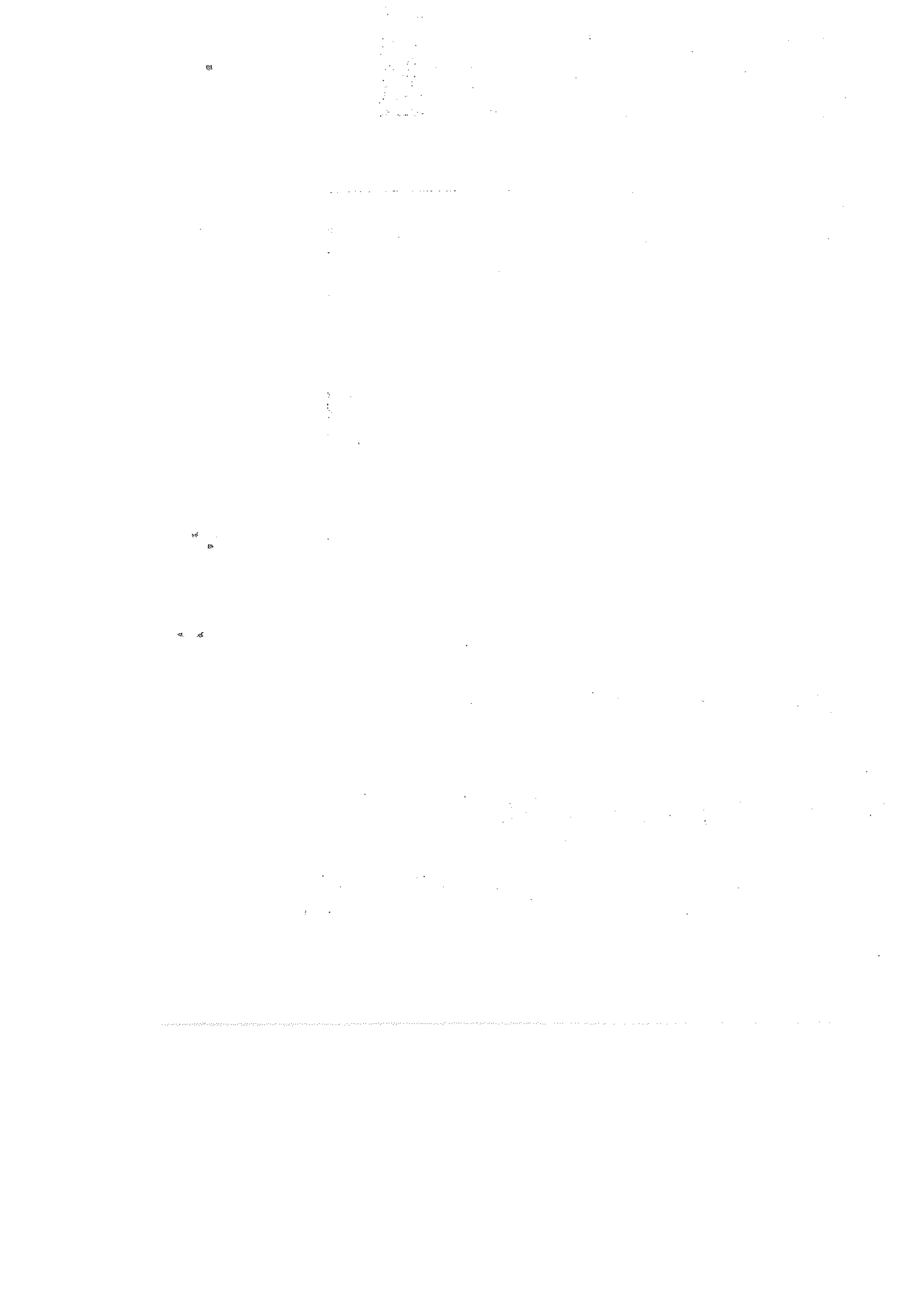
ودرب فيها ، ولا تزال ، من امثاله (دروب) و (دروب) ـ شوارع لا تنفذ ـ
موجودة حتى يوم الناس هذا





(خليل پاشا جادەسی) ثم (الشارع الجديد) ثم (شارع الرشيد)
على ما كان عليه (أيام الاحتلال البريطاني الدابر)

سميت (خليل پاشا جادەسی : جادة خليل پاشا) في (عهد الاحتـــلال البريطاني) « الشارع الجديد » محوا لاسم منشئه • وكان نقش اسم (الجادة) بالتركية على قطعة من (القاشاني : كاشي) على قاعدة منارة جامع السيد سلطان علي ، ولا نعلم اليوم مصيرها وكان عليها تاريخ فتح الشارع سنة ١٣٣٢ رومية •





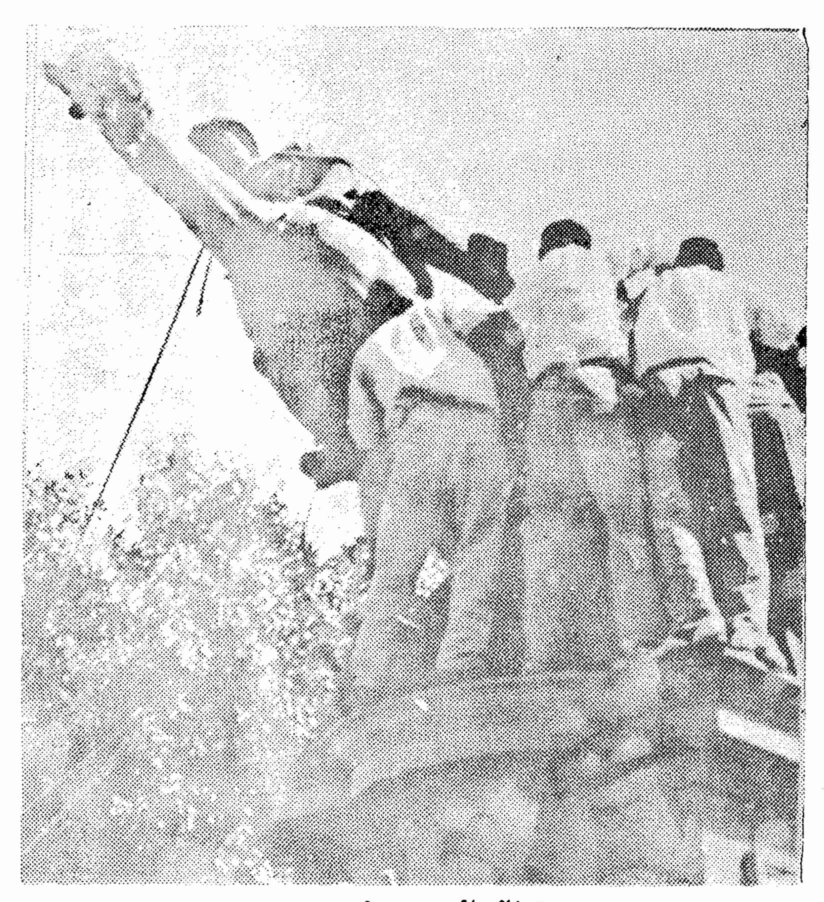
الفريق سر ويليم مارشل
قائد القوات البريطانية العام خلف الجنرال مود



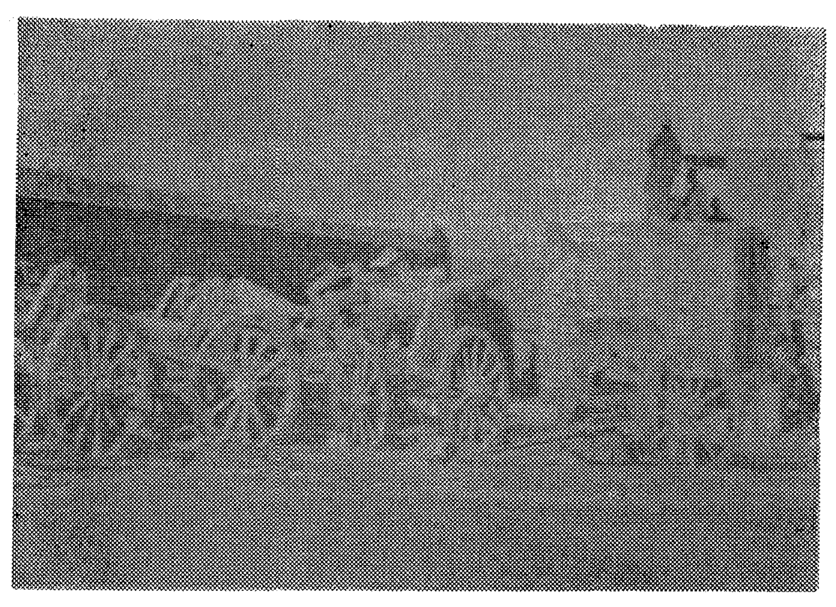
اكباشي السعد (شيخ المدينة ـ القرنة) وقد ورد اسمه في الكتاب غير مرة



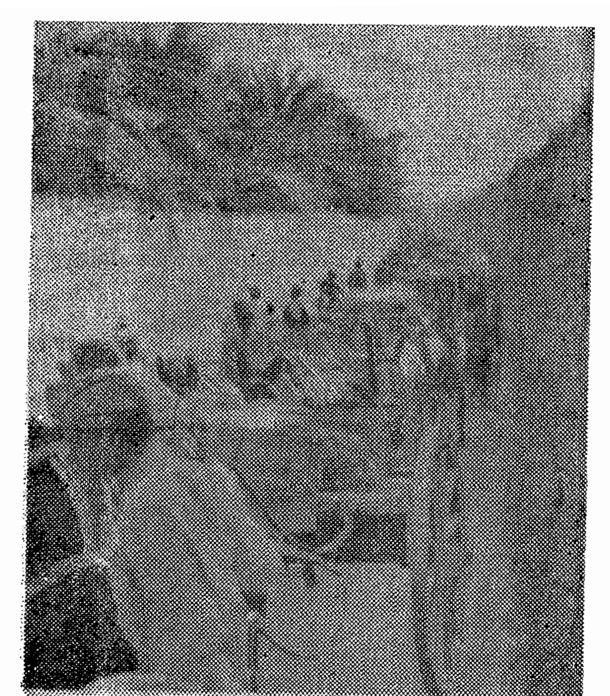
سر ويليم ويلكوكس
طبيب [الجنرال مود] المداوي
وقد ورد اسمه في الكتاب غير مرة



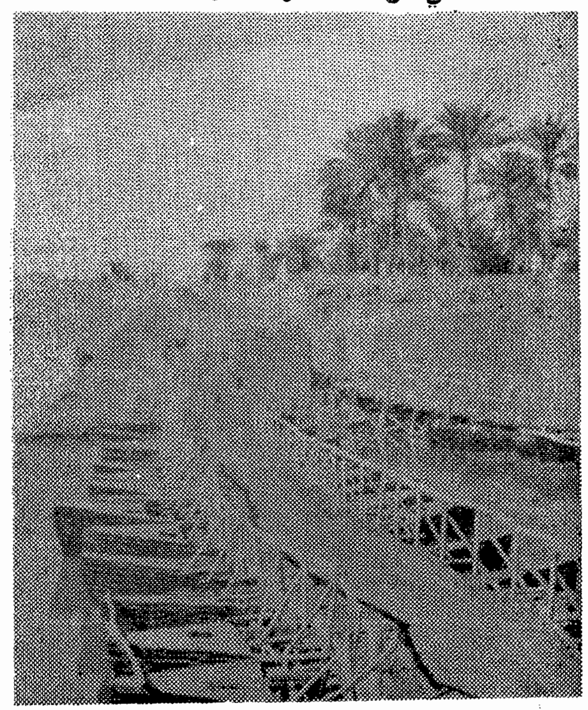
تمثال ال (جنرال مود)
رمز الاحتـــلال البريطاني الكريه
يهوي أثر (ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة)



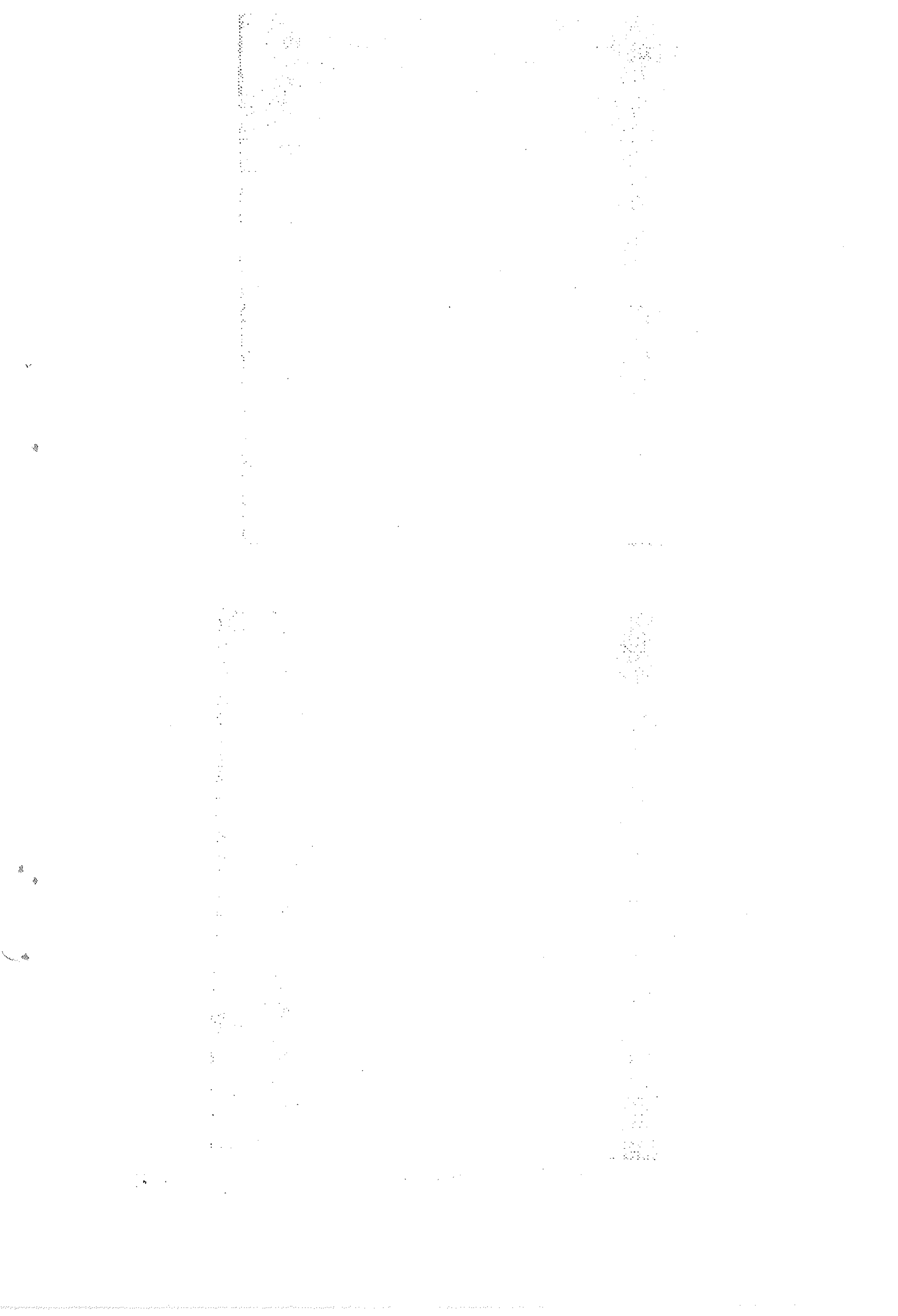
المدافع البريطانية التي غنمها الاتراك مكدسة في (القلعة)
التي كانت تقوم على موقع وزارة الدفاع العراقية الحالي

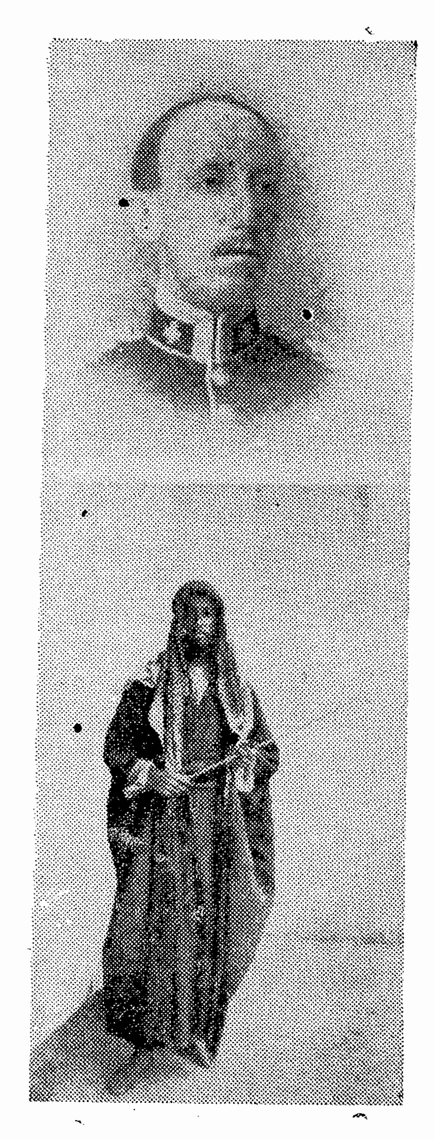


هكذا كانت قطعات الاحتلال البريطاني
تعاني من رداءة طرق العراق ... ايامئذ

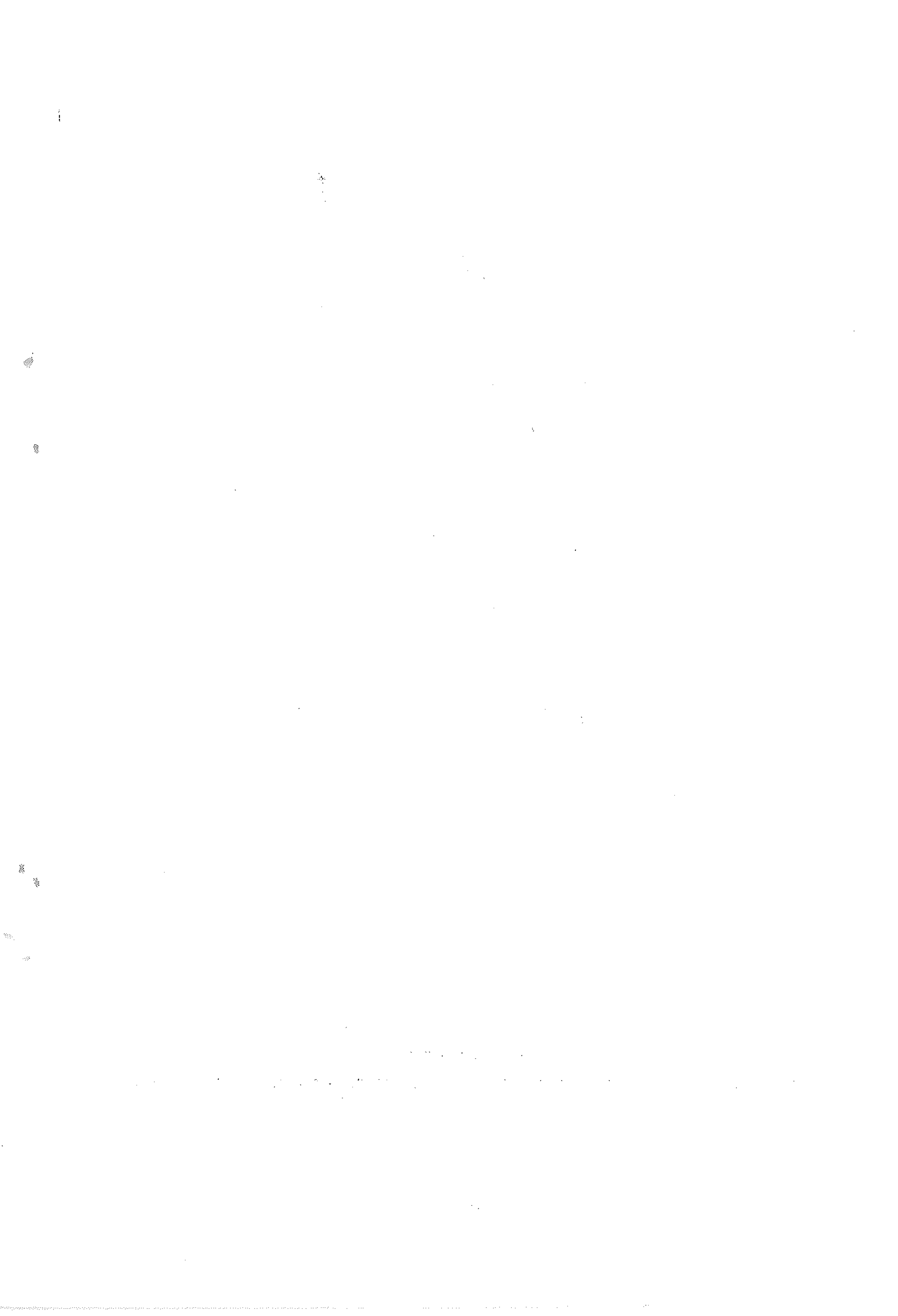


الجسر الذي نصبه البريطانيون على ديالى في طريقهم الى احتلال بغداد .. عهدئذ





العقيد لجمـــن
بملابسه العسكرية والبدوية لقي حتفه ، جزاء وفاقا ، باليوم ال ١٤ آب ١٩٢٠





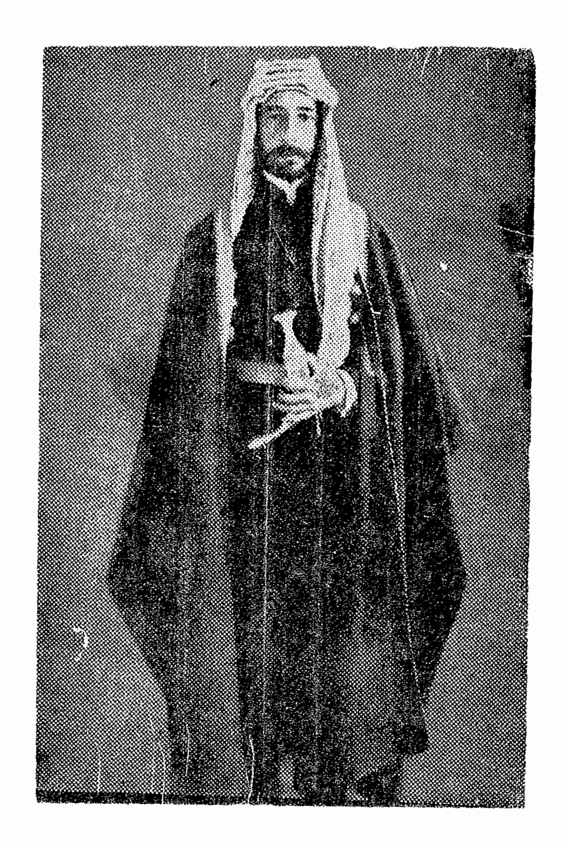
وعد (بلفور) و (صاحبه) المشؤومين



اثار دار الامارة في الكوفة العريقة التي شهدت تنفيذ حكم الموت بشهداء (ثورة النجف ١٩١٨) الابرار



حاكم النجف السياسي البريطاني : النقيب مارشل القتيل في ١٩ آذار ١٩١٨



الملك فيصل الاول وقد ورد اسمه في الكتاب غير مرة



علي السليمان (شيخ الدليم) ، ايامئذ و سليم المعزاوي (ممثل حكومة الاحتلال البريطاني في كبيسه) المتوفى متأثرا بجراحه (آب ١٩٢٠) وقد ورد اسم كل منهما في (الكتاب الاصل) غير مرة ٠

فهرســـت

استدراكات ... وتصويبات(*)

الحوظة :

ان جميع (أبيات الشعر) ، وما اليها ، الواردة في ثنايا (نص الكتاب المترجم) ، الموضوعة بين [عضادتين] هي اضافات منا ، اقتضاها (السياق) ، لا تخرج على (الاصل) أبدا ، اردنا بها جلاء المعنى واشراق المبنى .

صحيفة	سطر	الخطأ	صوابه
١٢	١٦	اللألأ	اللألاء
١٢	٢٠	تدريجيا	تدريجا
٤٠	٢١	يجيىء	يجيء
٦٣	٣	ثلاثة	ثلاث
٨٧	٧	ناظريه هدف فذ	ناظريه نقطة هدف فذ
٨٩	١٩	القريين	القرين
٩٠	٢١	اعسى	اعني
٩٧	٢	ميسون	ميسور
١٠٠	٣	(فيلي)	(فيلبي)
١٠١	٢٣	لـكم	لهم
١٠٢	٢٣	(سربرس كوكس)	(سربرسي كوكس)
١٠٤	٣	مسبقا	سلفا

(*) على الرغم مما بذل من عناية مستأنية ودقة في تصويب (تجارب الطبع) وقعت ، ويا أسفا ـ (اخطاء طبع) ، فلا معدى عن (مسرد للخطأ وصوابه) ، وهو ما قمنا بتثبيته ، وقد تكون في (الكتاب) غيرها ، وهي غير خافية على (القارىء الكريم) فمعذرة : (وللحليم من العورات اغضاء) ، مشفوعة برجاء منه هو : ان يصوبها قبل البدء بمطالعته .

ف . ج

صحيفة	سطر	الخطأ	صوابه
١١٤	٢٠	(لوافدة)	(الوافدة)
١٢٤	٢١	بكن	يكن
١٢٥	٨	نعنى	يُعنى
١٥١	١	عنما	غنما
١٥١	٣	سحبوا	سحبا
١٥٣	١	امرة	بامرة
١٥٥	١٠	الضالون	الضالين
١٥٥	٢٠	الاسارى وهم من نجا	الاسارى الذين نجوا
١٦١	٢٦	ما ستقدر ّره	ما ستقد ّره
١٦٣	١٣	اليوم	يوم
١٦٧	ينقل الهامش (٢٠) الى ص ١٦٩		
١٧٢	٢٧	موندرس	مودروس
١٧٣	٣	(دبلوسى)	(دبلوماسي)
١٩٠	٨	ك زن	كرزن
١٩٠	١٠	وسمعها	وسمعتها
١٩٠	٢٣	كهذه	كهذا
١٩١	٢٠	Austen	Osten
٢٠٥	١	به	بها
٢٠٥	٦	كانت	كان
٢٠٨	١٩	Giblons	Gibbons
٢٠٨	٢٣	الشهيرة	الشهيدة
٢١٦	٢	بتصيل	بتفصيل
٢١٩	٢	المو ادر	الموارد
٣٣٤	٢١	امر	امراً
٣٣٩	١٣	تمكناه	تمكنانه
٣٤٠	٥	كانت	تكن
٢٥٣	١٠	كافة	كافيــة
٢٦٥	١٤	اختلال	احتلال

آثـار (مترجم الكتاب)

أ ـ المطبـوعة :

١ ـ (مقالات واحاديث ج١) ط · سنة ١٩٥٨ نافد

٢ ـ (أصول ادارة الشرطة) الطبعة الاولى ، بالاشتراك مع المرحوم اسماعيل راشد · ط · سنة ١٩٥٧ نافد

٣ ـ (أصول ادارة الشرطة) الطبعة الثانية ، ط · سنة ١٩٥٨ نافد

٤ ـ (حضارة العالم الجديد) ـ فصول تاريخية شـارك في اعدادها ٦٠ استاذا جامعيا وعلما من الكتاب · ط سنة ١٩٥٨ نافد

٥ ـ (في بلاد الرافدين ـ صور وخواطر) ط · سنة ١٩٦١ نافد

٦ ـ (فن الدراسة) طبع في بيروت سنة ١٩٦١ نافد

٧ ـ (بغداد ·· مدينة السلام) ج١ بالاشتراك مع المرحوم : مصطفى جواد ط · سنة ١٩٦٢ نافد

٨ ـ (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) ط· سنة ١٩٦٥ نافد

٩ ـ رحلات الى العراق العراق ج١ ط · سنة ١٩٦٦ نافد

١٠ـ (بغداد ·· مدينة السلام ج٢) ط سنة ١٩٦٧ نافد

١١ـ (رحلات الى العراق ج٢) ط سنة ١٩٦٨ نافد

١٢ـ (بلاد ما بين النهرين بين ولاءين ج١) ط ١٩٦٩ نافد

١٣ـ رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ط· سنة ١٩٧٠ نافد

ب ـ قيد الطبـــع :

- رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ج٢ — يصدر قريبا
- بلاد ما بين النهرين بين ولاءين ج٣ ، ج٤ — يصدران تباعا
- سنتان في كردستان بجزءين
- زهور البرية : فصول في مأثورات البادية بجزءين
- رحلات الى العراق ج١ — الطبعة الثانية

تــمّ

بعون من الله وتوفيقه

طبع (الجزء الثاني) من (الكتاب) في ١٩٧١/٦/٣٠

ويليه الجزءان

(الثالث) و (الرابع) ان شاء الله





مقدمة (المترجم) التصديرية ل (الجزء الثاني) من (الكتاب)

هذا الذي تحمله بيمينك - ايها القارئ الكريم - هو (الجزء الثاني) من (الكتاب) الذي يعتده كثير من البحـّـاث الاثبات والدرّاس الثقات من أخطر المصادر المؤلفة في تأريخ (عراقنا الغالي الحبيب ، في مطلع القرن العشرين) ٠ لقد تناول (الجزء الاول) منه ، سردا وتحليلا ، الحركات العسكرية - السياسية منذ بدء (الحملة البريطانية) عليـه حتى (احتلال بغداد) ، ويتناول هذا (الجزء) ما اعقب ذلك من حركات عسكرية ومناورات سياسية حتى اعـلان (الهـدنة) ٠٠٠٠

ثم ابدأت سلسلة من الثورات الرائدة بازاء (المحتل البريطاني فكانت منها (ثورة النجف سنة ١٩١٨) و (ثورة الشيخ محمود الحفيد - ر ح -) و (المؤلف) يقص حديثهما فيه ٠٠٠

آمل ان يكون في جهدي المتواضع الذي صببته في اعداد هذا (الجزء) كشأن سابقه ، وكشأن (لاحقيه) ما ينفع الناس وينشر الوعي الوطني - القومي في (وطننا الاصغر) و (وطننا الاكبر) ، ويحفز على تحقيق (اهـدافنا) السـامية ٠

والله من وراء القصد ٠



فؤاد جميل

٩٠٠ فلس